



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>



076411402

32101

ن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
واعمل لهم عندنا

كتاب

al - sūrim al - maslūl

الصارم المسلول على شاتم الرسول

للشيخ الامام تقي الدين ابي العباس احمد بن الشيخ

عبدالحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله

ابن ابي القاسم الحراني المعروف

بابن تيمية رحمة الله عليهم

الفه في وقعة عساق النصراني حين سب النبي صلى الله عليه وسلم
من كشف الظنون وفوات الوفيات ونذكرة الحفاظ لمختصا

الطبعة الاولى

بمطبعة مجاسد اثره المعارف النظامية الكائنة في الهند

بمجدد اباد الدكن عمرها الله الى اقصى الزمان



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، قال الشيخ الامام العالم العامل
العلامة شيخ الاسلام ومفتي الانام اوحيد دهره وفريد عصره تقي الدين
ابوالعباس احمد بن الشيخ الامام العالم العلامة مجد الدين ابي البركات عبد السلام (١)
ابن ابي القاسم بن عبد الله بن تيمية الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه •
الحمد لله الهادي النصير فنعم النصير ونعم الهاد • الذي يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم ويبين له سبل الرشاد • كما هدى الذين آمنوا لما اختلف
فيه من الحق وجمع لهم الهدى والسداد • والذي ينصر رسله والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد • كما وعده في كتابه وهو الصادق الذي
لا يخلف الميعاد • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تقيم
وجه صاحبها للدين حنيفاً وتبرئه من الاحاد • واشهد ان محمداً عبده

(١) هكذا في الاصل وما كتب في اللوح فهو من الكتب المتغيرة المنحول عليها ١٢

ورسوله افضل المرسلين واكرم العباد ✽ ارسله بالهدى ود ين الحق ليظهره
 على الدين كله ولو كره اهل الشرك والعناد ✽ ورفع له ذكره ولا يذكر
 الا ذكر معه كما في الاذان والتشهد والخطب والجامع والاعباد ✽ وكبت
 محاده واهلك مشاقه وكفاه المستهزئين به ذوي الاحقاد ✽ وبترشائيه
 ولعن مؤذيه في الدنيا والآخرة وجعل هوانه بالمرصاد واختصه من بين اخوانه
 المرسلين بخصائص تفوق التعداد ✽ فله الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود
 ولواء الحمد الذي تحته كل حماد ✽ صلى الله عليه وعلى آله افضل الصلوات
 واغلاها واكملها وانما كما يجب سبحانه ان يصلي عليه وكما ينبغي ان يصلي على
 سيد البشر والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته افضل تحية واحسنها واولاها
 وابركها واطيبها وازكاها صلاة وسلاما دائمين الى يوم التناد ✽ باقين بعد
 ذلك ابد آرزقامن الله ماله من تقاد ✽ اما بعد ✽ فان الله هدا نبيه محمد
 صلى الله عليه وسلم واخر جنابه من الظلمات الى النور واتا بركة رسالته وبين
 سفارته خير الدنيا والآخرة وكانت من ربه بالمنزلة العليا التي تقاصرت
 العقول والالسنه عن معرفتها وعتها وصارت غايتها من ذلك بعد التناهي في العلم
 والبيان الرجوع الى عيها وصمتها فاقضاني لحادث حدث ادنى ماله من الحق
 علينا بل هو ما وجب الله من تعزيره ونصره بكل طريق وايثاره بالنفس
 والمال في كل موطن وحفظه وحمايته من كل مؤذ وان كان الله قد اغنى رسوله
 عن نصر الخلق ولكن ليلو بمضكم ببعض ويعلم الله من ينصره ورسله
 بالغيب ✽ ليحق الجزاء على الاعمال كما سبق في ام الكتاب ان اذكر ما شرع من

العقوبة لمن سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم وكافر وتوابع ذلك ذكرنا
يتضمن الحكم والدليل . وانقل ما حضرني في ذلك من الاقاويل . و ارداف القول
بمخذه من التعليل . و بيان ما يجب ان يكون عليه التعويل . واما ما يقدره الله عليه
من العقوبات فلا يكاد ياتي عليه التفصيل . واما المقصود ههنا بيان الحكم الشرعي
الذي يقتضي به المفتي و يقضى به القاضي و يجب على كل واحد من الائمة والامة
القيام بما امكن منه والله هو الهادي الى سواء السبيل . و قدرته على اربع مسائل .
✽ المسئلة الاولى ✽ في ان الساب يقتل سواء كان مسلماً او كافراً

✽ المسئلة الثانية ✽ في انه يتعين قتله وان كان ذمياً فلا يجوز لمن عليه ولا مفادته
✽ المسئلة الثالثة ✽ في حكمه اذا تاب

✽ المسئلة الرابعة ✽ في بيان السب وما ليس بسب والفرق بينه وبين الكفر
✽ المسئلة الاولى ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر فانه يجب قتله
هذا مذهب عليه عامة اهل العلم قال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم
على ان حد من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل و ممن قاله مالك والليث
واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي . قال وحكي عن النعمان لا يقتل يعني
الذي ما هم عليه من الشرك اعظم . وقد حكى ابو بكر الفارسي من اصحاب
الشافعي اجماع المسلمين على ان حد من سب النبي صلى الله عليه وسلم القتل
كما ان حد من سب غيره الجلد . وهذا الاجماع الذي حكاه هذا المحمول
على اجماع الصدرا الاول من الصحابة والتابعين او انه اراد به اجماعهم على
ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يجب قتله اذا كان مسلماً وكذلك قبله القاضي

عياض فقال اجعت الامة على قتل متقصه من المسلمين وسابه وكذ لك حكى
 عن غيره واحد الاجماع على قتله وتكفيره وقال الامام اسحاق بن راهويه
 احد الائمة الاعلام اجمع المسلمون على ان من سب الله او سب رسوله صلى الله
 عليه وسلم او دفع شيئاً مما نزل الله عز وجل او قتل نبياً من انبياء الله عز وجل
 انه كافر بذلك وان كان مقرأ بكل ما نزل الله قال الخطابي لا اعلم احد من
 المسلمين اختلف في وجوب قتله وقال محمد بن سحنون اجمع العلماء على ان شتم
 النبي صلى الله عليه وسلم والمنقص له كافر والوعيد جاء عليه بعد اب الله
 له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر
 ونحرير القول فيه ان الساب ان كان مسلماً فانه يكفرو ويقتل بغير خلاف
 وهو مذهب الائمة الاربع وغيرهم وقد تقدم من حكى الاجماع على ذلك
 اسحاق بن راهويه وغيره وان كان ذمياً فانه يقتل ايضاً في مذهب مالك واهل
 المدينة وسبأ في حكاية الفاضل وهو مذهب احمد وفقهاء الحديث وقد نص احمد
 على ذلك في مواضع متعددة قال حنبل سمعت ابا عبد الله يقول كل من شتم النبي
 صلى الله عليه وسلم او تنقصه مسلماً كان او كافراً فعليه القتل وارى ان يقتل
 ولا يستتاب قال وسمعت ابا عبد الله يقول كل من نقض العهد وحدث
 في الاسلام حد ثامثل هذا رأيت عليه القتل ليس على هذا اعطوا العهد
 والذمة وكذ لك قال ابو الصفر سألت ابا عبد الله عن رجل من اهل
 الذمة شتم النبي صلى الله عليه وسلم ماذا عليه قال اذا قامت البيعة عليه
 يقتل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً كان او كافراً واهما الخلال

وقال في رواية عبد الله و أبي طالب وقد سئل عن شتم النبي صلى الله عليه وسلم قال يقتل قيل له فيه احاديث قال نعم احاديث منها حديث الا عمى الذى قتل المرأة قال سمعتها تشتم النبي صلى الله عليه وسلم موحدت حصين ان ابن عمر قال من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل • وكان عمر بن عبد العزيز يقول يقتل وذلك انه من شتم النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرتد عن الاسلام ولا يشتم مسلم النبي صلى الله عليه وسلم • زاد عبد الله سألت ابي عن شتم النبي صلى الله عليه وسلم يستتاب قال قد وجب عليه القتل ولا يستتاب لان خلد بن الوليد قتل رجلا شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستتبه • رواها ابو بكر في الشافعي • وفي رواية ابي طالب سئل احمد عن شتم النبي صلى الله عليه وسلم قال يقتل قد نقض العهد • وقال حرب سألت احمد عن رجل من اهل الذمة شتم النبي صلى الله عليه وسلم قال يقتل اذا شتم النبي صلى الله عليه وسلم • رواها الحلال وقد نص على هذا في غير هذه الجوابات فاقوله كما بانص في وجوب قتله وفي انه قد نقض العهد وليس عنه في هذا اختلاف • وكذلك ذكر عامة اصحابه متقدمهم ومتأخرهم لم يختلفوا في ذلك الا ان القاضى في المجرى ذكر الاشياء التى يجب على اهل الذمة تركها وفيها ضرر على المسلمين واحاد هم في نفس او مال وهى الاعانة على قتال المسلمين وقتل المسلم او المسلة وقطع الطريق عليهم وان يؤوى للمشركين جاسوسا وان يعين عليهم بدلالة مثل ان يكتب المشركين باخبار المسلمين وان يزني بمسلمة او يصيبها بلسم نكاح وان يقتل مسلما عن دية قال فخطبه الكف عن هذا شرط اولم يشترط فن خالف انتقض عهده • وذكر نصوص

احمد في بعضها. مثل نفيه في الزنا بالسلة وفي التجسس الشريكين و قتل المسلم وان
كان عبدا كما ذكره الخرقى ثم ذكر نفيه في قذف المسلم على انه لا ينتقض
عهده. بل يحد حد القذف قال فتخرج المسئلة على ر و ايتين ثم قال وفي معنى
هذه الاشياء ذكر الله و كتابه و دينه و رسوله بالا ينبغي فهذه اربعة
اشياء الحكم فيها كالحكم في الثمانية التي قبلها ليس ذكرها شرط في صحة العقد فان
اتوا واحدة منها نقضوا الا ما كان سواها. كان. شروطا في العهد او لم يكن
وكذلك قال في الخلاف بعد ذكر ان المنصوص انتقاض العهد بهذه
الافعال والاقوال. قال وفيه رواية اخرى لا ينتقض عهد. الا بالامتناع
عن بذل الجزية و جرى احكامنا عليهم ثم ذكر نفيه على ان الذي اذا قذف
المسلم يضرب قاتل فلم يجز له نقض العهد بقذف المسلم مع ما فيه من الضرر
عليه بهتك عرضه و تبع القاضي جماعة من اصحابه و من بعدهم مثل
الشريف ابي جعفر و ابن عتييل و ابي الخطاب و الحلواني فذكروا انه
لا خلاف انهم اذا امتنعوا من اداء الجزية و التزام احكام الملة انتقض
عهدهم و ذكروا في جميع هذه الافعال والاقوال التي فيها ضرر
على المسلمين واحادهم في نفس او مال او فيها غضاضة على المسلمين في دينهم
مثل سب الرسول و ما مثله و ايتين. احدا هما. ينتقض العهد بذلك
والاخرى. لا ينتقض عهد. و تمام فيه حد و ذلك مع انهم كلهم متفقون
على ان المذهب انتقاض العهد بذلك. ثم ان القاضي والاكثرين لم يعدوا
قذف المسلم من الامور المضرة المناقضة مع ان الرواية المخرجة انما خرجت

من نصه في القذف واما ابو الخطاب ومن تبعه فنقلوا حكم تلك الخصال الى
القذف كما نقلوا حكم القذف اليها حتى حكوا في انتقض العهد بالقذف روايتين
ثم ان هؤلاء كلهم وسائر الاصحاب ذكروا مسألة سب النبي صلى الله عليه
وسلم في موضع آخر وذكروا ان سابه يقتل وان كان ذميا وان عهد
ينتقض وذكروا انصوص احمد من غير خلاف في المذهب الا ان الملواني
قال ويحتمل ان لا يقتل من سب الله ورسوله اذا كان ذميا . وسلك
القاضي ابو الحسين في نواقض العهد طريقة ثانية توافق قولهم هذا فقال اما
الثمانية التي فيها ضرر على المسلمين واحادهم في مال او نفس فانها تنقض العهد
في اصح الروايتين واما ما فيه ادخال غضاضة ونقص على الاسلام وهي
ذكر الله وكتابه ودينه ورسوله بما لا ينبغي فانه ينتقض العهد نص عليه ولم يخرج
في هذا رواية اخرى كما ذكرها اولئك في احد الموضوعين وهذا اقرب من
تلك الطريقة وعلى الرواية التي نقول لا ينتقض العهد بذلك فتماذا لم يكن
مشروطا عليهم في العقد . ان كان شروطا فبوجهان . احدهما . ينتقض
قاله الحرقي وقال ابو الحسن الآمدي وهو الصحيح في كل ما شرط عليهم
تركه صحيح قول الحرقي بانتقض العهد اذا خالفوا شيئا مما شرط عليهم . والثاني .
لا ينتقض قاله القاضي وغيره صرح ابو الحسن بذلك هنا كما ذكره الجماعة
فيما اذا اظهروا دينهم وخالفوا هيئتهم من غير اضرار كظهار الاصوات بكتائبهم
والنشبه بالمسلمين مع ان هذه الاشياء كلها يجب عليهم تركها بخصوصها وهاتان
الطريقتان ضعيفتان . والذي عليه عامة المتقدمين من اصحابنا ومن تبعهم

من المتأخرين اقرار نصوص احمد على حالها وهو قد نص في مسائل سب الله
ورسوله على انتقاض العهد في غير موضع وعلى انه يقتل وكذلك فيمن جسس
على المسلمين او زنى بمسلمة على انتقاض عهده وقتله في غير موضع وكذلك
نقله الخرق فيمن قتل مسلماً وقطع الطريق اولى. وقد نص احمد على ان قذف
المسلم وسحره لا يكون نقضاً للعهد في غير موضع هذا هو الواجب لان تخرج
حكم المستثنين الى الاخرى وجعل المستثنين على روايتين مع وجود الفرق
بينهما نصاً واستدلالاً او مع وجود معنى يجوز ان يكون مستند الفرق غير جائز
وهذا كذا وكذا قد وافقنا على انتقاض العهد بسب النبي صلى الله
عليه وسلم جماعة لم يوافقوا على الانتقاض ببعض هذه الامور.

☆ واما الشافعي ☆ فالمنصوص عنه نفسه ان عهده ينتقض بسب النبي صلى الله عليه
وسلم وانه يقتل. هكذا حكاه ابن المنذر والخطابي وغيرهما والمنصوص
عنه في (الام) انه قال اذا اراد الامام ان يكتب كتاب صلح على الجزية كتب
وذكر الشر وط الى ان قال وعلى ان احدا منكم ان ذكر محمد صلى الله عليه
وسلم او كتاب الله او دينه بما لا ينبغي ان يذكره فقد برئت منه ذمة الله ثم ذمة
امير المؤمنين وجميع المسلمين ونقض ما اعطى من الامان وحل لامير المؤمنين
ماله ودمه كما يحل اموال اهل الحرب ودماءهم وعلى ان احدا من رجالهم
ان اصاب مسلمة بزنا او اسم نكاح او قطع الطريق على مسلم او قتل مسلماً عن
دينه او اعان المحاربين على المسلمين بقتال او دلالة على عورات المسلمين او ايوا
اعوانهم فقد نقض عهده وحل دمه وماله وان نال مسلماً بآدمون هذا في

ماله او عرضه لزمه فيه الحكم ❖ ثم قال فهذا الشرط اللازمة ان رضيا فيها
وان لم يرضاها فلا عقد له ولا جزية ثم قال او فعل شيئا مما وصفته نقضا للعهد
واسلم لم يقتل اذا كان ذلك قولاً وكذا اذا كان فعلاً لم يقتل الا ان
يكون في دين المسلمين ان من فعله قتل حد او قصاصاً فيقتل بمحد او قصاص
لا تنقض عهد وان فعل مما وصفنا وشرط انه نقض لعهد الذمة فلم يسلم
ولكنه قال اتوب واعطى الجزية كما كنت اعطيها او على صلح اجدده
عوقب ولم يقتل الا ان يكون فعلاً يوجب القصاص او الحد فاما ما دون هذا
من الفعل او القول فكل قول يعاقب عليه ولا يقتل ❖ قال فان فعل او قال
ما وصفنا وشرط انه يحل دمه فظفر به فامتنع من ان يقول اسلم او اعطى
جزية قتل واخذ ماله فيثأ ونصر في الام ايضاً ان العهد لا ينتقض بقطع الطريق
ولا بقتل المسلم ولا بالزنا بالمسلمة ولا بالتجسس بل بمحد فيما فيه الحد ويعاقب
عقوبة مكية فيما فيه العقوبة ولا يقتل الا ان يجب عليه القتل ❖ قال ولا يكون
النقض للعهد الا بمنع الجزية او الحكم بعد الاقرار والامتناع بذلك ❖ قال
ولو قال او دى الجزية ولا اقر بالحكم نبذ اليه ولم يقتل على ذلك مكانه
وقيل قد تقدم لك امان فاما لك كان للجزية واقرار لك بها وقد اجلناك في
ان تخرج من بلاد الاسلام ثم اذا خرج فباع مامنه قتل ان قد ر عليه فعلى
كلامه الماثور عنه يفرق بين ما فيه غضاضة على الاسلام وبين الضرر بالفعل
او يقال يقتل الذي سبه وان لم ينقض عهد ❖ كما سيأتي ان شاء الله تعالى
❖ واما اصحابه ❖ فذكر وافيا اذا ذكر الله او كتابه او رسوله بسوء وجهين

. احدهما . ينتقض عهد . بذلك سواء شرط عليهم تركه او لم يشرط بمنزلة
 ما اذا قاتلوا المسلمين وامتنعوا من التزام الحكم كطريقة ابي الحسين من اصحابنا وهذه
 طريقة ابي اسحق المروزي . ومنهم . من خص سب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وحده . انه يوجب القتل . والثاني . ان السب كالافعال التي على المسلمين
 فيها ضرر من قتل المسلم والزنا بالمسلمة والجنس وما ذكر معه . وذكروا
 في تلك الامور وجهين . احدهما . انه ان لم يشرط عليهم تركها باعابانها
 ففي انتقاض العهد بفعلها وجهان . والثاني . لم ينتقض العهد بفعلها مطلقاً
 . ومنهم . من حكى هذه الوجوه اقوالاً وهي اقوال مشار اليها فيجوز ان
 تسمى اقوالاً وجوهاً هذه طريقة العراقيين وقد صرحوا بان المراد شرط
 تركها لا شرط انتقاض العهد بفعلها كما ذكره اصحابنا . واما الخراسانيون . فقالوا
 المراد بالاشتراط هنا شرط انتقاض العهد بفعلها لا شرط تركها قالوا لان
 الترك موجب لنفس العقد ولذلك ذكرنا في تلك الخصال المضرة
 ثلاثة اوجه . احدها . ينتقض بفعلها . والثاني . لا ينتقض . والثالث .
 ان شرط في العقد انتقاض العهد بفعلها انتقض والا فلا . ومنهم من قال ان شرط
 نقض وجهها واحد او ان لم يشرط فوجهان وحسبوا ان مراد العراقيين
 بالاشتراط هذا فقالوا احكامية عنهم ان لم يجر شرط لم ينتقض العهد وان جرى
 فوجهان ويلزم من هذا ان يكون العراقيون قائلين بانه ان لم يجر شرط الانتقاض
 بهذه الاشياء لم ينتقض بها وجهها واحد او ان صرح بشرط تركها انتقض وهذا
 غلط عليهم والذي نصره في كتب الخلاف ان سب النبي صلى الله عليه وسلم

❖ دلائل انتفاض عهد الذي بسبب الله او كتابه او دينه او رسوله و قتل المسلم اذا اتى ذلك ❖

ينقض العهد و يوجب القتل كما ذكرناه عن الشافعي نفسه ❖
 ❖ واما ابو حنيفة ❖ و اصحابه فقالوا لا ينتقض العهد بالسب ولا يقتل
 الذي بذ لك لكن يعزر على اظهار ذلك كما يعزر على اظهار المنكرات التي
 ليس لهم فعلها من اظهار اصواتهم بكنا بهم ونحو ذلك و حكاه الطحاوي
 عن الثوري ❖ و من اصولهم ان ما لا قتل فيه عندهم مثل القتل بالثقل
 والجماع في غير القبل اذا تكرر فللامام ان يقتل فاعله و كذلك له ان يزيد
 على الحد المقدرا اذا رأى المصلحة في ذلك و يحملون ما جاء عن النبي صلى الله
 عليه وسلم و اصحابه من القتل في مثل هذه الجرائم على انه رأى المصلحة
 في ذلك و يسمونه القتل سياسة و كان حاصله ان له ان يعزر بالقتل في الجرائم
 التي تغلظت بالتكرار و شرع القتل في جنسها ❖ و لهذا افتى اكثرهم بقتل
 من اكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة و ان اسلم بعد
 اخذه و قالوا يقتل سياسة و هذا منوجه على اصولهم ❖
 ❖ والدلائل على انتفاض عهد الذي بسبب الله او كتابه او دينه او رسوله
 و وجوب قتله و قتل المسلم اذا اتى ذلك الكتاب والسنة واجماع الصحابة
 و التابعين و الاعتبار ❖
 اما الكتاب فيستنبط ذلك منه من مواضع ❖ احدها قوله تعالى قاتلوا
 الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله من الذين اوتوا الكتاب
 حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون ❖ فامرنا بقتلهم الى ان يعطوا
 الجزية و هم صاغرون ولا يجوز الا مساك عن قتالهم الا اذا كانوا صاغرين

حال اعطائهم الجزية و معلوم ان اعطاء الجزية من حين بذلها و التزامها
الى حين تسليمها و اقباضها فانهم اذا بذلوا الجزية شرعوا في الاعطاء و وجب
الكف عنهم الى ان يقبضونا ها فبتم الاعطاء فمتى لم يلتزموها او التزموها
لو لا و امتنعوا من تسليمها ثانيا لم يكونوا معطين للجزية لان حقيقة الاعطاء
لم توجد و اذا كان الصغار حالا لهم في جميع المدة فمن المعلوم ان من
اظهر سب تبينافي و جوهنا و شتم ربنا على رؤس الملائمة و طعن في ديننا
في مجامعنا فليس بصاغرا لان الصاغرا الذليل الحقير و هذا فعل متغرز مر اغم
بل هذا غاية ما يكون من الاذلال لنا و الالهانة . قال اهل
اللغة . الصغار الذل و الضيم يقال صغر الرجل بالكسر يصغربا لفتح
صغرا و صغرا و الصاغرا الراضى بالضيم و لا يخفى على المتأمل ان اظهار السب
و الشتم لدين الامة التي اكتسبت شرف الدنيا و الآخرة ليس فعل
راض بالذل و الهوان و هذا ظاهر لا خفاء به و اذا كان قتالهم واجبا علينا
الا ان يكونوا صاغرين و ليسوا بصاغرين كان القتال مأمورا به و كل من
امرنا بقتاله من الكفار فانه يقتل اذا قدرنا عليه . و ايضا فانا اذا كنا
مأمورين ان نقاتلهم الى هذه الغاية لم يجوز ان نعقد لهم عهد الذمة بدونها
ولو عقد لهم كان عقد افاسد افيبقون على الاباحة . و لا يقال . فيهم فهم
يحسبون انهم معاهدون فتصير لهم شبهة امان و شبهة الا مان كحقيقته فان
من تكلم بكلام يحسبه الكافر اما نا كان في حقه امانا و ان لم يقصد . المسلم
. لانا نقول . لا يخفى عليهم اننا نرض بان يكونوا تحت ايدينا مع اظهار شتم

ديننا وسب نبينا وهم يدرون انا لانعاهد ذمياً على مثل هذه الحال فدعواهم
انهم اعتقدوا انا عاهدناهم على مثل هذا مع اشتراطنا عليهم ان يكونوا
صاغرين تجري عليهم احكام الملة دعوى كاذبة فلا يلتفت اليها. وايضاً
فان الذين عاهدوهم اول مرة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
عمر وقد علمنا انه يمتنع ان يعاهد هم عهد اخلاف ما امر الله به في كتابه
وايضاً فاننا سنذكر شروط عمر وانها تضمنت ان من اظهر الطعن في ديننا
حل دمه وماله وللموضع الثاني قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام الى قوله وان
نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطمعوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان
لهم لعلهم ينتهون. نفي سبحانه ان يكون لمشرك عهد من كان النبي صلى الله
عليه وسلم قد عاهد هم الا قوماً ذكرهم فانه جعل لهم عهد اما دلموا
مستقيمين لنا فعلم ان العهد لا يبق للمشرك الا مادام مستقيماً ومعلوم ان
مجاهرتنا بالشتيمة والوقعة في ربنا ونبينا وكتابتنا وديننا يقدر في
الاستقامة كما يقدر مجاهرتنا بالمحاربة في العهد بل ذلك اشد علينا ان كنا
مؤمنين فانه يجب علينا ان نبذل دماءنا واموالنا حتى تكون كلمة الله هي
العليا ولا يجهر في ديارنا بشئ من اذى اللعور سوله فاذا لم يكونوا مستقيمين
لنا بالقدح في اهلون الامرين كيف يكونون مستقيمين مع القدح في اعظمها
يوضح ذلك قوله تعالى كيف وان يظهر واعليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا
ذمة. اي كيف يكون لهم عهد ولو ظهر واعليكم لم يرقبوا الرحم التي

بينكم وبينهم ولا العهد الذي بينكم وبينهم . فاعلم ان من كانت حاله انه اذا اظهر
لم يرقب ما يبتنا وبينه من العهد لم يكن له عهد . ومن جاهرنا بالطعن في ديننا كان
ذلك دليلا على انه لو ظهر لم يرقب العهد الذي يبتنا وبينه فانه اذا كان
مع وجود العهد والذلة يفعل هذا فكيف يكون مع العزة والقدرة وهذا
بخلاف من لم يظهر لنا مثل هذا الكلام فانه يجوز ان يفي لنا بالعهد لو ظهر
وهذه الآية وان كانت في اهل الهدنة الذين يقيمون في دارهم فان
معناها ثابت في اهل الذمة المقيمين في دارنا بطريق الاولى . الموضع الثالث .
قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطمعوا في دينكم فقاتلوا
ايمّة الكفر . وهذه الآية تدل من وجوه . احدها . ان مجرد نكث الايمان
مقتضى للمقاتلة وانما ذكر الطعن في الدين وافرده بالذكر تخصيصا له بالذكر وبياننا
لانه من اقوى الاسباب الموجبة للقتال ولهذا يغلظ على الطاعن في الدين من العقوبة
ما لا يغلظ على غيره من الناقضين كما سنده . ان شاء الله تعالى او يكون
ذكره على سبيل التوضيح وبيان سبب القتال فان الطعن في الدين هو الذي
يجب ان يكون داعيا الى قتالهم لتكون كلمة الله هي العليا . واما مجرد نكث
اليمين فقد يقاتل لاجله شجاعة وحمية ورياء او يكون ذكر الطعن في الدين
لانه اوجب القتال في هذه الآية بقوله تعالى فقاتلوا ايمّة الكفر وبقوله تعالى
الاتقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بداء وكم اول مرة الى قوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايد يكمل الآية فيفيد ذلك ان من لم يصد رمنه الامجد
نكث اليمين جازا ان يؤمن ويعاهدوا اما من طعن في الدين فانه يتعين قتاله

وهذه كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يهد رد ما من
اذى الله ورسوله و طعن في الدين وان امسك عن غيره و اذا كان نقض
العهد وحده . موجبا للقتال و ان تجرد عن الطعن علم ان الطعن في الدين اما سبب
آخر او سبب مستلزم لنقض العهد فانه لا بد ان يكون له تأثير في وجوب المقاتلة
والا كان ذكره ضائعا . فان قيل . هذا يفيد ان من نكث عهده و طعن
في الدين يجب قتاله اما من طعن في الدين فقط فلم تتعرض الآية له بل
مفهومها انه وحده لا يوجب هذا الحكم لان الحكم المعلق بصفتين لا يجب
وجوده عند وجود احدهما . قلنا . لا ريب انه لا بد ان يكون لكل
صفة تأثير في الحكم والافالو صف العديم التأثير لا يجوز تعليق الحكم به
كمن قال من زنى واكل جلد . ثم قد يكون كل صفة مستقلة بالتأثير لو انفردت
كما يقال يقتل هذا لانه مرتد زان وقد يكون مجموع الجزاء مرتباً على المجموع
ولكل وصف تأثير في البعض كما قال والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر
الآية وقد تكون تلك الصفات متلازمة كل منها لو فرض تجرده . لكان
مؤثر أعلى سبيل الاستقلال او الاشتراك فيذكر ايضاحاً وبياناً للموجب كما
يقال كفروا بالله ورسوله وعصى الله ورسوله وقد يكون بعضها مستلزماً
للبعض من غير عكس كما قال ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق الآية وهذه الآية من اي الاقسام فرضت كان فيها دلالة لان
اقصى ما يقال ان نقض العهد هو المبيع للقتال و الطعن في الدين مؤكده
و موجب له فنقول اذا كان الطعن يغضظ قتال من ليس بيننا وبينه عهد و بوجبه

فان يوجب قتال من يتناوينه ذمة وهو ملتزم للصغار اولى وسياتي تقرير ذلك على ان المعاهد له ان يظهر في داره ماشاء من امر دينه الذي لا يؤذينا والذمي ليس له ان يظهر في دار الاسلام شيئاً من دينه الباطل وان لم يؤذنا فخاله اشد واهل مكة الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا معاهدين لاهل ذمة فلو فرض ان مجرد طعنهم ليس نقضاً للعهد لم يكن الذمي كذلك

الوجه الثاني ان الذمي اذا سب الرسول او سب الله او عاب الاسلام علانية فقد نكث يمينه وطعن في ديننا لانه لا خلاف بين المسلمين انه يعاقب على ذلك ويؤدب عليه فعلم انه لم يعاهد عليه لاننا لو عاهدناه عليه ثم فعله لم تجز عقوبته عليه واذا كنا قد عاهدناه على ان لا يطعن في ديننا ثم يطعن في ديننا فقد نكث في دينه من بعد عهده وطعن في ديننا فيجب قتله بنص الآية . وهذه دلالة قوية حسنة لان المنازع يسلم لنا انه ممنوع من ذلك بالعهد الذي يتناوينه لكن نقول ليس اظهار كل ما منع منه نقض عهد . كاظهار الخمر والخنزير ونحو ذلك فنقول قد وجد منه شيئان مامنه منه العهد وطعن في الدين بخلاف اولئك فانه لم يوجد منهم الا فعل ما هم ممنوعون منه بالعهد فقط والقرآن يوجب قتل من نكث يمينه من بعد عهده وطعن في الدين ولا يمكن ان يقال لم ينكث لان النكث هو مخالفة العهد فمتى خالفوا شيئاً مما صولحو عليه فهو نكث ماخوذ من نكث الحبل وهو نقض قواه ونكث الحبل يحصل بنقض قوة واحدة كما يحصل بنقض جميع القوى لكن قد بقي من قواه ما يستمسك الحبل به وقد بين بالكلية وهذه المخالفة من المعاهد

قد تبطل العهد بالكلية حتى تحطه حر يلو قد شئت العهد حتى تبطل عقوبتهم كما
 ان بعض الشرط في البيع والنكاح ونحوهما قد يبطل البيع بالكلية كما لو وصفه
 بانه فرس فظهر بعير أو قد يبيح الفسخ كالا خلال بالرهن والضمين هذا عند
 من يفرق في المخالفة واما من قال ينتقض العهد بجميع المخالفات فالامر
 ظاهر على قوله وعلى التقديرين قد اقتضى العقد ان لا يظهر واثبات من
 عيب ديتنا وانهم متى اظهروه فقد نكثوا واطعنوا في الدين فبدخلون
 في عموم الآية لفظاً ومعنى ومثل هذا العموم يتأخر درجة النص * الوجه
 الثالث * انه ساءهم ائمة الكفر لاطعنهم في الدين ووقع الظاهر موقع المضمحل
 لان قوله ائمة الكفر اما ان يعنى به الذين نكثوا واطعنوا او بعضهم والثاني
 لا يجوز لان الفعل الموجب للقتال صدر من جميعهم فلا يجوز تخصيص
 بعضهم بالجزاء اذ العلة يجب طردها الا لما منع ولا مانع ولانه علل ذلك
 ثانياً بانهم لا ايمان لهم وذلك يشمل جميع الناكثين الطاعنين ولان النكث
 والظعن وصف مشتق مناسبت لوجوب القتال وقد رتب عليه بحرف الفاء ترتيب
 الجزاء على شرطه وذلك نص في ان ذلك الفعل هو الموجب للثاني فثبت انه عني
 الجميع فيلزم ان الجميع ائمة كفروا امام الكفر هو الداعي اليه المتبع فيه وانما صار اماما
 في الكفر لا جل الطعن فان مجرد النكث لا يوجب ذلك وهو مناسب
 لان الطعن في الدين يعينه ويذكره ويدعو الى خلافه وهذا شأن الامام
 فثبت ان كل طاعن في الدين فهو امام في الكفر فاذا طعن الدين في الدين
 فهو امام في الكفر فيجب قتاله لقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر ولا يمين له لانه

عاهدنا على ان لا يظهر عيب الدين وخالفوا اليمين هنا المراد بها اليهود
 لا القسم بالله فيما ذكره المفسرون وهو كذالك قال النبي صلى الله عليه وسلم
 لم يقاسمهم بالله عام الحديبية وإنما عاهدوهم عقداً ونسخة الكتاب معروفة
 ليس فيها قسم وهذا لان اليمين يقال لنا سميت بذلك لان المعاهدين
 يد كل منها يمينه الى الآخر ثم غلبت حتى صار مجرد الكلام بالعهد يسمى
 يميناً ويقال سميت بذلك يميناً لان اليمين هي القوة والشدة كما قال الله تعالى
 لاخذ نامة باليمين . فلما كان الحلف معقوداً مشدداً سمي يميناً فاسم اليمين جامع
 للعقد الذي بين العبد وبين ربه وان كانت نذراً . وحنه قول النبي
 صلى الله عليه وسلم التذرية خلفه وقوله كفارة النذر كفارة اليمين وقول
 جماعة من الصحابة للذي نذر نذراً الجاج والغضب كفر يمينك . وللعهد
 الذي بين المخلوقين (١) . ومنه قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها .
 والنهي عن نقض العهود وان لم يكن فيها قسم وقال تعالى ومن اوفى بما عاهد
 عليه الله . وإنما لفظ العهد بايعناك على ان لا تقر ليس فيه قسم وقد ساءم
 معاهد بن الله وقال تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام . قالوا
 معناه يتعاهدون ويتعاقدون لان كل واحد من المعاهد ين اتمام عهده بامانة الله
 وكفاله وشهادته ثبت ان كل من طعن في ديننا بعد ان عاهدناه عهداً
 يقتضي ان لا يفعل ذلك فهو امام في الكفر لا يمين له فيجب قتله بنص الآية .
 وبهذا يظهر الفرق بينه وبين الناكث الذي ليس بامام وهو من خالف
 بفعل شيء مما صولحو اعلبه من غير الطعن في الدين في الوجه الرابع .

قال الاتقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأواكم
اول مرة . فجعل همهم باخراج الرسول من المحضات على قتالهم وما
ذاك الا لما فيه من الاذى وسبه اغلظ من الهم باخراجه بدليل انه صلى الله
عليه وسلم عفا عام الفتح عن الذين هموا باخراجه ولم يعف عمن سبه فاذى
اذا اظهر سبه فقد نكث عهده . وفعل ما هو اعظم من الهم باخراج الرسول
وبدأ بالاذى فيجب قتاله في الوجه الخامس قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم
الله بايدكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب
غيط قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم . امر سبحانه بقتال
الناكثين الطاعنين في الدين وضمن لنا ان فعلنا ذلك ان يعذبهم
بايدنا ويخزيهم وينصرنا عليهم ويشفي صدور المؤمنين الذين تأذوا من
تقصمهم وطعنهم وان يذهب غيط قلوبهم لانه رتب ذلك على
قتالنا ترتيب الجزاء على الشرط والتقدير ان تقاتلوهم يكن هذا
كله فدل على ان الناكث الطاعن مستحق هذا كله والا فالكفار
يدلون علينا المرة وتندال عليهم الاخرى وان كانت العاقبة للمتقين وهذا
تصدق ما جاء في الحديث مائة ضقوم العهد الا ادبل عليهم العدو . والتعذيب
بايدنا هو القتل فيكون الناكث الطاعن مستحقا للقتل والسباب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناكث طاعن كما تقدم فيستحق القتل
وانما ذكر سبحانه النصر عليهم وانه يتوب من بعد ذلك على من يشاء لان
الكلام في قتال الطائفة الممتعة * فاما الواحد المستحق للقتل فلا ينقسم حتى

يقال فيه يعذبه الله ويتوب الله من بعد ذلك على من يشاء على ان قوله من يشاء يجوز ان يكون عائدا الى من لم يطعن بنفسه وانما اقر الطاء عن فسميت الفئة طاعة لذلك وعند التميز فبعضهم دون بعضهم مباشر ولا يازم من التوبة على الردء التوبة على المباشر الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى رعام الفتح دم الذين باشرُوا الهجاء ولم يهدر دم الذين سمعوه واهدردم بنى بكر ولم يهدردم الذين اعاروهم السلاح .

✽ الوجه السادس ✽ ان قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم دليل على ان شفاء الصدور من المم النكت والطعن وذهاب الغيظ الحاصل في صدور المؤمنين من ذلك امر مقصود للشارع مطلوب الحصول وان ذلك يحصل اذا جاهدوا كما جاء في الحديث المرفوع عليكم بالجهاد فانه باب من ابواب الله يدفع الله به عن النفوس الهم والغم ولا ريب ان من اظهر سب الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة وشتمه فانه يغضب المؤمنين ويؤلمهم اكثر مما لو سفك دماء بعضهم واخذ اموالهم فان هذا يثير الغضب لله والحمية له ولرسوله وهذا القدر لا يهيج في قلب المؤمن غيظا اعظم منه بل المؤمن المسدد لا يغضب هذا الغضب الا لله والشارع يطلب شفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم وهذا اذا حصل بقتل الساب لا وجه واحد لها ان تعزيره وتأديبه يذهب غيظ قلوبهم اذا شتم واحد من المسلمين او فعل نحو ذلك فلو اذهب غيظ قلوبهم اذا شتم الرسول لكان غيظهم من شتمه مثل غيظهم من شتم واحد منهم وهذا

باطل . الثاني . ان شتمه اعظم عند هم من ان يؤخذ بعض دماءهم ثم لو قتل
واحد امنهم لم يشف صدورهم الا قتله فان لا تشفى صدورهم الا بقتل الساب
اولى واخرى . الثالث . ان الله تعالى جعل قتالهم هو السبب في حصول
الشفاء والاصل عدم سبب آخر يحصله فيجب ان يكون القتل والقتال هو
الشافي لصدور المؤمنين من مثل هذا . الرابع . ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما فتحت مكنوا راوا ان يشقى صدور خزاعة وهم القوم المؤمنون من بني بكر
الذين قاتلوهم مكنهم منهم نصف النصارى واكثر مع امانه لسائر الناس
قلوبهم شفاء صدورهم وذهاب غيظ قلوبهم يحصل بدون القتل للذين
نكثوا او طعنوا لما فعل ذلك مع امانه للناس . الموضع الرابع . قوله سبحانه
الم يعلموا انه من بحاد الله ورسوله غان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي
العظيم . فانه يدل على ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم محادة لله ورسوله لانه
قال هذه الآية عقب قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن الآية
ثم قال يخلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا
مؤمنين الم يعلموا انه من بحاد الله ورسوله . قلوبهم يكونوا بهذا الاذى محادين
لم يحسن ان يوعدهوا بان للحاد نار جهنم لانه يمكن حينئذ ان يقال قد علموا
ان للحاد نار جهنم لكنهم لم يحادوا لو انما اذوا فلا يكون في الآية وعيد لم فعلم
ان هذا الفعل لا بد ان يتدرج في عموم المحادة ليكون وعيد المحاد وعيد اله
ويشتم الكلام . ويدل على ذلك ايضا ما روى الحاكم في صحيحه باسناد صحيح
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في ظل حجرة من حججه وعنده

نفر من المسلمين فقال انه سيأتكم انسان ينظر بعين شيطان فاذا اتاكم فلا تكلموه .
 فجاء رجل ازرق فدهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت
 وفلان وفلان فانطلق الرجل فدهاهم فحلفوا بالله واعند روا اليه فانزل الله
 تعالى يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على
 شيء الا انهم هم الكاذبون . ثم قال بعد ذلك انت الذين يحادون الله
 ورسوله . فعلم ان هذا داخل في المحادة وفي رواية اخرى صحيحة انه
 نزل قوله يحلفون لكم لترضوا عنهم . وقد قال يحلفون بالله لكم ليرضوكم .
 ثم قال عقبه الم يعلموا انه من يحاد الله ورسوله فثبت ان هؤلاء الشاكرين
 محادون وسياق ان شاء الله زيادة في ذلك واذا كان الاذى محادة لله
 ورسوله فقد قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
 كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوى عزيز . والاذل اباغ من الذليل
 ولا يكون اذل حتى يخاف على نفسه وماله ان اظهر المحادة لانه ان كان دمه
 وماله معصوما لا يستباح فليس باذل يدل عليه قوله تعالى ضربت عليهم
 الذلة اينما ثقفوا الا بجبل من الله وحبل من الناس . فبين سبحانه انهم اينما ثقفوا
 فعليهم الذلة الا مع العهد فعلم ان من له عهد وحبل لا ذلة عليه وان كانت
 عايه المسكنة فان المسكنة قد تكون مع عدم الذلة . وقد جعل المخادعين
 في الاذلين فلا يكون لهم عهد اذ العهد ينافي الذلة كما دلت عليه الآية وهذا
 ظاهر فان الاذل هو الذي ليس له قوة يمتنع بها من ارادة بسوء فاذا كان له
 من المسلمين عهد يجب عليهم به نصره ومنعه فليس باذل فثبت ان المحاد لله

كما كبت من قبله وان يكون في الاذلين وجعل جزاء المشاق القتل
 والتعذيب في الدنيا ولن يكون مكبوتاً كما كبت من قبله في الاذلين
 الا اذا لم يمكنه اظهار محادثته فلي هذا تكون المحادة اعم ولهذا ذكر اهل
 التفسير في قوله تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
 حاداً لله ورسوله الآية انها نزلت فيمن قتل المسلمين اقاربه في الجهاد وفمن
 اراد ان يقتل لمن تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذى من كافر
 او منافق قريب له فعلم ان المحاد يعم المشاق وغيره . وبدل على ذلك انه
 قال سبحانه الم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم
 لايات الى قوله لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
 من حاد الله ورسوله وانما نزلت في المنافقين الذين تولوا اليهود
 المنضوب عليهم وكان اولئك اليهود اهل عهد من النبي صلى الله عليه وسلم
 ثم ان الله سبحانه بين ان المؤمنين لا يوادون من حاد الله
 ورسوله ولا بد ان يدخل في ذلك عدم المودة لليهود وان كانوا اهل
 ذمة لانه سبب النزول وذلك يقتضي ان اهل الكتاب محادون لله ورسوله
 وان كانوا معاهدين . وبدل على ذلك ان الله قطع الموالاة بين المسلم
 والكافر وان كان له عهد وذمة وعلى هذا التقدير يقال عاهدوا على
 ان لا يظهروا المحادة ولا يعلنوا بها بالاجماع كما تقدم وكما سيأتي فاذا اظهروا
 صاروا محادين لا عهد لهم مظهرين للمحادة وهو لاه مشاقون فيستحقون
 خزي الدنيا من القتل ونحوه وعذاب الآخرة . فان قيل . اذا كان

كل يهودى محاد الله ورسوله فمن المعلوم ان العهد يثبت لهم مع اليهود
 وذلك ينقض ما قد متهم من ان المحاد لا عهد له • قيل • من سلك هذه
 الطريقة قال المحاد لا عهد له مع اظهار المحادة فلما اذالم يظهر لنا المحادة
 فقد اعطيناه العهد وقوله تعالى ضربت عليهم الذلة ايثماثقفوا لا يجبل من الله
 وحبل من الناس • يقتضي ان الذلة تترمه فلا تزول الا يجبل من الله وحبل
 من الناس وحبل المسلمين معه على ان لا يظهر المحادة بالاتفاق فليس معه
 حبل مطلق بل حبل مقيد فهذا الحبل لا يمنع ان يكون اذل اذا فعل
 ما لم يعاهد عليه او يقول صاحب هذا المسلك الذلة لازمة لهم بكل حال
 كما اطلقت في سورة البقرة وقوله تعالى ضربت عليهم الذلة ايثماثقفوا لا يجبل
 من الله يجوز ان يكون تفسير الذلة اي ضربت عليهم انهم ايثماثقفوا اخذوا
 وقتلوا لا يجبل من الناس فالجبل لا يرفع الذلة وانما يرفع بعض موجباتها
 وهو القتل فان من كان لا يعصم دمه الا بعهد فهو ذليل وان عصم دمه
 بالعهد لكن على هذا التقدير تضعف الدلالة الاولى من المحادة والطريقة
 الاولى اجود كما تقدم وفي زيادة تقريرها طول * الموضوع الخامس *
 قوله سبحانه ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة •
 وهذه الآية توجب قتل من آذى الله ورسوله كما سيأتي ان شاء الله تعالى
 تقريره والعهد لا يعصم من ذلك لاننا لم نعاهد هم على ان يؤذوا الله ورسوله
 ويوضح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم من لکعب بن الاشرف فانه
 قد آذى الله ورسوله فندب المسلمين الى يهودى كان معاهدا لاجل انه

آذَى الله ورسوله • فدل ذلك على أنه لا يوصف كل ذمى بأنه يؤذى الله ورسوله والا لم يكن فرق بينه وبين غيره ولا يصح أن يقال اليهود ملعونون في الدنيا والآخرة مع إقرارهم على ما يوجب ذلك لأنهم تفرم على إظهار آذَى الله ورسوله وإنما إقرارناهم على أن يفعلوا بينهم كما هو من دينهم •

﴿ فصل ﴾

وأما الآيات الدالات على كفر الشاتم وقتله أو على أحدهما إذا لم يكن معاهدًا وإن كان مظهرًا لسلام فكثيرة مع أن هذا مجمع عليه كما تقدم حكاية الإجماع عن غيره واحد • منها • قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم إلى قوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم إلى قوله ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله • فعلم أن إيذاء رسول الله محادة لله ولرسوله لأن ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة فيجب أن يكون داخلًا فيه ولولا ذلك لم يكن الكلام مؤتملاً إذا أمكن أن يقال أنه ليس بمحادود ذلك على أن الإيذاء والمحادة كفر لانه أخبر أن له نار جهنم خالداً فيها ولم يقل هي جزاؤه وبين الكلامين فرق بل المحادة هي المعاداة والمشاقفة وذلك كفر ومحاربة فهو غلظ من مجرد الكفر فيكون المؤذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كافراً عدواً لله ورسوله محارباً لله ورسوله لأن المحادة اشتقاقها من المباشرة بأن يصير كل واحد منها في حد كما قيل المشاقفة

﴿ فصل في الآيات الدالة على كفر الشاتم وقتله أو على أحدهما ﴾

ان يصير كل منها في شق والمعاداة ان يصير كل منها في عداوة وفي الحديث ان رجلا كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوى وهذا ظاهر قد تقدم تقريره وحينئذ فيكون كافر احلال الدم لقوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين ولو كان موهنا معصوما لم يكن اذل لقوله تعالى قل لله العزة ورسوله وللمؤمنين وقوله تعالى كتبوا كما كتب الذين من قبلهم والمؤمنون لا يكتبون كما كتب المكذوبون الرسل قط ولانه قد قال تعالى لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الا بغاة فاذا كان من يواد المحاد ليس بمؤمن فكيف بالمحاد نفسه وقد قيل ان من سب نذولها ان ابالحافة شتم النبي صلى الله عليه وسلم فاراد الصديق قتله او ابن ابي تنقص النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن ابنه النبي صلى الله عليه وسلم في قتله لذلك ثبت ان المحاد كافر حلال الدم وايضا فقد قطع الله الموالاة بين المؤمنين وبين المحادين لله ورسوله والمعادين لله ورسوله فقال تعالى لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اعداءكم اعداءكم اولياءم تلقون اليهم بالموادة فلم انهم ليسوا من المؤمنين وايضا فانه قال سبحانه ولولا ان كذب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب فجعل سبب استحقاقهم العذاب في الدنيا ولعذاب النار في الآخرة مشاققة الله ورسوله والمؤذي للنبي صلى الله عليه وسلم مشاققة الله ورسوله كما تقدم والعذاب هنا هو الاهلاك

بعذاب من عنده او يابد يناو الا فقد اصابهم ما دون ذلك من ذهاب
 الاموال وفرلق الاوطان . وقال سبحانه اذ يوحى ربك الى الملائكة اني
 معكم الى قوله سالتني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فرق لا عنلق
 واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله فجعل لقاء الرعب
 في قلوبهم والامر بقتلهم لاجل مشاققتهم لله ورسوله اكل من شاق الله
 ورسوله يستوجب ذلك . وقولهم هو اذن قال مجاهد هو اذن يقولون
 سنقول ماشئنا ثم نخلف له فيصدقنا هو قول الوالي عن ابن عباس يعني انه يسع
 من كل احد . قال بعض اهل التفسير كان رجال من المنافقين يوذون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا
 فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بل نقول ماشئنا ثم تأتبه
 فيصدقنا فاما محمد اذن سامعة فانزل الله هذه الآية . وقال ابن اسحاق كان نبيل
 ابن الحارث الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه من اراد ان ينظر الى الشيطان
 فلينظر الى نبيل بن الحارث ينم حديث النبي الى المنافقين ف قيل له لا تفعل
 فقال انما محمد اذن من حدته شيئا صدقه تقول ماشئنا ثم تأتبه فنخلف له
 فيصدقنا عليه فانزل الله هذه الآية . وقولهم اذن قالوا لينينوا ان كلامهم
 مقبول عنده فاجاب الله انه لا يصدق الا المؤمنين وانما يسمع الخبر فاذا
 جئوا له ففعا عنهم كان ذلك لانه اذن خيرا لانه صدقهم . قال سفيان بن
 عيينة اذن خير يقبل منكم ما اظهرتم من الخير ومن القول ولا يؤخذكم بما
 في قلوبكم ويدع سرا تركم الى الله تعالى وربما تضمنت هذه الكلمة

فوع استهزاء واستخفاف، فان قيل: فقد روى نعيم بن حماد ثنا محمد بن
ثور عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
لغافرو ولا فاسق عندي بدا ولا نعمة فاني وجدت فيما وحيته لا تجد قوماً
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، قال سفيان يرون
انها نزلات فيمن يخالط السلطان رواه ابو احمد العسكري وظاهر هذا ان كل
فاسق لا ينبغي موادته فهو محاد لله ورسوله مع ان هو لا يسوئاً منافقين
النفاق المبيح للدم، قيل المؤمن الذي يحب الله ورسوله ليس على الاطلاق
بمحاد لله ورسوله كما انه ليس على الاطلاق بكافر ولا منافق وان كانت له
ذنوب كثيرة الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لنعيان وقد جلدني
الجر غير مرة انه يحب الله ورسوله لان مطلق المحادة يقتضي مطلق المقاطعة
والمصارمة والمعاداة والمؤمن ليس كذلك لكن قد يقع اسم النفاق على من
اتي بشعبة من شعبه ولهذا قالوا اكفروا ونكفروا وظلم دون ظلم وفسق
دون فسق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفر بالله تبراء من نسب وان
ق ومن حلف بغير الله فقد اشرك وآية المنافق ثلاث اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان، وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه فوجه هذا
الحديث ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم عني بالفاجر المنافق فلا ينقض
الاسند لال او يكون عني كل فاجر لان الفجور مظنة النفاق فامن فاجر الا يخاف
ان يكون فجور، صاد راعن مرض في القلب او موجآله فان المعاصي يريد

الكفر فاذا احب الفاسق فقد يكون محباً لنا فق . حقيقة الايمان بالله واليوم
 الآخر ان لا يواد من اظهر من الافعال ما يخاف معناه ان يكون محاداً لله ورسوله
 فلا ينقض الاستدلال ايضاً وان يكون الكبائر من شعب المحادة لله ورسوله
 فيكون من تكبرها محاداً من وجه وان كان موالياً لله ورسوله من وجه آخر
 ويناله من الذلة والكبت بقدر قسوته من المحادة كما قال الحسن وان طقطقت
 بهم البغال وهلمجت بهم البراذين (١) ان ذل المعصية لفي رقابهم ابي الله
 الا ان يذل من عصاه فالعاصي يناله من الذلة والكبت بحسب معصيته وان
 كان له من عزة الايمان بحسب ايمانه كما يناله من الذم والعقوبة وحقيقة
 الايمان ان لا يواد المؤمن من حاد الله بوجه من الوجوه المؤدة المطلقة وقد
 جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها فاذا اصطنع
 الفاجر اليه يد ااحبه المحبة التي جبلت القلوب عليها فيصير مواد اله مع ان
 حقيقة الايمان توجب عدم مؤدته من ذلك الوجه وان كان معه من اصل الايمان
 ما يستوجب به اصل المؤدة التي تستوجب ان ينحصر بهاد ون الكافر والمنافق
 وعلى هذا فلا ينتقض الاستدلال ايضاً لان من اذى النبي صلى الله عليه
 وسلم فانه اظهر حقيقة المحادة ورأسها الذي يوجب جميع انواع المحادة
 فاستوجب الجزاء المطلق وهو جزاء الكافرين كما ان من اظهر النفاق
 (١) طق حكاية صوت الحجارة والاسم الطقطقة والملاج بالكسر من
 البراذين الممهلج والممهلجة فارسي معرب وشاة مملاج لا تخ فيها لخرهاوا امر
 ممهلج مذل منقاد ١٢ قاموس

ورأسه استوجب ذلك وان لم يستوجبه من اظهر شعبة من شعبه والله سبحانه اعلم ❖ الدليل الثاني ❖ قوله سبحانه يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين . وهذا نص في ان الاستهزاء بالله وبآياته ورسوله كفر فالسب المقصود بطريق الاولى وقد دلت هذه الآية على ان كل من تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم جادا او هازلا فقد كفر . وقد روى عن رجال من اهل العلم منهم ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن اسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض انه قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك ما رأيت مثل قرائتنا هؤلاء اربع بطونا ولا كذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه القراء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نلعب ونحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر كانى انظر اليه متعلقا بنسعة ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الحجارة لتكسب رجله وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ما بلغت اليه ولا يزيد عليه .
 وقال مجاهد قال رجل من المنافقين يحد ثنا محمد ان ناقة فلان بواد كذا
 وكذا وما يدريه ما الغيب فانزل الله عز وجل هذه الآية . وقال معمر عن
 قتادة بينا النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وركب من المنافقين
 يسرون بين يديه فقالوا ابظن هذا ان يفتح قصور الروم وحصونها فاطلع الله
 نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم علي بهؤلاء
 النفر فدعاهم فقال اقلتم كذا وكذا فخلعوا ما كننا الانخوض ونلعب . وقال
 معمر قال الكلبي كان رجل منهم لم يماثلهم في الحديث يسير عابثا لم تنزلت
 ان نعت عن طائفة منكم نعت ب طائفة فسمى طائفة وهو واحد فهو لاء لما
 تنقصوا النبي صلى الله عليه وسلم حيث عابوه والعلماء من اصحابه واستهانوا
 بنخبره اخبر الله انهم كفروا بذلك وان قالوه استهزاء فكيف بما هو غلط
 من ذلك وانما لم يقم الحد عليهم لكون جهاد المنافقين لم يكن قد امر به
 اذ ذاك بل كان مأمورا بان يدع اذاهم ولانه كان له ان يعفو عن تنقصه
 واذاه ❁ الدليل الثالث ❁ قوله سبحانه ومنهم من ملزك في الصدقات .
 والملز العيب والطعن قال مجاهد يتهكم يزيك وقال عطاء يغتابك
 وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الآية وذلك يدل على ان
 كل من لمزه او اذاه كان منهم لان الذين يؤذون (من) اسما موصولا لان وهما من
 صيغ العموم والآية وان كانت نزلت بسبب لمز قوم وابداء آخرين فحكمها عام
 كسائر الآيات اللواتي نزلن على اسباب وليس بين الناس خلاف نعلم انها

❁ العبارة العموم ❁ لا يظهر من السبب

تعم الشخص الذي نزلت بسبه ومن كلن حاله كحاله ولكن اذا كان اللفظ اعم من ذلك السبب فقد قيل انه يقتصر على سبيه والذي عليه جماهير الناس انه يجب الاخذ بعموم القول ما لم يعم دليل يوجب القصر على السبب كما هو مقرر في موضعه • وايضاً فان كونه منهم حكم متعلق بلفظ مشتق من اللزو الاذى وهو مناسب لكونه منهم فيكون مامنه الاشتقاق هو علة لذلك الحكم فيجب اطراده • وايضاً فان الله سبحانه وان كان قد علم منهم النفاق قبل هذا القول لكن لم يعلم نبيه بكل من لم يظهر ثقافه بل قال ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم انه سبحانه ابتلى الناس بامور تميز بين المؤمنين والمنافقين كما قال سبحانه وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين • وقال تعالى ما كان الله ليدرك المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب • وذلك لان الايمان والنفاق اصله في القلب وانما الذي يظهر من القول والفعل فرع له ودليل عليه فاذا ظهر من الرجل شئ من ذلك ترتب الحكم عليه فلما اخبر سبحانه ان الذين يلزمون النبي صلى الله عليه وسلم والذين يؤذونه من المنافقين ثبت ان ذلك دليل على النفاق وفرع له ومعلوم انه اذا حصل فرع الشئ ودليله حصل اصله المدلول عليه فثبت انه حيث ما وجد ذلك كان صاحبه منافقاً سواء كان منافقاً قبل هذا القول او حدث له النفاق بهذا القول • فان قيل • لم لا يجوز ان يكون هذا القول دليلاً للنبي صلى الله عليه وسلم على نفاق اولئك الاشخاص الذين قالوه في حياته باعيانهم وان لم يكن دليلاً من غيرهم • قلنا •

❦ اصل الايمان والنفاق في القلب واما القول والفعل فرعان لهما ❦

اذا كان دليلاً للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يمكن ان يغنيه الله بوحيه عن
 الاستدلال فان يكون دليلاً لمن لا يمكنه معرفة البواطن اولى واخرى
 وايضاً لو لم تكن الدلالة مطردة في حق كل من صدر منه ذلك القول لم يكن
 في الآية زجر لغيرهم ان يقول مثل هذا القول ولا كان في الآية تعظيم لذلك
 القول بعينه فان الدلالة على عين المنافق قد تكون مخصوصة بعينه وان كانت
 امراً مباحاً كما لو قبل من المنافقين صاحب الجمل الاحمر وصاحب الثوب
 الاسود ونحو ذلك فلما دل القرآن على ذم عين هذا القول والوعيد لصاحبه
 علم انه لم يقصد به الدلالة على المنافقين باعيانهم فقط بل هو دليل على نوع من
 المنافقين * وايضاً فان هذا القول مناسب للنفاق فان لمز النبي صلى الله عليه
 وسلم واذا لا يفعله من يعتقد انه رسول الله حقاً وانه اولى به من نفسه
 وانه لا يقول الا الحق ولا يحكم الا بالعدل وان طاعته لله وانه يجب على جميع
 الخلق تعزيروا وتوقيروا واذا كان دليلاً على النفاق نفسه فحيثما حصل
 حصل النفاق * وايضاً فان هذا القول لا ريب انه محرم فاما ان يكون خطيئة دون
 الكفر او يكون كفراً او الاول باطل لان الله سبحانه قد ذكر في القرآن انواع العصاة
 من الزاني والقاذف والسارق والمطفف والخائن ولم يجعل ذلك دليلاً على نفاق
 معين ولا مطلق فلما جعل اصحاب هذه الاقوال من المنافقين علم ان ذلك
 لكونها كفراً لا مجرد كونها معصية لان تخصيص بعض المعاصي يجعلها دليلاً
 على النفاق دون بعض لا يكون حتى يختص دليل النفاق بما يوجب ذلك
 والا كان ترجيحاً بلا مرجح ثبت انه لا بد ان يختص هذه الاقوال بوصف

الدلالة مطردة في صفات المنافقين

يوجب كونهاد لئلا على النفاق وكلما كان كذلك فهو كفر. وإيضاً فإن
الله كما ذكر بعض الأقوال التي جعلهم بها من المناقبين وهو قوله تعالى
أيذن لي ولا تفتني. قال في عقب ذلك لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر إلى قوله إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتأيت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون. فجعل ذلك علامة مطردة
على عدم الإيمان وعلى الريب مع أنه رغبة عن الجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد استنفاره وإظهاره من القاعد أنه معذور بالتعود وحاصله
عدم إرادة الجهاد فلهذا وإذا هو أولى أن يكون دليلاً مطرداً الآن الأول
خذلاناً له وهذا محاربة له وهذا ظاهر وإذا ثبتت أنت كل من لمز النبي
صلى الله عليه وسلم أو آذاه منهم فالضمير عائد إلى المناقبين والكافرين
لأنه سبحانه لما قال اتقوا خوفاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. قال لو كان عرضاً قريباً وسفراً
قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيقفون بالله. وهذا الضمير
عائد إلى معلوم غير مذكور وهم الذين حلقوا واستطعنوا لخرجنا معكم
وهو لاء هم المناققون بلا ريب ولا خلاف ثم أعاد الضمير إليهم إلى قوله
قل انفقوا طوعاً وكرهاً لن يتقبل منكم أنكم كنتم قومًا فاسقين وما منعهم
أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله فثبت أن هو لاء
الذين أضمرنا وكفروا بالله وبرسوله وقد جعل منهم من يلزومهم من
يؤذي وكذلك قوله (وما هم منكم) إخراج لهم عن الإيمان وقد نطق القرآن

بكفر المنافقين في غير موضع وجعلهم اسوء حالا من الكافرين وانهم في
الدرك الاسفل من النار وانهم يوم القيامة يقولون للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم الآية الى قوله فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين
كفروا * وامر نبيه في آخر الامر بان لا يصلي على احد منهم واخبرانه
ان يغفر لهم وامره بجهادهم والاغلاظ عليهم واخبر انهم ان لم ينتهوا ليغفر
الله نبيه بهم حتى يقتلوا في كل موضع * الدليل الرابع * على ذلك ايضا
قوله سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * اقسام سبحانه بنفسه انهم
لا يؤمنون حتى يحكموه في الخصومات التي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم خفيقا
من حكمه بل يسلموا لحكمه ظاهرا وباطنا وقال قبل ذلك الم تر الى الذين
يزعمون انهم آمنوا بما نزل اليك وما نزل من قبلك يريدون ان يتحاكوا
الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا * واذا قيل لهم تعالوا الى ما نزل الله والى الرسول رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا * فيبين سبحانه ان من دعي الى التحاكم الى كتاب الله
والى رسوله فصد عن رسوله كان منافقا وقال سبحانه ويقولون آمنا بالله
وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين
واذا ادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذ افريق منهم معرضون * وان يكن
لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اني قلوبهم مرض ام ارتابوا الم يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون * انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله

ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا فيين سبحانه ان من تولى عن طاعة
الرسول واعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن و ان المؤمن هو
الذي يقول سمعنا واطعنا فاذا كانت النفاق يثبت و يزول الايمان بمجرد
الاعراض عن حكم الرسول و ارادة التحاكم الى غيره مع ان هذا ترك
محض و قد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقض و السب و نحوه و يؤيد
ذلك ما رواه ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن دحيم في
تفسيره حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا ابو المغيرة حدثنا عتيبة بن ضمرة حدثني
ابي عن رجلين اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للحق على المبطل
فقال المقضي عليه لا ارضى فقال صاحبه فما تريد قال ان تذهب الى ابي بكر
الصديق فذهبا اليه فقال الذي قضى له قد اختصمتا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقضى لي عايه فقال ابو بكر فانتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم
فابي صاحبه ان يرضى و قال ناتي عمر بن الخطاب فاتباه فقال المقضى له
قد اختصمتا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فابي ان يرضى ثم اتينا
ابا بكر الصديق فقال انتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم فابي ان يرضى
فساله عمر فقال كذلك فدخل عمر منزله فخرج و السيف في يده قد سله فضرب
به رأس الذي ابي ان يرضى فقتله فانزل الله تبارك و تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية و هذا المرسل له شاهد من وجه
آخر يصلح للاعتبار قال ابن دحيم حدثنا الجوز جاني حدثنا ابو الاسود حدثنا
ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير قال اختصم الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم رجلا نلقى لا حدهما فقال الذى قضى عليه رد نالى عمر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انطلقوا الى عمر فانطلقا فلما اتيا عمر قال
الذى قضى له يا ابن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لى وان هذا
قال رد نالى عمر فردنا اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر
اكذلك للذى قضى عليه قال نعم فقال عمر مكانك حتى اخرج فاقضى بينكما فخرج
مشتحلا على سيفه فضرب الذى قال رد نالى عمر فقتله وادبر الاخر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قتل عمر صاحبي ولولا ما اعجزته (١)
لقتلنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت اظن ان عمر يجترى على
قتل مؤمن فانزل الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم فبرأ الله عمر من قتله وقد رويت هذه القصة من غير هذين الوجهين
قال ابو عبد الله احمد بن حنبل ما اكتب حديث ابن لهيعة الا للاعتبار
والاستدلال وقد كتبت حديث هذا الرجل بهذا المعنى كاني استدل
به مع غيره بشدة لانه حجة اذا انفرد * الدليل الخامس * مما استدل
به العلماء على ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله

(١) (ما اعجزته) لفظ مامو صولة والمعنى انه لو لا اعجازى عمر رضى الله عنه بسرعة
العدو لكاد ان يقتلنى كما قتل صاحبي وكان هذا سوء ظن منه والافهذا
كان ابعد من القتل فانه كان راضيا بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه
المقتول قد سقط في قضاء النبي صلى الله عليه وسلم فقتله عمر رضى الله عنه
جزاه الله خيرا من جميع الامة ١٢ المصحح

بيان اتحاد حرمة آية و حرمة رسوله صلى الله عليه وسلم

لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً . ودلالاتها من وجوه . احدىها انه قرن اذاه باذاه كما قرن طاعته بطاعته فمن آذاه فقد اذى الله تعالى وقد جاء ذلك منصوفا عنه ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم بين ذلك ان الله تعالى جعل محبة الله ورسوله وارضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئاً واحداً فقال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتوها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله الآية وقال تعالى واطيعوا الله والرسول . في مواضع متعددة وقال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه . فوحده الضمير وقال ايضاً ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال ايضاً يستلونك عن الانتقال قل الانتقال لله والرسول وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله واذى الله ورسوله ومعصية الله ورسوله شيئاً واحداً فقال ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله . ومن يشاقق الله ورسوله . وقال ان الذين يحادون الله ورسوله . وقال تعالى الم يعلموا انه من يحاد الله ورسوله . وقال ومن يعص الله ورسوله الآية . وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين وان جهة جرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة فمن آذى الرسول فقد آذى الله ومن اطاعه فقد اطاع الله لان الامة لا يصلون ما بينهم وبين ربههم الا بواسطة الرسول ليس لاحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه وقد اقامه الله مقام نفسه في امره ونهيه واخباره وبيانه فلا يجوز ان يفرق

بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور وثانيها أنه فرق بين اذى الله ورسوله وبين اذى المؤمنين والمؤمنات فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة واعد له العذاب المهيّن ومعلوم ان اذى المؤمنين قد يكون من كبائر الاثم وفيه الجلد وليس فوق ذلك الا الكفر والقتل . الثالث . انه ذكر انه لعنهم في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً واللعن الابعاد عن الرحمة ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون الا كافراً فان المؤمن يقرب اليها بعض الاوقات ولا يكون مباح الدم لان حقن الدم رحمة عظيمة من الله فلا يثبت في حقه ويؤيد ذلك قوله لئن لم يتنه المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً ملعونين ايما تقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً فان اخذهم وتقبلهم والله اعلم بيان صفة لعنهم وذكر حكمه فلا موضع له من الاعراب وليس بحال ثانية لانهم اذا جاؤوه ملعونين ولم يظهروا ثمر لعنهم في الدنيا لم يكن في ذلك وعيد لهم بل تلك اللعنة ثابتة قبل هذا الوعيد وبعد . فلا بد ان يكون هذا الاخذ والتقبل من آثار اللعنة التي وعدوها فثبت في حق من لعنه الله في الدنيا والآخرة . ويؤيد قول النبي صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن من كتمه متفق عليه فاذا كان الله قد لعن هذا في الدنيا والآخرة فهو كتمه فعلم ان قتله مباح قبل واللعن انما يستوجب من هو كافر لكن ليس هذا جيداً على الاطلاق . ويؤيد قوله تعالى الم تر الى الذين اتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون

بالجبت

بالجبت والطاغوت يقولون للذين كفروا هو لا اله الا هو من الذين آمنوا سبيلا او لائك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا . ولو كان معصوم الدم يجب على المسلمين نصره . ولكن له نصير . يوضح ذلك انه قد نزل في شان ابن الاشرف وكان من لعنته ان قتل لانه كان هو ذى الله ورسوله . واعلم انه لا يرد على هذا انه قد لعن من لا يجوز قتله لوجوه . احدها . ان هذا قيل فيه لعنه الله في الدنيا والآخرة فبين انه سبحانه اقصاه عن رحمته في الدارين وسائر الملعونين انما قيل فيهم لعنه الله او عليه لعنه الله وذلك يحصل باقصائه عن الرحمة في وقت من الاوقات و فرق بين من لعنه الله او عليه لعنة مؤيدة عامة ومن لعنه لعنا مطلقا . الثاني . ان سائر الذين لعنهم الله في كتابه مثل الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ومثل الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجا ومثل من يقتل مؤمنا متعمدا اما كافرا ومباح الدم بخلاف بعض من لعن في السنة . الثالث . ان هذه الصيغة خبر عن لعنة الله له ولهذا عطف عليه واعدهم عذابا مهينا وعامة الملعونين الذين لا يقتلون ولا يكفرون انما لعنوا بصيغة الدعاء مثل قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله من غير نار الارض . ولعن الله السارق ولعن الله آكل الربا وموكله ونحو ذلك لكن الذى يرد على هذا قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم فان في هذه الآية ذكر لعنتهم في الدنيا والآخرة مع ان مجرد القذف ليس بكفر ولا يبيح الدم . والجواب . عن هذه الآية من طريقين مجمل

و مفصل ❖ اما لمجمل ❖ فهو ان قذف المؤمن المجرد هو نوع من اذاه واذا
كان كذباً فهو بهتان عظيم كما قال سبحانه و لو لا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا سبحانه هذ ابهتان عظيم ❖ والقرآن قد نص على الفرق بين اذى الله
ورسوله وبين اذى المؤمنين . فقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً . والذين يوذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً . فلا يجوز ان يكون
مجرد اذى المؤمنين بغير حق موجباً لعنة الله في الدنيا والآخرة وللعذاب
المهين اذ لو كان كذلك لم يفرق بين اذى الله ورسوله وبين اذى المؤمنين
و لم يخص موزي الله ورسوله باللعة المذكورة و يجعل جزاء موزي المؤمنين
انه احتمل بهتاناً واثماً مبيناً كما قال في موضع آخر ومن يكسب خطيئة او اثماً
ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً . كيف والعالم الحكيم اذا توعده على
الخطيئة زاجر عنها فلا بد ان يذكر اقصى ما يخاف على صاحبها فاذا ذكر
خطيئتين احدهما اكبر من الاخرى متوعدا عليهما زاجر عنهما ثم ذكر في احدهما
جزاء عنهما وذكر في الاخرى ما هو دون ذلك ثم ذكر هذه الخطيئة في
موضع آخر متوعدا عليها بالعذاب الا دنى بعينه علم ان جزاء الكبرى
لا يستوجب بتلك التي هي ادنى منها فهذا دليل بين لك ان لعنة الله في الدنيا
والآخرة واعداده العذاب المهين لا يستوجب مجرد القذف الذي ليس
فيه اذى الله ورسوله وهذا كاف في اطراد الدلالة وسلامتها عن النقص
❖ واما الجواب المفصل ❖ فمن ثلاثة اوجه ❖ احدها ❖ ان هذه الآية في

ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة في قول كثير من اهل العلم فروى
 هشيم عن العوام بن حوشب ثنا شيخ من بني كاهل قال فسر ابن عباس سورة
 النور فلما اتى على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
 الى آخر الآية قال هذه في شان عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
 وهي مبهمه ليس فيها توبة ومن قذف امرأه مؤمنة فقد جعل الله له توبة
 ثم قرأوا الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء الى قوله الا الذين
 تابوا من بعد ذلك واصبحوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة قال
 فهم رجل ان يقوم فيقبل راسه من حسن مفسر . وقال ابو سعيد الاشج
 ثابعد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الذين
 يرمون المحصنات الغافلات نزلت في عائشة رضي الله عنها خاصة واللعنة في
 المنافقين عامة فقد بين ابن عباس ان هذه الآية انما نزلت فيمن يقذف عائشة
 وامهات المؤمنين لما في قذفهن من الظعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعيبه فان قذف المرأة اذى لزوجها كما هو اذى لابنها لانه نسبة له الى الدياثة
 واظهار لفساد فراشه فان زناه امرأته يؤذيه اذى عظيما ولهذا اجوز له الشارع
 ان يقذفها اذا زنت ودرء الحد عنه باللعان ولم يسح لغيره ان يقذف
 امرأه بحال ولعل ما يلحق بعض الناس من العار والحزي بقذف اهله
 اعظم مما يلحقه لو كان هو المقذوف ولهذا ذهب الامام احمد في احدي
 الروايتين المنصوحتين عنه الى ان من قذف امرأة غير محصنة كالامة
 والذمية ولها زوج او ولد محصن حد لقذفها لما لحقه من العار بولدها

وتزوجها المحصنين والزواية الاخرى عنه وهو قول الاكثرين انه لا حد
عليه لانه اذى لها لا قذف لها والحد التام انما يجب بالقذف وفي جانب النبي صلى الله
عليه وسلم اذاه كقذفه من يقصد عيب النبي صلى الله عليه وسلم بعيب ازواجه
فهو منافق وهذا معنى قول ابن عباس اللعنة في المناقين عامة * وقد وافق
ابن عباس على هذا جماعة فروى الامام احمد والاشعج عن خصيف قال
سألت سعيد بن جبيرة قلت الزنا اشد او قذف المحصنة قال لا بل الزنا قال
قلت وان الله تعالى يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات
لعنوا في الدنيا والآخرة فقال انما كان هذا في عائشة خاصة . وروى احمد
باسناد . عن ابي الجوزاء في هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
المومنات لعنوا في الدنيا والآخرة قال هذه الامهات المومنات خاصة .
وروى الاشعج باسناد . عن الضحاك في هذه الآية قال من نساء النبي صلى الله
عليه وسلم . وقال معمر عن الكلبي انما عني بهذه الآية ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم فاما من رمى امرأة من المسلمين فهو فاسق كما قال تعالى (او يتوب)
ووجه هذا ما تقدم من ان لعنة الله في الدنيا والآخرة لا يستوجب بمجرد
القذف فتكون اللام في قوله المحصنات الغافلات المومنات لتعريف المهور والمهور
هنا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لان الكلام في قصة الافك ووقوع من
وقع في ام المؤمنين عائشة او تقصير اللفظ العام على سببه للدلي الذي يوجب
ذلك * ويؤيد هذا القول ان الله سبحانه رتب هذا الوعيد على قذف
محصنات غافلات مومنات وقال في اول السورة والذين يرمون المحصنات

ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة الآية فرتب الجلد ورد
 الشهادة والفسق على مجرد قذف المحصنات فلا بد ان تكون المحصنات
 الغافلات الموءمنات لمن مزية على مجرد المحصنات وذلك والله اعلم لان
 ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مشهود لمن بالايمان لانهن امهات الموءمنين
 ومن ازواج نبيه في الدنيا والآخرة وعوام المسلمين انما يعلم منهم في الغالب
 ظاهر الايمان ولان الله سبحانه قال في قصة عائشة والذي تولى كبره منهم
 عذاب عظيم فمخصيصه بتولى كبره دون غيره دليل على اختصاصه بالعذاب
 العظيم وقال ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضم
 فيه عذاب عظيم فعلم ان العذاب العظيم لا يمس كل من قذف وانما يمس متولى
 كبره فقط وقال هنا ولهم عذاب عظيم فعلم انه الذي رمى امهات الموءمنين ويعيب
 بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى كبره الافك وهذه صفة المنافق ابن ابي
 واعلم ان الله على هذا القول تكون هذه الآية حجة ايضاً موافقة لتلك
 الآية لانه لما كان رمى امهات الموءمنين اذى للنبي صلى الله عليه وسلم فلمن
 صاحبه في الدنيا والآخرة ولهذا قال ابن عباس ليس فيها توبة لان مؤذى
 النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبل توبته اذا تاب من القذف حتى يسلم
 اسلاماً جديداً وعلى هذا فرمين اتفاق مبيح للدم اذا قصد به اذى النبي
 او اذا هن بعد العلم بانهن ازواجه في الآخرة فانه ما لعنت امرأة نبي
 قط وما يدل على ان قذفهن اذى للنبي صلى الله عليه وسلم ما خرجاه في
 الصحيحين في حديث الافك عن عائشة قالت فقام رسول الله صلى الله عليه

وسلم فاستعذرن من عبادة بن أبي بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من بعد رني من رجل قد بلغني اذاه في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهل الاخيراء ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهل الامي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذر كمنه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امر ك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال اسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فتار الحبان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت وفي رواية اخرى صحيحة قالت لما ذكر من شاني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطيباً وما علمت به فشهد وحمد الله واثنى عليه بما هو اهل ثم قال اما بعد اشيروا علي في اناس انبوا اهل وائم الله ما علمت على اهل سوء قط وانبوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا دخل بيتي قط الا وانا حاضر ولا كنت في سفر الا غاب معي فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله مرني ان اضرب اعناقهم فقله من بعد رني اي من ينصفني ويقيم عذري اذا انتصفت منه لما بلغني من اذاه في اهل بيتي والله لهم

فثبت انه صلى الله عليه وسلم قد تاذى بذلك تاذيا استعذر منه وقال
 المؤمنون الذين لم تأخذهم حمية مرنا ضرب اعناقهم فاننا نعدرك اذا امرتنا
 بضرب اعناقهم ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على سعد استناره
 في ضرب اعناقهم . وقوله انك معذور اذا فعلت ذلك بقي ان يقال فقد
 كان من اهل الافك مسطح وحسان وحننة ولم يرموا بنفاق ولم يقتل النبي
 صلى الله عليه وسلم احدا بذلك السبب بل قد اختلف في جلد هم . وجوابه
 ان هو لا لم يقصد واذا ذى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يظهر منهم
 دليل على اذاه بخلاف ابن ابي الذي انما كان قصده اذاه لم يكن اذ ذاك
 قد ثبت عندهم ان ازواجه في الدنيا هن ازواجه في الآخرة وكان
 وقوع ذلك من ازواجه ممكنا في العقل ولذا لك توقف النبي صلى الله
 عليه وسلم في القصة حتى استشار عليا وزيدا وحتى سأل بريرة فلم يحكم
 بنفاق من لم يقصد اذى النبي صلى الله عليه وسلم لا مكان ان يطلق المرأة
 المقدوفة فاما بعد ان ثبت انهن ازواجه في الآخرة وانهن امهات المؤمنين
 فقد فهن اذى له بكل حال ولا يجوز مع ذلك ان تقع منهن فاحشة لان
 في ذلك جواز ان يقيم الرسول مع امرأة بغية وان تكون ام المؤمنين
 موسومة بذلك وهذا باطل ولهذا قال سبحانه يعظكم الله ان تعودوا لمثله
 ابدا ان كنتم مؤمنين . وسند ذكر ان شاء الله تعالى في آخر الكتاب كلام
 الفقهاء فيمن قذف نساؤه . وانه معدود من اذاه . الوجه الثاني . ان الآية
 عامة قال الضحاك قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنين

يعني به ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ويقول آخرون يعني
ازواج المؤمنين عامة . وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن قذف المحصنات
من الموجبات ثم قرأ ان الذين يرمون المحصنات الآية وعن عمرو بن
قيس قال قذف المحصنة يخط عمل تسعين سنة رواها الاشج وهذا قول
كثير من الناس ووجه ظاهر الخطاب فانه عام فيجب اجراؤه على عمومهم
اذ لا موجب لخصوصه وليس هو مختصاً بنفس السبب بالاتفاق لان حكم
غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم داخل في العموم وليس هو
من السبب ولانه لفظ جمع والسبب في واحدة ولان قصر عمومات
القرآن على اسباب نزولها باطل فان عامة الآيات نزلت باسباب اقتضت
ذلك وعلم ان شيئاً منها لم يقصر على سببه والفرق بين الآيتين انه في اول
السورة ذكر العقوبات المشروعة على ابدى المكلفين من الجلد ورد
الشهادة والتفسيق وهنا ذكر العقوبة الواقعة من الله سبحانه وهي اللعنة
في الدارين والعذاب العظيم . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من
غير وجه وعن اصحابه ان قذف المحصنات من الكبائر . وفي لفظ في الصحيح
قذف المحصنات الغافلات المؤمنات . وكان بعضهم يؤول على ذلك
قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات . ثم اختلف هو لا .
فقال ابو حمزة الثمالي بلغنا انها نزلت في مشركي اهل مكة اذ كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فكانت المرأة اذا خرجت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من اهل مكة وقالوا

فصر عمومات القرآن على اسباب نزولها باطل

اتأخر جت ثجير فعلى هذا يكون فيمن قد ف المؤمنات قد فايصد هن به عن
 الايمان ويقصد بذلك ذم المؤمنين لينفر الناس عن الاسلام كما فعل كعب
 ابن الاشرف وعلى هذا فمن فعل ذلك فهو كافر وهو بمنزلة من سب النبي
 صلى الله عليه وسلم . وقوله انها نزلت زمن العهد يعني والله اعلم انه غنى بها مثل
 اولئك المشركين المعاهد بن والاقهده . الآية نزلت الى الافك و كان
 الافك في غزوة بني المصطلق قبل الخندق والمدة كانت بعد ذلك بستين .
 ومنهم من اجرها على ظاهرها وعمومها لان سب نزل ولها قذف عائشة وكان فيمن
 قذفها مؤمن ومنافق وسب النزول لا بد ان يتدرج في العموم ولانه لا موجب
 لتخصيصها والجواب على هذا التقدير انه سبحانه قال هنا العنوا في الدنيا والآخرة .
 على بناء الفعل للمفعول ولم يسم اللاعن وقال هناك لعنهم الله في الدنيا والآخرة
 واذ لم يسم الفاعل جاز ان يلعنهم غير الله من الملائكة والناس و جاز ان
 يلعنهم الله في وقت ويلعنهم بعض خلقه في وقت و جاز ان يتولى الله لعنة
 بعضهم وهو من كان قد ف طعنا في الدين ويتولى خلقه لعنة الآخر بن
 واذ كان اللاعن مخلوقا فلعنته قد تكون بمعنى الدعاء عليهم وقد تكون بمعنى
 انهم يعدون عن رحمة الله ويؤيد هذا ان الرجل اذا قذف امرأته تلاعنا
 وقال الزوج في الخامسة لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فهو يدعو على
 نفسه ان كان كاذبا في القذف ان يلعنه الله كما امر الله رسوله ان يباهل من
 حاجه في المسبح بعد ما جاء من العلم بان يتهلوا فيجعلوا لعنة الله على الكاذبين
 فخذ امما يلعن به القاذف ومما يلعن به ان يجلد وان نرد شهادته ويفسق فانه

عقوبة له واقصاء له عن مواطن الامن والقبول وهي من رحمة الله وهذا بخلاف من اخبر الله انه لعنه في الدنيا والآخرة فان لعنة الله له توجب زوال النصر عنه من كل وجه وبعد عن اسباب الرحمة في الدارين . ومما يويد الفرق انه قال هنا واعد لهم عذابا مهينا . ولم يجئ اعدا العذاب المهين في القرآن الا في حق الكفار كقوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدوا للكافرين عذابا مهينا . وقوله فباؤا بغضب على غضب وللکافرين عذاب مهين . وقوله انما نملی لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين . وقوله والذين كفروا وكذبوا بآيات الله لهم عذاب مهين . وقوله واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزا . ولائك لهم عذاب مهين . وقوله قد انزلنا آيات بينات وللکافرين عذاب مهين . وقوله اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين . واما قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نار اخلال فيها ولهم عذاب مهين . فهي والله اعلم فمين جحد الفرائض واستخف بها على انه لم يذکر ان العذاب اعد له واما العذاب العظيم فقد جاء وعيدا للمؤمنين في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسکم فيما اخذتم عذاب عظيم . وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسکم فيما افضتم فيه عذاب عظيم . وفي المحارب ذلك لم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . وفي القائل وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما . وقوله ولا تتخذوا ايمانكم خلايكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم . وقد قال سبحانه ومن يهن الله فما له من مكرم . وذلك

لان الاهاة اذ لال وتحقرو خزي و ذلك قد رزائد على الم العذاب فقد
يعذب الرجل الكريم ولا يمان فلما قال في هذه الآية واعد لهم عذابا مهينا ✽
علم انه من جنس العذاب الذي توعد به الكفار والمنافقين ولما قال هناك ولهم
عذاب عظيم ✽ جاز ان يكون من جنس العذاب في قوله لمسكم فيما افضتم فيه
عذاب عظيم ✽ ومما يبين الفرق ايضا انه سبحانه تعالى قال هنا واعد لهم عذابا
مهينا ✽ والعذاب انما اعد للكافرين فان جهنم لم خلقت لانهم لا بد
ان يدخلوها وما هم منها بمنزلة جين و اهل الكبار من المؤمنين يجوز ان
لا يدخلوها اذا غفر الله لهم و اذا دخلوها فانهم يخرجون منها ولو بعد حين ✽
قال سبحانه و اتقوا النار التي اعدت للكافرين ✽ فامر سبحانه المؤمنين ان لا ياكلوا
الربا و ان يتقوا الله و ان يتقوا النار التي اعدت للكافرين فعلم انهم يخاف
عليهم من دخول النار اذا اكلوا الربا و فعلوا المعاصي مع انها معدة للكفار
لاهم و كذلك جاء في الحديث اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون
فيها و لا يحيون و اما اقوام لهم ذنوب يصيبهم سفع من نار ثم يخرجهم الله
منها و هذا كما ان الجنة اعدت للمؤمنين الذين ينفقون في السراء والضراء و ان
كان يدخلها الابناء بعمل آبائهم و يدخلها قوم بالشفاعة و قوم بالرحمة و ينشئ الله
لما فضل منها خلقا آخر في الدار الآخرة فيدخلهم اياها و ذلك لان الشئ
انما بعد لمن يستوجب و يستحقه و لمن هو اولى الناس به ثم قد يدخل معه غيره
بطريق التبع و ليسيب آخر ✽ الدليل السادس ✽ قوله سبحانه لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط

اعمالكم وانتم لا تشعرون . اي حذر ان تحبط اعمالكم او خشية ان تحبط اعمالكم
او كراهة ان تحبط او منع ان تحبط هذا تقدير البصريين وتقدير الكوفيين لثلاث تحبط
فوجه الدلالة ان الله سبحانه نهاهم عن رفع اصواتهم فوق صوته وعن الجهر له نجهر
بعضهم لبعض لان هذا الرفع والجهر قد يفضي الى حيوط العمل وصاحبه لا يشعر
فانه علل نهيهم عن الجهر وتركهم له بطلب سلامة العمل عن الحيوط وبين ان
فيه من المفسدة جواز حيوط العمل وانقاد سبب ذلك وما قد يفضي الى حيوط
العمل يجب تركه غاية الوجوب والعمل يحبط بالكفر قال سبحانه ومن يرتدد منكم
عن دينه فميت وهو كافر فاو لا تلك حبطت اعمالهم . وقال تعالى ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله . وقال ولو اشر كوا الحبط عنهم ما كانوا يعملون . وقال لئن
اشركت ليحبطن عملك . وقال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبطت اعمالهم .
وقال ذلك بانهم اتبعوا ما منخط الله وكرهوا رضوانه فاحبطت اعمالهم . وكان
الكفر لاذقارنه عمل لم يقبل لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين . وقوله الذين
كفروا لو صدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم . وقوله ومانعهم ان تقبل منهم
تفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وهذا ظاهر ولا يحبط الاعمال لغير
الكفر لان من مات على الايمان فانه لا بد ان يدخل الجنة ويخرج من النار ان دخلها
ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط ولان الاعمال انما يحبطها ما يتا فيها ولا ينافي
الاعمال مطلقا الا الكفر وهذا معروف من اصول اهل السنة نعم قد يبطل
بعض الاعمال بوجود ما يفسده كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
ولهذا لم يحبط الله الاعمال في كتابه الا بالكفر فاذا ثبت ان رفع الصوت فوق

صوت النبي و الجهر له بالقول يخاف منه ان يكفر صاحبه و هو لا يشعر و يحبط عمله بذلك و انه مظنة لك و سبب فيه فمن المعلوم ان ذلك لما ينبغي له من التثخير و التوقير و التشریف و التعظيم و الاكرام و الاجلال ولما ان رفع الصوت قد يشتمل على اذى له و استخفاف به و ان لم يقصد الرفع ذلك فاذا كان الاذى و الاستخفاف الذي يحصل في سوء الادب من غير قصد صاحبه يكون كفرا فالاذى و الاستخفاف المقصود المتعمد كفر بطريق الاولى و الدليل السابع على ذلك قوله سبحانه لا تجعلوا ادعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليخذوا الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم . امر من خالف امره ان يحذر الفتنة و الفتنة الردة و الكفر قال سبحانه و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة . و قال و الفتنة اكبر من القتل . و قال و لو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاثروها . و قال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا قال الامام احمد و في رواية الفضل بن زياد نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة و ثلاثين موضعا ثم جعل يتلو فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة الآية و جعل يكررها و يقول و ما الفتنة الشرك لعله اذا ارد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزبغ فيزيغ قلبه فهلكه و جعل يتلو هذه الآية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . و قال ابو طالب المشكاني و قيل له ان قوما يدعون الحديث و يذهبون الى رأى سفيان فقال اعجب لقوم

موضح الطاعة للمؤمنين للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن

سمعوا الحديث وعرفوا الاسناد وصحته يدعوه ويذهبون الى رأى
سفيان وغيره . قال الله فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم . وتدرى ما الفتنة الكفر قال الله تعالى والفتنة
اكبر من القتل . فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتغلبهم هواؤهم الى الرأى فاذا كان المخالف عن امره قد حذرهم من
الكفر والشرك او من العذاب الا ليم دل على انه قد يكون مفضيا الى
الكفر او العذاب الا ليم ومعلوم ان افضاء الى العذاب هو مجرد فعل
المعصية فافضائه الى الكفر انما هو لما قد يقترن به من استخفاف بحق الامر كما
فعل ابليس فكيف لما هو اغلظ من ذلك كالسب والانتقاص ونحوه وهذا
باب واسع مع انه بحمد الله مجمع عليه لكن اذ تعددت الدلالات تعاضدت
على غاظ كفر الساب وعظم عقوبته . وظهر ان ترك الاحترام للرسول
وسوء الادب معه مما يخاف معه الكفر المحبط كان ذلك ابلغ فيما قصدنا
له . ومما ينبغي ان يتفطن له ان لفظ الاذى فى اللغة هو لما خف امره موضع
اثره من الشر والمكروه ذكره الخطابي وغيره وهو كما قال واستقرأه
موارده يدل على ذلك مثل قوله تعالى لن يضروكم الا اذى . وقوله
ويستلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض . وفيما يورث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القربوه من والحر اذى وقيل لبعض
النسوة العربيات القراشد ام الحر فقالت من يجعل البوه من كالاذى
والبوه من خلاف النعم وهو ما يشقى البدن ويضره بخلاف الاذى فانه

لا يبلغ ذلك ولهذا قال ان الذين يؤذون الله ورسوله * وقال سبحانه
 فيما يروى عنه رسول الله يؤذي بني آدم يسب الدهر * وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله * وقال
 ما احدا صبر على اذى يسمعه من الله يجعلون له ولدا وشريكا وهو بما فيهم
 ويزرقهم * وقد قال سبحانه فيما يروى عنه رسول الله يا عبادي انكم
 ان تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا تقبي فتتفغوني وقال سبحانه في كتابه
 ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا فين ان الخلق
 لا يضرونه سبحانه بكفرهم لكن يؤذونه تبارك وتعالى اذ اسبوا مقلب
 الامور وجعلوا له سبحانه ولدا وشريكا واذ ارسله وعباده المؤمنين ثم
 ان الاذى الذي لا يضرمؤذى اذ اتعلق بحق الرسول فقد رأيت عظم
 موقعه وبيانه ان صاحبه من اعظم الناس كفرا واشد هم عقوبة فنيين بذلك
 ان قليل ما يؤذيه يكفر به صاحبه ويحل دمه * ولا يرد على هذا قوله
 عالي لا تدخلوا بيوت النبي الى قوله ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي
 منكم * فان المؤذى له هنا اطلتهم الجلوس في المنزل واستئناسهم للحديث
 لانهم آذوا النبي صلى الله عليه وسلم والفعل اذا آذى النبي من
 غير ان يعلم صاحبه انه يؤذيه ولم يقصد صاحبه اذاه فانه ينهى عنه ويكون
 معصية كرفع الصوت فوق صوته فاما اذا قصد اذاه وكان مما يؤذيه
 وصاحبه يعلم انه يؤذيه واقدم عليه مع استحضار هذا العلم فهذا الذي
 يوجب الكفر وجوب العمل والله سبحانه اعلم * الدليل الثامن * على

ذلك ان الله سبحانه قال وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما فحرم على الامة ان
تنكح ازواجه من بعده لان ذلك يؤذي به وجعله عظيما عند الله تعظيما
لحرمة . وقد ذكر ان هذه الآية نزلت لما قال بعض الناس لو قد توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة ثم ان من نكح ازواجه
او سراريه فان عقوبته القتل جزاء له بما انتهك من حرمة فالتا ثم له اولى
والدليل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه عن زهير عن عفان عن حماد
عن ثابت عن انس ان رجلا كان يتهم بام ولد النبي صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اذهب فا ضرب عنقه فاتا به علي
فاذا هو في ركي يتبرد فقال له علي اخرج فناوله يده فاخرجه فاذا هو
محبوب ليس له ذكر فكف علي ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
بارسول الله انه لمحبوب ماله ذكر فهذا الرجل امر النبي صلى الله عليه
وسلم بضرب عنقه لما قد استحل من حرمة ولم يامر باقامة حد الزنا لان
اقامة حد الزنا ليس هو ضرب الرقبة بل ان كان محصنا رجم وان كان
غير محصن جلد ولا يقام عليه الحد الا باربعة شهداء او بالاقرار المعبر فلما امر
النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه من غير تفصيل بين ان يكون محصنا
او غير محصن علم ان قتله لما انتهك من حرمة ولعله قد شهد عند
شاهد ان انها راياه يباشر هذه المرأة او شهدا بنحو ذلك فامر بقتله
فلما تبين انه كان مجرما علم ان المفسدة مأمومة منه او انه بعث عليا ليرى

القصة فان كان ما بلغه عنه حقا قتله ولذا اقال في هذه القصة لو غيرها
 اكون كالسكة المحماة ام الشاهد يرى مالا يرى الغائب ويدل على
 ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج قيلة بنت قيس بن معدى كرب
 اخت الاشعث ومات قبل ان يدخل بها وقبل ان تقدم عليه * وقبل انه
 خيرها بين ان يضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين وبين ان يطلقها فتكح
 من شاءت فاخضارت النكاح قالوا غلامات النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها
 عكرمة بن ابي جهل بمحضرموت فبلغ ابا بكر فقال لقد هممت ان احرق
 عليهما ينهما فقال عمر ما هي من امهات المؤمنين ولا دخل بها ولا ضرب
 عليها الحجاب وقبل انها ردت فاحتج عمر على ابي بكر انها ليست من ازواج
 النبي صلى الله عليه وسلم بارادها * فوجه الدلالة ان الصدوق رضى الله عنه
 عزم على تحريقها وتحرير من تزوجها لما رأى لهما من ازواج النبي صلى الله
 عليه وسلم حتى ناظره عمر انها ليست من ازواجه فكف عنها ذلك فعلم انهم
 كانوا يرون قتل من استحل حرمته رسول الله صلى الله عليه وسلم * ولا يقال
 ان ذلك حد الزنا لانها كانت محرمة عليه ومن تزوج ذات محرم
 حد حد الزنا او قتل لوجهين * احدهما * ان حد الزنا الرجم * الثاني * ان
 ذلك الحد يفتقر الى ثبوت الوطى * بيينة او اقرار فلما اراد تحريق البيت
 مع جواز ان لا يكون غشيا علم ان ذلك عقوبة ما انتهكه من حرمة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم *

فصل في ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

فصل

واما السنة فاحاديث الحديث الاول ما رواه الشعبي عن علي ان يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فاطل رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاكذا رواه ابو داود في سننه وابن بطه في سنته هو من جملة ما استدل به الامام احمد في رواية ابنه عبد الله وقال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال كان رجل من المسلمين اعنى اعمى باوى الى امرأة يهودية فكانت تطعمه وتحسن اليه فكانت لا تزال تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتؤذيه فلما كان ليلة من الليالي خنقها فماتت فلما اصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنشد الناس في امرها فقام الا عمى فذكر له امرها فاطل النبي صلى الله عليه وسلم وما هذا الحديث جيد فان الشعبي راى عليا وروى عنه حديث شراحة الحمد انى وكان علي عهد علي قد فاهز العشرين سنة وهو كوفي فقد ثبت لقائه فيكون الحديث متصلا ثم ان كان فيه ارسال لان الشعبي يبعد سماعه من علي فهو حجة وثاقا لان الشعبي عندهم صحيح المراسيل لا يعرفون له مراسلا الا صحيحا ثم هو من اعلم الناس بحديث علي واعلم بثقات اصحابه وله شاهد حديث ابن عباس الذي ياتي فان القصة اما ان تكون واحدة او يكون المعنى واحدا وقد عمل به عوام اهل العلم وجاء ما يوافقه عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومثل هذا المرسل لم يتردد اتفقوا في الاحتجاج به وهذا الحديث نص في جواز قتلها لاجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم ودليل على قتل الرجل الذي قتل للمسلم والمسلمة اذ اسباب طريق الاولى لان هذه المرأة كانت موادة مهادة

لان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وادع جميع اليهود الذين كانوا
 بهاموادة مطلقة ولم يضرب عليهم جزية وهذا مشروع عند اهل العلم
 بمنزلة المتواترينهم حتى قال الشافعي لم اعلم مخالفاً من اهل العلم بالسيوران
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة وادع يهود كلفة على غير
 جزية وهو كما قال الشافعي هو ذلك ان المدينة كان فيها حو لها ثلاثة اصناف
 من اليهود فهو بنو قينقاع و بنو النضير و بنو قريظة وكان بنو قينقاع والنضير
 حلفاء الخزرج وكانت قريظة حلفاء الاوس فلما قدم النبي صلى الله عليه
 وسلم هادىهم وادعهم مع اقرارهم ولمن كان حول المدينة من المشركين
 من حلفاء الانصار على حلفهم وعهدهم الذي كانوا عليه حتى انه عاهد اليهود
 على ان يعينوه اذا حارب ثم نقض العهد بنو قينقاع ثم النضير ثم قريظة .
 قال محمد بن اسحاق يعني في اول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
 وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع
 فيه يهود وعاهدهم وافرهم على دينهم واموالهم واشترط عليهم وشرط
 لهم قال ابن اسحاق حدثني عثمان بن محمد بن عثمان بن الاخمس بن
 شريق قال اخذت من آل عمر بن الخطاب هذا الكتاب كان مقروناً
 بكتاب الصدقة الذي كتب عمر للعمال كتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا
 كتاب من محمد النبي بين المسلمين والمؤمنين من قريش ويثرب ومن
 تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحدة دون الناس المهاجرون من
 قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى يفدون عانيهم بالمعروف

والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتماقلون معاقبهم الا ولى
 وكل طائفة يغدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ثم ذكر بطون
 الانصار بنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى النجار وبنى عمرو بن
 عوف وبنى الاوس وبنى النبيت مثل هذا الشرط ثم قال وان المؤمنين
 لا يتركون مفرحاً منهم ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ولا يحالف مؤمن
 مولى مؤمن من دونه الى ان قال وان ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم
 فان المؤمنين بعضهم مولى بعض دون الناس وانه من ثبنا من يهود فان
 الله النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وان سلم المؤمنين واحدة
 الى ان قال وان اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وان لليهود
 بنى عوف ذمة من المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم
 الامن ظلم واثم فانه لا يوقع الانفسه واهل بيته وان لليهود بنى النجار مثل
 ما لليهود بنى عوف وان لليهود بنى الحارث مثل ما لليهود بنى عوف وان
 لليهود بنى ساعدة مثل ما لليهود بنى عوف وان لليهود بنى جشم مثل
 ما لليهود بنى عوف وان لليهود بنى الاوس مثل ما لليهود بنى عوف وان
 لليهود ثعلبة مثل ما لليهود بنى عوف الامن ظلم واثم فانه لا يوقع الانفسه
 واهل بيته وان لحقه بطن من ثعلبة مثله وان ابني الشطبة مثل ما لليهود بنى
 عوف وان موالي ثعلبة كالنفسهم وان بطانة يهود كالنفسهم ثم يقول فيها وان
 الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه ما كان بين اهل هذه الضعيفة من
 حرث او اشجار يخشى فساد فانه مرده الى الله والى محمد صلى الله عليه

وسلم وان يهود الاوس ومواليهم وانفسهم على مثل ما في هذه الصحيفة مع
البار المحسن من اهل هذه الصحيفة وفيها اشياء اخرى وهذه الصحيفة معروفة
عند اهل العلم روى مسلم في صحيحه عن جابر قال كتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على كل بطن عقوله ثم كتب انه لا يخل ان يتوالى رجل مسلم
بغير اذنه وقد بين فيها ان كل من تبع المسلمين من اليهود فان له النصر ومعنى
الاتباع مسالته وترك محاربتة لا الاتباع في الدين كما بينه في اثناء الصحيفة فكل
من اقام بالمدينة ومخلفيها غير محارب من يهود دخل في هذا ثم بين ان لليهود
كل بطن من الانصار ذمة من المؤمنين ولم يكن بالمدينة احد من اليهود الا وله
حلف امام الاوس او مع بعض بطون الخزرج وكان بنو قينقاع وهم المجاورون
بالمدينة وهم رهط عبد الله بن سلام حلفاء بني عوف بن الخزرج رهط بن
ابجرهم البطن الذين بدى بهم في هذه الصحيفة قال ابن اسحاق حدثني
عاصد بن عمر بن قتادة ان بني قينقاع كانوا اول يهود تقضوا ما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدروا احدهم فحاصرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام عبد الله بن ابي
ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امكنه الله منهم فقلل يا محمد
احسن في موالي فاعرض عنه فادخل يده في جيب درع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني و غضب
حتى ان اوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ظللا لا و قلل و يحك ارسلني
فقال و انه لا ارسلك حتى تحسن في موالي اربع مائة حاسره ثلاثمائة دارع

قد منعوني من الاحمر والاسود تحصد هم في غداة واحدة اني والله
لامرؤ واخشي الدوائر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك واما
النضير وقرينة فكانوا خارجا من المدينة وعهد هم مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهر من ان يخفى على عالم وهذه المقتولة والله اعلم كانت من
فينقاع لان ظاهر القصة انها كانت بالمدينة وسواء كانت منهم او من غيرهم
فانها كانت ذمية لانه لم يكن بالمدينة من اليهود الا ذمي فان اليهود
كانوا ثلاثة اصناف وكلهم معاهد . وقال الواقدي حدثني عبد الله بن
جعفر عن الحارث بن الفضيل عن محمد بن كعب القرظي قال لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وادعته يهود كلها فكتب بينه
وبينها كتابا والحق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قوم بحلفاءهم وجعل
بينه وبينهم امانا وشرط عليهم شروطا فكان فيما شرط ان لا يظاهروا عليه
عدوا فلما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحاب بدو قد م المدينة
بغت يهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العهد فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فجمعهم ثم قال يا معشر
يهود اسلموا فوالله انكم لتعلمون اني رسول الله قبل ان يوقع الله بكم مثل وقعة
قريش فقالوا يا محمد لا يغرنك من لقيت انك لقيت اقواما غمارا وانا والله اصحاب
الحرب ولئن قائلتنا لتعلمن انك لم تقايل مثلنا ثم ذكر حصارهم واجلاءهم
الى اذرعاء وهم بنو قينقاع الذين كانوا بالمدينة فقد ذكر ابن كعب
مثل ما في الصحيفة وبين انه عاهد جميع اليهود وهذا مما لا نعلم فيه ترددا

بين اهل العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومن تأمل الاحاديث الماثورة
والسيرة كيف كانت معهم علم ذلك ضرورة وانما ذكرنا هذا لان
بعض المصنفين في الخلاف قال يحتمل ان هذه المرأة ما كانت ذميمة
وقائل هذا ممن ليس له بالسنة كثير علم وانما يعلم منها في الغالب ما يعلمه
العامة ثم انه ابطال هذا الاحتمال فقال لو لم تكن ذميمة لم يكن للاهدار معنى
فاذا نقل السب والاهدار تعلق به كتعلق الرجم بالزنا والقطع بالسرقة
وهذا صحيح وذلك ان في نفس الحديث ما يبين انها كانت ذميمة من
وجهين • احدهما • انه قال ان يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم
فخنقها رجل فابطل دمه فرتب علي رضي الله عنه ابطال الدم على الشتم
بحرف الفاء فعلم انه هو الموجب لا بطلان دمه لان تعاقب الحكم بالوصف
المناسب بحرف الفاء يدل على العلية وان كان ذلك في لفظ الصحابي كما
لو قال زنا ما عزر فرجم ونحو ذلك اذ لا فرق فيما يرويه الصحابي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من امر ونهي وحكم وتعليل في الاحتجاج به بين ان
يحمي لفظ النبي صلى الله عليه وسلم او يحمي بلفظ معنى النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا او نهانا عن كذا او حكم
بكذا او فعل كذا الاجل كذا كان حجة لانه لا يقدم على ذلك الا بعد ان
يظهر انه لا يجوز له معه ان ينقله وتطرق الخطاء الى مثل ذلك لا يلتفت
اليه كمطرق النسيان والسهو في الرواية وهذا يقرر في موضعه
وما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر له انها قتلت نشد الناس

في امرها فلما ذكر له ذنبها ابطال دماؤها وهو صلى الله عليه وسلم اذا حكم
 بامر عقب حكاية حكيت له دل ذلك على ان ذلك المحكي هو الموجب
 لذلك الحكم لانه حكم حادث فلا بد له من سبب حادث ولا سبب
 الا ما حكى له وهو مناسب فتجب الاضافة اليه • الوجه الثاني • ان نشد
 النبي صلى الله عليه وسلم الناس في امرها ثم ابطال دماها دليل على انها كانت
 معصومة وان دماها كان قد انعقد سبب ضمانه وكان مضمونا لو لم يطله
 النبي صلى الله عليه وسلم لانها لو كانت حرة لم ينشد الناس فيها ولم يمنع
 ان يطل دماها ويهدره لان الابطال والاهداء لا يكون الا له • قد انعقد له
 سبب الضمان الا ترى انه لما رأى امرأة مقتولة في بعض مغازيه انكر قتلها
 ونهى عن قتل النساء ولم يطله ولم يهدره فانه اذا كان في نفسه باطلا
 هداوا المسلمون يعلمون ان دم الحرية غير مضمون بل هو هدر لم يكن
 لابطاله واهدائه وجه وهذا والله الحمد ظاهر فاذا كان صلى الله عليه وسلم
 قد عاهد المعاهد بن اليهود عهدا بغير ضرب جزية عليهم ثم انه اهدر دم
 يهودية منهم لاجل سب النبي صلى الله عليه وسلم فان يهدر دم يهودية من
 اليهود الذين ضربت عليهم الجزية والزموا الاحكام الملة لاجل ذلك اولى
 واخرى ولو لم يكن قتلها جائزا بين الرجل فبح ما فعل فانه قد قال صلى الله عليه
 وسلم من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ولا وجب ضمانها والكفارة
 كفارة قتل المعصوم فلما اهدر دماها علم انه كان مباحا • الحديث الثاني •
 ما روى اسمعيل بن جعفر عن اسرا ئيل عن عثمان الشحام عن عكرمة عن

قصة اعمى الذي قتل ام ولد له كان تشتم النبي صلى الله عليه وسلم

ابن عباس رضى الله عنها ان اعمى كانت له ام ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فيها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم ونشتمه فاخذ المغول فوضعه في بطنها وانكأ عليها فقتلها فلما اصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال اشدر رجلا فعل ما فعل لي عليه حتى الاقام قال فقام الاعمى يتخطى الناس وهو يتدلل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فانها فلا تنتهي وازجرها فلا تنزجر ولى منها ابنان مثل اللؤلؤين وكانت بي رفيقة فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فاخذت المغول فوضعتها في بطنها وانكأت عليه حتى قتلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تشهدوا ان دما هدر ررواه ابوداود والنساي والمغول بالتعين المعجمة قال الخطابي شبيه المشمل نضله دقيق ماض وكذلك قال غيره هو سيف دقيق له قفا يكون غمده كالسيوط والمشمل السيف القصير مسمى بذلك لانه يشتمل عليه الرجل اى يغطيه بثوبه واشتقاق المغول من غاله الشئ واغتاله اذا اخذه من حيث لم يدره وهذا الحديث مما استدل به الامام احمد وفي رواية عبد الله قال ثنا روح ثنا عثمان الشامى ثنا عكرمة مولى ابن عباس ان رجلا اعمى كانت له ام ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم فقتلها فساله عنها فقال يا رسول الله انها كانت تشتمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان دم فلا تهدر فهذه القصة يمكن ان تكون هي الاولى ويدل عليه كلام الامام احمد لانه قيل له في رواية عبد الله في

قتل الذي اذا سب احاديث قال نعم منها حديث الاعمى الذي قتل
 المرأة قال سمعها تشتم النبي صلى الله عليه وسلم ثم روى عنه عبد الله كلا
 الحديثين ويكون قد خنقها وبعج بطنها بالمغول او يكون كيفية القتل غير
 محفوظ في احدي الروايتين ويؤيد ذلك ابن وقوع قصتين مثل هذه
 لاعميين كل منهما كانت المرأة تحسن اليه وتكرار الشتم وكلاهما قتلها وحده
 وكلاهما نشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الناس بعيد في العادة وعلى
 هذا التقدير فالمقتولة يهودية كما جاء مفسرا في تلك الرواية وهذا قول
 القاضي ابي يعلى وغيره استدلوا بهذا الحديث على قتل الذي ونقضه
 العهد وجعلوا الحديثين حكاية واقعة واحدة ويمكن ان تكون هذه القصة
 غير تلك قال الخطابي فيه بيان ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل
 وذلك ان السب منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتداد عن الدين
 وهذا دليل على انه اعتقد انها مسلمة وليس في الحديث دليل على ذلك
 بل المظاهر انها كانت كافرة وكان العهد لها بملك المسلم اياها فان رقيق المسلمين
 ممن يجوز استرقاقه لم يحكم اهل الذمة وهم اشد في ذلك من المعاهد بين
 او يتزوج المسلم بها فان ازواج المسلمين من اهل الكتاب لم يحكم اهل
 الذمة في العصمة لان مثل هذا السب الدائم لا يفعله مسلم الا عن ردة
 واختيار دين غير الاسلام ولو كانت مرتدة منتقلة الى غير الاسلام
 لم يقرها سيدا على ذلك ايا ما طويلة ولم يكنف بمجرد نهيبها عن السب
 بل يطلب منها تجديد الاسلام لاسيما ان كان يطوها فان وطى المرتدة

لا يجوز والاصل عدم تغير حالها وانها كانت باقية على دينها ومع ذلك ان
الرجل لم ينقل كفرة ولا ارتدت وانما ذكر مجرد السب والشتم فعلم انه لم يصد منها
قدر زائد على السب والشتم من انتقال من دين الى دين او نحو ذلك وهذه
المرأة اما ان تكون زوجة لهذا الرجل او مملوكة له وعلى التقديرين
فلم يملك قتلها جازا لبيّن النبي صلى الله عليه وسلم له ان قتلها كان محرما وان
دمها كان معصوما ولا وجب عليه الكفارة بقتل المعصوم والدية ان
لم تكن مملوكة له فلما قال اشهد وان دمها هدر والهدر الذي لا يضمن بقود
ولادية ولا كفارة علم انه كان مباحا مع كونها ذمية فعلم ان السب اباح
دمها لاسيما والنبي صلى الله عليه وسلم انما هدر دمها عقب اخباره بانها قتلت
لاجل السب فعلم انه الموجب لذلك والقصة ظاهرة الدلالة في ذلك *
الحديث الثالث ما احتج به الشافعي على ان الله مبيح قتل وبراءة
منه الذمة وهو قصة كعب بن الاشرف اليهودي قال الخطابي قال الشافعي
يقتل الله مبيح اذا سب النبي صلى الله عليه وسلم وتبرأ منه الذمة واحتج في ذلك
بخبر ابن الاشرف وقال الشافعي في (الام) لم يكن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
ولا قربه مشرك من اهل الكتاب الا يهود اهل المدينة وكانوا حلفاء الانصار
ولم تكن الانصار اجمت اول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلا ما
فوادعت يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخرج الى شيء من عداوته
بقول يظهر ولا فعل حتى كانت وقعة بدر فتكلم بعضها بعد اوتاه والتحريض
عليه فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومعلوم انه انما اراد بهذا

الكلام كعب بن الاشرف والقصة مشهورة مستفيضة وقد رواها عمرو
ابن دينار عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال انا
يارسول الله اتحب ان اقتله قال نعم قال فاذن لي ان اقول شيئا قال قل قال فاتاه
وذكره ما بينهم قال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وعنا فلما سمعه قال
واميضاً والله لتملنه قال انا قد تبعناه الآن ونكره ان ندعه حتى ننظر الى اي
شي بصير امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفاً قال فماترهنوني نساء كم قال
انت اجمل العرب ان رهنك نساء نا قال ترهنوني اولاد كم قال يسب ابن احدنا
فيقال رهنك في وسقين من تمر ولكن رهنك الملا مة يعني السلاح قال نعم
وواعد ان ياتيه بالحرب واتي عبس بن حبر وعباد بن بشر فجاء وافدعوه
ابلا فنزل اليهم قال سفيان قال غير عمرو قالت له امراته اني لا سمع صوتاً كانه
صوت دم قال انما هذا محمد ورضيعه ابو نائلة ان الكريم لودعي الى طعنة لبلا
لا جاب قال محمد اني اذا جاء فسوف امد يدي الى راسه فاذا استمكن
منه فدوكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح قالوا انجد منك ربح الطبيب قال نعم
تحتي فلانة اعطرت نساء العرب قال افتاذن لي ان اشم منه قال نعم فشم
ثم قال انا اذن لي ان اعود قال فاستمكن منه ثم قال دوكم فقتلوه متفق عليه
وروى ابن ابي اويس عن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن مسلمة عن ابيه عن جابر
ابن عبد الله ان كعب بن الاشرف عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لا يعين عليه ولا يقاتله ولحق بمكة ثم قدم المدينة معلناً لمعاداة النبي صلى الله

عليه وسلم فكان أول ما جزع خزع عنه قوله •

إذا هب أنت لم تحلل يرفثة • وتارك أنت أم الفضل بالحرم

في آيات يهجو بهاء فعد ذلك كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتله وهذا محفوظ عن ابن أبي أويس رواه الخطابي وغيره وقال قوله خزع معناه قطع عهده وفي رواية غير الخطابي فجزع منه هجاؤه له فامر بقتله والخزع القطع يقال خزع فلان عن أصحابه بخزع خزع عاى انقطع وتختلف ومنه سميت خزاعة لانهم انخرعوا عن أصحابهم واقاموا بمكة فلي اللفظ الأول يكون التقدير ان قوله هذا هو أول خزعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أي أول غضاضة عنه بنقض العهد وعلى الثاني قبل معناه قطع هجاء للنبي صلى الله عليه وسلم منه بمعنى انه نقض عهده وذمته وقيل معناه خزع من النبي صلى الله عليه وسلم هجاء أي نال منه وشعث منه ووضع منه وذكر أهل المغازي والتفسير مثل محمد بن اسحاق ان كعب بن الأشرف كان مواد عا للنبي صلى الله عليه وسلم في جملة من وادعه من يهود المدينة وكان عرياً من بني طي وكانت أمه من بني النضير قالوا فلما قتل أهل بد رشق ذلك عليه وذهب إلى مكة ورثاهم لقریش وفضل دين الجاهلية على دين الاسلام حتى انزل الله فيه • ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً • ثم لما رجع إلى المدينة اخذ يشد الاشعار يهجو بهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وشبب بنساء المسلمين حتى اذا هم حتى قال النبي صلى الله

عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه آذى الله ورسوله وذكر قصة قتله
 مبسوطه * وقال الواقدي حدثني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان
 ومعمري عن الزهري عن ابن كعب بن مالك و ابراهيم بن جعفر عن ابيه
 عن جابر وذكر القصة الى قتله قال ففرغت يهود ومن معها من المشركين
 فجاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم حين اصبحوا فقال قد طرق صاحبنا الليلة
 وهو سيد من ساداتنا قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ولكنه
 نال منا الاذى وهجانا بالشعر ولم يفعل هذا احد منكم الا كان للسيف ود عام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يكتب بينهم كتابا يتهدون الى ما فيه
 فكتبوا بينهم وبينه كتابا تحت العذق في دار رملة بنت الحارث فخذرت
 يهود وخافت وذلت من يوم قتل ابن الاشرف والاستدلال بقتل كعب
 ابن الاشرف من وجهين * احدهما * انه كان معاهدا امهات نلوا هذا الخلاف
 فيه بين اهل العلم بالمغازي والسير وهو عند هم من العلم العام الذي يستغنى
 فيه عن نقل الخاصة ومما لا ريب فيه عند اهل العلم ما قد مناه من ان
 النبي صلى الله عليه وسلم عاهد لما قدم المدينة جميع اصناف اليهود بني قينقاع
 والنضير وقريظة ثم نقضت بنو قينقاع عهد * فخاربهم ثم نقض عهد * كعب
 ابن الاشرف ثم نقض عهد * بنو النضير ثم بنو قريظة وكان ابن الاشرف
 من بني النضير وامرهم ظاهري في انهم كانوا اصحابا للنبي صلى الله عليه وسلم
 وانما نقضوا العهد لما خرج اليهم يستعينهم في دية الرجلين الذين قتلها عمرو بن

امية الضمري وكان ذلك بعد مقتل كعب بن الاشرف وقد ذكرنا الرواية
الخاصة ان كعب بن الاشرف كان معاهداً للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ان
النبي صلى الله عليه وسلم جعله ناقضاً للعهد بهجائه واذاه بلسانه خاصة * والدليل
على انه انما نقض العهد بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لكعب بن
الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فعلى نذب الناس له باذاه والاذى
المطلق هو باللسان كما قال تعالى ولتسمعن من الله من اي انوار الكتاب من قبلكم
ومن الله ين اشركوا اذى كثيراً * وقال تعالى لن يضروكم الا اذى * وقال
ومنهم الذ ين يؤذون النبي * ويقولون هو اذن * وقال ولا تكونوا كالد ين
آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية * وقال ولا مستانسين لحديث ان ذلكم
كان يوم ذى النبي الى قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدأ الآية ثم ذكر الصلاة عليه والتسليم خبرا وامرا
وذلك من اعمال اللسان ثم قال ان الذين يؤذون الله ورسوله الى قوله والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه
تبارك وتعالى يؤذنى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر وهذا كثير وقد
تقدم ان الاذى اسم لقليل الشر وخفيف المكروه بخلاف الضر فذلك
اطلق على القول لانه لا يضرب المؤذى في الحقيقة * وايضا فانه جعل مطلق
اذى الله تعالى ورسوله موجبا لقتل رجل معاهدا ومعلوم ان سب الله
وسب رسوله اذى لله ولرسوله واذا رتب الوصف على الحكم بحرف
الفاء دل على ان ذلك الوصف علة لذلك الحكم لاسيما اذا كان مناسبا وذلك

في اذ ارتب الوصف على الحكم بالفاء دل على العلية

الحكم الحادث بضاف الى السبب الحادث * والواقدي اعلم الناس بتفاصيل المغازي

يدل على ان اذى الله ورسوله حلة لندب المسلمين الى قتل من يفعل ذلك من المعاهدين وهذا دليل ظاهر على انتقاض عهد • باذى الله ورسوله والسب من اذى الله ورسوله باتفاق المسلمين بل هو اخص انواع الاذى • وايضاً فقد منافي حديث جابر ان اول ما نقض به العهد قصيدته التي انشأها بعد رجوعه الى المدينة يهجو بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما هجاء بهذه القصيدة ندب الى قتله وهذا وحده دليل على انه انما نقض العهد بالهجاء لا بذهابه الى مكة • وما ذكره الواقدي عن اشياخه يوضح ذلك ويومئده وان كان الواقدي لا يحتج به اذ انفرد لكن لا ريب في علمه بالمغازي واستعلام كثير من تفاصيلها من جهته ولم تذكر عنه الا ما اسندناه عن غيره فقوله لو تتركما قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ولكنه نال منا الاذى وهجاءنا بالشعر ولم يفعل هذا احد منكم الا كان السيف نص في انه انما انتقض عهد ابن الاشرف بالهجاء ونحوه وان من فعل هذا من المعاهدين فقد استحق السيف وحديث جابر المستند من الطريقين يوافق هذا وعليه العمدة في الاحتجاج • وايضافه لما ذهب الى مكة ورجع الى المدينة لم يندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين الى قتله فلما بلغه عنه الهجاء نديهم الى قتله والحكم الحادث يضاف الى السبب الحادث فعلم ان ذلك الهجاء والاذى الذي كان بعد قفوله من مكة موجب لنقض عهده ولقتاله واذا كان هذا في المهادن الذي لا يؤدي جزية فما الظن بالذي يعطى الجزية ويلتزم احكام الملة • فان قيل • ان

ابن الاشرف كان قد اتى بغير السب والهجاء فروى الامام احمد قال ثنا محمد بن ابي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب ابن الاشرف مكة قالت قريش الاترى الى هذا الصنبر المنتبر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل الحجيج واهل السداة واهل السقاية قال انتم خير قال فنزلت فيهم ان شائتكم هو الا بتره قال وانزلات فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً الى قوله نصبراه وقال ثنا عبد الرزاق قال قال عمر اخبرني ايوب عن عكرمة ان كعب بن الاشرف انطلق الى المشركين من كفار قريش فاستجاشهم على النبي صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يغزوه وقال لهم انا معكم فقالوا انكم اهل كتاب وهو صاحب كتاب ولا نؤمن ان يكون مكرامكم فان اردت ان نخرج معك فامجد لهدى الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قالوا له نحن اهدى ام محمد نحن نصل الرحم ونقرى الضيف ونطوف بالبيت ونحرم الكوماء ونسقى اللبن على الماء ومحمد قطع رحمه وخرج من بلده قال بل انتم خير واهدى قال فنزلت فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً وقال ثنا عبد الرزاق ثنا اسرايل عن السدي عن ابي مالك قال ان اهل مكة قالوا لكعب بن الاشرف لما قدم عليهم دينا خيرا من دين محمد قال اعرضوا علي دينكم قالوا نعم ريت ربنا ونحرم الكوماء ونسقى الحاج الماء

و نصل الرحم و تقرى الضيف قال د ينكم خير من د ين محمد فانزل الله تعالى
 هذه الآية • قال موسى بن عقبة عن الزهري كان كعب بن الاشرف
 اليهودي و هو احد بني النضير او هو فيهم قد آذى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بالهجاء و ركب الى قريش فقدم عليهم فاستعان بهم على رسول الله
 فقال ابوسفيان انا شديك اذ يتناحب الى الله ام دين محمد واصحابه و اينا
 اهدى في رأيك و اقرب الى الحق فانا نطعم الجزور الكوماء و نسقى
 اللبن على الماء و نطعم ماهبت الشمال قال ابن الاشرف انتم اهدى منهم
 سيلا ثم خرج مقبلا حتى اجمع رأيي المشركين على قتال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم معلنا بعد اوة رسول الله صلى الله عليه وسلم و بهجائه
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا من ابن الاشرف قد استعلن
 بعد او تناو هجائنا و قد خرج الى قريش فاجمعهم على قتالنا و قد اخبرني الله
 بذلك ثم قدم على اخبث ما كان ينتظر قريشا ان تقدم فيقاتلنا معهم ثم قرأ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين ما انزل فيه ان كان لك و انة
 اعلم قال الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله
 سيلا و آيات معها فيه وفي قريش • و ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت فقال له محمد بن مسلمة
 انا يا رسول الله اقله و ذكر القصة في قتله الى آخرها ثم قال فقتل الله ابن
 الاشرف بعد اوته لله و رسوله و هجائه اياه و تاليه عليه قريشا و اعلانه
 بذلك • و قال محمد بن اسحاق كان من حديث كعب بن الاشرف

انه لماصيب اصحاب بد و قد مز يد بن حارثة الى اهل السافلة و عبد الله
ابن رواحة الى اهل العالية بشيرين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله تعالى عليه و قتل من قتل من المشركين
كما حدثني عبد الله بن المغيث بن ابي بردة الظفري و عبد الله بن
ابي بكر و عاصم بن عمر بن قتادة و صالح بن ابي امامة بن سهل كل واحد
قد حدثني بعض حديثه قالوا كان كعب بن الاشرف من طيء ثم احديني
نهبان و كانت امه من بني النضير فقال حين بلغه الحق هذا الذي يروون ان
محمد اقبل هؤلاء الذين سمي هذا ان الرجلان يعني زيدا و عبد الله بن
رواحه فهؤلاء اشراف العرب و ملوك الناس و الله لئن كان محمد اصاب
هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما اتقن عد و الله الخبر خرج
حتى قدم مكة و نزل على المطلب بن ابي وداعة السهمي و عنده عاتكة
بنت ابي العيص بن امية فانزلته و اكرمه و جعل يخرض على رسول الله
صلى الله عليه وسلم و ينشد الاشعار و يبكي اصحاب القلب من قريش الذين
اصبوا يد و ذكروا ما رد عليه حسان و غيره ثم رجع كعب بن
الاشرف الى المدينة بشبب بنساء المسلمين حتى اذ هم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما حدثني عبد الله بن ابي المغيث من لي باين الاشرف فقال محمد
ابن مسلمة انالك به يا رسول الله انا اقبله و ذكر القصة • و قال الواقدي
حدثني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان و معمر عن الزهري عن ابن
كعب بن مالك و ابراهيم بن جعفر عن ابيه عن جابر بن عبد الله فكل قد

حد ثني منه بطائفة فكان الذي اجتمعوا عليه قالوا ابن الاشرف كان
شاعرا وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويمرض عليهم كفار
قريش في شعره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها
اخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة الاسلام فيهم اهل الحلقة والحصون
ومنهم حلفاء للبحرين جميعا الا ومن والخزرج فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم ومواد عنهم وكان الرجل يكون مسلما وابوه
مشركا فكان المشركون واليهود من اهل المدينة يؤذون رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه اذى شديدا فامر الله نبيه والمسلمين بالصبر على ذلك
والعفو عنهم وفيهم انزل وتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركو اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من
عزم الامور وفيهم انزل الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب الآية فلما ابى ابن
الاشرف ان يمسك عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم واىذاء المسلمين
وقد بلغ منهم فلما قدم زهد بن حارثة بالبشارة من بد ربقتل المشركين
واسر من اسر منهم فرأى الاسرى مقرنين كبت وذل ثم قال لقومه ويلكم
والله لبطن الارض خير لكم من ظهرها اليوم هو لاء سراة الناس
قد قتلوا واسروا فما عندكم قالوا عداوته ما حيننا قال وما انتم وقد وطى
قومه واصابهم ولكنى اخرج الى قريش فاحضها وابكى قتلها لعلهم ينتدبون
فاخرجهم فخرج حتى قدم مكة ووضع رحله عند ابي وداعة ابن ابي
صبرة السهمي وتحت عاتكة بنت اسد بن ابي العيص فجعل يرثي قريشا وذكر

مارثاهم به من الشعرو ما اجابه به حسان فاخبره بنزول كعب على من
 نزل فقال حسان فذكر شعرا هجاء به اهل البيت الذين نزل فيهم قال فلما
 بلغها هجاءه نبذت رحله وقالت مالنا ولهذا اليهودى الا ترى ما يصنع بنا
 حسان فتحول فكلما تحول عند قوم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حسانا فقال ابن الاشرف نزل على فلان فلا يزال يهجوهم حتى ينبذ رحله
 فلما لم يجد ماوى قدم المدينة فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قدوم ابن الاشرف
 قال اللهم اكفنى ابن الاشرف بم شئت فى اعلا نه الشرو قوله الاشعار
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لى من ابن الاشرف فقد آذاني
 فقال محمد بن مسلمة انا به يا رسول الله وانا قتله قال فافعل و ذكر الحديث فقد
 اجتمع لا بن الاشرف ذنوب انه رثى قتلى قريش وحضهم على محاربة
 النبي صلى الله عليه وسلم واطا هم على ذلك واعانهم على محاربته باخباره
 ان د بينهم خير من دينه وهما النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين . قلنا .
 الجواب من وجوه . احدها . ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يندب الى قتله
 لكونه ذهب الى مكة وقال ما قال هناك وانما ندب الى قتله لما قدم وهجاء
 كما جاء ذلك مفسرا فى حديث جابر المتقدم بقوله ثم قدم المدينة معلنا
 لعداوة النبي صلى الله عليه وسلم ثم بين ان اول ما قطع به العهد تلك الايات
 التى قالها بعد الرجوع وان النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ ندب الى قتله
 وكذا لك فى حديث موسى بن عقبة من لثامن ابن الاشرف فانه قد استعلن
 بعد او تناو هجاءنا ويؤيد ذلك شيان . احدهما . ان سفيان بن عيينة روى عن

عمرو بن دينار عن عكرمة قال جاء حبي بن اخطب و كعب بن الاشرف الى اهل مكة فقالوا انتم اهل الكتاب و اهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد فقالوا اما انتم و ما محمد فقالوا نحن نصل الارحام و نحر الكوماه و نسقي الماء على اللبن و تفك العناة و نسقي الحبيج و محمد صنبر و قطع ارحا منا و اتبعه مراق الحبيج بنو غفار ف نحن خير ام هو فقالوا بل انتم خير و اهدى سبيلا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين او تواتسبوا من الكتاب الى قوله اولائك الذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيرا . و كذلك قال قتادة ذكرنا ان هذه الآية نزلت في كعب بن الاشرف و حبي بن اخطب رجلين من اليهود من بنى النضير لقيام قريش في الموسم فقال لهما المشركون نحن اهدى ام محمد و اصحابه فانا اهل السدانة و اهل السقاية و اهل الحرم فقالا انتم اهدى من محمد و اصحابه و هما يعلمان انها كاذبان انما حملها على ذلك حسد محمد و اصحابه فانزل الله تعالى فيهم اولئك الذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيرا . فلما رجعا الى قومها قال لهما قومها ان محمد ايزعم انه قد نزل فيكما كذا و كذا قالوا صدق و الله ما حملنا على ذلك الا حسده و بغضه و هذا ان مرسلان من وجهين مختلفين فيها ان كلا الرجلين ذهابا الى مكة و قالوا ما قالوا ثم انها قد ما فندب النبي صلى الله عليه وسلم الى قتل ابن الاشرف و امسك عن ابن اخطب حتى تقض بنو النضير العهد فاجلهم النبي صلى الله عليه وسلم فلحق بخيبر ثم جمع عليه الاحزاب فلما انهزموا دخل مع بني قريظة حصنهم حتى قتله الله معهم فعلم ان الامر الذي اتياه بمكة لم يكن هو الموجب

للندب الى قتل ابن الاشرف و انما هو ما اختص به ابن الاشرف من الهجاء ونحوه وان كان ما فعله بمكة مؤيدا عاصدا لكن مجرد الاذى لله ورسوله موجب للندب الى قتله كما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله وكما بينه جابر في حديثه الوجه الثاني ان ابي اويس قال حدثني ابراهيم بن جعفر الحارثي عن ابيه عن جابر قال لما كان من امر النبي صلى الله عليه وسلم وبنى قريظة كذا فيه واحسبه بنى قينقاع اعتزل كعب بن الاشرف ولحق بمكة وكان منها وقال ولا عين عليه ولا اقاتله فقبل له بمكة اذ يتناخير ام دين محمد واصحابه قال دينكم خير واقد من دين محمد ودين محمد حديث فهذا دليل على انه لم يظهر محاربته الجواب الثاني ان جميع ما اتاه ابن الاشرف انما هو اذى باللسان فان مرثيته لقتلى المشركين وتحضيضه ومسه وهجاء وطعنه في دين الاسلام وتفضيل دين الكفار عليه كله قول باللسان ولم يعمل عملا فيه محاربة ومن نازعنا في سب النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه فهو في تفضيل دين الكفار وحضهم باللسان على قتل المسلمين اشد منازعة لان الذمي اذا تجسس لاهل الحرب واخبرهم بعورات المسلمين ودعا الكفار الى قتالهم انتقض عهده ايضا عندنا كما ينتقض عهد الساب ومن قال ان الساب لا ينتقض عهده فانه يقول لا ينتقض العهد بالتجسس للكفار ومطالعتهم باخبار المسلمين بطريق الاولى عندهم وهو مذهب ابي حنيفة والثوري والشافعي على خلاف بين اصحابه وابن الاشرف لم يوجد منه الا الاذى باللسان فقط فهو حجة على من نازع في هذه المسائل ونحن نقول ان ذلك كله نقض للعهد الجواب الثالث ان تفضيل

دين الكفار على دين المسلمين هو دون سب النبي صلى الله عليه وسلم بلا ريب
 فان كون الشيء مفضولاً احسن حالاً من كونه مسبواً مشتوماً فان كان ذلك
 ناقضاً للعهد فالسب بطريق الاولى واما ميراثه للقتلى وحضهم على اخذ ثأرهم
 فاكثر ما فيه تهيج قريش على المحاربة وقريش كانوا قد اجمعوا على محاربة النبي
 صلى الله عليه وسلم عقب بدر وارصدوا العير التي كان فيها ابوسفيان للنفقة على
 حربه فلم يحتاجوا في ذلك الى كلام ابن الاشرف نعم ميراثه وتفضيله بما زادهم
 غيظاً ومحاربة لكن سبه للنبي صلى الله عليه وسلم وهجاؤه له ولد بنه ايضاً
 مما يهيجهم على المحاربة ويغريهم به فعلم ان الهجاء فيه من الفساد ما في غيره
 من الكلام وابلغ فاذا كان غيره من الكلام نقضاً فهو ان يكون نقضاً اولي
 ولهذا قتل النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من النسوة اللواتي كن يشتمنه ويهجونه
 مع عفوهم عن كانت ثمين عليه وتحض على قتاله الجواب الرابع ان ما ذكره
 حجة لنا من وجوه آخر وذلك انه قد اشتهر عند اهل العلم من وجوه كثيرة
 ان قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب نزلت في كعب بن الاشرف
 بما قاله لقريش وقد اخبر الله سبحانه انه لعنه وان من لعنه فلن تجد له نصيراً
 وذلك دليل على انه لا عهد له لانه لو كان له عهد لكان يجب نصره على المسلمين
 فعلم ان مثل هذا الكلام يوجب انتقاض عهده وعدم ناصره فكيف
 بما هو اغلظ منه من شتم وسب وانما لم يجعله النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم
 بمجرد ذلك ناقضاً للعهد لانه لم يعلن بهذا الكلام ولم يجهر به وانما اعلم الله
 به رسوله وحياً كما تقدم في الاحاديث ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم

لياخذ احد امن المسلمين و المعاهد بين الابد نب ظاهر فلما رجع الى المدينة
 و اعلن الهجاء و العداوة استحق ان يقتل لظهور اذاه و ثبوته عند الناس نعم
 من خيف منه الحياة فانه ينبذ اليه العهد اما اجراء حكم المحاربة عليه فلا يكون
 حتى يظهر المحاربة و يثبت عليه . فان قيل . كعب بن الاشرف سب النبي صلى الله
 عليه وسلم بالهجاء و الشعر كلام موزون يحفظ و يروى وينشد بالاصوات و الالحان
 و يشتهر بين الناس و ذلك له من التأثير في الاذى و الصدع عن سبيل الله ما ليس للكلام
 المنشور و لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم بامر حسان ان يهجوهم و يقول له و انكى
 فيهم من النبل فيؤثر هجاء . فيهم اثر أعظم لا يمتنعون به من اشياء لا يمتنعون عنها
 لو سبوا بكلام منشور اضعاف الشعر و ايضا فان كعب بن الاشرف و ام الولد
 المتقدمة تكرر منها سب النبي صلى الله عليه وسلم و اذاه و كثر و الشيء . اذا كثر
 و استمر صار له حال اخرى ليست له اذا انفرد و قد حكيت ان الحنفية يجيزون
 قتل من كثر منه مثل هذه الجريمة و ان لم يجيزوا قتل من لم ينكر منه فاذا
 ما دل عليه الحديث يمكن المخالف ان يقول به . قلنا او لا . ان هذا يفيدنا
 ان السب في الجملة من الذمي مهد رلد مه ناقض لعهد . و يبقى الكلام
 في الناقض للعهد هل هو نوع خاص من السب و هو ما كثر او غلظ او مطلق
 السب هذا نظر آخر فما كان مثل هذا السب و جب ان يقال انه مهد رلد
 الذمي حتى لا يسوغ لاحد ان يخالف نص السنة فلوزعم زاعم ان
 شيئا من كلام الذمي و اذاه لا يبيح دمه كان مخالفا للسنة الصحيحة الصريحة خلافا
 لا عذر فيه لاحد . و قلنا ثانيا . لا ريب ان الجنس الموجب للعقوبة قد يتغلظ

بعض انواعه صفة او قدرا او صفة وقدرة لانه ليس قتل واحد من الناس مثل
قتل والد او ولد عالم صالح ولا ظلم بعض الناس مثل ظلم يتيم فقير بين ابوين
صالحين وليست الجناية في الاوقات والاماكن والاحوال المشرفة كالحرم
والاحرام والشهر الحرام كالجناية في غير ذلك وكذا لك مضت سنة الخلفاء
الراشد بن بتغليظ الديات اذا تغلظ القتل باحد هذه الاسباب وقال
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل له اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله
ندا وهو خلقك قبل له ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قبلي له
ثم اي قال ثم ان تزاني حليلة جارك ولا شك ان من قطع الطريق مرات متعددة
وسفك دماء خلق من المسلمين وكثر منه اخذ الاموال كان جرمه اعظم
من جرم من لم يقطعه الامرة واحدة ولا ريب ان من اكثر من سب
النبي صلى الله عليه وسلم او نظم القصائد في سبه فان جرمه اغاظ من جرم
من سبه بالكلمة الواحدة المنشورة بحيث يجب ان تكون اقامة الحد عليه
او كدوا لا تنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب وان المقل لو كان اهلا ان
يعفي عنه لم يكن هذا اهلا لك لكن هذا الحديث كغيره من الاحاديث يدل على
ان جنس الاذى لله ورسوله ومطلق السب الظاهر مهد ردم النقي ناقض لعهد
وان كان بعض الاشخاص اغاظ جرما من بعض لتغلظ سبه نوعا او قدرا
وذلك من وجوه احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لكعب
ابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فجعل الله الندب الي قتله انه آذى الله
ورسوله واذا آذى الله ورسوله اسم مطلق ليس مقيدا بتويع ولا بقدر رغب

ان يكون اذى الله ورسوله علة للالتداب الى قتل من فعل ذلك من نهي
 وغيره وقليل السب وكثيره ومنظومه ومشوره اذى بلا رب فبتعلق
 به الحكم وهو امر الله ورسوله بقتله ولو لم يرد هذا المعنى لقال من لكمب فانه
 قد بالغ في اذى الله تعالى ورسوله او قد اكثر من اذى الله ورسوله او قد
 د اوم على اذى الله ورسوله وهو صلى الله عليه وسلم الذي اوتى جوامع
 الحكم وهو الذي لا ينطق عن الهوى ولم يخرج من بين شفيعه صلى الله عليه وسلم
 الا حق في غضبه ورضاه • وكذلك قوله في الحديث الآخر انه نال منا
 الاذى وهجانا بالشعر ولا يفعل هذا احد منكم الا كلن السيف ولم يقيد
 بالكثرة • الثاني • انه آذاه بهجائه المنظوم واليهودية بكلام مشور وكلاهما
 اهد رده فعلم ان النظم ليس له تأثير في اصل الحكم اذ لم يخص ذلك للنظم
 والوصف اذ اثبت الحكم بدونه كان عدم التأثير فلا يجعل جزءاً من العلة
 ولا يجوز ان يكون هذا من باب تعليل الحكم بعلمين لان ذلك انما يكون
 اذا لم تكن احداهما مندرجة في الاخرى كالقتل والزنا اما اذا اندرجت احداهما
 في الاخرى فالوصف الاعم هو العلة والاختصاص عدم التأثير • الوجه الثالث •
 ان الجنس المبيع للدم لا فرق بين قليله وكثيره وغلظه وخفيفه في كونه
 مبيعاً للدم سواء كان قولاً او فعلاً كالردة والزنا والمحاربة ونحو ذلك
 وهذا هو قياس الاصول فمن زعم ان من الاقوال او الافعال ما يبيع الدم
 اذا اكثر ولا يبيحه مع القلة فقد خرج عن قياس الاصول وليس له ذلك الا بنص
 يكون اصلاً بنفسه ولا نص يدل على اباحة القتل في الكثير دون القليل

وما ذهب اليه المنازع من جواز قتل من كثر منه القتل بالمثل والفاحشة في الدبر دون القبل انما هو حكاية مذهب والكلام في الجميع واحد ثم انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رخص رأس يهودي بين حجرين لانه فعل ذلك بخارية من الا نصار فقد قتل من قتل بالمثل قودا مع انه لم يتكرره منه وقال في الذبح يعمل عمل قوم لوط اقتلوا الفاعل والمفعول به ولم يعتبر التكرر وكذلك اصحابه من بعده قتلوا فاعل ذلك امارجما او حرقا او غير ذلك مع عدم التكرر. واذا كانت الاصول المنصوصة او المجمع عليها مستوية في اباحة الدم بين المرة الواحدة والمرات المتعددة كان الفرق بينهما في اباحة الدم اثبات حكم بلا اصل ولا نظيره بل على خلاف الاصول الكلية وذلك غير جائز. يوضح ذلك ان ما ينقض الايمان من الاقوال يسنوى فيه واحد وكثيره وان لم يصرح بالكفر كما لو كفر بآية واحدة او بفريضة ظاهرة او بسب الرسول مرة واحدة فانه كما صرح بتكذيب الرسول وكذلك ما ينقض الايمان من الاقوال لو صرح به وقال قد نقضت العهد وبرئت من ذمتك انتقض عهدي بذلك وان لم يكرره فكذلك ما يستلزم ذلك من السب واللعن في الدين ونحو ذلك لا يحتاج الى تكرير. الوجه الرابع * انه اذا اكثر من هذه الاقوال والافعال فاما ان يقتل لان جنسها مبيع للدم او لان المبيع قد رخص فانه كان الاول فهو المطلوب وان كان الثاني فما حد ذلك المقدار للمبيع للدم وليس لاحد ان يحد في ذلك حد الا بنص او اجماع او قياس عند من يرى القياس في المقدرات والثلاثة منتفية في مثل هذا فانه ليس في

الاصول قول او فعل يبيع الدم منه عدد مخصوص فلا يبيعه اقل منه ولا يستغنى هذا
بالاقرار في الزنا فانه لا يثبت الا باربع مرات عند من يقول به او القتل بالقسامة فانه
لا يثبت الا بعد خمسين يمينا عند من يرى القود بها ورجم الملا عنه فانه لا يثبت الا
بعد ان يشهد الزوج اربع مرات عند من يرى انها ترجم بشهادة الزوج اذا نكحت
لان المبيع للدم ليس هو الاقرار ولا الايمان وانما المبيع فعل الزنا او فعل القتل وانما
الاقرار والايمان حجة ودليل على ثبوت ذلك ونحن لم ننازع في ان الحجج الشرعية
لها نصب محدود وانما قلنا ان نفس القول او العمل المبيع للدم لا انصاب له في
الشرع وانما الحكم معلق بجنسه الوجه الخامس ان القتل عند كثرة هذه الاشياء
اما ان يكون حدا يجب فعله او تعزير ايرجع الى رأى الامام فان كان الاول فلا بد
من تحد يد موجه ولا حمله الا تعليق به بالجنس اذ القول بما سوى ذلك تحكم وان
كان في الثانى فليس في الاصول تعزير بالقتل فلا يجوز اثباته الا بدليل يخصه
والعمومات الواردة في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم الا
احدى ثلاث نذر على ذلك ايضا الوجه الثانى من الاستدلال به ان النفر
الخمس الذين قتلوه من المسلمين محمد بن مسلمة وابانائلة وعباد بن بشر والحارث بن
اوس واباعبس بن جبر قد اذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتلوه ويخمدوه
بكلام يظهرون به انهم قد آمنوه ووافقوه ثم يقتلوه ومن المعلوم ان من اظهر الكفر امانا
لم يجز قتله بعد ذلك لاجل الكفر بل لو اعتقد الكافر الحربى ان المسلم آمنه وكلمه على
ذلك صار مستأنا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عمرو بن الحمق من آمن
رجلا على دمه وواله ثم قتله فانا منه بري وان كان المقتول كافرا رواه الامام احمد وابن

ما جاءه وعن سليمان بن صرد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا آمنك الرجل على دمه فلا تقتله رواه ابن ماجه. وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الامان قيد الفتك لا يفتك مو من رواه ابو داود وغيره. وقد زعم الخطابي انهم انما فتكوا به لانه كان قد خلع الامان وتقض العهد قبل هذا وزعم ان مثل هذا جائز في الكافر الذي لا عهد له كما جاز البيات والاغارة عليهم في اوقات الفرقة لكن يقال هذا الكلام الذي كملوه به صار مستأنساً وادفع احواله ان تكون له شبهة امان ومثل ذلك لا يجوز قتله بمجرد الكفر فان الامان يعصم دم الحربي ويصير مستأنساً باقل من هذا كما هو معروف في مواضعه وانما قتلوه لاجل هجائه واذا هو رسول الله ومن حل قتله بهذا الوجه لم يعصم دمه بامان ولا عهد كما لو آمن المسلم من وجب قتله لاجل قطع الطريق ومحاربة الله ورسوله والسعي في الارض بالفساد الموجب للقتل او آمن من وجب قتله لاجل زناه او آمن من وجب قتله لاجل الردة او لاجل ترك اركان الاسلام ونحو ذلك ولا يجوز له ان يعقده عقد عهد سواء كان عقداً امان او عقد هدنة او عقد ذمة لان قتله جدم من الحدود وليس قتله لمجرد كونه كافراً حريباً كما سيأتي واما الاغارة والبيات فليس هناك قول ولا فعل صاروا به آمنين ولا اعتقدوا انهم قد اومنوا بخلاف قصة كعب بن الاشرف فثبت ان اذى الله ورسوله بالمهجاء ونحوه لا يحقق معه الدم بالامان فان لا يحقق معه بالذمة المؤبدية والهدنة الموقته بطريق الاولى فان الامان يجوز عقده لكل كافر ولا يعقده كل مسلم ولا يشرط على المستامن شيء من الشروط والذمة لا يعقدها الا الامام او نائبه ولا يعقده الا بشروط كثيرة تشترط على اهل الذمة من التزام

الصغار ونحوه وقد كانت عرضت لبعض السفهاء شبهة في قتل ابن
الاشرف فظن ان دم مثل هذا يعصم بذمة متقدمة او بظاهر امان وذلك
نظير الشبهة التي عرضت لبعض الفقهاء حتى ظن ان العهد لا ينقض بذلك
فروى ابن وهب اخبرني سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد اخي سفيان
ابن سعيد التوري عن ابيه عن عباية قال ذكر قتل ابن الاشرف عند معاوية
فقال ابن يامين كان قتله غد رافقال محمد بن مسلمة يامعاوية ايند ر عندك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا تتكروا الله لا يظلني واياك سقف بيت
ابد اولا يخلولي دم هذا الاقلته • وقال الواقدي حدثني ابراهيم بن جعفر
عن ابيه قال قال مروان بن الحكم وهو على المدبنة وعند • ابن يامين النضري
كيف كان قتل ابن الاشرف قال ابن يامين كان غدا وعمر بن مسلمة جالس
شيخ كبير فقال يا مروان ايند رسول الله صلى الله عليه وسلم عندك والله
ماقتلناه الا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يؤذي بني واياك سقف
بيت الا المسجد واما انت يا ابن يامين فله علي ان افلت وقد رت عليك
وفي يدي سيف الا ضربت به رأسك فكان ابن يامين لا ينزل من بني قريظة
حتى يبعث له رسولا ينظر محمد بن مسلمة فان كان في بعض ضياعه نزل فقضى
حاجته ثم صدر والالم ينزل فيينا محمد في جنازة وابن يامين في البقيع فرأى محمداً
ينشئ عليه جرائد يظنه لا يراه فعا جله فقام اليه الناس فقال يا ابا عبد الرحمن
ما تصنع نحن نكفيك فقام اليه فلم يزل يضربه جريدة جريدة حتى كسر
ذلك الجريد على وجهه ورأسه حتى لم يترك به مصحاثم ارسله ولا طباخ به

ثم قال والله لو قدرت على السيف لضربتك به . فان قيل . فاذا كان هو
و بنو النضير قبيلته مواد عين فما معنى ما ذكره ابن اسحق قال حدثني مولى
ازيد بن ثابت حدثني ابنة محبصة عن ايها محبصة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محبصة بن مسعود
على ابن سنيينة رجل من تجار يهود كان يلا بسهم ويبيعهم فقتله وكان حويصة
ابن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان اسن من محبصة فلما قتله جعل حويصة يضربه
ويقول اى عدو الله قتلته اما والله لرب شحم في بطنك من ماله فوالله ان كان
لاول اسلام حويصة فقال محبصة فقلت له والله لقد امرني بقتله من لوا مرني
بقتلك لضربت عنقك فقال حويصة والله ان دينا باغ منك هذا العجب . وقال
الواقدي بالا سانيد المقدمة قالوا فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الليلة التي قتل فيها ابن الاشرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت يهود فلم يطاع عظيم من عظمائهم
ولم ينطلقوا وخافوا ان يبيتوا كما بيت ابن الاشرف و ذكر قتل ابن سنيينة
الى ان قال وفزع يهود ومن معها من المشركين وساق القصة كما تقدم عنه فان
هذا يدل على انهم لم يكونوا مواد عين والالما امر بقتل من صودف منهم ويدل
هذا على ان العهد الذي كنبه النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين اليهود كان بعد قتل
ابن الاشرف وحينئذ فلا يكون ابن الاشرف معاهدا * قلنا * انما امر النبي
صلى الله عليه وسلم بقتل من ظفرت به منهم لان كعب بن الاشرف كان من
ساداتهم وقد تقدم انه قال ما عندكم يعنى في النبي صلى الله عليه وسلم قالوا

عداؤه ما حينئذ كانوا مقيمين خارج المدينة فعظم عليهم قتله وكان مما يهيجهم على المحاربة و اظهار نقض العهد انتصارهم للقتول و ذبيهم عنه و اما من قرفه مقيم على عهده المتقدم لانه لم يظهر العداوة و لهذا لم يحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم و لم يحاربهم حتى اظهر و اعداؤه بعد ذلك و اما هذا الكتاب فهو شيء ذكره الواقدي وحده • و قد ذكر هو ايضا ان قتل ابن الاشرف في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث و ان غزوة بني قينقاع كانت قبل ذلك في شوال سنة اثنتين بعد بدو بنحو شهر و ذكر ان الكتاب الذي و ادع فيه النبي صلى الله عليه وسلم لليهود كلها كان لما قدم المدينة قبل بدو على هذا فيكون هذا كتابا ثانيا خاصا لبني النضير تجد فيه العهد الذي بينه وبينهم غير الكتاب الاول الذي كتبه يثيوين جميع اليهود لاجل ما كانوا اقدار اذوا من اظهار العداوة و قد تقدم ان ابن الاشرف كان معا هذا و تقدم ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الكتاب لما قدم المدينة في اوائل الامر و القصة تدل على ذلك و الا لما جاء اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم و شكوا اليه قتل صاحبهم و لو كانوا محاربين لم يستنكروا قتله و كلمهم ذكر ان قتل ابن الاشرف كان بعد بدو و ان معاودة النبي صلى الله عليه وسلم كانت قبل بدو كما ذكره الواقدي • قال ابن اسحق و كان فيما بين ذلك من غزوة النبي صلى الله عليه وسلم امر بني قينقاع يعني فيما بين بدو غزوة الفرع من العام المقبل في جمادى الاولى و قد ذكر ان بني قينقاع هم اول من حارب و نقض العهد

الحديث الرابع • ما روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه

حكاية رجل اغاظ لابي بكر الصديق رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب نبياً قتل ومن سب أصحابه
جلده • رواه أبو محمد الحلال وأبو القاسم الأرجي ورواه أبو ذر المروزي
ولفظه من سب نبياً فاقتلوه ومن سب أصحابي فاجلده • وهذا الحديث
قد رواه عبد العزيز بن الحسن بن زبالة قال ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر
عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن
الحسين بن علي عن أبيه وفي القلب منه حرازة فان هذا الاسناد الشريف قد ركب
عليه متون نكرة والمحدث به عن أهل البيت ضعيف فان كان محفوظاً فهو دليل
على وجوب قتل من سب نبياً من الأنبياء وظاهره يدل على أنه يقتل من غير استئابة
وان القتل حد له •

❖ الحديث الخامس ❖ ما روى عبد الله بن قدامة عن أبي برزة قال اغلظ
رجل لابي بكر الصديق فقلت اقتله فأنشروني وقال ليس هذا الا حد بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم • رواه النسائي من حديث شعبة
عن توبة العنبري عنه • وفي رواية لابي بكر عبد العزيز بن جعفر الفقيه
عن أبي برزة ان رجلاً شتم ابا بكر فقلت يا خليفة رسول الله الا ضرب عنقه
فقال ويحك او ويلك ما كانت لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم • رواه
ابوداد في سننه باسناد صحيح عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة قال كنت
عند أبي بكر رضي الله عنه فتنهض علي رجل فاشتد عليه فقلت ائذن لي يا خليفة
رسول الله اضرب عنقه قال فاذهبت كلمتي غضبه فقام فدخل فارساً الى
فقال الذي قلت انفا قلت ائذن لي اضرب عنقه قال اكنث فاعلوا امرتك

قال نعم قال لا والله ما كانت لبشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابوداود في مسائله سمعت ابا عبد الله يسأل عن حديث ابي بكر ما كانت
لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن لا يي بكر ان يقتل
رجلا الا باحدى ثلاث وفي رواية باحدى الثلاث التي قالها رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفر بعد ايمان وزنا بعد احسان وقتل نفس بغير نفس
والنبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يقتل • وقد استدل به على جواز قتل
ساب النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من العلماء منهم ابوداود واسماعيل بن اسحاق
القاضي وابوبكر عبدالعزيز والقاضي ابويطي وغيرهم من العلماء وذلك لان
ابا برزة لما رأى الرجل قد شتم ابا بكر واغلظ له حتى ثغيظ ابوبكر استاذنه
في ان يقتله بذلك واخبره انه لو امره لقتله فقال ابوبكر ليس هذا احد
بعد النبي صلى الله عليه وسلم فعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يقتل
من سبه ومن اغلظ له وان له ان يأمر بقتل من لا يعلم الناس منه سيأ يبيع
دمه وعلى الناس ان يطيعوه في ذلك لانه لا يأمر الا بما امر الله به ولا يأمر
بمعصية الله قط بل من اطاعه فقد اطاع الله فقد تضمن الحديث خصيصة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما • انه يطاع في كل من امر بقتله
• والثانية • ان له ان يقتل من شتمه واغلظ له وهذا المعنى الثاني الذي كان
له باق في حقه بعد موته فكل من شتمه واغلظ في حقه كان قتله جائزا بل
ذلك بعد موته او كد واو كد لان حرمة بعد موته اكل والتساهل في
عرضه بعد موته غير ممكن وهذا الحديث يفيد ان سبه في الجملة يبيح القتل ويستدل

❦ حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته او كد واكل ❦

بهمومه على قتل الكافر والمسلم .

✽ الحديث السادس ✽ قصة العصماء بنت مروان ماروى عن ابن عباس قال هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقبلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يشطخ فيها عزان موقد ذكر بعض اصحاب المغازى وغيرهم قصتها مبسوطه . قال الواقدي حدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن ابيه ان عصماء بنت مروان من بنى امية بن زيد كانت تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي وكانت تؤذى النبي صلى الله عليه وسلم وتعيب الاسلام وتحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وقالت .

فباست بنى مالك والنبيت . وعوف وباست بنى الخزرج
اطعمتم انا وى من غيركم . غلام من مراد ولا مذبح
ترجونه بعد قتل الرؤس . كما ترتجى مرق المنضج
وقال عمير بن عدى الخطمي حين بلغه قولها وتحريضها اللهم ان لك علي تذرا
لان رددت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة لاقتلها ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يدر فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاء عمير بن عدى في
جوف الليل حتى دخل عليه في بيتها وجعلها تنقر من ولد هانئام منهم من ترصعه في
صدرها فحسها يده فوجد الصبي ترصعه ففجأ عنها ثم وضع سيقه على صدرها حتى
لنفذه من ظهرها ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرف النبي
صلى الله عليه وسلم نظر الى عمير فقال اقتلت بنت مروان قال نعم يا بني انت يا رسول الله

✽ قصة قتل امرأة من بنى خطمة هجت النبي صلى الله عليه وسلم ✽

وخشى عميران يكون افئات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها فقال هل علي في ذلك شيء يا رسول الله قال لا ينتطح فيها عززان فان اول ما سمعت هذه الكلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمير فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى من حوله فقال اذا حبستم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير ابن عدي فقال عمر بن الخطاب انظروا الى هذا الاعمي الذي تسري في طاعة الله فقال لا تقل الاعمي ولكنه البصير فلما رجع عمير من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد بنيها في جماعة يدفنونها فاقبلوا اليه حين رأوه مقبلا من المدينة فقالوا يا عمير انت قتلها فقال نعم فكيد وفي جميعا ثم لا تنظرون والذي تقسى يده لو قتلتم باجمعكم ما قالت لضر بكم بسيفي هذا حتى اموت او اقتلكم في يوم ثم ظهر الاسلام في بني خزيمة وكان منهم رجال يستخفون بالاسلام خوفا من قومهم فقال حسان بن ثابت يمدح عمير بن عدي قال الواقدي اشدنا عيدا الله بن الحارث

بني وائل وبني واقف • وخزيمة دون بني الخزرج
متى ما دعت اختكم ويحها • بعولتها والمنسا يا تجي
فهرت في ملجء اعرقه • كريم المداخل والمخرج
فضر جها من تجميع الدما • قيل الصياح ولم تخرج
فاورده الله برجال الجنان • جذلان في نعمه الموج

قال عبد الله بن الحارث عن ابيه وكان قتلها بخمس لبال يقين من رمضان مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من يدر • وروى هذه القصة اخضر من هذا ابو احمد السكري ثم قال كانت هذه المرأة تهجو النبي صلى الله عليه وسلم

وتؤذيه وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم العز لان العز تشام العز ثم
 تفارقها وليس كمنطاح الكباش وغيرها وذكروا هذه القصة مختصرة محمد بن
 سعد في الطبقات وقال ابو عبيد في الاموال وكذلك كانت قصة عصاة
 اليهودية انما قتلت لثمتها النبي صلى الله عليه وسلم وهذه المرأة ليست هي
 التي قتلها سيدا الاعمى ولا اليهودية التي قتلت لان هذه المرأة من بنى
 امية بن زيد احد بطون الانصار ولها زوج من بنى خطمة ولهذا والله اعلم
 نسبت في حديث ابن عباس الى بنى خطمة والقاتل لها غير زوجها وكان لها بنون
 كبار وصغار نعم كان القاتل من قبيلة زوجها كما في الحديث وقال محمد بن اسحاق
 اقام مصعب بن عمير عند سعد بن زرارة يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار
 من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بنى امية بن زيد
 وخطمة ووائل وواقف وتلك اوس امة وهم من الاوس بن حارثة وذلك انه كان
 فيهم ابوقيس بن الاسلت كان شاعرا يسمعون منه ويعظمونه فهذا الذي ذكره
 ابن اسحاق يصدق ما رواه الواقدي من تاخر ظهور الاسلام بينى خطمة والشعر
 الماثور عن حسان بوافق ذلك واتمسقنا القصة من رواية اهل المغازي مع ما في
 الواقدي من الضعف لشبهة هذه القصة عندهم مع انه لا يخالف اثنان ان
 الواقدي من اعلم الناس بتفاصيل امور المغازي واخبر باحوالها وقد كان الشافعي
 واحمد وغيرهما يستفيدون علم ذلك من كتبه نعم هذا الباب يدخله خلط الروايات
 بعضها ببعض حتى يظهر انه سمع مجموع القصة من شيوخه وانما سمع من كل واحد
 بعضها ولم يميزه ويدخله اخذ ذلك من الحديث المرسل والمقطوع

وربما حدس الراوى بعض الامور لقرا ئن استفادها من عدة جهات
ويكثر من ذلك اكنثار ينسب لاجله الى المجازفة فى الرواية وعدم الضبط
فلم يمكن الاحتجاج بما يفرده فاما الاستشهاد بمحدثه والاعتضاد به فمما لا يمكن
المنازعة فيه لاسيما فى قصة تامة يخبر فيها باسم القاتل والمقتول وصورة
الحال فان الرجل وامثاله افضل ممن ارتفعوا فى مثل هذا فى كذب ووضع
على انا لم تثبت قتل الساب بمجرد هذا الحديث وانما ذكرناه للتقوية
والتوكيد وهذا مما يحصل ممن هو دون الواقدي ووجه الدلالة ان هذه
المرأة لم تقتل الا لمجرد اذى النبي صلى الله عليه وسلم وهجوه وهذا بين
فى قول ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من لى بها فعلم انما ندب اليها لاجل هجوها وكذا لك فى الحديث الآخر فقال
عمير حين بلغه قولها وتحرىضا اللهم ان لك علي نذرا لان رددت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة لا قتلها وفى الحديث لما قال له قومه انت
قتلتها فقال نعم فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون فوالذى نفسى بيده لو قتلتم
جميعا ما قالت لضربتكم بسيفى حتى اموت او اقتلكم فهذه مقدمة ومقدمة
اخرى ان شعرها ليس فيه تحريض على قتال النبي صلى الله عليه وسلم حتى
يقال التحريض على القتال قتال وانما فيه تحريض على ترك دينه ودم له
ولمن اتبعه واقصى غاية ذلك ان لا يدخل فى الاسلام من لم يكن دخل
او ان يخرج عنه من دخل فيه وهذا شأن كل ساب يبين ذلك انها هجته
بالمدينة وقد اسلم اكثر قبائلها وصار المسلم بها اعز من الكافر ومعلوم ان

الساب في مثل هذه الحال لا يقصد ان يقاتل الرسول واصحابه وانما يقصد اغاظتهم وان لا يتابعوا وايضا فانهم تكن نطمع في التحريض على القتال فانه لا خلاف بين اهل العلم بالسيرة ان جميع قبائل الاوس والخزرج لم يكن فيهم من يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم بيد ولا لسان ولا كان احد بالمدينة يتمكن من اظهار ذلك وانما غاية الكفار والمنافق منهم ان يشبط الناس عن اتباعه وان يعين على رجوعه من المدينة الى مكة ونحو ذلك مما فيه تخذيل عنه وحض على الكفر به لا على قتاله على ان الهجاء ان كان من نوع التمثال فيجب انتقاض العهد به ويقتل به الذي فانه اذا قاتل انتقض عهده لان العهد اقتضى الكف عن القتال فاذا قاتل بيد او لسان فقد فعل ما يناقض العهد وليس بعد القتال غاية في نكث العهد اذ اتين ذلك فمن المعلوم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الظاهر علمه عند كل من له علم بالسيرة انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يحارب احدا من اهل المدينة بل وادعهم حتى اليهود خصوصاً بطون الاوس والخزرج فانه كان يسالمهم ويتألفهم بكل وجه وكان الناس اذ قد مها على طبقات منهم المؤمنون وهم الاكثرون ومنهم الباقي على دينه وهو متروك لا يحارب ولا يحارب وهو المؤمنون من قبيلته وحلفائهم اهل سلم لا اهل حرب حتى حلفاء الانصار اقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على حلفهم قال موسى ابن عقبة عن ابن شهاب قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فيها دار من دور الانصار الا فيها رهط من المسلمين الابني خطمة وبنو واقف

وبنى وائل كانوا آخر الانصار اسلاماً و حول المدينة حلفاء الانصار كانوا
 تستظرونهم في حربهم فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا حلف
 حلفائهم للحرب التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين من عادى
 الاسلام وكذا لك قال الواقدي بخيار رواه عن يزيد بن رومان وابن كعب
 ابن مالك عن جابر بن عبد الله في قصة كعب بن الاشرف قال فكان الذي
 اجتمعوا عليه قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها
 اخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة الاسلام فيهم اهل الحلقة والحصون
 ومنهم حلفاء للحميين جميعاً الاوس والخزرج فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم وموادعتهم وكان الرجل يكون مسلماً
 وابوه مشركاً وللعلوم ان قبائل الاوس كانوا حلفاء بعضهم لبعض فاذا كان
 النبي صلى الله عليه وسلم قد اقرهم كانت هذه المرأة من المعاهد بين وكان فيهم
 المظهر للاسلام المبطن للخلافه يقول بلسانه ما ليس في قلبه وكان الاسلام والايمان
 يفسون في بطون الانصار بطناً بعد بطن حتى لم يبق فيهم مظهر للكفر بل صاروا
 اماماً منالوا مناققا وكان من لم يسلم منهم بمنزلة اليهود موادع معادى او هو احسن
 حالاً من اليهود لما يرى فيه من العصية لقومهم وان يهودى هو اهم ولا يرى ان
 يخرج عن جماعتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملهم من الكف عنهم واحتمال
 اذ اهم باكثر مما يعامل به اليهود لما كان يبرجوه منهم ويخاف من تغير قلوبهم من اظهر
 الاسلام من قبائلهم لواء وقع بهم وهو في ذلك متبع قوله تعالى لتبلىون في اموالكم
 وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركو اذى

كثيرا وان تصبروا وتنقوا فان ذلك من عزم الامور ثم انه مع هذا اندب الناس الى قتل المرأة التي هجته وقال فيمن قتلها اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى هذا فثبت بذلك ان هجاءه وذمه موجب للقتل غير الكفر وثبت ان الساب يجب قتله وان كان من الحلفاء والمعاهدين ويقتل في الحال التي يحقن فيها دم من ساواه في غير السب لاسيما ولو لم تكن معاهدة فقتل المرأة لا يجوز الا ان تقاتل لانه صلى الله عليه وسلم رأى امرأة في بعض مغازيه مقتولة فقال ما كانت هذه لتقاتل ونهى عن قتل النساء والصبيان ثم انه امر بقتل هذه المرأة ولم تقاتل بيد هافلو لم يكن السب موجبا للقتل لم يجوز قتلها لان قتل المرأة لمجرد الكفر لا يجوز ولا نعلم قتل المرأة الكافرة المسكنة عن القتال ابيح في وقت من الاوقات بل القرآن وترتيب نزوله دليل على انه لم يبيح قط لان اول آية نزلت في القتال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم والآية فاباح للمؤمنين القتال دفعاً عن نفوسهم وعقوبة لمن اخرجهم من ديارهم ومنعهم من توحيد الله وعبادته وليس للنساء في ذلك حظ . ثم انه كتب عليهم القتال مطلقاً وفسره بقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم الآية فمن ليس من اهل القتال لم يؤذن في قتاله والنساء لسن من اهل القتال فاذا كان قد امر بقتل هذه المرأة فاما ان يقال هجاؤها قتال فهذا ينبغي ان ان هجاء الذي قتال فينقض العهد ويبيح الدم او يقال ليس بقتال وهو الاظهر لما قد مناه من انه لم يكن فيه تحريض على القتال ولا كان لها رأى في الحرب

فيكون

فيكون السب جناية مضرّة بالمسلمين غير القتال موجبة للقتل بمنزلة قطع الطريق عليهم ونحو ذلك يفيد ان السب موجب للقتل بوجوه. احدها. انه لو لم يكن موجبا للقتل لما جاز قتل المرأة وان كانت حربية لان الحربية اذا لم تقاتل بيد ولا لسان لم يجز قتلها الا بجناية موجبة للقتل وهذا ما احسب فيه مخالفا لاسيما عند من يرى قتالها بمنزلة قتال الصائل. الثاني. ان هذه المسألة كانت من المعاهد بين من هو احسن حالا من المعاهدين في ذلك الوقت فلوم يكن السب موجبا لدماها لما قتلت ولما جاز قتلها ولهذا خاف الذي قتلها ان تتولد فتنة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطخ فيها عنزان مع ان انطاحا انما هو كالشامفين صلى الله عليه وسلم انه لا يتحرك لذلك قليل من الفتن ولا كثير رحمة من الله بالمومنين ونصر الرسول ودينه فلوم يكن هناك ما يجذر معه قتل هذه لولا الهجاء لما خيف هذا. الثالث. ان الحديث مصرح بانها انما قتلت لاجل ما ذكرته من الهجاء وان سائر قومها تركوا اذ لم يهجموا وانهم لو هجموا الفعل بهم كما فعل بها فظهر بذلك ان الهجاء موجب بنفسه للقتل سواء كان الهاجي حرييا او مسلما او معاهدا حتى يجوز ان يقتل لاجله من لا يقتله بدونه وان كان الحربي المقاتل يجوز قتله من وجه آخر وذلك في المسلم ظاهري واماني المعاهد فلان الهجاء اذا اباح دم المرأة فهو كالقتال او اسوأ حالا من القتال. الرابع. ان المسلمين كانوا ممنوعين قبل الهجرة وفي اوائل الهجرة من الابتداء بالقتال وكان قتل الكفار حينئذ محرما وهو من قتل النفس بغير حق كما قال تعالى الم تر الى

الذين قيل لهم كفوا ايديكم الى قوله فلما كتب عليهم القتال * ولذا الول
ما نزل من القرآن فيه نزل بالاباحة لقوله اذن للذين يقاتلون * وهذا من
المعلم العام بين اهل المعرفة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى على
احد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان قبل الهجرة وبعيد ما ممنوعا عن
الابتداء بالقتل والقتال ولهذا اقال للانصار الذين بايعوه ليلة العقبة لما استاذنوه
في ان يميلوا على اهل منى انه لم يؤذن له في القتال وذلك حينئذ بمنزلة الانبياء
الذين لم يؤمروا بالقتال كنوح وهود وصالح و ابراهيم وعيسى بل كنا اكثر
الانبياء غير انبياء بني اسرائيل ثم انه لم يقاتل احدا من اهل المدينة ولم يامر بقتل احد
من رؤسهم الذين كانوا يجمعونهم على الكفر ولا من غيرهم والآيات التي
نزلت اذ ذاك اتماما امر بقتال الذين اخرجوهم وقاتلوهم ونحو ذلك وظاهر
هذا انه لم يؤذن لهم اذ ذاك في ابتداء قتل الكافرين من اهل المدينة فان
دوام امساكهم عنهم يدل على استحبابه او وجوبه وهو في الوجوب اظهر لما ذكرنا
لان الامساك كان واجبا والمغير لحاله لم يشمل اهل المدينة فيبقى على الوجوب
المتقدم مع فعله صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عقبة عن الزهري كانت سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدوه قبل ان تنزل براءة يقاتل من قاتله ومن كف
يده وعاهده كف عنه قال الله تعالى فان اعتزلوكم ولم يقاتلواكم والقوا اليكم السلم
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا * وكان القرآن ينسخ بعضه بعضا فاذا نزلت آية تسخت
التي قبلها وعمل بالتي انزلت وبلغت الاولى منتهى العمل بها وكان ما قد عمل بها
قبل ذلك طاعة لله حتى نزلت براءة واذا امر بقتل هذه المرأة التي هجت ولم يؤذن

له في قتل قبيلته الكافر بن علم ان السب موجب للقتل وان كان هناك ما يمنع القتال لولا السب كالعهد والانوثة ومنع قتل الكافر المحسك او عدم اباحته وهذا وجه حسن دقيق فان الاصل ان دم آدمي معصوم لا يقتل الا بالحق وليس القتل للكفر من الامر الذي اتفقت عليه الشرائع ولا اوقات الشريعة الواحدة كالقتل قودافانه جمالا تختلف فيه الشرائع ولا العقول وكان دم الكافر في اول الاسلام معصوماً بالعصمة الاصلية ومنع الله المؤمنين من قتله ودماءه هو لاء القوم كدم القبطي الذي قتله موسى وكدم الكافر الذي لم تبلغه الدعوة في زماننا واحسن حالا من ذلك وقد عد موسى ذلك ذنباً في الدنيا والآخرة مع ان قتله كان خطأ شبه عمد او خطأ محضاً ولم يكن عمداً محضاً فظاهر سيرة نبينا وظاهر ملاذنه فيه ان حال اهل المدينة اذ ذاك ممن لم يسلم كانت كهذه الحال فاذا قتل المرأة التي هجرت من هؤلاء وليسوا عنده مخاريين بحيث يجوز قتالهم مطلقاً كان قتل المرأة التي تهجوه من اهل الذمة بهذه المثابة واولى لان هذه قد عاهدناها على ان لا تسب و على ان تكون صاغرة وثلث لم نعاهدناها على شيء.

الحديث السابع قصة ابي علفك اليهودي ذكره اهل المغازي والسير قال الواقدي ثنا شعبه بن محمد عن عمارة بن غزية وحدثنا ابو مصعب اسمعيل بن مصعب بن اسمعيل بن زيد بن ثابت عن اشياخه قالوا ان شيخاً من بني عمرو بن عوف يقال له ابو علفك وكان شيخاً كبيراً قد بلغ عشر بن ومائة سنة حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان يحرص على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل في الاسلام فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدو ظفروه الله بما ظفروه فحسده

قصة قتل ابي علفك اليهودي له جاء النبي صلى الله عليه وسلم

وبغى فقال وذكر قصيدة تتضمن هجو النبي صلى الله عليه وسلم وذم من
اتبعه اعظم ما فيها قوله •

فيسلبهم امرهم راكب • حراما حلالا لشتي معا

قال سالم بن عمير علي نذر ان اقل اباعفك او اموت دونه فامهل فطلب له غرة
حتى كانت ليلة صائفة فنام ابو عفك بالفناء في الصيف في بني عمرو بن عوف
فاقبل سالم بن عمير فوضع السيف على كبده حتى خش في الفراش وصاح
عدوا فثاب اليه اناس ممن هم على قوله فادخلوه منزله وقبروه وقالوا من
قتله والله لو نعلم من قتله لقتلناه • وبه ذكر محمد بن سعد انه كان يهوديا
وقد ذكرنا ان يهود المدينة كلهم كانوا قدامه واثم انه لما هجا وظهر الذم
قتل • قال الواقدي عن ابن رقص قتل ابو عفك في شوال على رأس
عشرين شهرا وهذا قد يم قبل قتل ابن الاشرف وهذا فيه دلالة واضحة
على ان المعاهد اذا ظهر السب ينقض عهد • ويقتل غيلة لكن هو من رواية
اهل المغازي وهو يصلح ان يكون موهب اموي كد ابلاتردد •

❖ الحديث الثامن ❖ حديث انس بن زعيم الدثلي وهو مشهور عند اهل السيرة كره
ابن اسحق والواقدي وغيرها • قال الواقدي حدثني عبد الله بن عمرو بن زهير عن
مجن بن وهب قال كان آخر ما كان بين خزاعة وبين كنانة ان انس بن
زعيم الدثلي هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فوقع به
فشبهه فخرج الى قومه فاراهم شجته فثاروا فشرعوا ما كان بينهم وما تطلب بنو بكر
من خزاعة من دماهم قال الواقدي حدثني حرام بن هشام بن خالد

❖ فقه شيوخ انس بن زعيم الدثلي لهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ❖

الكعبي عن ابيه قال وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في اربعين وراكبا من خزاعة يستنصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بالذي اصابهم وذكر قصة فيها انشاد القصيدة التي اولها • لا هم اني ناشد محمدا • قال فلما فرغ الركب قالوا يا رسول الله ان انس بن زعيم الدثلي قد هجأك فهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فباغ ذلك انس بن زعيم الدثلي فقدم معتذرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما بلغه عنه فقال وذكر قصيدة فيها مدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولها •

• انت الذي تهدي معدي بامر • • بل الله يهديها وقال لك اشهد
فما حلت من ناقة فوق رحلها • • ابروا وفي ذمة من محمد
تعلم رسول الله انك مدركي • • وان وعيد امنك كالاخذ باليد
تعلم رسول الله انك قادر • • على كل سكن من تهام ومنجد
ونبي رسول الله اني هجوته • • فلا رفعت سوطي الي اذ ايدى
سوى اني قد قلت يا ويح فتية • • اصيبوا النخس يوم طلق واسعد
• ويقول فيها •

فاني لا عرضا خرفت ولا دما • • هرقت ففكر عالم الحق واقصد
قال الواقدي انشديها حرام وبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته هذه واعذاره وكله نوفل بن معاوية الدثلي فقال يا رسول الله انت اولى الناس بالعفو ومن منالم بعادك ولم يؤذك ونحن في جاهلية لاندري ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك واتقذنا بك من الهلك وقد كذب عليه

الركب واكثر وا عندك فقال دع الركب عنك فانالم نجد بتهامة احد امن
ذى رحم قريب ولا بعيد كان ابر من خزاعة فاسكت نوفل بن معاوية
فلما سكت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنه قال نوفل فد اك
ابى وامى • وقال ابن اسحاق وقال انس بن زعيم يعتذر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستنصره • و يذكر انهم قد نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشدتلك
القصيدة وفيها •

وتعلم ان الركب ركب عويمر • هم الكاذبون المخلفوا كل موعد
فوجه الدلالة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد صالح قريشاً وها د منهم
عام الحديبية عشر سنين ود خلت خزاعة فى عقد • وكان اكثرهم مسلمين
وكانوا عيبة نصيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم ود خلت
بنوبكر فى عهد قريش فصار هو لاء كلم معاهدين وهذا مما تواتر به النقل
ولم يختلف فيه اهل العلم ثم ان هذا الرجل المعاهد هجا النبي صلى الله عليه وسلم
على ما قيل عنه فشبهه بعض خزاعة ثم اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم انه هجا
يقصدون بذلك اغراءه ببنى بكر فند رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه
اى اهدره ولم يندردم غيره فلولوا انهم علموا ان هجا النبي صلى الله عليه
وسلم من المعاهد مما يوجب الانتقام منه لم يفعلوا ذلك • ثم ان النبي صلى الله
عليه وسلم ندردمه لذلك مع ان هجاه كان حال العهد وهذا نص فى ان
المعاهد الهاجى يباح دمه • ثم انه لما قدم اسلام فى شعره ولهذا عدوه من

اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعلم رسول الله تعلم رسول الله ونبي
رسول الله دليل على انه اسلم قبل ذلك او هذا وحده اسلام منه فان الوثني
اذا قال محمد رسول الله حكم باسلامه ومع هذا فقد انكر ان يكون هجا النبي صلى الله
عليه وسلم ورد شهادة اولائك بانهم اعداء له لما بين القبيلتين من الدماء
والحرب فلم يكن ما فعله مبيحاً له لما احتاج الى شيء من ذلك ثم انه
بعد اسلامه واعتذاره وتكذيب المخبرين ومدحه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انما طلب العفو من النبي صلى الله عليه وسلم عن اهدار دمه
والعفو انما يكون مع جواز العقوبة على الذنب فعلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان له ان يعاقبه بعد مجيئه مسلماً معتذراً وانما عفا عنه حلماً وكرماً ثم ان
في الحديث ان نوفل بن معاوية هو الذي شفع له الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقد ذكر عامة اهل السير ان نوفلاً هذا هو رأس المتكبرين الذين
عدوا على خزاعة وقتلوهم واعانتهم قريش على ذلك وبسبب ذلك
انقض عهده قريش وبني بكر ثم انه اسلم قبل الفتح حتى صار يشفع في الذي
هجا النبي صلى الله عليه وسلم فعلم ان الهجاء اغلظ من نقض العهد بالقتال
بحيث اذا نقض قوم العهد بالقتال وآخر هجاء اسلم عصم دم الذي قاتل
وجاز الانتقام من الهاجي ولهذا قرن هذا الرجل خرق العرض بسفك
الدم فعلم ان كلاهما موجب للقتل وان خرق عرضه كان اعظم عندهم
من سفك دماء المسلمين والمعاهدين * ومما يوضح هذا ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يهدر دم احد من بني بكر الناقضين للعهد بعينه وانما مكن

منهم بنى خزاعة يوم الفتح اكثر النهار واهد ردم هذا بعينه حتى اسلم
واعتذر هذا مع ان العهد كان عهد هدنة ومواد عتو لم يكن عهد جزية
وذمة والمهادن المقيم ببلده يظهر ببلده ماشاء من منكرات الاقوال
والافعال المتعلقة بدينه ودنياء ولا ينتقض بذلك عهد حتى يحارب
فعلم ان الهجاء من جنس الحرب واغلظ منه وان الهاجى لاذمة له
* الحديث التاسع * قصة ابن ابي سرح وهي مما اتفق عليه اهل العلم
واستفاضت عندهم استفاضة تستغنى عن رواية الاحاد كذلك وذلك
اثبت وا قوى مما رواه الواحد العدل فنذكرها مشروحة ليتبين وجه
الدلالة منها عن مصعب بن سعد عن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم
فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن ابي سرح عند عثمان بن عفان فجاء به
حتى اوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع
رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه
فقال اما كانت فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رأني كففت
يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا اؤمات
الينا بعينك قال انه لا ينبغي لني ان تكون له خائنة الاعين رواه ابو داود
باسناد صحيح ورواه النسائي كذلك ايسر من هذا عن سعد قال لما كان
يوم فتح مكة آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وقال
اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باسئار الكعبة عكرمة بن ابي جهل وعبد الله
ابن خطل ومقيس بن صبابه وعبد الله بن سعد بن ابي سرح * فاما

قصة ابن ابي سرح

عبد الله بن خطل • فادرك وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق اليه سعيد
ابن حارث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عما راو كان اشب الرجلين فقتله
• واما مقيس بن صباية • فادركه الناس في السوق فقتلوه • واما عكرمة •
فركب البحر فاصابتهم عاصف فقال اصحاب السفينة اخلصوا فان آلهنكم لا تقنى
عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة والله لئن لم ينجنى في البحر الا خلاص لا ينجنى
في البر غيره اللهم لك علي عهد ان انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا حتى
اضع يدي في يده ولا جدنه حفوا كريما فجاء واسلم • واما عبد الله بن سعد بن
ابي سرح • فانه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر
الباقى كما رواه ابو داود • وعن عبد الله بن عباس قال كان عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزاله الشيطان فلمحق
بالكفار فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتل يوم الفتح فاستجار له
عثمان فاجاره • رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود • وروى محمد بن
سعد في الطبقات عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر بقتل ابن ابي سرح يوم الفتح وقرتنى (١) وابن الزبير
وابن خطل فاتاه ابو بردة وهو متعلق باستار الكعبة فبقر بطنه وكان رجل
من الانصار قد نذر ان رأى ابن ابي سرح ان يقتله فجاء عثمان وكان اخاه
من الرضاة فشفع له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الانصارى
بقائم السيف ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم متى يؤمى اليه ان يقتله فشفع له

عثمان حتي تركه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصارى هلا
وفيت بذكر فقال يا رسول الله وضعت يدي على قائم السيف انتظر
متي تؤمي فاقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنبي ان يؤمي وقال محمد
ابن اسحاق في رواية ابن بكير عنه قال ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن
ياسر وعبد الله بن ابي بكر بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
دخل مكة وفرق جبهوشه امرهم ان لا يقتلوا احدا الا من قاتلهم الا نفرا
قد سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقتلوه وان وجدتموهم تحت
استار الكعبة عبد الله بن خطل وعبد الله بن ابي سرح وانما امر با بن
ابي سرح لانه كان قد اسلم فكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي
فرجع مشركا ولحق بمكة فكان يقول اني لا صرفه كيف شئت انه ليا مرني
ان اكتب له الشيء فاقول له او كذا او كذا فيقول نعم وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عليم حليم فيقول له او اكتب
عزيز حكيم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاهما سواء وقال
ابن اسحاق حدثني شرحبيل بن سعد ان فيه نزلت ومن اظلم ممن
اقتري على الله كذبا او قال اوحى الي ولم يوح اليه شيء ومن
قال سائر مثل ما نزل الله فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
فر الى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاة فغيبه عنه حتي اطمان
اهل مكة فاتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن له فصمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا وهو واقف عليه ثم قال نعم فانصرف به فلما ولي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صمت الا رجاء ان يقوم اليه بعضكم فيقتله
فقال رجل من الانصار يا رسول الله الا اومأت الي فاقته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان النبي لا يقتل بالاشارة • وقال ابن اسحاق في رواية ابراهيم بن سعد
عنه حدثني بعض علمائنا ان ابن ابي سرح رجع الى قريش فقال والله لو اشاء لقلت
كما يقول محمد وجئت بمثل ما ياتي به انه ليقول الشيء واصرفه الى شيء فيقول اصبت
ففيه انزل الله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقال اوحى الي ولم يوح اليه
شيء • فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله • قال ابن اسحاق عن ابن ابي
نجيع قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم
ان يدخلوا مكة الا يقاتلوا الا احدا قاتلهم الا انه قد عهد في نفر ساهم امر بقتلهم وان
وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن ابي سرح وانما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان اسلم وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الوحي فاراد مشركا واجعا الى قريش فقال والله اني لا صرفه حيث اريد انه ليملي
علي فاقول او كذا او كذا فيقول نعم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يمل عليه فيقول عزير حكيم او حكيم حلیم فكان يكتبها على احد الحرفين
فيقول كل صواب • وروينا في مغازي معمر عن الزهري في قصة الفتح قال قد خل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر اصحابه بالكف وقال كفوا السلاح الا خراعة
من بكر ساعة ثم امرهم فكفوا فآمن الناس كلهم الا اربعة ابن ابي سرح وابن خطل
ومقيس الكناني وامراة اخرى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لم احرم مكة
ولكن الله حرمها وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الى يوم القيامة وانما

احلها الله لي ساعة من نهار قال ثم جاء عثمان بن عفان بابن ابي سرح فقال بايعه
يا رسول الله فاعرض عنه ثم جاءه من ناحية اخرى فقال بايعه يا رسول الله فاعرض
عنه ثم جاءه ايضا فقال بايعه يا رسول الله فمد يده فبايعه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد اعرضت عنه واني لا ظن بمعضكم سيقتله فقال رجل من الانصار
فهلا ومضت الي يا رسول الله فقال ان النبي لا يؤمض فكانه رآه غدرا وفي
مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال و امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكفوا ايديهم فلا يقاتلوا احدا الا من قاتلهم و امرهم بقتل اربعة منهم عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح والحويرث بن ثقيف و ابن خطل ومقيس بن حبابه احد
بنى ليث و امر بقتل قيسين لابن خطل تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال ويقال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل النفروان
يقتل عبد الله بن ابي سرح و كان ارتد بعد الهجرة كافرا فاختبأ حتى اطمأن
الناس ثم اقبل يريدان يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه ليقوم
رجل من اصحابه فيقتله فلم يقم اليه احد ولم يشعروا بالذي في نفس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال احدهم لو اشرت الي يا رسول الله ضربت عنقه فقال
ان النبي لا يفعل ذلك ويقال اجاره عثمان بن عفان و كان اخاه من الرضاعة
و قتلت احدى القيثتين و كنت الاخرى حتى استؤمن لها و ذكر محمد بن عائذ
في مغازيه هذه القصة مثل ذلك * و ذكر الواقدي عن اشياخه قالوا و كان
عبد الله بن سعد بن ابي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فربما
املى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سميع عليم فيكتب عليم حكيم فقرأه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول كذا قال الله وقرأه فافتن وقال ما يدري محمد ما يقوله اني لا كتب له ما شئت هذا الذي كتبت يوحى الي كما يوحى الي محمد وخرج هاربا من المدينة الى مكة مرتدا فاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح فلما كان يومئذ جاء ابن ابي سرح الى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاة فقال يا اخي اني والله استجير بك فاحبسني ها هنا واذ هب الي محمد فكله في فان محمدا ان راى ضرب الذي فيه عيناى ان جرمي اعظم الحرم وقد جئت تابيا فقال عثمان بل اذهب معي قال عبد الله والله لئن راى ليضر بن عتي ولا ينظرني قد اهد ردى واصحابه يطلبونني في كل موضع فقال عثمان انطلق معي فلا يقتلك ان شاء الله فلم يرع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عثمان آخذا بيد عبد الله بن سعد بن ابي سرح واقفين بين يديه فاقبل عثمان على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله امة كانت تحملني وتمشيه وترضعني وتقطعه وكانت تلطفني وتتركه فيه لي فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل عثمان كل ما عرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه استقبله فيعيد عليه هذا الكلام وانما عرض النبي صلى الله عليه وسلم ارادة ان يقوم رجل فيضرب عنقه لانه لم يؤمنه فلما رأى ان لا يقوم احد وعثمان قد اكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه وهو يقول يا رسول الله بايعه فدالك ابي وامى فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ثم التفت الى اصحابه فقال ما منعكم ان تقوم رجل منكم الى هذا الكلب فيقتله او قال الفاسق فقال عباد بن بشر الا او مات الي يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق اني لا تبع طرفك من

كل ناحية رجاء ان تشير الي فاضرب عنقه ويقال قال هذا ابو اليسر ويقال
عمر بن الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اقتل بالاشارة
وقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يومئذ ان النبي لا تكون له
خائنة الا عين فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يفر من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلما رآه فقال عثمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بابي وامى
لو ترى ابن ام عبد الله يفر منك كلما رآك فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لم ابايعه واولم يفر مني قال بلى اي رسول الله يتذكر عظيم جرمه في الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله فرجع عثمان الى ابن ابي
سرح فاخبره فكان ياتي فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس فوجه
الدلالة ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح افترى على النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يتم له الوحي ويكتب له ما يريد فيوافقه عليه وانه يصرفه حيث
شاء ويغير ما امره به من الوحي فيقره على ذلك وزعم انه سينزل مثل
ما انزل الله اذ كان قد اوحى اليه في زعمه كما اوحى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا الطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
كتابه والافتراء عليه بما يوجب الريب في نبوته قد رزأ على مجرد
الكفر به والردة في الدين وهو من انواع السب . وكذلك ما افترى
عليه كاتب آخر مثل هذه الفرية قصمه الله وعاقبه عقوبة خارجة
عن العادة لكل احد افترى اذ كان مثل هذا يوجب في القلوب المريضة ريبة
بان يقول القائل كانه اعلم الناس بباطنه وبحقيقة امره وقد اخبر عنه بما اخبر من

نصر الله لرسوله ان اظهر فيه آية تبين بها انه مفتر فروى البخاري في صحيحه عن عبد العزيز بن صهيب عن انس قال كان رجل نصراني فاسلم وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً فكان يقول لا يدري محمد الا ما كتبت له فاماته الله فدفعوه فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذ افعل محمد واصحابه نبشوا عن صاحبنا فالقوه فحفروا في الارض ما استطاعوا فاصبح قد لفظته فعلموا انه ليس من الناس فالقوه ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن انس قال كان من ارجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فانطلق هارباً حتى لحق باهل الكتاب قال فرفعوه قالوا هذا قد كان يكتب لمحمد فاعجبوا به فمالبت ان قصم الله عنقه فحفروا له فواروه فاصبحت الارض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له فواروه فاصبحت الارض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً فهذا الملعون الذي افترى على النبي صلى الله عليه وسلم انه ما كان يدري الا ما كتب له قصمه الله وفضحه بان اخرجه من القبر بعد ان دفن مراراً وهذا امر خارج عن العادة يدل على كل احد ان هذا كان عقوبة لما قاله وانه كان كاذباً اذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا وان هذا الجرم اعظم من مجرد الارتداد اذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا وان الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب اذ لم يمكن الناس ان يقيموا عليه الحد ونظير هذا ما حدثناه اعداء المسلمين من الدول اهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الاصفري زماناً قالوا اكنانحن

قد جرب البحر بون من اهل النعمه و الخبره تجيل فتح الحصون و المدائن اذا تعرض اهلها لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

❖ الساب الطاعن للنبي صلى الله عليه وسلم اعظم جرم من المرتد ❖

نحصر الحصن او المدينة الشراوا اكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نياس
اذ تعرض اهل له لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقعة في عرضه فعملنا
فتحه وتيسرو لم يكذبنا آخر الايو ما او يومين او نحو ذلك ثم يفتح المكان عنوة ويكون
فيهم ملحمة عظيمة قالوا حتى ان كنا لتبشير بتجيب الفتح اذا سمعنا هم يقعون فيه
مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيه ❖ وهكذا حدثني بعض اصحابنا
الثقات ان المسلمين من اهل الغرب حالم مع النصارى كذلك ومن سنة الله
ان يعذب اعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بايدي عباده المؤمنين فكذلك
لما تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من ابن ابي سرح اهد ردمه لما طعن في النبوة
واقترى عليه الكذب مع انه قد آمن بجميع اهل مكة الذين قاتلوه وحاربوه اشد
المحاربة ومع ان السنة في المرتد انه لا يقتل حتى يستتاب اما وجوباً واستحباً
وسنذكر ان شاء الله تعالى ان جماعة ارتدوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ثم دعوا الى التوبة وعرضت عليهم حتى تابوا فقبلت توبتهم ❖ وفي ذلك دليل
على ان جرم الطاعن على الرسول صلى الله عليه وسلم الساب له اعظم من
جرم المرتد ❖ ثم ان اباحه النبي صلى الله عليه وسلم دمه بعد مجيئه ثانياً مسلماً
وقوله هلاقتنموه ثم عفوه عنه بعد ذلك دليل على ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان له ان يقتله وان يعفو عنه ويعصم دمه وهو دليل على ان له صلى الله
عليه وسلم ان يقتل من سبه وان تاب وعاد الى الاسلام ❖ يوضح ذلك
اشياء منها انه قدر وي عن عكرمة ان ابن ابي سرح رجع الى الاسلام قبل
فتح مكة وكذلك ذكر آخرون ان ابن ابي سرح رجع الى الاسلام قبل

فتح

فتبع مكة اذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم بها وقد تقدم عنه انه قال لعثمان
 قبل ان يقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم ان جرمي اعظم الجرم وقد
 جئت تائباً وتوبة المرتد اسلامه • ثم انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
 بعد الفتح وهدء الناس وبعده ما تاب فاراد النبي صلى الله عليه وسلم من
 المسلمين ان يقتلوه حينئذ وترى بعض زمانا ينتظر فيه قتله ويظن ان بعضهم
 سيقتله وهذا ليل وضح على جواز قتله بعد اسلامه • وكذلك لما قال له
 عثمان انه يفر منك كلما رااك قال الم ابايعه واومنه قال بلى ولكنه يتذكر
 عظيم جرمه في الاسلام فقال الاسلام يجب ما قبله فيبين النبي صلى الله عليه
 وسلم ان خوف القتل سقط بالبيعة والايمان وان الاثم زال بالاسلام فعلم
 ان الساب اذا عاد الى الاسلام جب الاسلام اثم السب وبقى قتله جائزاً
 حتى يوجد اسقاط القتل ممن يملكه ان كان ممكناً وسيأتى ان شاء الله تعالى ذكر هذا
 في موضعه فان غرضنا هنا ان نبين ان مجرد الطعن على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم والوقعة فيه يوجب القتل في الحال التي لا يقتل فيها مجرد الردة
 واذا كان ذلك موجباً للقتل استوى فيه المسلم والذمي ولان كل ما يوجب
 القتل سوى الردة يستوى فيه المسلم والذمي • وفي كتاب الصحابة لا بن ابي
 سرح ولا حدى القيتين دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجب
 قتلهم وانما اباحه مع جواز عفوهم عنهم وفي ذلك دليل على انه كان مخيراً
 بين القتل والعفو وهذا يؤيد ان القتل كان لحق النبي صلى الله عليه وسلم •
 واعلم ان اقتراء ابن ابي سرح والكاتب الآخر انصراني على رسول الله

صلى الله عليه وسلم بانه كان يتعلم منها افتراء ظاهر و كذلك قوله اني
لا صرفه كيف شئت انه ليامرني ان اكتب له الشئ فاقول له او كذا او كذا
فيقول نعم فريفة ظاهرة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يكتبه الا ما
انزله الله ولا يأمره ان يكتب قرآن الا ما وحاها اليه ولا ينصرف له كيف
شاء بل يتصرف كما يشاء الله و كذلك قوله اني لا كتب ما شئت هذا الذي
كتبت يوحى الي كما يوحى الى محمد و ابن محمد اذا كان يتعلم مني فاني
سائل مثل ما انزل الله فريفة ظاهرة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن
يكتبه ماشاء ولا كان يوحى اليه شئ و كذلك قول النصراني ما يدري
محمد الا ما كتبت له من هذا القبيل و على هذا الافتراء حاق به العذاب
واستوجب العقاب ثم اختلف اهل العلم هل كان النبي صلى الله عليه وسلم
اقره على ان يكتب شيئا غير ما ابتداه النبي صلى الله عليه وسلم
اكتابه وهل قال له شيئا على قولين • احدهما ان النصراني وابن ابي سرح
اقتريا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله و انه لم يصد رمنه
قول فيه اقرار على كتابه غير ما قاله اصلا و انما لما زين لهما الشيطان الردة
افتريا عليه لينفرا عنه الناس و يكون قبول ذلك منهما منوجها لانهما
فارقاه بعد خبرة و ذلك انه لم يخبر احدا انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول له هذا الذي قلته او كتبت بصواب و انما هو حال الردة اخبر
انه قال له ذلك و هو اذ ذاك كافر عدو يفترى على الله ما هو اعظم من ذلك
يبين ذلك ان الذي في الصحيح ان النصراني يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له

نعم ربما كان هو يكتب غير ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ويغيره ويزيده
وينقصه فظن ان عمدة النبي صلى الله عليه وسلم على كتابه مع ما فيه من التبديل
ولم يدرك ان كتاب الله آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وانه لا يغسله
الماء وان الله حافظ له وان الله يقرى نبيه فلا ينسى الا ما شاء الله مما يريد رفعه
ونسخ تلاوته وان جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن
كل عام وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه آية اقرأها لعدد من المسلمين
بتواتر نقل الآية بهم واكثر من نقل هذه القصة من المفسرين ذكر انه كان
يملي عليه سميعا علميا فيكتب هو علميا حكيما واذا قال علميا حكيما كتب غفورا
رحيما واشباه ذلك ولم يدرك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له شيئا قالوا
واذا كان الرجل قد علم انه من اهل القرية والكذب حتى اظهر الله على
كذبه آية بينة والروايات الصحيحة المشهورة لم تتضمن الا انه قال عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما قال او انه كتب ما شاء فقد علم ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يقل له شيئا قالوا وماروي في بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال فهو منقطع او معلل ولعل قائله قاله بناء على ان الكاتب هو الذي
قال ذلك ومثل هذا ايلبس الامر فيه حتى اشتبه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم
وما قيل انه قال رد على هذا القول فلا سوال . القول الثاني ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال له شيئا فروى الامام احمد وغيره من حديث حماد بن سلمة انا ثابت
عن انس ان رجلا كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا املى عليه
سميعا علميا يقول كتبت سميعا بصيرا قال دعه واذا املى عليه علميا حكيما كتب

عليها حليما قال حماد نحوذا قال وكان قد قرأ البقرة وآل عمران وكان من قرأها
فقد قرأ قرآنا كثيرا فذهب فتعصر وقال لقد كنت اكتب لمحمد ما شئت
فيقول دعه فمات فدفن فنبذته الارض مرتين او ثلاثا . قال ابو طلحة فلقد
رايته منبوزا فوق الارض ورواه الامام احمد . وحدثنا يزيد بن هارون
حدثنا حميد عن انس بن رجلي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد قرأ البقرة وآل عمران وكان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدينا
يعني عظم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يملئ عليه غفورا وحييا فيكتب عليها
حكيا فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا او كذا اكتب كيف
شئت ويملئ عليه عليا حكيا فيكتب سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت
فارتد ذلك الرجل عن الاسلام فلحق بالمشركين وقال انا اعلمكم بمحمد ان
كنت لا تكتب كيف شئت فمات ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الارض لا تقبله قال انس فحدثني ابو طلحة انه اتى الارض التي مات
فيها ذلك الرجل فوجده منبوزا قال ابو طلحة ما شان هذا الرجل قالوا قد
دفناه مرارا فلم تقبله الارض فهذه الاسناد صحيح . وقد قال من ذهب الى
القول الاول اعل البزار حديث ثابت عن انس قال رواه عنه ولم يتابع عليه
ورواه حميد عن انس واظن حميدا انما سمعه من ثابت قالوا اثم ان اسألكم انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم او شهد به يقول ذلك ولعله حكى ما سمع وفي
هذا الكلام تكلف ظاهر والذي ذكرناه في حديث ابن اسحاق والواقدي
وغيرهما موافق لظاهر هذه الرواية وكذا لك ذكر طائفة من اهل التفسير

وقد جاءت آثار فيها بيان صفة الحال على هذا القول ففي حديث ابن اسحاق
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عليم حكيم فيقول
او اكتب عزيز حكيم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم كلاهما
سواء . وفي الرواية الاخرى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يملى عليه فيقول عزيز حكيم او حكيم عليم فكان يكتبها على احد الحرفين
فيقول كل صواب . ففي هذا بيان لان كلا الحرفين كان قد نزل وان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقرأها ويقول له اكتب كيف شئت من هذين
الحرفين فكل صواب وقد جاء مصرحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
انزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف ان قلت عزيز حكيم او غفور رحيم
فهو كذلك ما لم تختم آية رحمة بعد اب او آية عذاب برحمة . وفي حرف
جماعة من الصحابة ان تعذبهم فانهم عباد لشوان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم
والاحاديث في ذلك منتشرة تدل على ان من الحروف السبعة التي نزل
عليها القرآن ان يختم الآية الواحدة بعدة اسماء من اسماء الله على سبيل البدل
ينخير القارى في القراءة بآياتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينخيره ان يكتب
ما شاء من تلك الحروف وربما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم بحرف من
الحروف فيقول له او اكتب كذا او كذا لكثرة ما سمع النبي صلى الله عليه
وسلم ينخير بين الحرفين فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم كلاهما سواء لان
الاية نزلت بالحرفين وربما كتب هو احد الحرفين ثم قرأه على النبي صلى الله
عليه وسلم فافره عليه لانه قد نزل كذلك ايضاً وختم الآية بمثل سميع عليم

و علم حليم و غفور رحيم او بمثل سميع بصير او علم حليم او حكيم حليم كثير
في القرآن وكان نزول الآية على حدة من هذه الحروف امر معتاداً ثم ان الله
نسخ بعض تلك الحروف لما كان جبريل يعارض النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن
في كل رمضان وكانت العرصة الأخيرة هي حرف زيد بن ثابت الذي يقرأ
الناس به اليوم وهو الذي جمع عثمان و الصحابة رضى الله عنهم اجمعين عليه
الناس ولهذا ذكر ابن عباس هذه القصة في النسخ و المنسوخ وكذلك
ذكرها الامام احمد في كتابه في النسخ و المنسوخ لتضمنها نسخ بعض الحروف
و روى فيها وجه آخر رواه الامام احمد في النسخ و المنسوخ حد ثنامسكين
ابن بكير ثنامعان قال و سمعت خلفا يقول كان ابن ابي سرح كتب للنبي صلى الله
عليه وسلم القرآن فكان ر بما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن خواتم الآى يعملون
و يفعلون و نحوذا فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب اى ذلك شئت
قال فيوفقه الله للصواب من ذلك فاتى اهل مكة مرتدا فقالوا يا ابن ابي سرح
كيف كنت تكتب لا بن ابي كبشة القرآن قال اكتبه كيف شئت قال
فانزل الله في ذلك و من اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال
اوحى الي و لم يوح اليه شىء الاية كلها قال النبي صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة من اخذ ابن ابي سرح فليضرب عنقه حيث ما وجد
و ان كان متعلقا باستار الكعبة، ففي هذا الاثر انه كان يسأل النبي صلى الله
عن حرفين جائزين فيقول له اكتب اى ذلك شئت فيوفقه الله للصواب فيكتب
احب الحرفين الى الله و كان كلاهما منزلا او يكتب ما انزله الله فقط ان لم يكن الاخر

منزلا وكان هذا التخيير من النبي صلى الله عليه وسلم امانا وسعة ان كان الله قد انزلها
او ثقة بحفظ الله وعلما منه بانه لا يكتب الا ما انزل وليس هذا ينكر في كتاب
نولي الله حفظه وضمن انه لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه * وذكر بعضهم
وجها ثالثا وهو انه ربما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الآية حتى لم يبق
منها الا كلمة او كلمتان فيستدل بما قرأ منها على باقيها كما يفعله الفطن الذكي فيكتبه
ثم يقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول كذلك انزلت كما اتفق مثل ذلك لعمر في
قوله فتبارك الله احسن الخالقين * وقد روى الكلبى عن ابي صالح عن ابن عباس
مثل هذا في هذه القصة وان كان هذا الاسناد ليس بثقة قال عن ابن ابي سرح
انه كان تكلم بالاسلام وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الاحايين فاذا املى عليه عز به حكيم كتب غفور رحيم فيقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا اوداك سواء فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين
املاها عليه فلما انتهى الى قوله خلقا آخر عجب عبد الله بن سعد فقال تبارك الله
احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا انزلت علي فاكتبها
فشك حينئذ وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الي كما وحي اليه ولئن كان
كاذبا لقد قلت كما قال فنزلت هذه الآية * ومما ضعفت به هذه الرواية ان المشهور
ان الذي تكلم بهذا عمر بن الخطاب ومن الناس من قال قولا آخر قال الذي ثبت في
رواية انس انه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ما كتبه بعدما كتبه فيملي
عليه سمعا عليا فيقول قد كتبت سمعا بصيرا فيقول دعه او اكتب كيف شئت
وكذلك في حديث الواقدي انه كان يقول كذا انزل الله ويقره قالوا وكان

النبي صلى الله عليه وسلم به حاجة الى من يكتب لقلة الكتاب في الصحابة وعدم حضور الكتاب منهم في وقت الحاجة اليهم فان العرب كان الغالب عليهم الامية حتى ان كان الجوال العظيم يطلب فيه كاتب فلا يوجد وكان احدهم اذا اراد كتابة او شقة وجد مشقة حتى يحصل له كاتب فاذا اتفق للنبي صلى الله عليه وسلم من يكتب له انتهز الفرصة في كتابته فاذا زاد الكاتب او نقص تركه لحرصه على كتابة ما يميله ولا يامر به بتغير ذلك خوفاً من ضميره وان يقطع الكتابة قبل اتمامها ثقة منه صلى الله عليه وسلم بان تلك الكلمة او الكلمتين تستدرك فيما بعد بالالقاء الى من يلقنها منه او يكتبها تعويلاً على المحفوظ عنده وفي قلبه كما قال تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى * والاشبه والله اعلم هو الوجه الاول وان هذا كان فيما انزل القرآن فيه على حروف عدة فان القول المرضى عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الاحاديث وقراءات الصحابة ان المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو احد الحروف السبعة وهو العريضة الآخرة وان الحروف السبعة خارجة عن هذا المصحف وان الحروف السبعة كانت تختلف الكلمة مع ان المعنى غير مختلف ولا متضاد *

﴿ الحديث العاشر ﴾ حديث القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ومولاة بنى هاشم وذلك مشهور مستفيض عند اهل السير وقد تقدم في حديث سعيد بن المسيب انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل فرتن * وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكفوا ايديهم فلا يقاتلوا احداً الا من

حديث القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم

قاتلهم و امر بقتل اربعة نفر قال و امر بقتل قيسين لابن خطل ثغنيان بهجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال وقتلت احدي القيسيتين وكنمت الاخرى
حتى استؤمن لها و كذلك ذكر محمد بن عائذ القرشي في مغازيه و قال ابن
اسحاق في رواية ابن بكير عنه قال ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر و عبد الله
ابن ابي بكر بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة
و غرق جيوشه امرهم ان لا يقتلوا احدا الا من قاتلهم الا نفر اقد سامهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال اقتلوهم و ان وجدتموهم تحت اстар
الكعبة عبد الله بن خطل ثم قال و انما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلما
فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقا و بعث معه رجلا من الانصار
و كان معه مولى له يخدمه و كان مسلما فنزل منزلا و امر المولى يذبح له
تيسا و يصنع له طعاما فنام و استيقظ و لم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله
ثم ارتد مشركا و كانت له قينة صاحبها قينة كانتا ثغنيان بهجاء النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يبق بقتلها معه قال و مقيس بن صبابه بقتله الانصارى
الذى قتل اخاه و سارة مولاة لبنى عبد المطلب و كانت ممن يؤذيه
بمكة . و قال الاموى حدثني ابي قال و قال ابن اسحاق و كانت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد الى المسلمين في قتل ثغور و سوق و قال ان وجدتموهم تحت
ااستار الكعبة فاقتلوهم و سامهم باسمائهم ستة ابن ابي سرج و ابن خطل و الحويرث
ابن معبد و مقيس بن صبابه و رجل من بنى تيم بن غالب . قال ابن اسحاق
و حدثني ابو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر انهم كانوا ستة فكنتم اسم رجلين

واخبرني باربعة قال والنسوة قينتا ابن خطل وسارة مولاة لبني عبدالمطلب
ثم قال والقينتان كانتا تغنيان بهجائه وسارة مولاة ابي لهب كانت تؤذيه بلسانها
وقال الواقدي عن اشياخه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
القتال وامر بقتل ستة نفر واربع نسوة ثم عددهم قال ابن خطل وسارة
مولاة عمرو بن هاشم وقينتين لابن خطل فرثني وقريبة ويقال فرثني وارنب
ثم قال وكان جرم ابن خطل انه اسلم وهاجر الى المدينة وبعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ساعياً وبعث معه رجلاً من خزاعة وكان يصنع طعامه
ويخدمه فنزل في مجمع فامر به ان يصنع له طعاماً ونام نصف النهار فاستيقظ
والخزاعي نائم ولم يصنع له فاغتاظ عليه فضربه فلم يقلع عنه حتى قتله فلما قتله
قال والله ليقتلني محمد به ان جثته فارند عن الاسلام وسبق ما اخذ من الصدقة
وهرب الى مكة فقال له اهل مكة ما ردك اليها قال لم اجد ديناً خيراً من
دينكم فاقام على شركه فكانت له قينتان وكانا فاسقتين وكان يقول الشعر
يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامرهما تغنيان به فيدخل عليه وعلى
قنيتيه المشركون فيشربون الخمر وتغني القينتان بذلك الهجاء وكانت
سارة مولاة عمرو بن هاشم نواحة بمكة فيلقى عليها هجاء النبي صلى الله عليه
وسلم فتغني به وكانت قد قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب
ان يصلها وشكت الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان لك
في غنائك ونياحتك ما يكفيك فقالت يا محمد ان قر يشامند قتل من قتل منهم
بيد تركوا استماع الغناء فوصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم واورق لها

بعير اطعاماً فرجعت الى قريش وهي على دينها فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان تقتل فقتلت يومئذ واما القينتان فلمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما فقتلت احدهما ارنبا وقرية واما فرني فاستوثمن لها حتى آمنت وعاشت حتى كسر ضلع من اضلاعها زمن عثمان رضي الله عنه فماتت فقضى فيه عثمان رضي الله عنه ثمانية آلاف درهم دينها والقين تعليظاً للحرم وحدث القينتين مما اتفق عليه علماء السيرة استفاض نقله استفاضة يستغنى بها عن رواية الواحد وحدث مولاة بني هاشم ذكره عامة اهل المغازي ومن له مزيد خبرة واطلاع وبعضهم لم يذكره فوجه الدلالة ان نعمد قتل المرأة لمجرد الكفر الا صلى لا يجوز بالاجماع وقد استفاضت بذلك السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين عن ابن عمر قال وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان وفي حديث آخر انه مر على امرأة مقتولة في بعض مغازيه فانكر قتلها وقال ما كانت هذه لتقاتل ثم قال لاحد هم الحق خالد اقل له لا تقتل ذرية ولا عسيفاً رواه ابوداود وغيره وقد روى الامام احمد في المسند عن كعب بن مالك عن عمه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الى ابن ابي الحقيق بخير نهى عن قتل النساء والصبيان وهذا مشهور عند اهل السيرة وفي الحديث من رواية الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك ثم صعد واليه في عليه ففرعوا عليه الباب فخرجت اليهم امرأة فقالت من انتم فقالوا حي من

العرب نريد الميرة ففتحت لم فقالت ذاك الرجل عندكم في البيت ففلقنا علينا وعليها
باب الحجر ونوهت بنا فصاحت وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
بعثنا عن قتل النساء والولد ان يجعل الرجل منا يحمل عليها السيف ثم يذكر
نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء فيمسك يد . فلو لا ذلك فرغنا
منها بليل وذكر الحديث وكذلك روى يونس بن بكير عن عبد الله بن كعب بن
مالك قال حدثني عبد الله بن انيس قال في الحديث فقامت ففتحت فقلت
لعبد الله بن عقيل دونك فشهرا عليها السيف فذهبت امرأته فشهرت عليها السيف
واذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهانا عن قتل النساء والصبيان
فاكف . وكذا لك رواه غير واحد عن ابن انيس قال فصاحت امرأته فهم بعضنا
ان نخرج اليها ثم ذكرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتل النساء
وهذه القصة كانت قبل فتح مكة بل قبل فتح خيبر ايضا بالاخلاف بين اهل
العلم . وذكر الواقدي انها كانت في ذي الحجة من السنة الرابعة من الهجرة
قبل الخندق وذكر ابن اسحاق انها كانت عقب الخندق وهما جميعا بنو عمان ان
الخندق في شوال في سنة خمس واما موسى بن عقبة فقال في شوال سنة اربع
وحدث ابن عمر يدل عليه وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وانما ذكرنا هذا
رفعالوهم من قديظن ان قتل النساء كان مباحا عام الفتح ثم حرم بعد ذلك والا
فلا ريب عند اهل العلم ان قتل النساء لم يكن مباحا قط بان آيات القتال وترتيب
نزولها كلها دليل على ان قتل النساء لم يكن جائزا هذا مع ان اولئك النساء اللاتي
كن في حصن ابن ابي الحقيق اذ ذاك لم يطمع هو ، لاء ، نفر في استرقاقهن بل هن

ممتنعات عند اهل خير قبل فتحها بمدة مع ان المرأة قد صاحت وخافوا الشر
 بصوتها ثم امسكوا عن قتلها الرجاء ثم ان ينكف شرها بالتهويل عليها نعم المحرم انما
 هو قصد قتلها فاما اذا قصدنا قصد الرجال بالاغارة او نرعى بمنجنيق او فتح شق
 او القاء نار فتلف بذلك نساء او صبيان لم تأثم بذلك الحديث الصعب بن جثامة
 انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن اهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب
 الذرية فقال هم منهم * متفق عليه ولان النبي صلى الله عليه وسلم رمى اهل الطائف
 بالمنجنيق مع انه قد يصيب المرأة والصبي وبكل حال فالمرأة الحربية غير مضمونة
 بقود ولادية ولا كفارة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر من قتل المرأة في
 مغازيه بشيء من ذلك فهذا ما تفارق به المرأة الذمية واذا قاتلت المرأة الحربية جاز
 قتلها بالاتفاق لان النبي صلى الله عليه وسلم علل المنع من قتل المرأة بانها لم تكن
 تقاتل فاذا قاتلت وجد المتمضى لقتلها وارتفع المانع لكن عند الشافعي تقاتل كما
 يقاتل المسلم الصائل فلا يقصد قتلها بل دفعها فاذا قدر عليها لم يجز قتلها وعند
 غيره اذا قاتلت صارت بمنزلة الرجل المحارب اذا اقرر هذا فنقول هو لا
 النسوة كن معصومات بانوثة ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتلهن
 لمجرد كونهن كن يهجنه وهن في دار حرب فعلم ان من هجاه وسبه
 جاز قتله بكل حال * ومما يؤكد ذلك وجوه * احدها ان الهجاء والسب
 اما ان يكون من باب القتال باللسان فيكون كالقتال باليد وتكون المرأة
 الهاجئة كالمرأة التي يستعان برأياها على حرب المسلمين كالملكة ونحوها
 مثل ما كانت هند بنت عتبة او تكون بنفسها موجهة للقتل لما فيه من

اذى الله ورسوله والمؤمنين وان كان من جنس المحاربة او لا يكون شيئا من ذلك فان كان من القسم الاول والثاني جاز قتل المرأة الذمية اذا سبت لانها حينئذ تكون قد حاربت او ارتكبت ما يوجب القتل فالذمية اذا فعلت ذلك انتقض عهد ها وقتلت ولا يجوز ان تخرج عن هذين القسمين لانه يلزم منه قتل المرأة من اهل الحرب من غير ان تقاتل بيد ولا لسان ولا ان ترتكب ما هو بنفسه موجب للقتل وقتل مثل هذه المرأة حرام بالسنة والاجماع الوجه الثاني . ان هؤلاء النسوة كن من اهل الحرب وقد آذين النبي صلى الله عليه وسلم في دار الحرب ثم قتلن بمجرد السب كما نطقت به الاحاديث فقتل المرأة الذمية بذلك اولى واخرى كالمسلمة لان الذمية يتناوب بينهما من العهد ما يكفها عن اظهار السب ويوجب عليها التزام الذل والصغار ولهذا اتواخذ بما تصيبه للمسلم من دم او مال او عرض والحرية لا تؤخذ بشيء من ذلك فاذا جاز قتل المرأة لانها سبت الرسول وهي حرة تستبيع ذلك من غير مانع فقتل الذمية الممنوعة عن ذلك بالعهد اولى ولا يقال عصمة الذمي او كد لانه مضمون والحربي غير مضمون . لانا نقول الذمي ايضا ضامن لدم المسلم والحربي غير ضامن فهو ضامن مضمون لان العهد الذي يتناقض ذلك واما الحرية فلا عهد يتناوب بينها يقتضي ذلك فليس كون الذمي مضمونا يجب علينا حفظه بالذى يهون عليه ما ينتهكه من عرض الرسول بل ذلك اغاظ لجرمه واولى بان يؤخذ بما يؤذي نابه ولا نعلم شيئا تقتل به المرأة الحرية قصد الا وقتل الذمية به اولى . الوجه الثالث . ان هؤلاء النسوة لم يقاتلن عام الفتح بل كن

متذلللات مستسلمات والهجاء ان كان من جنس القتال فقد كان موجودا قبل ذلك والمرأة الحربية لا يجوز قتلها في غزوة هي فيها مستسلمة لكونها قد قاتلت قبل ذلك فعلم ان السب بنفسه هو المبيع له مائنه لا كونهن قاتلات

• الوجه الرابع • ان النبي صلى الله عليه وسلم آمن جميع اهل مكة الا ان يقاتلوا مع كونهم قد حاربوه وقتلوا اصحابه ونقضوا العهد الذي بينهم وبينه ثم انه اهدر دماء هو ولا النسوة فبين استثناءه وان لم يقاتلن لكونهن كن يؤذينه فثبت ان جرم المودى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالسب ونحوه اغلظ من جرم القتال وغيره وانه يقتل في الحال التي نهى فيها عن قتال من قتل وقاتل

• الوجه الخامس • ان القينئين كانتا امتين مامورتين بالهجاء وقتل الامة ابعد من قتل الحرة فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل العفيف وكونها مامورة بالهجاء اخف لجرمها حيث لم تقصده ابتداء ثم مع هذا امر بقتلها فعلم ان السب اغلظ الموجبات للقتل • الوجه السادس • ان هؤلاء النسوة اما ان يكن قتلن بالهجاء لانهن فعلنه مع العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اهل مكة فيكون من جنس هجاء الذمي او قتلن لمجرد الهجاء مع عدم العهد فان كان الاول فهو المطلوب وان كان الثاني فاذا جاز ان تقتل السابة التي لا عهد بيننا وبينها يمنعها فقتل الممنوعة بالعهد اولى لان مجرد كفر المرأة وكونها من اهل الحرب لا يبيح دمه بالاتفاق على ما تقدم لاسيما والسب لم يكن بمنزلة القتال على ما تقدم فان قيل • ما وجه التردد واهل مكة قد نقضوا العهد وصاروا كلهم محاربين • قيل • لان

النبي صلى الله عليه وسلم لم يستبح اخذ الاموال وسبي الذرية والنساء بذلك
 النقض العام اما لانه عفا عن ذلك كما عفا عن قتل من لم يقاتل او لان النقض
 الذي وجد من بعض الرجال بمعاونة بني بكر من بعضهم باقرارهم على ذلك
 لم يسر حكمه الى الذرية • ومما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم آمن
 الناس الابن بكر من خزاعة والا نفر المسمين اما عشرة او اقل من عشرة
 او اكثر لان بني بكر هم الذين باثروا نقض العهد وقتلوا خزاعة فعلم انه فرق
 بين من نقض العهد وفعل ما يبيع الدم وبين من لم يفعل شيئاً غير الموافقة على
 نقض العهد فبكل حال لم يقتل هؤلاء النسوة للعرب العام والنقض العام بل
 لخصوص جرمهن من السب الناقض لعهد فاعله سواء ضم اليه كونه من ذى
 عهد او لم يضم • واعلم • ان ما تقدم من قتل النسوة اللاتي سبين رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مثل اليهود وام الولد وعصماء لو لم يثبت انهن كن معاهدات
 لكن الاستدلال به جائز ا فان كلما جازان تقتل به المرأة التي ليست مسلمة
 ولا معاهدة من فعلها او قولها فان تقتل به المرأة المعاهدة اولى واخرى فان
 موجبات القتل في حق الذمية اوسع من موجباته في حق التي ليست ذمية
 ومما يدل على مثل هذه الدلالة ما روي ان امرأة كانت تسب النبي صلى الله
 عليه وسلم فقال من يكفني عدوى نخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها •

الحديث الحادي عشر • ما استدل به بعضهم من قصة ابن خطل وفي الصحيحين
 من حديث الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى
 رأسه المغفر فلما نزع عنه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال

حكاية ابن خطل كان تعلق باستار الكعبة ملتجأ به من القتل

لقتلوه و هذا مما استفاض نقله بين اهل العلم و اتفقوا عليه ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اهدى دم ابن خطل يوم الفتح فبين اهدى و انه قتل
 و قد تقدم عن ابن المسيب ان ابا برزة اتاه وهو متعلق باستار الكعبة فبقربطه
 و كذلك روى الواقدي عن ابي برزة قال في نزلت هذه الآية لا اقسام
 بهذا البلد و انت حل بهذا البلد اخرجت عبد الله بن خطل وهو متعلق باستار
 الكعبة فضربت عنقه بين الركن و المقام و ذكر الواقدي ان ابن خطل
 اقبل من اعلى مكة مدججا في الحديد (١) ثم خرج حتى انتهى الى الخندمة فرأى
 خيل المسلمين و رأى القتال و دخله رعب حتى ما يستمسك من الرعدة حتى
 انتهى الى الكعبة فنزل عن فرسه و طرح سلاحه فأتى البيت فدخل بين
 استاره و قد تقدم عن اهل المغازي ان جرهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
 اسعمله على الصدقة و اصحبه رجلا يخدمه فغضب على رفيقه لكونه
 لم يصنع له طعاما امره بصنعه فقتله ثم خاف ان يقتل فارتد و استاق ابل
 الصدقة و انه كان يقول الشعر يهجو به رسول الله صلى الله عليه وسلم و يامر
 بجاريته ان تغيبه فهذا له ثلاث جرائم مبيحة للدم قتل النفس و الردة و الهجاء
 فمن اخرج بقصنه يقول لم يقتل لقتل النفس لان اكثر ما يجب على من قتل ثم ارتد
 ان يقتل قودا و المقتول من خزاعة له اولياء فكان حكمه لو قتل قودا ان يسلم
 الى اولياء المقتول فاما ان يقتلوا و يعفوا او ياخذوا الدية و لم يقتل لمجر دالردة
 لان المرتد يستتاب و اذا استنظر انظرو هذا ابن خطل قد فر الى البيت عائذ به
 طالب الامان تارك القتال ملقيا للسلاح حتى نظر في امره و قد امر النبي صلى الله

عليه وسلم بعد علمه بذلك كله ان يقتل وليس هذا سنة من يقتل من مجرد
الردة فثبت ان هذا التغليظ في قتله انما كان لاجل السب والهجاء وان الساب
وان ارند فليس بمنزلة المرتد المحض يقتل قبل الاستتابة ولا يؤخر قتله وذلك
دليل على جواز قتله بعد التوبة * وقد استدل بقصة ابن خطل طائفة من
الفقهاء على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين يقتل وان اسلم
حدا واعترض عليهم بان ابن خطل كان حربيا فقتل لذلك وصوابه انه
كان مرتدا بلا خلاف بين اهل العلم بالسير وحتم قتله بدون استتابة
مع كونه مستسلما منقادا لقي السلم كالا سير فعلم ان من ارند وسب
يقتل بلا استتابة بخلاف من ارند فقط * يؤيده ان النبي صلى الله عليه وسلم
آمن عام الفتح جميع المحاربين الاذوى جرائم مخصوصة وكان ممن اهدر
دمه دون غيره فعلم انه لم يقتل لمجرد الكفر والحراب * السنة الثانية عشر *
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل جماعة لاجل سبه وقتل جماعة لاجل
ذلك مع كفه وامساكه عن هو بمنزلة في كونه كافرا حربيا فمن ذلك
ما قدمناه عن سعيد بن المسيب ان النبي صلى الله عليه وسلم امر يوم الفتح
بقتل ابن الزبيري * وسعيد بن المسيب هو العاقبة في جودة المراسيل ولا يضره
ان لا يذكره بعض اهل المغازي فانهم مختلفون في عدد من استثنى من
الامان وكل اخبر بما علم ومن اثبت الشيء وذكره حجة على من لم يثبت * وقد
ذكر ابن اسحاق قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصرفا
عن الطائف كتب بجير بن زهير بن ابي سلى الى اخيه كعب بن زهير يخبره

امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من كان يهجو
ويؤذي من شعراء قريش

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بمكة ممن كان يهجووه ويؤذيه
وان من بقي من شعراء قريش عبد الله بن الزبيري وهيرة بن ابي وهب
قد هربوا في كل وجه ففي هذا بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل من
كان يهجووه ويؤذيه بمكة من الشعراء مثل ابن الزبيري وغيره ومما لا يخفى
فيه ان ابن الزبيري انما ذنبه انه كان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بلسانه فانه كان من اشعر الناس وكان يهاجى شعراء الاسلام مثل حسان
وكعب بن مالك وماسوى ذلك من الذنوب قد شره فيه واربي عليه
عدد كثير من قريش ثم ان ابن الزبيري فر الى نجران ثم قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم مسلما وله اشعار حسنة في التوبة والا عند ارفاهه رد مه
للسب مع امانه لجميع اهل مكة الامن كان له جرم مثل جرمه ونحو ذلك
ومن ذلك ابوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب قصته في هجائه
للنبي صلى الله عليه وسلم وفي اعراض النبي صلى الله عليه وسلم عنه لما جاء مسلما
مشهورة مستفيضة وقد ذكر الواقدي قال حدثني سعيد بن مسلم بن قناذ
عن عبد الرحمن بن سابط وغيره قال كان ابوسفيان بن الحارث اخا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ارضعته حليلة اياما
وكان يألف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له ثربا فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه عداوة لم يعادها احدا قط ولم يكن
دخل الشعب وهجار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجا اصحابه وذكروا الحديث
الى ان قال ثم ان الله التقي في قلبه الاسلام قال ابوسفيان فقلت من اصحب ومع

من اكون قد ضرب الاسلام بجرانه فحقت زوجتي وولدي فقلت تهيبوا
 للخروج فقد اقبل قدوم محمد قالوا قد آن لك ان تنصر محمدا ان العرب والعجم
 قد تبعت محمدا وانت توضع في عداوته وكنيت اولي الناس بنصرته فقلت
 لغلامي مذكور عجل يا بعتي وفرسي قال ثم سرتنا حتى نزلنا بالابواء وقد نزلت
 مقدمته الابواء فتكرت وخفت ان اقتل وكان قد اهدر دمي فخرجت واحدا بني
 جعفر على قدمي نحو امن ميل في الغداة التي صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الابواء فاقبل الناس رسلا رسلا اي قطيعا قطيعا فتنبهت فرقا من اصحابه
 فلما طلع في موكبه تصديت له تلقاء وجهه فلما ملا عينيه مني اعرض عني بوجهه
 الى الناحية الاخرى فتحولت الى ناحية وجهه الاخرى فاعرض عني مرارا
 فاخذني ما قرب وما بعد وقلت انا مقتول قبل ان اصل اليه واتذكر بره
 ورحمه وقرابتي فيمسك ذلك مني وقد كنت لا اشك ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم واصحابه سيفرحون باسلامي فرحاشد بدا لقرابتي برسول الله صلى الله
 عليه وسلم فلما رأي المسلمون اعراض رسول الله صلى الله عليه وسلم عني اعرضوا
 عني جميعا فلقبني ابن ابي خافة معر ضاعني ونظرت الى عمر يغري بي رجلا من
 الانصار فالزبي رجل يقول يا عدو الله انت الذي كنت تؤذي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وتؤذي اصحابه قد باغت مشارق الارض ومغاريها في عداوته فرددت
 بعض الرد عن نفسي فاستطال علي ورفع صوته حتى جعلني في مثل الحرجة من
 الناس يسرون بما يفعل بي قال قد خلت على عمي العباس فقلت يا عباس قد كنت
 ارجو ان سيفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي لقرابتي وشرفي وقد كان

منه ما رأيت فكله ليرضى قال لا والله لا أكله كلمة فيك أبدا بعد الذي رأيت منه
 ما رأيت إلا أن أرى وجهي أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله فقلت
 يا أعمى من تكلمني قال هوذا كفلقيت علياً فكلته فقال لي مثل ذلك وذكر الحديث
 إلى أن قال فخرجت فجلست على منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى راح
 إلى الجحفة وهو لا يكلمني ولا أحد من المسلمين وجعلت لا ينزل منزلاً إلا أنا على
 بابي ومعي ابني جعفر قائم فلا يراني إلا أعرض عني على هذه الحال حتى شهدت معه
 فتح مكة وأنا في خيله التي تلازمه حتى هبط من إذاً (١) حتى نزل الأبطح فنظر إلى
 نظرائه الذين من ذلك النظر قدر جوت أن يتبسم ودخل عليه نساء بني عبد المطلب
 ودخلت معهن زوجتي فرققته علي وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال
 حتى خرج إلى هوازن فخرجت معه وذكر قصته بهوازن وهي مشهورة قال
 الواقدي وقد سمعت في إسلام أبي سفيان بن الحارث بوجه آخر قال لقبت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنية العقاب وذكر الحديث نحو ما ذكره ابن
 اسحاق قال ابن اسحاق وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة
 قد لقيار رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنية العقاب فهما بين مكة والمدينة فالتصا
 الدخول عليه فكلته أم سلمة فهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك
 وصهرك فقال لا حاجة لي بها أما ابن عمي فهنك عرضي وأما ابن عمتي وصهرى فهو
 الذي قال لي بمكة ما قال فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث
 ابن له فقال والله لياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً خذني بيد ابني

(١) قال في القاموس إذا خرج بالفتح بلد قرب مكة ١٢

هنا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها فدخل عليه فانشده ابو سفيان قوله في اسلامه واعتذاره مما كان مضى منه فقال •

لعمرك اني يوم اهل رأية • لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكا لمد لج الحيران اظلم ليله • فهذا اواني حين اهدى واهتدى
هداني هاد غير نفسي ودلني • على الله من طردت كل مطرد

وذكر باقي الايات • وفي رواية الواقدي قال فطلبوا الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان يدخلها عليه فكلته ام سلمة زوجته فقالت يا رسول الله صهرك وابن عمك وابن عمك واخوك من الرضاة وقد جاء الله بهما مسلمين لا يكونا شقي الناس بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي بهما اما اخوك فالتقاتل لي بمكة ما قال لن يؤمن لي حتى ارقى في السماء فقالت يا رسول الله انما هو من قومك وكل قریش قد تكلم ونزل القرآن فيه بعينه وقد عفوت عمن هو اعظم جرما منه ابن عمك قرابتك به قريبة وانت احق الناس عفا عنه جرمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي هتك عري فلا حاجة لي بهما فلما خرج اليهما الخبر قال ابو سفيان بن الحارث ومعه ابنة ليقبلن مني او لا خذني يد ابني فلاذهبن في الارض حتى اهلك عطشا وجوعا وانت احلم الناس واكرم الناس مع رحي بك فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته فرق له وقال عبد الله بن ابي امية انما جئت لاصدقك ولي من القرابة مثل مالي من الصهر بك وجعلت ام سلمة تكلم فيهما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما فاذا نلها

ودخلا قاسما وكانا جميعا حسنى الاسلام . قتل عبد الله بن ابي امية بالطائف
وملت ابو سفيان بن الحارث بالمدينة في خلافة عمر رضى الله عنه لم يغمص عليه
في شئ . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدر دمه قبل ان يلقاه
وهو وجه الدلالة . انه اهدر دم ابي سفيان بن الحارث دون غيره من صناديد
المشركين الذين كانوا اشد تأثيرا في الجهاد باليد والمال وهو قادم الى مكة
لا يريد ان يسفك دماء اهلها بل يستعطفهم على الاسلام ولم يكن لذلك
سبب يختص بابي سفيان الا الهجاء ثم جاء مسلما وهو يعرض عنه هذا الاعراض
وكان من شأنه ان يتألف الاباعد على الاسلام فكيف بشيرته الاقربين كل
ذلك بسبب هتكه عرضه كما هو مفسر في الحديث . ومن ذلك . انه امر
يوم الفتح بقتل الحويرث بن ثقيد وهو معروف عند اهل السير قال موسى
ابن عقبة في مغازيه عن الزهرى وهي من اصح المغازي كان مالك يقول من
احب ان يكتب المغازي فعليه بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة قال
وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكفوا ايديهم فلا يقاثلوا احدا
الا من قاتلهم وامرهم بقتل اربعة نفر منهم الحويرث بن ثقيد وقال سعد
ابن يحيى الاموى في مغازيه حدثني ابي قال وقال ابن اسحاق وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد الى المسلمين في قتل نفر ونسوة وقال ان وجدتموهم
تحت اstantar الكعبة فاقتلوهم وسماهم باسمائهم ستة وهم عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح وعبد الله بن خطل والحويرث بن ثقيد ومقيس بن صبابه
ورجل من بني تيم بن غالب . قال ابن اسحاق وحدثني ابو عبيدة بن محمد

ابن عمار بن ياسر انهم كانوا ستة فكتم اسم رجلين واخبرني باربعة وزعم
ان عكرمة بن ابي جهل احدثهم قال واما الحويرث بن ثقيد فقتله علي بن ابي
طالب وكذلك ذكر ابن اسحاق في رواية بكبر وغيره عنه من النفر الذين
استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اقتلوهم وان وجدتموهم تحت اстар
الكعبة الحويرث بن ثقيد وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الواقدي عن اشياخه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال
وامر بقتل ستة نفر واربع نسوة عكرمة بن ابي جهل وهبار بن الاسود
وابن ابي سرح ومقيس بن صبابه والحويرث بن ثقيد وابن خطل قال
واما الحويرث بن ثقيد فانه كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فاهد ردمه
فبينما هو في منزله يوم الفتح قد اغلق عليه واقبل علي رضي الله عنه يسأل عنه
فقبل هو في البادية فاخبر الحويرث انه يطلب وتحمي علي عن بابه فخرج الحويرث
يريد ان يهرب من بيت الى بيت آخر فقتلناه علي فضرب عنقه ومثل هذا مما يشتهر
عنده هؤلاء مثل الزهري وابن عقبة وابن اسحاق والواقدي والاموي وغيرهم اكثر
ما فيه انه مرسل والمرسل اذا روى من جهات مختلفة لاسيما من له عناية بهذا الامر
ويتبع له كان كالمسند بل بعض ما يشتهر عند اهل المغازي ويستفيض اقوى مما يروى
بالاسناد الواحد ولا يوهنه انه لم يذكر في الحديث المأثور عن سعد وعمر وبن
شعب عن ابيه عن جده لان المثلث مقدم على النافي ومن اخبر انه امر بقتله فعه
زيادة علم ولعل النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بقتله ثم امر بقتله وذلك انه
يمكن ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى اصحابه ان يقتلوا الا من قاتلهم الا النفر الاربعة

ثم امرهم ان يقتلوا هذا وغيره ومجرد نهيهم عن القتال لا يوجب عصمة المكفوف
 عنهم لكنه بعد ذلك آمنهم الا ما ان العاصم للدم وهذا الرجل قد امر
 النبي صلى الله عليه وسلم بقتله لمجرد اذاه له مع انه قد آمن من اهل البلد الذي
 قاتلوه واصحابه وفعلوا بهم الا فاعيل ❦ ومن ذلك ❦ انه صلى الله عليه وسلم لما
 قتل من بدر راجعاً الى المدينة قتل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
 ولم يقتل من الاسارى بدر غيرهما وقصتها معروفة ❦ قتل ابن اسحاق وكان في
 الاسارى عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث فلما كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله علي بن ابي طالب كما اخبرت
 ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بمرق الظبية قتل عقبة بن ابي
 معيط قتله عاصم بن ثابت ❦ وقال موسى بن عقبة عن الزهري ولم يقتل من
 الاسارى صبرا غير عقبة بن ابي معيط قتله عاصم بن ثابت ابن ابي القح و لما
 ابصره عقبة مقبلاً اليه استعاث بقريش فقال يا معشر قریش علام اقتل من
 بين من هاهنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على عداوتك الله ورسوله وكذلك
 ذكر محمد بن عائذ في معازيه وهذا والله اعلم لان النضر قتل بالصفراء عند
 بدر فلم يعد من الاسرى عند هذا القاتل لقتله قريباً من مصارع قریش
 والا فلا خلاف علمناه ان النضر وعقبة قتلا بعد الاسره وقد روى البزار
 عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قریش مالي اقتل من
 بينكم صبراً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك واقترائك على رسول الله
 هو قال الواقدي كان النضر بن الحارث اسره المقداد بن الاسود فلما خرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكان بالاثيل عرض عليه الاسرى
 فنظر الى النضر بن الحارث فابعد النظر فقال لرجل الى جنبه محمد والله قاتلي
 لقد نظر الي بعينين فيها آثار الموت فقال الذي الى جنبه والله ما هذا منك
 الارعب فقال النضر لمصعب بن عمير يا مصعب انت اقرب من هاهنا بي رحماً
 كلم صاحبك ان يجعلني كرجل من اصحابي هو والله قاتلي ان لم تفعل قال
 مصعب انك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا او كنت تقول في نبيه كذا
 وكذا اقال يا مصعب و يجعلني كاحد اصحابي ان قتلوا قتلت وان من عليهم
 من علي قال مصعب انك كنت تعذب اصحابه وذكر الحديث الى ان
 قال فقتله علي بن ابي طالب صبراً بالسيف قال الواقدي و اقبل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بالاسرى حتى اذا كانوا بعرق الظبية امر عاصم بن ثابت
 ابن ابي الاقلح ان يضرب عنق عقبة بن ابي معيط فجعل عقبة يقول يا ويلي علام
 اقتل يا قریش من بين من هاهنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعداوتك
 لله ورسوله قال يا محمد منك افضل فاجعلني كرجل من قومي ان قتلتم قتلتي
 وان منت عليهم منت علي وان اخذت منهم الفداء كنت كاحد هم يا محمد
 من للصبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النار قد مه يا عاصم فاضرب
 عنقه فقدمه عاصم فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بش
 الرجل كنت والله ما علمت كافراً بالله وبكتابه و برسوله موزياً لنبيه فاحمد الله
 الذي هو قتلك و اقر عيني منك ففي هذا بيان ان السبب الذي اوجب قتل
 هذين الرجلين من بين سائر الاسرى اذ اهم الله ورسوله بالقول والفعل

فان الآيات التي نزلت في النضر معروفة واذى ابن ابي معيط له مشهور
 بلسانه ويد . حين خنقه بابي هو وامى بردائه خنقاً شديداً يريد قتله وحين
 التي السلا (١) على ظهره وهو ساجد وغير ذلك . ومن ذلك . انه امر بقتل
 من كان يهجو به بعد فتح مكة من قريش وسائر العرب مثل كعب بن زهير وغيره
 قال الاموي حدثني ابي قال قال ابن اسحاق وذكره يونس بن بكير والبكائي
 وغيرهما عن ابن اسحاق قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
 منصرفاً من الطائف كتب بجير بن زهير بن ابي سلى الى اخيه كعب بن
 زهير يخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في قتل رجال بمكة ممن
 كان يهجوهم ويؤذيه . ولفظ يونس والبكائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوهم ويؤذيه وان من بقي من شعراء
 قريش ابن الزبيري وهيرة بن ابي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت
 لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه
 تائباً وان انت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض وكان كعب قد قال
 اياتنا نال فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رويت وعرفت وكان الذي قال

الا ابلاغني بجير رسالة • فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
 لتخبرني ان كنت لست بفاعل • على اي شيء غير ذلك دلوك
 على خلق لم تاق يوماً أباه • عليه ولم تعرف عليه أبالك
 فان انت لم تفعل فلست بفاعل • ولا قائل اما عثرت لعالك

(١) السلا الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن امه ملفوفاً فيه ١٢ مجمع

سقاك بها المامون كاساروية • فانهلك المامون منها وعلك
 واما قال كعب المامون لقول قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم الامين
 الذي كانت تقول له فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الارض واشفق على
 نفسه وارجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد
 من شيء بدا اقل قصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فيها
 خوفه وارجاف الوشاة به ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت
 بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي فغدا به على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حين صلى الصبح فلما صلى مع الناس اشار له الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال هذا هو رسول الله فقم اليه فذكر لنا انه قام الى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال
 يا رسول الله ان كعب بن زهير امتا من منك ثائبا مسلما فهل انت قابل منه
 ان انا جئت بك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال اني يا رسول الله كعب
 ابن زهير قال ابن اسحاق نخدثني عاصم بن عمر انه وثب عليه رجل من الانصار
 فقال يا رسول الله دعني وعد والله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دعه عنك قد جاء ثائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحى من
 الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين
 الا بنجر فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم انشد ابن اسحاق قصيدته المشهورة بانت سعاد وفيها •
 اثبت ان رسول الله اوعدني • والعفو عند رسول الله مامول

مهلا هدا الذي اعطاك نافلة * الفرقان فيه مواعظ وتفصيل
 لا تاخذني باقوال الوشاة ولم * اذنب ولو كثرت في الاقاويل
 وفي حديث آخر وذلك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندر دمه
 بقول بلغه عنه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما ودخل مسجد
 وانشد القصيدة فقد اخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في قتل رجال
 بمكة لاجل هجائهم واذ اتم حتى فر من فر منهم الى نجران ثم رجع ابن الزبيري
 ثائبا مسلما واقام هيرة بنجران حتى مات مشركا ثم انه اهد ردم كعب
 لما قاله مع انه ليس من بليغ الهجاء لكونه طعن في دين الاسلام وعابه وعاب
 ما يدعوا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تاب قبل القدرة عليه وجاء
 مسلما وكان حريبا ومع هذا فهو يلمس العفو ويقول * لا تاخذني باقوال
 الوشاة ولم اذنب * ومن ذلك * ما نقل انه كان يتوجه صلى الله عليه وسلم
 الى قتل من يهجو ويقتل من يكفيني عدوى * قال الاموي سعد
 ابن يحيى بن سعيد في مغازبه ثنائي قال اخبرني عبد الملك بن جريح عن عكرمة
 عن عبد الله بن عباس ان رجلا من المشركين شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكفيني عدوى فقام الزبير بن العوام
 فقال انا فبارزه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه ولا احسبه الا في خبير
 حين قتل يأسر ورواه عبد الرزاق ايضا وروى ان رجلا كان يسب النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوى فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله
 عليه وسلم اليه فقتله * ومن ذلك * ان اصحابه كانوا اذا سمعوا من يسبه ويؤذيه

صلى الله عليه وسلم قتلوه وان كان قريبا فيقرهم على ذلك ويرضاه وربما سمى
 من يفعل ذلك ناصرا لله ورسوله فروى ابو اسحاق الفزاري في كتابه المشهور
 في السير عن سفيان الثوري عن اسمعيل بن ميمع عن مالك بن عمير قال جاء رجل
 الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني لقيت ابي في المشركين فسمعت منه مقالة
 قبيحة لك فما صبرت ان طعته بالرمح فقتلته فما شق ذلك عليه قال وجاء آخر
 فقال اني لقيت ابي في المشركين فصنحت عنه فما شق ذلك عليه * وقد رواه
 الاموي وغيره من هذه الطريق وروى ابو اسحاق الفزاري ايضا في كتابه عن
 الاوزاعي عن حسان بن عطية قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا
 فيهم عبد الله بن رواحة وجابر فلما صافوا المشركين اقبل رجل منهم يسب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقام رجل من المسلمين فقال انا فلان ابن فلان وامي فلانة فسبني
 وسب امي وكف عن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزد * ذلك
 الاغراء فاعاد مثل ذلك وعاد الرجل مثل ذلك فقال في الثالثة لان عدت
 لارحلتك بسيفي فعاد فحمل عليه الرجل فولى مدبرا فاتبه الرجل حتى خرق
 صف المشركين فضر به بسيفه واحاط به المشركون فقتلوه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اعجبتم من رجل نصر الله ورسوله ثم ان الرجل بريء من
 جراحته فاسلم فكان يسمى الرحيل رواه الاموي في مغازيه من هذا الوجه
 وقد تقدم حديث عمير بن عدي لما قال حين بلغه اذى بنت مروان للنبي
 صلى الله عليه وسلم اللهم ان علي نذرا لئن رددت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى المدينة لا قتلها فقتلها بدون اذن النبي صلى الله عليه وسلم فقال

النبي صلى الله عليه وسلم اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير بن عدي • وكذلك حديث اليهودية وام الولد فان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى رد مها (١) لما قتلت لاجل سبه • وقد تقدم ايضا حديث الرجل الذي نذر ان يقتل ابن ابي سرح لما اقترأه على النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم امسك عن مبايعته ليقوم اليه ذلك الرجل فيقتله ويبقى بنذره • وقد ذكرنا ان الجن الذين آمنوا به كانت تقصد من سبه من الجن الكفار فقتلته قبل الهجرة وقبل الاذن في القتال لها وللانس فبقرها على ذلك ويشكر ذلك لها • قال سعد بن يحيى الاموي في مغازيه حدثني محمد بن سعيد يعني عمه قال قال محمد بن المنكدر انه ذكر له عن ابن عباس انه قال هتفها تف من الجن على جبل ابي قبيس فقال •

فبح الله رأيكم آل فهر • ما ادق العقول والاحلام
حين تغضي لمن يعيب عليها • دين آباءها الحماة الكرام
حالف الجن جن بصري عليكم • ورجال النخيل والآطام
يوشك الخيل ان تروها نهارا • تقتل القوم في حرام تنام
هل كريم منكم له نفس حر • ماجد الجدتين والاعام
ضارباً ضربة تكون نكالا • ورواحاً من كربة واغتنام

قال ابن عباس فاصبح هذا الشعر حديثا لاهل مكة يتناشدونه بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شيطان يكلم الناس في الاوثان يقال له

مسروا لله مخزیه فمكثوا ثلاثة ايام فاذا هاتف يهتف على الجبل يقول •
نحن قتلنا في ثلاث مسعرا • اذ سفه الحق وسن المنكرا
قنقه سيفاً حساماً مبتراً • بستمه نينا المطهر ا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عفريت من الجن اسمه سمجج
امن بي سميته عبد الله اخبرني انه في طلبه منذ ثلاثة ايام فقال علي جزاء الله
خير ايا رسول الله • ومن ذكر • انه قتل لاجل اذى النبي صلى الله عليه
وسلم ابورافع بن ابي الحقيق اليهودي وقصته معروفة مستفيضة
عند العلماء فنذكر منها موضع الله لالة عن البراء بن عازب قال بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي رافع اليهودي رجلاً من الانصار وامر
عليهم عبد الله بن عتيك وكان ابورافع يوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه وكان في حصن له بارض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت
الشمس وراح الناس لسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني
منطلق ومنطلق للبواب لعل ان ادخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع
بثوبه كانه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان
كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق الباب قال فدخلت
فكمننت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق على وند قال
فتمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابورافع يسمر عنده
وكان في عليه له فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت
باباً اغلقت علي من داخل قلت ان القوم ان نذروا بي لم يخلصوا الي حتى

وقصته قتل ابي رافع اليهودي لاجل اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقبله فأنتهيت إليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت أبارافع قال من هذا فا هويت نحو الصوت فاخر به ضربة بالسيف وانا دهش فما اغنيت شيئا وصاح فخرجت من البيت فامكثت غير بعيد ثم رجعت إليه فقلت ما هذا الصوت يا بارافع فقال لا ملك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف قال فاخر به ضربة بالسيف اثخنه ولم اقبله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتله فجعلت افتح الابواب بابا با با حتى انتهيت الى درجته فوضعت رجلي وانا ارى ان قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت مساقى فعصبتها بعامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا اخرج الليلة حتى اعلم اقبلته فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال انبى ابارافع ناجر اهل الحجاز فانطلقت الى اصحابي فقلت انما قد قتل الله ابارافع فأنتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكتما لم اشتهكها قط رواه البخارى في صحيحه • وقال ابن اسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك قال لما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ابن هذا الحيين من الانصار الاوس والخزرج كلانا يتصاولان معه تصلول الفحلين لا يصنع احدهما شيئا الا صنع الآخر مثله يقولون لا يعدون ذلك فضلا علينا في الاسلام وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل الاوس كعب بن الاشرف تذكرت الخزرج رجلا هو في العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثله فتذاكرنا ابن ابى الحقيق بنخبر فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله فاذن لهم وذكروا

الحديث الى ان قال ثم صعد واليه في عليه له فقر عوا عليه الباب فخرجت اليهم امرأته فقالت من انتم فقالوا حي من العرب نريد الميرة ففتحت لهم فالتفت ذاكم الرجل عندكم في البيت وذكركم تمام الحديث في قتله فقد تبين في حديث البراء و ابن كعب انما تسرى المسلمون لقتله باذن النبي صلى الله عليه وسلم لا ذاه النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداته له وانه كان نظير ابن الاشرف لكن ابن الاشرف كان معاهدا فآذى الله ورسوله فندب المسلمين الى قتله وهذا لم يكن معاهدا فهذا الاحاديث كلها تدل على ان من كان بسب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذيه من الكفار فانه كان يقصد قتله ويحضر عليه لاجل ذلك وكذلك اصحابه بامرهم يفعلون ذلك مع كفه عن غيره ممن هو على مثل حاله في انه كافر غير معاهد بل مع امانه لاولئك او احسانه اليهم من غير عهد بينه وبينهم ثم من هؤلاء من قتل ومنهم من جاء مسلماً تائباً فعصم دمه لثلاثة اسباب • احدها • انه جاء تائباً قبل القدره عليه والمسلم الذي وجب عليه حد لو جاء تائباً قبل القدره عليه لسقط عنه فالحرابي اولى • الثاني • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من خلقه ان يعفو عنهم • الثالث • ان الحرابي اذا اسلم لم يؤخذ بشيء مما عمله في الجاهلية الا من حقوق الله ولا من حقوق العباد من غير خلاف نعلم لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف • ولقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله رواه مسلم • ولقوله صلى الله عليه وسلم من احسن في الاسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية متفق عليه • ولهذا اسلم خلق كثير وقد قتلوا

رجالاً يعرفون فلم يطلب احد منهم بقود ولا دية ولا كفارة • اسلم وحشى قاتل حمزة وابن العاص قاتل ابن قوئل وعقبة بن الحارث قاتل خبيب بن عدي ومن لا يحصى ممن ثبت في الصحيح انه اسلم وقد علم انه قتل رجلاً بعينه من المسلمين فلم يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على احد منهم قصاصاً بل قال صلى الله عليه وسلم يضحك الله تعالى الى رجلين يقتل احدهما صاحبه كلاهما يدخل الجنة يقتل هذا في سبيل الله فيدخل الجنة ثم يتوب الله على القاتل فيسلم ويقتل في سبيل الله فيدخل الجنة متفق عليه • وكذلك ايضاً لم يضمن النبي صلى الله عليه وسلم احد منهم مالا اتلفه للمسلمين ولا اقام على احد حد زنا او سرقة او شرب او قذف سواء كان قد اسلم بعد الاسر او قبل الاسر وهذا مما لا نعلم بين المسلمين فيه خلافاً لافي رواية ولا في الفتوى به بل لو اسلم الحربي ويده مال مسلم قد اخذه من المسلمين بطريق الاغتنام ونحوه مما لا يملك به مسلم من مسلم لكونه محرماً في دين الاسلام كان له ملكا ولم يردده الى المسلم الذي كان يملكه عند جماهير العلماء من التابعين ومن بعدهم وهو معنى ما جاء عن الخلفاء الراشدين وهو مذهب ابي حنيفة ومالك ومنصوص احمد وقول جماهير اصحابه بناء على ان الاسلام او العهد قرر ما بيده من المال الذي كان يعتقد ملكه لانه خرج عن ماله المسلم في سبيل الله ووجب اجره على الله واخذه هذا صار مستحلاً له وقد غفر الله له باسلامه ما فعله في دماء المسلمين واموالهم فلم يضمنه بالرد الى ماله كما لم يضمن ما اتلفه من النفوس والاموال ولا يقضي ما تركه من العبادات لان

كل ذلك كان تابعا للاعتقاد فلما رجع عن الاعتقاد غفر له ما تبعه من الذنوب فصار ما يبدى من المال لا ثبته عليه فيه فلم يوحذ منه بجميع ما يبدى من العقود الفاسدة التي كان يستعملها من ربا وغيره. ومن العلماء من قال يرد على مالكه المسلم وهو قول الشافعي وابي الخطاب من الخبيلية بناء على ان اغنياءهم فعل محرم فلا يملكون به مال المسلم كما انصب و لانه لو اخذه المسلم منهم اخذا لا يملك به مسلم من مسلم بان يغمسه او يسرقه فانه يرد الى مالكه المسلم لحديث ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مما اتفق الناس فيما نعلمه عليه ولو كانوا قد ملكوه لملكه الغنائم منهم ولم يرد. والاول اصح لان المشركين كانوا يغنمون من اموال المسلمين الشيء الكثير من الكراع والسلاح وغير ذلك وقد اسلم عامة اولئك المشركين فلم يسترجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد منهم ما لامع ان بعض تلك الاموال لا بد ان يكون باقيا ويكفي في ذلك ان الله سبحانه قال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم و اموالهم يتبعون فضلا من الله ورضوانا. وقال تعالى اذن للذين يقاتلون الى قوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الآية وقال تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به و المسجد الحرام واخرج اهله منه. وقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخرجكم. فبين سبحانه ان المسلمين اخرجوا من ديارهم و اموالهم بغير حق حتى صاروا فقراء بعد ان كانوا اغنياء ثم ان المشركين استولوا على تلك الديار و الاموال وكانت باقية الى حين الفتح وقد اسلم من استولى عليها في الجاهلية ثم لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم على احد منهم

اخرج من داره بعد الفتح والاسلام دارا ولا مالا بل قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الا تنزل في دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار * وسأله المهاجرون ان يرد عليهم اموالهم التي استولى عليها اهل مكة فابى ذلك صلى الله عليه وسلم واقراها يسد من استولى عليها بعد اسلامه وذلك ان عقيل بن ابي طالب بعد الهجرة استولى على دار النبي صلى الله عليه وسلم ودوراخوته من الرجال والنساء مع ما ورثه من ابيه ابي طالب قال ابو رافع قيل للنبي صلى الله عليه وسلم الا تنزل منزلك من الشعب قال فهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزل اخوته من الرجال والنساء بمكة * وقد ذكر اهل العلم بالسيرة منهم ابو الوليد الا زرقى ان رباع عبد المطلب بمكة صارت لبني عبد المطلب فمنها شعب ابن يوسف وبعض دار ابن يوسف لابي طالب والجو الذي بينه وبعض دار ابن يوسف دار المولد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومأحوله لابي النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب ولاريب ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له هذه الدار ورثها من ابيه وبها ولد وكان له دار ورثها هو وولده من خديجة رضي الله عنها قال الا زرقى فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنه كليهما مسكنه الذي ولد فيه ومسكنه الذي ابنتى فيه بخديجة بنت خويلد وولد فيه وولده جميعا قال وكان عقيل بن ابي طالب اخذ مسكنه الذي ولد فيه واماييت خديجة فاخذته معتب بن ابي لمب وكان اقرب الناس اليه جوارا فباعه

حدثني
عن
ابن
عقيل
من
دار

بعد من معاوية وقد شرح اهل السير ما ذكرنا في دورها جريرين قال
الازرق في دار جحش بن رثاب الاسدي التي بالمعل لم يزل في يد ولد جحش
فلما اذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه في الهجرة الى المدينة خرج
آل جحش جميعاً الرجال والنساء الى المدينة مهاجرين وتركوا دارهم
خالية وهم حلفاء حرب بن امية فعمد ابوسفيان الى دارهم هذه فباعها
باربعائة دينار من عمرو بن علقمة العامري فلما باع آل جحش ان اباسفيان
باع دارهم انشأ ابواحمد يهجو اباسفيان ويعيره ببيعها وذكر اياتا فلما كان
يوم فتح مكة اتى ابواحمد بن جحش وقد ذهب بصره الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكله فيها فقال يا رسول الله ان اباسفيان عمدا الى دارى
فباعها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فساره بشئ فسمع ابواحمد
بعد ذلك ذكرها فقبل لابي احمد بعد ذلك ما قال لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال لى ان صبرت كان خيرا و كان لك بها دارا في الجنة
قال قلت فانا اصبر فتركها ابواحمد قال وكان لعتبة بن غزوان دار تسمى
ذات الوجهين فلما هاجرها اخذها بلى بن امية وكان استوصاه بها حين
هاجر فلما كان عام الفتح وكلم بنو جحش رسول الله صلى الله عليه وسلم في دارهم
فكره ان يرجعوا في شئ من اموالهم اخذت منهم في الله تعالى وهجروا الله
امسك عتبة بن غزوان عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره هذه
ذات الوجهين وسكت المهاجرون فلم يتكلم احد منهم في دار هجرها الله
ورسوله وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنه الذي ولد فيه

ومسكنه

و مسكنه الذي ابتنى فيه بخديجة وهذه القصة معروفة عند اهل العلم *
 قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر بن حزم و الزهير بن عكاشة
 ابن ابي احمد قال ابطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح عليهم في دورهم
 فقالوا لابي احمد يا ابا احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره لكم ان ترجعوا
 في شيء من اموالكم مما أصيب في الله * وقال ابن اسحاق ايضاً في رواية زياد بن
 عبد الله البكائي عنه و تلاحق المهاجرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فلم يبق احد منهم بمكة الا مفتون او محبوس و لم يوجب اهل هجرة من مكة
 باهلهم و اموالهم الى الله و الى رسوله الا اهل دور مسمون بنو مظمون من بني
 جمح و بنو جحش بن رثاب حلفاء بني امية و بنو بكير من بني سعد بن ليث
 حلفاء عدي بن كعب فان دورهم غلقت بمكة هجرة ليس فيها ساكن و لما خرج
 بنو جحش بن رثاب من دارهم عدا عليهم ابو سفيان بن حرب فباعها من عمرو
 ابن علقمة اخي بني عامر بن لؤي فلما بلغ بني جحش ما صنع ابو سفيان بدارهم
 ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الا ترضى يا عبد الله ان يعطيك الله بهاداً راخيراً منها
 في الجنة فقال بلى فقال ذلك لك فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مكة كله ابو احمد في دارهم فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 الناس لابي احمد يا ابا احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ان ترجعوا
 في شيء من اموالكم اصيب منكم في الله فامسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال الواقدي عن اشياخه قالوا و قام ابو احمد بن جحش على باب المسجد على

جمله حين فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته يعني الخطبة التي خطبها
وهو واقف بباب الكعبة حين دخل الكعبة فصلى فيها ثم خرج يوم الفتح فقال
بواحمد وهو يصيح انشد يا بني عبد مناف حلني انشد بالله يا بني عبد مناف
داري قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فسار عثمان
بشيء فذهب عثمان الى ابي احمد فساره فنزل ابو احمد عن بعيره وجلس مع
القوم فاسمع ابو احمد ذاك را حتى لقي الله فهدانص في ان المهاجرين طلبوا
استرجاع ديارهم فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واقربها بيد من استولى
عليها ومن اشتراها منه وجعل صلى الله عليه وسلم ما اخذ منهم الكفار بمنزلة
ماصيب من ديارهم وما انتفوه من اموالهم وتلك دماء و اموال اشتراها الله
وسلمت اليه ووجب اجرها على الله فلا رجعة فيها وذلك لان المشركين
يستحلون دماءنا و اموالنا و اصابوا ذلك كله استحلالا وهم آثمون في هذا
الاستحلال فاذا اسلموا يجب الاسلام ذلك الاثم و صاروا كائهم ماصابوا
دما و لا مالا فما بايد يهد لا يجوز انتزاعه منهم فان قيل في الصحيحين
عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن اسامة بن زيد
رضي الله عنه انه قال يا رسول الله لا تنزل في دارك بمكة قال وهل ترك لنا
عقيل من ربا و اود و رو كان عقيل و رث ابا طالب هو و طالب ولم يرث
جعفر و لا علي شيئا لانها كانتا مسلمين و كان عقيل و طالب كافرين و في رواية
للبخاري انه قال يا رسول الله اين تنزل غد لو ذلك زمن الفتح فقال وهل ترك
لنا عقيل من منزل ثم قال لا يرث الكافر المؤمن و لا المؤمن الكافر قيل للزهري

ان المهاجرين طلبوا استرجاع ديارهم بعد فتح مكة فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واقربها بيد من استولى عليها و من اشتراها منه

ومن و رث ابا طالب قال ورثه عقيل و طالب وفي رواية معمر عن الزهري
 اين منزلك غد افي حجتك رواه البخاري و ظاهر هذا ان الدور انتقلت الى
 عقيل بطريق الارث لا بطريق الاستيلاء ثم باعها قلنا اما ان النبي صلى الله
 عليه وسلم التي ورثها من ابيه و داره التي هي له و ولده من زوجته المؤمنة خديجة
 فلا حق لعقيل فيها فعلم انه استولى عليها و اما دور ابي طالب فان ابا طالب
 توفي قبل الهجرة بسنين و الموارث لم تفرض ولم يكن نزل بعد منع المسلم من
 ميراث الكافر بل كل من مات بمكة من المشركين اعطى اولاده المسلمون
 نصيبهم من الارث كغيرهم بل كان المشركون ينكحون المسلمات الذي هو
 اعظم من الارث و انما قطع الله الموالاة بين المسلمين و الكافرين بمنع النكاح
 و الارث و غير ذلك بالمدينة و شرع الجهاد المقاطع للعصمة قال ابن اسحاق
 حدثني ابن ابي نجيح قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة نظر الى
 تلك الرباع فما ادرك منها قد اقسام على امر الجاهلية تركه لم يجره و ما وجدته
 لم تقسم قسمه على قسمة الاسلام و هذا الذي رواه ابن ابي نجيح يوافق
 الاحاديث المسندة في ذلك مثل حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كل قسم قسم في الجاهلية فهو على ما قسم و كل قسم ادركه الاسلام فانه على
 ما قسم الاسلام رواه ابو داود و ابن ماجه و هذا ايضا يوافق ما دل عليه كتاب
 الله و لانعلم فيه خلافا فان الحربي لو عقد عقدا فاسدا من ربا او بيع خمر
 او خنزير او نحو ذلك ثم اسلم بعد قبض العوض لم يجرم ما بيده و لم يجب عليه
 رد هو لو لم يكن قبضه لم يجره ان يقبض منه الا ما يجوز للمسلم كما دل عليه قوله

تعالى اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فامرهم بترك ما بقى في
 ذمم الناس ولم يأمرهم بردها قبضوه . وكذلك وضع النبي صلى الله عليه وسلم
 لما خطب الناس كل دم احسب في الجاهلية وكل ربا في الجاهلية حتى ربا
 العباس ولم يأمر بردها كان قبض فكذلك الميراث اذ مات الميت في الجاهلية
 واقتسموا تركته امضيت القسمة فان اسلموا قبل الاقتسام او تحاكموا اليه قبل
 القسمة قسم على قسم الاسلام فلما مات ابو طالب كان الحكم بينهم ان يرثه جميع
 ولده فلم يقتسموا رباعه حتى هاجر جعفر وعلي الى المدينة فاستولى عقيل عليها
 وباعها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك لنا عقيل منزلا الا استولى عليه
 وباعه . وكان معنى هذا الكلام انه استولى على دور كناستحقها ذلك ولو لا
 ذلك لم تضاف الدور اليه والى بنى عمه اذ لم يكن لهم فيها حق ثم قال بعد
 ذلك لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن . يريد والله اعلم لو ان
 الرباع باقية يده الى الآن لم يقسم لكننا نعطي رباع ابي طالب كلها له
 دون اخوته لانه ميراث لم يقسم فيقسم الآن على قسم الاسلام ومن
 قسم الاسلام ان لا يرث المسلم الكافر فكان نزول هذا الحكم بعد موت
 ابي طالب وقبل قسمة تركته بمنزله نزوله قبل موته فينبى النبي صلى الله
 عليه وسلم ان عليا وجعفر ليس لهما المطالبة بشيء من ميراث ابي طالب لو كان
 باقيا فكيف اذا اخذ منهم في سبيل الله فاذا كان المشرك الحربي لا يطالب بعد
 اسلامه بما كان احصاه من دماء المسلمين واموالهم وحقوق الله ولا ينتزع
 ما يده من اموالهم التي غنمها منهم لم يواخذ ايضا بما اسلفه من سب وغيره .

فهذا وجه العفو عن هؤلاء وهذا الذي ذكرناه من سنة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في تحتم قتل من كان يسبه من المشركين مع العفو عن
 هو مثله في الكفر كان مستقرا في نفوس اصحابه على عهده وبعد عهده
 يقصدون قتل الساب ويحرضون عليه وان امسكوا عن غيره ويجعلون
 ذلك هو الموجب لقتله ويبدلون في ذلك نفوسهم كما تقدم من حديث الذي قال
 سبني وسب امي وكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حمل عليه
 حتى قتل وحديث الذي قتل ابا له لما سمعه يسب النبي صلى الله عليه وسلم
 وحديث الانصاري الذي نذر ان يقتل العصاة فقتلها وحديث الذي
 نذر ان يقتل ابن ابي سرح وكف النبي صلى الله عليه وسلم عن مبايعته
 ليوفي بنذره وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال
 اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي
 فاذا الانبلا من الانصار حديثه اسنانها فتمنيت ان اكون بين اضلع منها
 فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن
 اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
 لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا قال فتعجبت
 لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل
 يجول في الناس فقلت لها الا تريان هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه قال
 فابتدراه بسييفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصر فالى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل سمعتما

وقيل قتل ابي جهل

سيفب كما فقال لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلا كما
 قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح
 والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء • والقصة مشهورة
 في فرح النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسجوده شكر أو قوله هذا فرعون هذه
 الامة هذا مع نبيه عن قتل ابي البجترى بن هشام مع كونه كافرا غير ذي
 عهد لكفه عنه واحسانه بالسعى في نقض صحيفة الجور ومع قوله لو كان
 المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء التني يعني الاسرى لاطلقتهم له
 يكافي المطعم باجارته له بمكة والمطعم غير معاهد فعلم ان هو ذى الرسول
 صلى الله عليه وسلم يتعين اهلاكه والانتقام منه بخلاف الكاف عنه وان
 اشتركا في الكفر كما كان يكافي المحسن اليه باحسانه وان كان كافرا يؤيد ذلك
 ان اباهب كان له من القرابة ماله فلما آذاه وتخلف عن بني هاشم في نصره نزل
 القرآن فيه بما نزل من اللعنة والوعيد باسمه خزيالم يفعل بغيره من الكافر بن
 كما روي عن ابن عباس انه قال ما كان ابوهب الا من كفار قومه حتى خرج
 من احين تحالفت قريش عليه فظاهرهم فسيبه الله وبنو المطلب مع مساواتهم
 لعبد شمس ونوفل في النسب لما اعانوه ونصروه وهم كفار شكر الله ذلك
 لهم فجعلهم بعد الاسلام مع بني هاشم في سهم ذوى القربى وابو طالب لما
 اعاناه ونصره وذب عنه خفف عنه العذاب فهو من اخف اهل النار عذابا •
 وقد روى ان اباهب يسقى في نقرة الابهام لعنته ثوية اذ بشرته بولادته •
 ومن سنة الله ان من لم يمكن المؤمنون ان يعذبوه من الذين يؤذون الله

ورسوله فان الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه اياه كما قد منابعض ذلك
 في قصة الكاتب المفترى وكما قال سبحانه فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
 انا كفيناك المستهزئين * والقصة في اهلاك الله واحدا واحدا من هؤلاء
 المستهزئين معروفة قد ذكرها اهل السير والتفسير وهم على ما قبل نفر من
 رؤوس قريش منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسودان ابن
 المطلب وابن عبد يغوث والحارث بن قيس وقد كتب النبي صلى الله عليه
 وسلم الى كسرى وقيصرو كلاهما لم يسلم لكن قيصرا كرم كتاب النبي صلى الله
 عليه وسلم واكرم رسوله فثبت ملكه فيقال ان الملك باق في ذريته
 الى اليوم وكسرى مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستهزأ
 برسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق
 ولم يبق للاكاسرة ملك وهذا والله اعلم بتحقيق لقوله تعالى ان شانئك هو الابتره
 فكل من شناه وابغضه وعاداه فان الله يقطع دابره ويمحق عينه واثره
 وقد قبل انهازلت في العاص بن وائل او في عقبه بن ابي معيط او في كعب بن
 الاشرف وقد رايت صنيع الله بهم * ومن الكلام السائر لحوم العلماء مسمومة
 فكيف بلحوم الانبياء عليهم السلام وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذى بالحاربة فكيف بمن عادى
 الانبياء ومن حارب الله تعالى حاربوا اذا استقصيت قصص الانبياء المذكورة
 في القرآن تجمد اممهم انما اهلكوا حين آذوا الانبياء وقابلوهم بقبيح القول والعمل
 وهكذا بنو اسرائيل انما ضربت عليهم الذلة وباء وابغضب من الله ولم يكن

☆ قصة هلاك المستهزئين ☆

لهم نصير لقتلهم الانبياء بغير حق مضموم الى كفرهم كما ذكر الله ذلك في كتابه
ولعلك لا تجد احدا اذى نبياً من الانبياء ثم لم يتب الا ولا بد ان تصيبه قارعة
وقد ذكرنا ما جربه المسلمون من تعجيل الانتقام من الكفار اذا تعرضوا
لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغنا مثل ذلك في وقائع متعددة وهذا
باب واسع لا يحاط به ولم نقصد قصده هنا وانما قصدنا بيان الحكم الشرعي وكان
سبحانه يحسبه ويصرف عنه اذى الناس وشتهم بكل طريق حتى في اللفظ في
الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترون كيف
يصرف الله عنى شتم قریش ولعنهم يشتمون مذمماً او يلعنون مذمماً وانا محمد
فنزّه الله اسمه ونعته عن الاذى وصرف ذلك الى من هو مذموم وان كان
المؤذي انما قصد عينه فاذا اقرر بما ذكرناه من سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسيرة اصحابه وغير ذلك ان الساب للرسول يتعين قتله فنقول انما يكون
تعين قتله لكونه كافراً حريياً او للسب المضموم الى ذلك والاول باطل لان
الاحاديث نص في انه لم يقتل لمجرد كونه كافراً حريياً بل عامتها قد نص فيه
على ان موجب قتله انما هو السب فنقول اذا تعين قتل الحربي لاجل انه سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذلك المسلم والذمي اولى لان الموجب
للقتل هو السب لا مجرد الكفر والمخاربة كما تبين فحيث ما وجد هذا الموجب
وجب القتل وذلك لان الكفر مبيع للدم لا موجب لقتل الكافر بكل حال فانه
يجوز امانه ومهادنته والمن عليه ومفاداته لكن اذا اصر للكفر عهد عصم العهد
دمه الذي اباحه الكفر فهذا هو الفرق بين الحربي والذمي فاما سوى ذلك

من موجب القتل فلم يدخل في حكم العهد • وقد ثبت بالسنة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقتل الساب لا لجل السب فقط لا لمجرد الكفر الذي لا عهد معه فاذا وجد هذا السب وهو موجب للقتل والعهد لم يعصم من وجبه تعين القتل ولان اكثر ما في ذلك انه كان كافرا حرييا سابوا المسلم اذا سب يصير مرتدا سابوا قتل المرتد واجب من قتل الكافر الاصل والذمي اذا سب فانه يصير كافرا محاربا سابا بعد عهد متقدما و قتل مثل هذا اغلاظه • وايضا فلان الذمي لم يعاهد على اظهار السب بالاجماع ولهذا اذا اظهره فانه يعاقب عليه بالجماع المسلمين اما بالقتل او بالتعزير وهو لا يعاقب على فعل شيء مما عاهد عليه وان كان كفرا غليظا ولا يجوز ان يعاقب على فعل شيء قد عاهد على فعله واذا لم يكن العهد مسوغا لفعله وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالقتل لا لجله فيكون قد فعل ما يقتل لا لجله وهو غير مقرر عليه بالعهد ومثل هذا يجب قتله بلا تردد • وهذا التوجيه يقتضي قتله سواء قدر انه نقض العهد ولم ينقضه لان موجبات القتل التي لم نقره على فعلها يقتل بها وان قيل لا ينتقض عهد • كالزنا بدمية وكقطع الطريق على ذمي وكقتل ذمي وكما فعل هذه الاشياء مع المسلمين وقتلنا ان عهد • لا ينتقض فانه يقتل • وايضا فان المسلم قد امتنع من السب بما اظهره من الايمان والذمي قد امتنع منه بما اظهره من الذمة والتزام الصغار ولو لم يكن ممنعا منه بالصغار لما جاز عقوبته بتعزيره ولا غيره اذ فعله فاذا قتل لا لجل السب الكافر الذي يستحله ظاهرا وباطنا ولم يعاهدنا عهدا يقتضي تركه فلان يقتل لا لجله

من التزم ان لا يظهره وعاهد ناعلى ذلك اولى واخرى * وايضاً * فقد تبين
بما ذكرناه من هذه الاحاديث ان الساب يجب قتله فان النبي صلى الله عليه
وسلم امر بقتل الساب في مواضع والامر يقتضى الوجوب ولم يبلغه عن
احد السب الا ندرده وكذا لك اصحابه هذا مع ما قد كان يمكنه من
العفو عنه فحيث لا يمكنه العفو عنه يجب ان يكون قتل الساب او كد
والحرص عليه اشد وهذا الفعل منه هو نوع من الجهاد والاغلاظ على
الكافرين والمنافقين واظهار دين الله واعلاء كلمته ومعلوم ان هذا واجب
فعلم ان قتل الساب واجب في الجملة وحيث جاز العفو له صلى الله عليه
وسلم فانما هو فمين كان مقدوراً عليه من مظهر الاسلام مطيع له او ممن
جاءه مستسلماً اما الممتنعون فلم يعف عن احد منهم ولا يرد على هذا ان
بعض الصحابة آمنوا احدى القيتين وبعضهم آمن ابن ابي سرح لان هذين
كانا مستسلمين يريدان الاسلام والتوبة ومن كان كذلك فقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم له ان يعفو عنه فلم يتعين قتله فاذا ثبت ان الساب كان قتله
واجباً والكافر الحربي الذي لم يسب لا يجب قتله بل يجوز قتله فمعلوم ان
الذمة لا تعصم دم من يجب قتله وانما تعصم دم من يجوز قتله * الا ترى ان المرتد
لا ذمة له وان القاطع والزاني لما وجب قتلها لم تنع الذمة قتلها * وايضاً *
فلا مزية للذمي على الحربي الا بالعهد والعهد لم يبح له اظهار السب بالاجماع
فيكون الذمي قد شارك الحربي في اظهار السب الموجب للقتل وما اخص
به من العهد لم يبح له اظهار السب فيكون قد اتى بما يوجب القتل وهو لم يفر

الدين
اشد من الحاربة

عليه فيجب قتله بالضرورة . وايضاً . فان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل
من كان يسبه مع امانه لمن كان يحاربه بنفسه و ماله فعلم ان السب اشد من
الحاربة او مثلها والذمي اذا حارب قتل فاذا سب قتل بطريق الاولى
. وايضاً . فان الذمي وان كان معصوماً بالعهد فهو ممنوع بهذا العهد من
اظهار السب والحربي ليس له عهد يعصمه ولا يمنعه فيكون الذمي من جهة
كونه ممنوعاً اسوأ حالاً من الحربي واشد عداوة واعظم جرماً واولي
بالنكال والعقوبة التي يعاقب بها الحربي على السب والعهد الذي عصمه
لم يف بموجبه فلا ينفعه لانا انما نستقيم له ما استقام لنا وهو لم يستقم بالاتفاق
وكذلك يعاقب والعهد يعصم دمه وبشره الا بحق فلما جازت عقوبته بالاتفاق
علم انه قد اتى ما يوجب العقوبة وقد ثبت بالسنة ان عقوبة هذا الذنب القتل
وسر الاستدلال بهذه الاحاديث انه لا يقتل الذمي لمجرد كون عهد
قد انتقض فان مجرد تقض العهد يجعله كافراً لا عهد له وقد ثبت بهذه
السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بقتل الساب لمجرد كونه كافراً غير
معاهد وانما قتله لاجل السب مع كون السب مستلزماً للكفر والعداوة والحاربة
وهذا القدر موجب للقتل حيث كان وسيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على تعيين قتله
في السنة الثالثة عشر ✽ ما روينا من حديث ابي القاسم عبد الله بن محمد
البغوي قال ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ثنا علي بن مسهر عن صالح بن حبان
عن ابن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم (١) امرني ان احكم
فيكم برأبي وفي اموالكم كذا وكذا وكانت خطبة امرأة منهم

(١) هكذا في المنقول عنه والقصة بتمامها على الصفحة الآتية ١٢

في الجاهلية فابوا ان يزوجه ثم ذهب حتى نزل على المرأة فبعث القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذب عدو الله ثم ارسل رجلاً فقال ان وجدته حياً فاقتله وان انت وجدته ميتاً فخرقه بالنار فانطلق فوجد قد لدغ فمات فخرقه بالنار فغند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ورواه ابو احمد بن عدى في كتابه (الكامل) قال ثنا الحسين بن محمد بن عنبر ثنا حجاج بن يوسف الشاعر ثنا زكرياء بن عدى ثنا علي بن مسهر عن صالح بن حبان عن ابن بريده عن ابيه قال كان حي من بني ليث من المدينة على ميلين وكان رجلاً قد خطب منهم في الجاهلية فلم يزوجه فأتاهم وعليه حلة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني هذه الحلة وامرني ان احكم في اموالكم ودمائكم ثم انطلق فنزل على تلك المرأة التي كان يحبها فارسل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذب عدو الله ثم ارسل رجلاً فقال ان وجدته حياً وما رأك تجده حياً فاضرب عنقه وان وجدته ميتاً فاحرقه بالنار قال فذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار هذا اسناد صحيح على شرط الصحيح لانعلم له علة وله شاهد من وجه آخر ورواه المعافى بن زكريا الجريفي في (كتاب المجلس) قال ثنا ابو حامد الحصري ثنا السري بن حرثد الخراساني ثنا ابو جعفر محمد بن علي الفزاري ثنا داود بن الزبير قال اخبرني عطاء بن السائب عن عبد الله بن الزبير قال يوم لا اصحابه اتدرون ما تاويل هذا الحديث من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده

حكاية رجل اظهر لقوم امارته عليهم بالنيابة الصلاة والسلام كذا

جزء الكاذب على النبي صلى الله عليه وسلم

من النار قال كان رجل عشق امرأة فأتى أهلها مساء فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني اليكم ان اتضيف في اي بيوتكم شئت قال وكان ينتظر يتوته المساء قال فأتى رجل منهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا يزعم انك امرته ان يبيت في اي بيوتنا شاء فقال كذب يا فلان انطلق معه فان امكنتك الله منه فاضرب عنقه واحرقه بالنار ولا اراك الا قد كفيته فلما خرج الرسول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوه قال اني كنت امرتك ان تضرب عنقه وان تحرقه بالنار فان امكنتك الله منه فاضرب عنقه ولا تحرقه بالنار فانه لا يمدب بالنار الاوب النار ولا اراك الا قد كفيته فأتت السماء بصيب فخرج الرجل يشوذاً فلسعته افعى فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال هو في النار وقد روى ابو بكر بن مردويه من حديث الوازع عن ابي سلمة عن اسامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول علي ما لم اقل فليتبوأ مقعده من النار وذلك انه بعث رجلاً فكذب عليه فوجد ميتاً قد انشق بطنه ولم تقبله الارض وروى ان رجلاً كذب عليه فبعث عليه الزبير اليه ليقتله والناس في هذا الحديث قولان احدهما الاخذ بظاهره في قتل من تعد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء من قال يكفر بذلك قاله جماعة منهم ابو محمد الجويني حتى قال ابن عقيل عن شيخه ابي الفضل الحمد اني مبتدعة الاسلام والكذابون والواضعون للحديث اشد من الملحدين قصدوا افساد الدين من خارج وهو لا قصدوا افساده من داخل فهم كاهل بلد سعوافي فساد احواله والملحدون كالحاصرين من

خارج فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الاسلام من غير الملبسين له •
 ووجه هذا القول ان الكذب عليه كذب على الله ولهذا قال ان كذبا
 على ليس ككذب على احدكم فان ما امر به الرسول فقد امر الله به يجب اتباعه
 كوجوب اتباع امر الله وما اخبر به وجب تصديقه كما يجب تصديق ما اخبر الله
 به ومن كذب به في خبره او امتنع من التزام امره ومعلوم ان من كذب
 على الله بان زعم انه رسول الله او نبيه او اخبر عن الله خبرا كذب فيه
 كسيلة والعنسي ونحوهما من المتبئين فانه كافر حلال الدم فكذلك من
 تعد الكذب على رسوله • يبين ذلك ان الكذب بمنزلة التكذيب له ولهذا
 جمع الله بينهما بقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق
 لما جاءه • بل ربما كان الكاذب عليه اعظم اثما من المكذب له ولهذا ابدأ الله
 به كما ان الصادق عليه اعظم درجة من المصدق بخبره فاذا كان الكاذب
 مثل المكذب او اعظم والكاذب على الله كالمكذب له فالكاذب على
 الرسول كالمكذب له • يوضح ذلك • ان تكذيبه نوع من الكذب فان
 مضمون تكذيبه الاخبار عن خبره انه ليس يصدق وذلك ابطال لدن الله
 ولا فرق بين تكذيبه في خبر واحد او في جميع الاخبار وانما صار كافرا
 لما يتضمنه من ابطال رسالة الله ودينه والكاذب عليه يدخل في دينه
 ما ليس منه عمد او يزعم انه يجب على الامة التصديق بهذا الخبر وامثال هذا
 الامر لانه دين الله مع العلم بانه ليس بدين والزيادة في الدين
 كالنقص منه ولا فرق بين من يكذب بآية من القرآن او يصنف

من تبوء كذبا فانه كافر حلال الدم *

كلاماً و يزعم انه سورة من القرآن عامداً لذلك • وايضاً فان
نعمد الكذب عليه استهزاء به واستخفاف لانه يزعم انه امر باشياء
ليست مما امر به بل وقد لا يجوز الامر بها وهذه نسبة له الى السفه او انه
يخبر باشياء باطلة وهذه نسبة له الى الكذب وهو كفر صريح • وايضاً فانه
لو زعم زاعم ان الله فرض صوم شهر آخر غير رمضان او صلاة سادسة
زائدة ونحو ذلك او انه حرم الخبز واللحم عالمالكذب نفسه كفراً بالاتفاق •
فمن زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم اوجب شيئاً لم يوجبه او حرم شيئاً
لم يحرمه فقد كذب على الله كما كذب عليه الاول وزاد عليه بان صرح
بان الرسول قال ذلك وانه اعنى القائل لم يقله اجتهاداً واستنباطاً بالجملة
فمن نعمد الكذب الصريح على الله فهو المتعمد للكذب الله واسو احالاً وليس
ينبغي ان من كذب على من يجب تعظيمه فانه مستخف به • • • بين بحقه • وايضاً
فان الكاذب عليه لا بد ان يشينه بالكذب عليه ويتقصه بذلك ومعلوم
انه لو كذب عليه كما كذب عليه ابن ابي سرح في قوله كان يتعلم مني او رماه
ببعض الفواحش الموبقة او الاقوال الخبيثة كفر بذلك فكذلك الكاذب
عليه لانه امان ياتر عنه امراً او خبراً او فعلاً فان اثر عنه امر الميامر به فقد زاد
في شريعته وذلك الفعل لا يجوز ان يكون مما يامر به لانه لو كان كذاً لا امر به
صلى الله عليه وسلم لقوله ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا امرتكم به
ولا من شيء يبعدكم عن النار الا نهيتكم عنه فاذا لم يامر به فالامر به غير جائز منه • فمن
روى عنه انه امر به فقد نسبته الى الامر بما لا يجوز له الامر به وذلك نسبة له

الى السفه . وكذ لك ان تقل عنه خبرا فلو كان ذلك الخبر مما ينبغي له الاخبار به
لاخبر به لان الله تعالى قد اكمل الدين فاذا لم يخبر به فليس هو مما ينبغي له ان
يخبر به وكذ لك الفعل الذي ينقله عنه كاذبا فيه لو كان مما ينبغي فعله ويترجح
لفعله فاذا لم يفعله فتركه اولى فحاصله ان الرسول صلى الله عليه وسلم اكمل
البشر في جميع احواله فماتركه من القول والفعل فتركه اكمل من فعله و ما فعله
ففعله اكمل من تركه فاذا كذب الرجل عليه متعمدا او اخبر عنه بما لم يكن
فذل لك الذي اخبر عنه نقص بالنسبة اليه اذ لو كان كاملا لوجد منه ومن
انتقص الرسول فقد كفر . واعلم . ان هذا القول في غاية القوة كما تراه
لكن يتوجه ان يفرق بين الذي يكذب عليه مشافهة وبين الذي
يكذب عليه بواسطة مثل ان يقول حدثني فلان ابن فلان عنه بكذا
فهذا انما كذب علي ذلك الرجل ونسب اليه ذلك الحديث فاما ان
قال هذا الحديث صحيح او ثبت عنه انه قال ذلك علما بانه كذب فهذا
قد كذب عليه اما اذا اقتراه ورواه رواية ساذجة ففيه نظر لاسيما والصحابة
عدول بتعد بل الله لهم فالكذب لو وقع من احد ممن يدخل فيهم لعظم ضرره
في الدين فاراد صلى الله عليه وسلم قتل من كذب عليه وعجل عقوبته ليكون
ذلك عاصما من ان يدخل في العدول من ليس منهم من المنافقين ونحوهم .
واما من روى حد يثاب علم انه كذب فهذا احرام كما صح عنه انه قال من روى
عني حد يثاب علم انه كذب فهو احد الكاذبين لكن لا يكفر الا ان يتضم الى
روايته ما يوجب الكفر لانه صادق في ان شيخه حدثه به لكن لعلمه بان شيخه كذب

فيه لم تكن تحل له الرواية فصار بمنزلة ان يشهد على اقرار او شهادة او عقد
وهو يعلم ان ذلك باطل فان هذه الشهادة حرام لكنه ليس بشاهد زور
وعلى هذا القول فمن سبه فهو اولى بالقول ممن كذب عليه فان الكاذب
عليه قد زاد في الدين ما ليس منه وهذا قد طعن في الدين بالكليّة وحينئذ
فالنبي صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل الذي كذب عليه من غير استتابة
فكذلك الساب له اولى • فان قيل • الكذب عليه فيه مفسدة وهو ان
يصدق في خبره فيزاد في الدين ما ليس منه او ينتقص منه ما هو منه والطاعن عليه
قد علم بطلان كلامه بما اظهر الله من آيات النبوة • قيل • والمحدث عنه
لا يقبل خبره ان لم يكن عدلا ضابطا فليس كل من حدث عنه قبل
خبره لكن قد يظن عدلا وليس كذلك والطاعن عليه قد يؤثر طعنه
في نفوس كثيرة من الناس ويسقط حرمة من كثير من القلوب فهو اوكد
على ان الحديث عنه له دلائل يميز بها بين الكذب والصدق • القول الثاني •
ان الكاذب عليه تغلظ عقوبته لكن لا يكفر ولا يجوز قتله لان موجبات
الكفر والقتل معلومة وليس هذا منها فلا يجوز ان يثبت ما لا اصل له ومن
قال هذا فلا بد ان يقيد قوله بانه لم يكن الكذب عليه متضمنا لعيب ظاهر
فاما ان اخبرانه سمعه يقول كلاما يدل على نقصه وعيبه دلالة ظاهرة مثل
حديث عرق الخيل ونحوه من الترهات فهذا مستهزاء به استهزاء ظاهرا
ولا ريب انه كافر حلال الدم • وقد اجاب من ذهب الى هذا القول عن
الحديث بان النبي صلى الله عليه وسلم علم انه كان منافقا فقتله لذلك لا للكذب

وهذا الجواب ليس بشيء لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من سنته ان يقتل احدا من المنافقين الذين اخبر الثقة عنهم بالنفاق او الذين نزل القرآن بتناقهم فكيف يقتل رجلا بمجرد علمه بنفاقه ثم انه سمي خلقا من المنافقين لخذ يفة وغيره ولم يقتل منهم احدا وايضا فالسب المذكور في الحديث انما هو كذب به على النبي صلى الله عليه وسلم كذبا له فيه غرض وعليه رتب القتل فلا تجوز اخلافة القتل الى سب آخر وايضا فان الرجل انما قصد بالكذب زيل شهوته ومثل هذا قد يصدر من الفساق كما يصدر من الكفار وايضا فاما ان يكون نفاقه لهذه الكذبة او لسب ماض فان كان لهذه فقد ثبت ان الكذب عليه نفاق والمنافق كافر وان كان النفاق متقدما وهو المقتضى للقتل لا غيره فعلام يؤخر الامر بقتله الى هذا الحين وعلام لم يؤخذ به الله تعالى بذلك النفاق حتى فعل ما فعل وايضا فان القوم اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فقال كذب عدوا لله ثم امر بقتله ابن وجده حيا ثم قال ما اراك تجده حيا لعله صلى الله عليه وسلم بان ذنبه يوجب تعجيل العقوبة والنبي صلى الله عليه وسلم اذ امر بالقتل او غيره من العقوبات والكفارات عقب فعل وصف له صالح لترتب ذلك الجزاء عليه كل ذلك الفعل هو المقتضى لذلك الجزاء لا غيره كما ان الاعرابي لما وصف له الجماع في رمضان امره بالكفارة ولما اقر عنده عامر والغامدية وغيرهما بالزنا امر بالرجم وهذا عمالا خلافا فيه بين الناس نعلم نعم قد يختلفون في نفس الموجب هل هو مجموع تلك الاوصاف او بعضها هو نوع من تنقيح المناط

فاما ان يجعل ذلك الفعل عديم التأثير والموجب لتلك العقوبة غيره الذي لم يذكرو هذا فاسد بالضرورة لكن يمكن ان يقال فيه ما هو اقرب من هذا وهو ان هذا الرجل كذب على النبي صلى الله عليه وسلم كذبا يتضمن انتقاصه وعيبه لانه زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم حكمه في دماءهم واموالهم واذن لهم ان يبيت حيث شاء من بيوتهم ومقصوده بذلك ان يبيت عند تلك المرأة ليفجر بها ولا يمكنهم الانكار عليه اذا كان محكما في الدماء والاموال ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحلل الحرام ومن زعم انه احل المحرمات من الدماء والاموال والقوا حش فقد انتقصه وعابه ونسب النبي صلى الله عليه وسلم اليه انه ياذن له ان يبيت عند امرأة اجنبية خاليا بها وانه يحكم بما شاء في قوم مسلمين وهذا طعن على النبي صلى الله عليه وسلم وعيب له وعلى هذا التقدير فقد امر بقتل من عابه وطعن عليه من غير استتابة وهو المقصود في هذا المكان فثبت ان الحديث نص في قتل الطاعن عليه من غير استتابة حتى كلا القولين وما يؤيد القول الاول ان القوم لو ظهر لهم ان هذا الكلام سب وطعن لبادروا الى الانكار عليه ويمكن ان يقال رايهم امره فوقفوا حتى استثبتوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم لما تعارض وجوب طاعة الرسول وعظم ما اتاهم به هذا اللعين ومن نصر القول الاول قال كل كذب عليه فانه يتضمن للطعن عليه كما تقدم ثم ان هذا الرجل لم يذكر في الحديث انه قصد الطعن والازراء وانما قصد تحصيل شهوته بالكذب عليه وهذا شأن كل من تعمد الكذب عليه فانه انما يقصد تحصيل غرض له ان لم يقصد الاستهزاء به

والاغراض في الغالب امامال او شرف كما ان المسمى انما يقصد اذا لم يقصد مجرد
الاضلال اما الرياسة بنفاذ الامر وحصول التعظيم او تحصيل الشهوات الظاهرة
وبالجملة فمن قال لو فعل ما هو كفر كفر بذلك وان لم يقصد ان يكون كافرا
اذ لا يقصد الكفر احد الا ماشاء الله .

* السنة الرابعة عشر * حديث الاعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه
وسلم لما اعطاه ما احسنت ولا اجملت فاراد المسلمون قتله ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم لو تركتم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار .
وسياتي ذكره في ضمن الاحاديث المتضمنة لعفوه عن آذاه فان هذا
الحديث يدل على ان من آذاه اذا قتل دخل النار وذلك دليل على كفره
وجواز قتله والا كان يكون شهيد او كان قاتله من اهل النار وانما عفا النبي
صلى الله عليه وسلم عنه ثم استبرضاه بعد ذلك حتى رضى لانه كان له ان يعفو
عن آذاه كما سياتي ان شاء الله تعالى . ومن هذا الباب ان الرجل الذي
قال له لما قسم غنائم حنين ان هذه تقسمه ما يريد بهلوجه الله فقال عمر د عني
يا رسول الله فاقتل هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي
ثم اخبر انه يخرج من ضئضه اقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم . وذكر
حديث الخوارج رواه مسلم فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع عمر من قتله
الاثلاث يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولم يمنعه لكونه في نفسه معصوما
كما قال في حديث حاطب بن ابي بلتعه فانه لما قال ما فعلت ذلك كفر او لا
رغبة عن د بني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه

* حديث الاعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند تقسيمه الغنائم ما احسنت ولا اجملت *

قد صدقكم فقال عمر د عني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا
وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
فبين صلى الله عليه وسلم انه باق على ايمانه وانه صدر منه ما يغفر له به الذنوب
فعلم ان دمه معصوم وهنا علل بمفسدة زالت فعلم ان قتل مثل هذا القاتل
اذا امنت هذه المفسدة جائز وكذا لك لما امنت هذه المفسدة انزل الله
تعالى قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم بعد ان كان قد قال له
ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذهم قال زيد بن اسلم قوله جاهد
الكفار والمنافقين نسخت ما كان قبلها * ومما يشبه هذا ان عبد الله بن ابي
لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الا عزمنا الا ذل * وقال لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا * استامر عمر في قتله فقال اذن ترعده
انوف كثيرة بالمدينة وقال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه والقصة
مشهورة وهي في الصحيحين وستأتي ان شاء الله تعالى فعلم ان من آذى
النبي صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الكلام جاز قتله كذلك مع القدرة وانما
ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتله لما خيف في قتله من نفور الناس عن الاسلام
لما كان ضعيفا * ومن هذا الباب * ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال من يعذرني
في رجل بلغني اذاه في اهل قال له سعد بن معاذ انا اعذررك ان كان من
الاوس ضربت عنقه * والقصة مشهورة فلما لم ينكر ذلك عليه دل على ان من
آذى النبي صلى الله عليه وسلم ونقصه يجوز ضرب عنقه والفرق بين ابن
ابي وغيره ممن تكلم في شان عائشة انه كان يقصد بالكلام فيها عيب رسول الله

صلى الله عليه وسلم والطعن عليه والحق القاربه وينكلم بكلام ينتقضة به
 فذلك قالوا نقتله بخلاف حسان ومسطح وحمزة فانهم لم يقصدوا ذلك
 ولم يتكلموا بما يدل على ذلك ولهذا انما امتعذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
 من ابن ابي دون غيره ولا جله خطب الناس حتى كاد الحيات يقتلون
 الحديث الخامس عشر قال سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى في مغازيه
 حدثني ابي عن المجالد بن سعيد عن الشعبي قال لما افتتح رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مكة دعا بمال العزى فثره بين يديه ثم دعا رجلا قد سماه
 فاعطاه منها ثم دعا اباسفيان بن حرب فاعطاه منها ثم دعا سعد بن حريث
 فاعطاه منها ثم دعا رهطاً من قر يش فاعطاهم فجعل يعطى الرجل القطعة من
 الذهب فيها خمسون مثقالاً وسبعون مثقالاً ونحو ذلك فقام رجل فقال انك
 لبصير حيث تضع التبر ثم قام الثانية فقال مثل ذلك فاعرض عنه النبي صلى الله
 عليه وسلم ثم قام الثالثة فقال انك لتحكيم ومانري عد لا قال ويحك اذا
 لا يعدل احد بعدى ثم دعا نبي الله صلى الله عليه وسلم ابابكر فقال اذهب
 وقتله فذهب فلم يجد فقال لو قتله لرجوت ان يكون اولهم وآخرهم
 فهذا الحديث نص في قيل مثل هذا الطاعن على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من غير استتابة وليست هي قصة قسم غنائم حنين ولا قسم التبر الذي
 بعث به علي من اليمن بل هذه القصة قبل ذلك في قسم مال العزى وكان
 هدم العزى قبل الفتح في اواخر شهر رمضان سنة ثمان وغنائم حنين قسمت
 بعد ذلك بالجمرة في ذي القعدة وخديث علي في سنة عشر وهذا

الحديث مرسل ومخرجه عن مجاهد وفيه لين لكن له ما يؤيد معناه فانه
قد تقدم ان عمر قتل الرجل الذي لم يرخص بحكم النبي صلى الله عليه وسلم
ونزل القرآن باقراره على ذلك وجرمه اسهل من جرم هذا * وايضاً فان
في الصحيحين عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الذي
لزمه في قسمة الذهبية التي ارسل بها علي من اليمن وقال يا رسول الله اتق الله
انه قال انه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله وطباً لا يجاوز
حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية يقتلون اهل الاسلام
ويدعون اهل الاوثان لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد * وفي الصحيحين
عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم
في آخر الزمان احدث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز
ايمانهم حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية فاينما القيتهم
فاقتلهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة * وروى النسائي عن
ابي برزة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقسمه فاعطى من عن يمينه
ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئاً فقام رجل من وراءه فقال يا محمد
ما عدلت في القسمة رجل اسود مطموم الشعر عليه ثوبان ايضان فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً وقال والله لا تجدون بعدى رجلاً
هو اعدل مني ثم قال يخرج في آخر الزمان قوم كان هذا منهم يقرءون
القرآن لا يجاوزون اقيهم يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية
سيبهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فاذا

لقيمواهم فاقتلواهم هم شر الخلق والخلقة . فهذه الاحاديث كلها دليل على
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل طائفة هذا الرجل العائب عليه واخبر
ان في قتلهم اجر لمن قتلهم وقال لئن ادر كتمهم لا قتلهم قتل عاد و ذكر
انهم شر الخلق والخلقة . وفيما رواه الترمذي وغيره عن ابي امامة انه قال
هم شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه و ذكر انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ذلك مرات متعددة و قلا فيهم قوله تعالى يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد
ايمانكم . وقال هوؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم و نلا فيهم قوله تعالى فاما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه . وقال زاغوا فزيغ بهم ولا يجوز ان يكون
امر بقتلهم بمجرد قتالهم الناس كما يقاتل الصائل من قاطع الطريق ونحوه
كما يقاتل البغاة لان اولئك انما يشرع قتالهم حتى تنكسر شوكتهم ويكفوا
عن الفساد ويدخلوا في الطاعة ولا يقتلون اينما لقوا ولا يقتلون قتل
عاد وليسوا شر قتلى تحت اديم السماء ولا يؤمر بقتلهم وانما يؤمر في آخر
الامر بقتالهم فعلم ان هؤلاء اوجب قتلهم مروقهم من الدين لما غلوا فيه
حتى مرقوا منه كما دل عليه قوله في حديث علي بمرقون من الدين كما يرق
السهم من الرمية فاينا لقيمواهم فاقتلواهم فرتب الامر بالقتل على مروقهم
فعلم انه الموجب له ولهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم الطائفة الخارجة
وقال لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان محمد لنكلوا عن
العمل وآية ذلك ان فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع على رأس عضده

مثل حلة الثدى عليه شعرات بيض وقال انهم يخرجون على خير فرقة
 من الناس يقتلهم اذ في الطائفتين الى الحق وهذا كله في الصحيح ثبت ان
 قتلهم لخصوص صفتهم لا لعموم كونهم بغاة او محاربين وهذا القدر موجود
 في الواحد منهم كوجوده في العدد منهم وانما يقتلهم علي رضي الله عنه اول
 مظهر والانه لم يبين له انهم الطائفة المنعوتة حتى سفكوا دم ابن خباب واغاروا
 على سرح الناس فظهر فيهم قوله يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان
 فعلم انهم المارقون ولانه لو قتلهم قبل المحاربة لربما غضبت لهم قبائلهم
 وفرقوا على رضي الله عنه وقد كان حاجته الى مداراة عسكره واستيلافهم
 كحال النبي صلى الله عليه وسلم في حاجته في اول الامر الى استيلاف المنافقين *
 • وايضا فان القوم لم يتعرضوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل كانوا
 يعظمونه ويعظمون ابا بكر وعمر ولكن غلوا في الدين غلوا جازوا به حدّه
 لنقص عقولهم فصاروا كما تاوله علي فيهم من قوله عز وجل هل انبئكم
 بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
 صنعا • وواجب ذلك لهم عقائد فاسدة ترتب عليها افعال منكرة كفر بها
 كثير من الامة وتوقف فيها آخرون فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم
 الرجل الطاعن عليه في القسمة المناسب له الى عدم العدل بجهله وغلوه
 وظنه ان العدل هو ما يعتقد من التسوية بين جميع الناس دون النظر الى
 ما في تخصيص بعض الناس وتفضيله من مصلحة التاليف وغيرها من المصالح علم ان
 هذا اول اولئك فانه اذا طعن عليه في وجهه على سنته فهو يكون بعد موته

و على خلفائه اشد طعنًا و قد حكي ارباب المقالات عن الخوارج انهم
يجوزون على الانبياء الكبار و لهذا لا يلتفتون الى السنة المخالفة في رأيهم
لظاهر القرآن و ان كانت متواترة فلا يرجعون الزاني و يقطعون يد السارق
فيما قل و كثر زعماء منهم على ما قيل ان لاجحة الا القرآن و ان السنة الصادرة
عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليست حجة بناء على ذلك الاصل الفاسد
قال من حكي ذلك عنهم انهم لا يطعنون في النقل لتواتر ذلك و انما يشتبونه
على هذا الاصل و لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفتهم انهم يقرءون
القرآن لا يجاوز جناجرهم يتأولونه برأيهم من غير استدلال على معانيه
بالسنة و هم لا يفهمونه بقلوبهم انما يتلونونه بالسنتهم و التحقيق انهم اصناف
مختلفة فهذا رأى طائفة منهم و طائفة قد يكذبون النقلة و طائفة لم يسمعوا
ذلك و لم يطلبوا علمه و طائفة يزعمون ان ما ليس له ذكر في القرآن بصريحة
ليس حجة على الخلق اما لكونه منسوخا او مخصوصا بالرسول او غير ذلك و كذلك
ما ذكر من تجويزهم الكبار فافضله و الله اعلم قول طائفة منهم و على كل حال
فمن كان يعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم جائر في قسمه و هو يقول انها يفعلها بالمرأه
فهو مكذب له و من زعم انه يجوز في حكمه او قسمة فقد زعم انه جائر و ان
اتباعه لا يجب و هو مناقض لما تضمنته الرسالة من امانته و وجوب طاعته
و زوال الحرج عن الجنس من قضائه بقوله و فعله فانه قد بلغ عن الله انه
اوجب طاعته و الاتقياد لحكمه و انه لا يجب على احد من طعن في هذا فقد
طعن في تبليغه و ذلك طعن في الرسالة و بهذا تبين صحة رواية من روى

الحديث ومن يعدل اذا لم يعدل لقد خبت وخسرت ان لم اكن يعدل لان
 هذا الطاعن يقول انه رسول الله وانه يجب عليه تصديقه وطاعته فاذا قال
 انه لم يعدل فلقد لزم انه صدق غير عدل ولا امين ومن اتبع مثل ذلك فهو خائب
 خاسر كما وصفهم الله بانهم من الاخسرين اعمالا وان جسيوا انهم يحسنون صنعا
 ولانه من لم يؤتمن على المال لم يؤتمن على ما هو اعظم منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
 الا تاتمنوني وانا امين من في السماء ياتيني خبر السماء صباحا ومساء . وقال
 صلى الله عليه وسلم لما قال له اتق الله اولست احق اهل الارض ان يتق الله
 وذلك لان الله تعالى قال فيما بلغه اليهم الرسول ما آتاكم الرسول فخذوه
 وما نهاكم عنه فانتهوا . بعد قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فله
 وللرسول الاية فيمن سيجانه انما نهى عنه من مال النبی فعلينا ان ننتهي عنه
 فيجب ان يكون احق اهل الارض ان يتق الله اذ لو لا ذلك لكانت الطاعة له
 بغيره ان تساويا او لغيره دونه ان كان دونه وهذا كفر بما جاء به وهذا
 ظاهر وقوله صلى الله عليه وسلم شرا الخلق والخلقة وقوله شرفي تحت
 اديم السماء نص في انهم من المنافقين لان المنافقين اسوأ حالا من الكفار
 كما ذكر ان قوله تعالى ومنهم من يلزمك في الصدقات نزلت فيهم وكذلك
 في حديث ابي امامة ان قوله تعالى اكفرتكم بعد ايمانكم نزلت فيهم هذا
 بما لا خلاف فيه اذا صرحوا بالظن في الرسول والعيب له كفعول
 اولئك اللامزين له فاذا ثبت بهذه الاجاديت الصحيحة انه صلى الله عليه
 وسلم امر بقتل من كان من جنس ذلك الرجل الذي لمزه ابنما لقوا واخبر انهم

شر الخليفة وثبت انهم من المنافقين كان ذلك دليلا على صحة معنى حديث
الشعبي في استحقاق اصلهم للقتل * يبقى ان يقال * ففي الاحاديث الصحيحة انه
نهى عن قتل ذلك اللامز * فنقول * حديث الشعبي هو اول ظهوره ولا كما تقدم
فالا شبه والله اعلم ان يكون امر بقتله او لا طمعا في انقطاع امرهم وان كان قد كان
يعفو عن اكثر المنافقين لانه خاف من هذا انتشار الفساد من بعده على الامة
ولهذا قال لو قتله لرجوت ان يكونوا لهم واخرهم وكان ما يحصل لقتله من
المصلحة العظيمة اعظم مما يخاف من نفور بعض الناس لقتله فلما لم يوجد وتعدرت قتلته ومع
النبي صلى الله عليه وسلم بما لو حاء الله اليه من العلم ما فضله الله به فكانه علم انه لا بد
من خروجهم وانه لا مطمع في استيصالهم كما انه لما علم ان الدجال خارج لا محالة نهى
عمر عن قتل ابن صياد وقال ان يكنه فلن تسلط عليه وان لا يكنه فلا خير لك
في قتله فكان هذا مما اوجب نهيه بعد ذلك عن قتل ذي الخويرة لما نزه في
غنائم حنين وكذلك لما قال عمر ائذن لي فا ضرب عنقه قال دعه فان له اصحابا يمحرون
احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم
من الرمية الى قوله يخرجون على حين فرقة من الناس فامر بتركه لاجل ان له
اصحابا خارجين بعد ذلك فظهر ان علمه بانهم لا بد ان يخرجوا منعه من
ان يقتل منهم احدا فيتحدث الناس بان محمد يقتل اصحابه الذين يصلون
معه وتفر بذك عن الاسلام قلوب كثيرة من غير مصلحة تعمر
هذه المفسدة هذا مع انه كان له ان يعفو عن آذاه مطلقا باني هو وامي
صلى الله عليه وسلم وبهذا تبين سبب كونه في بعض الحديث يعلل بالله

صلى و في بعضه بان لا يتحدث الناس ان محمد يقتل اصحابه
 وفي بعضه بان له اصحاباً سيخرجون و سيأتى ان شاء الله تعالى ذكر بعض هذه
 الاحاديث وان كان هذا الموضع خليقاً بها ايضا فثبت ان كل من لمز النبي
 صلى الله عليه وسلم في حكمه او قسمه فانه يجب قتله كما امر به صلى الله عليه
 وسلم في حياته و بعد موته و انه انما عفا عن ذلك اللامز في حياته كما قد كان
 يعفو عن يؤذيه من المنافقين لما علم انهم خارجون في الامة لا محالة و ان
 ليس في قتل ذلك الرجل كثير فائدة بل فيه من المفسدة ما في قتل سائر
 المنافقين و اشد و مما يشهد لمعنى هذا الحديث قول ابى بكر في الحديث
 المشهور لما اراد ابو برزة ان يقتل الرجل الذى اغلظ لابي بكر و تغيط عليه
 ابو بكر و قال له ابو برزة اقتله فقال ابو بكر ما كان لاحد بعد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان يقتل احداً فان هذا كما تقدم دليل على ان الصديق
 علم ان النبي صلى الله عليه وسلم يطاع امره في قتل من امر بقتله ممن اغضب
 النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان في حديث الشعبي انه امر ابا بكر بقتل ذلك
 الذى لمزه حتى اغضبه كانت هذه القصة بمنزلة العمدة لقول الصديق
 و كان قول الصديق رضى الله عنه دليلاً على صحة معناها و مما يدل على انهم
 كانوا يرون قتل من علموا انه من اولئك الخوارج و ان كان منفرداً حديث
 ضبيع بن عسل و هو مشهور قال ابو عثمان النهدي سأل رجل من بنى يربوع
 او من بنى تميم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن الذاريات والمرسلات والنازعات
 او عن بعضهن فقال عمر ضع عن رأسك فاذا له و فرة فقال عمر اما والله لو رأيتك

مخلوقاً لضربت الذي فيه عيناك قال ثم كتب الى اهل البصرة او قال اليه
 ان لا تجالسوه قال فلو جاء ونحن مائة نفر قاتلوا الاموي وغيره باسناد
 صحيح فهذا عمر يخاف بين المهاجرين والانصار انه لو رأى العلامة التي وصف
 بها النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج لضرب عنقه مع انه هو الذي نهاه النبي
 صلى الله عليه وسلم عن قتل ذي الخويصرة فعلم انه فهم من قول النبي صلى الله
 عليه وسلم اينما لقبتموهم فاقتلوهم القتل مطلقاً وان العفو عن ذلك كان في حال
 الضعف والاستيلاء فان قيل فما الفرق بين قول هؤلاء اللامزين في
 كونه تفاقماً وجبال الكفر وحل الدم حتى صار جنس هذا القائل شر الخلق وبين
 ما ذكر من موجدة قریش والانصار ففي حديث ابن سعيد الصحيح ان النبي
 صلى الله عليه وسلم لما قسم الذهبية بين اربعة غضبت قریش والانصار وقالوا تعظيهم
 ضاديد اهل نجد وند عنا فقال انما اتألفهم فاقبل رجل غائر العينين وذكرك حديث
 اللامز وفي رواية لمسلم فقال رجل من اصحابه كنا نحن احق بهذا امن هؤلاء فباع
 ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الا تأمنوني وانا امن من في السماء ياتيني
 خبر السماء صباحاً ومساءً فقال رجل غائر العينين وذكرك موجدة الانصار في غنائم
 حنين فمن انس بن مالك ان ناساً من الانصار قالوا يوم حنين حين افاء الله على رسوله
 من اموال هوازن ما افاء فظفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالاً
 من قریش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى
 قریشاً ويتركنا وسيفنا نقطر من دماهم وفي رواية لما فتحت مكة قسم
 الغنائم في قریش فقالت الانصار ان هذا هو العجب ان سيفنا نقطر من دماهم

وان غنائمنا ترد عليهم. وفي رواية فقال الانصار اذا كانت الشدة فمحن ندعى
 ويعطى الغنائم غيرنا قال انس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
 من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم
 فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني عنكم
 فقال له فقهاء الانصار اما ذو وراى بنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا
 شيئا واما الناس منا حد بشة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فاني اعطى رجلا حديثي عهد بكفر انا لفهم افلاتر ضون ان تذهب
 الناس بالاموال وترجعون الى رحاكم برسول الله ما تنقلبون به خير مما
 يتقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدى اثره
 فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الخوض قالوا سنصبر قبل ان احدا من
 المؤمنين من قريش والانصار وغيرهم لم يكن في شى من كلامه تجوير لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولا تجوز ذلك عليه ولا اتهام له انه حابي في القسمة لهوى
 النفس وطلب الملك ولا نسبة له الى انه لم يرد بالقسمة وجهه الله تعالى ونحو
 ذلك مما جاء مثله في كلام المنافقين وذو والرأى من القبيلتين وهم الجمهور لم يتكلموا
 بشى اصلابل قد رضوا اما اتاهم الله ورسوله وقالوا احسبنا الله سيؤتينا الله من
 فضله ورسوله كما قالت فقهاء الانصار اما ذو وراى بنا فلم يقولوا شيئا واما الذين
 تكلموا من احداث الاسنان ونحوهم فرأوا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما
 يقسم المال لمصالح الاسلام ولا يضعه في محل الا لان وضعه فيه اولى من وضعه

في غيره هذا مما لا يشكون فيه وكان العلم بجهة المصلحة قد تنال بالوحي وقد تنال بالاجتهاد وليكونوا علموا ان ذلك مما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه بوحي من الله فان من كره ذلك او اعترض عليه بعد ان يقول ذلك فهو كافر مكذب وجوزوا ان يكون قسمه اجتهاداً وكانوا يراجعونه في الاجتهاد في الامور الدنيوية المتعلقة بمصالح الدين وهو باب يجوز له العمل فيه باجتهاده باتفاق الامة وربما سألوه عن الامر لا لمرآجعة فيه لكن ليشبثوا وجهه ويتفقوا في سنته ويعلموا علته وكانت المراجعة المشهورة منهم لاتعد و هذين الوجهين اما التكميل نظره صلى الله عليه وسلم في ذلك ان كان من الامور السياسية التي للاجتهاد فيها مسامحة او لتبيين لم وجه ذلك اذ ذكر ويزداد و اعلموا ايماناً وينفتح لهم طريق التفقه فيه فالاول كراجعة الحباب بن المنذر له لما نزل بيد ر منزلاً قال يا رسول الله ا رأيت هذا المنزل الذي نزلته ا هو منزل انزلكه الله فليس لنا ان نتعداه ام هو الراي والحرب والمكيدة فقال بل هو الراي والحرب والمكيدة فقال انه هذا ليس بمنزل قتال فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه وتحول الى غيره وكذلك ايضاً لما عزم على ان يصالح غطفان عام الحندق على نصف تمر المدينة ثم جاء سعد بن معاذ في طائفة من الانصار فقال يا رسول الله بابي انت وامي هذا الذي تعطيهم اشئ من الله امرك فسمع وطاعة لله ولرسوله ام شئ من قبل رأيك قال لا بل من قبل رأيي اني رأيت القوم اعطوا الاموال فجعلوا لكم ما رأيتهم من القبائل وانما انتم قبيل واحد فاردت ان ادفع بعضهم وتعطيهم شيئاً ونصب لبعض اشترى بذلك ما قد نزل

معشر الا نصار فقال سعدوا لله يا رسول الله لقد كتاني الشراك وما يظعمون
مناني اخذ النصف او كما قال وفي رواية ما يا كلون من ثمرة الابشرى او قرى
فكيف اليوم والله معنا وانت بين اظهرنا لا نعطيهم ولا كرامة لهم ثم نلوا الصحيفة
فتغل فيها ثم رمى بها وما كان من قبيل الراى والظن في الدنيا فقد قال صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن اللقيح ما ظن بعنى ذلك شيئا انما ظننت فلا توادوني بالظن ولكن اذا
حد ثتم عن الله بشىء فخذوا به فاني لن اكذب على الله رواه مسلم . وفي حديث
آخر انتم اعلم بامر دنياكم فما كان من امر دينكم فالي . ومن هذا الباب
حديث سعد بن ابي وقاص قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رهطا وانا جالس فترك رجلا منهم هو اعجبهم الي فقلت له يا رسول الله
اعطيت فلانا و فلانا وترك فلانا و هو مؤمن فقال او مسلم ذكر ذلك
سعد له ثلاثا و اجابه بمثل ذلك ثم قال اني لا اعطى الرجل و غيره احب
الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه متفق عليه . فاما سألة سعد رضى الله
عند ليدكر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الرجل لعله يرى انه ممن ينبغي
اعطاؤه . اوليتين لسعد وجه تركه مع اعطاء من هو دونه فاجابه النبي
صلى الله عليه وسلم عن المقدمين فقال ان العطاء ليس لمجرد الايمان بل
اعطى و امنع و الذى اترك احب الي من الذى اعطيه لان الذى اعطيه
لو لم اعطه تكفر فاعطيه لا حفظ عليه ايمانه ولا ادخله في زمرة من
يعبد الله على حرف و الذى امنعه معه من اليقين و الايمان ما يقنيه عن
الله نبا و هو احب الي و عندى افضل و هو يعتصم بحبل الله تعالى و رسوله

ويعتاض بنصيبه من الدين عن نصيبه من الدنيا كما اعتاض به أبو بكر وغيره وكما اعتاضت الأنصار حين ذهب الطلقاء وأهل نجد بالشاة والبعير وانطلقواهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لو كان العطاء لمجرد الإيمان فمن أين لك أن هذا مؤمن بل يجوز أن يكون مسلماً وإن لم يدخل الإيمان في قلبه فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم من سعد بتمييز المؤمن من غيره حيث أمكن التمييز * ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن اسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أن قائلًا قال يا رسول الله أعطيت عيينة بن حصن والقرع بن حابس مائة من الأبل مائة وترك جعيل بن سراقه الضمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلها مثل عيينة والقرع ولكن تألفتها على إسلامها وولت جعيل بن سراقه إلى إسلامه * وقد ذكر بعض أهل المغازي في حديث الأنصار ودنا أن نعلم من أين هذا أن كان من قبل الله صبرنا وإن كان من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم استعقبناه فبهذا اتين أن من وجد منهم جوز أن يكون القسم وقع باجتهاد في المصلحة فأحب أن يعلم الوجه الذي أعطى به غيره ومنع هو مع فضله على غيره في الإيمان والجهاد وغير ذلك وهذا في بادى الرأي هو الموجب للعطاء وإن النبي صلى الله عليه وسلم يعطيه كما أعطى غيره وهذا معنى قولهم استعقبناه أى طلبنا منه أن يعقبنا أى يزيل عتبنا أما بيان الوجه الذي أعطى غيرنا أو باعطائنا وقد قال صلى الله عليه وسلم ما أحد أحب إليه العذر من الله

من اجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين فاحب النبي صلى الله عليه وسلم ان يعذره فيما فعل فبين لهم ذلك فلما تبين لهم الامر بكوا حتى اخضلوا الحام ورضوا حق الرضاء والكلام المحكى عنهم يدل على انهم رأوا القسمة وقعت اجتهادوا وانهم احق بالمال من غيرهم فتعجبوا من اعطاء غيرهم و ارادوا ان يعلموا هل هو وحي او اجتهاد يتعين اتباعه لانه المصلحة او اجتهاد يمكن النبي صلى الله عليه وسلم ان ياخذ لغيره اذا رأى انه اصلح وان كان هذا القسم انما يمكن فيما لم يستقر امره ويقره عليه به ولهذا قالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم وقالوا ان هذا هو العجب ان سيوفنا لنقطر من دمائهم وان غنائمنا لترد عليهم وفي رواية اذا كانت الشدة فنجن ندعى ويعطى الغنائم غيرنا.

✽ واختلف الناس في العطايا هل كانت من نفس الغنيمة او من الخمس فروى عن سعد بن ابراهيم ويعقوب بن عتبة قال كانت العطايا فارغة من الغنائم وعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم انما اخذ نصيبهم ومن المغنم لطيب انفسهم وقد قيل انه اراد ان يقطعهم بدل ذلك قطائع من البحر بن فقالوا لا حتى يقطع اخواننا من المهاجرين مثله ولهذا لما جاء مال البحر بن وافوه صلاة الفجر وقال لجابر لو قد جاء مال البحر بن اعطيتك كذا وكذا لكن لم يستاذنهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل القسم لعلمه بانهم يرضون بما يفعل واذا علم الرجل من حال صديقه انه يطيب نفسه بما ياخذ من ماله فله ان ياخذ وان لم يستأذنه نطقا وكان هذا معروفا بين كثير من الصحابة والتابعين كالرحل الذي سأل

النبي صلى الله عليه وسلم كبة من شعر فقال اماما كان لي ولبنى هاشم فهولك
وعلى هذا فلا حرج عليهم اذا سألوا نصيبهم وقال موسى بن ابراهيم عن
ابيه كانت من الخمس قال الواقدي هو اثبت القولين وعلى هذا فالخمس
امان يقسمه الامام باجتهاده كما يقوله مالك او يقسمه خمسة اقسام كما يقوله
الشافعي واحمد واذا قسمه خمسة اقسام فاذا لم يوجد يتامى او مساكين او ابن
سبيل او استغنوا ردت انصباؤهم في مصارف سهم الرسول وقد كان
اليتامى والمساكين وابن السبيل اذ ذاك مع قتلهم مستغنين بنصيبهم من
الزكاة لانه لما فتحت خيبر واستغنى اكثر المسلمين رد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الانصار منافع النخل التي كانوا قد منحوها للمهاجرين فاجتمع للانصار
اهولهم التي كانت والاموال التي غنموها بخيبر وغيره فصاروا امياسير ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الم اجدكم عالة فاغناكم الله بي فصرف
النبي صلى الله عليه وسلم عامة الخمس في مصارف سهم الرسول فان اولى
المصالح تاليف اولئك القوم ومن زعم ان مجرد خمس الخمس قلم بجميع
ما اعطى المؤلفة فانه لم يدرك كيف القصة ومن له خبرة بالقصة يعلم ان المال
لم يكن محتسب هذا وقد قيل ان الابل كانت اربعة وعشرين الف بعير والقتم
اربعمائة الف او اكثر والورق اربعة آلاف اوقية والقتم كانت تعدل
عشرة منها بعير فهذا يكون ثلثا ثلثي الف بعير فخمس الخمس منه
الف ومائتا بعير وقد قسم في المؤلفة اضعاف ذلك على ما لا خلاف فيه
بين اهل العلم واما قول بعض قريش والانصار في الدهية التي

بعث بها علي من اليمن اعطى صناديد اهل نجد ويد عنا فمن هذا الباب
ايضاً انما سألوه على هذا الوجه • وها هنا جوابان آخران • الجواب الاول •
ان بعض اولئك القائلين قد كان منافقاً يجوز قتله مثل الذي سمعه ابن مسعود
يقول في غنائم حنين ان هذه لقسمه • اريد بها وجه الله وكان في ضمن قريش
والانصار منافقون كثيرون فماد كرم كلمة لا تخرج لها فائدة صدرت من منافق
والرجل الذي ذكر عنه ابو سعيد انه قال كنا احق بهذا من هؤلاء
لم يسمه منافقاً والله اعلم • الجواب الثاني • ان الا عراض قد يكون ذنباً ومعصية
يخاف على صاحبه النفاق وان لم يكن ثقافاً مثل قوله تعالى يجاد لؤنك في الحق
بعد ماتين • ومثل من اجتمعهم له في فسح الحج الى العمرة وابطائهم عن الحل
وكذلك كراهمهم للحل عام الحديبية وكراهمهم للصالح وراجمهم من راجع
منهم فان من فعل ذلك فقد اذنب ذنباً كان عليه ان يستغفر الله منه كما ان
الذين رفعوا اصواتهم فوق صوته اذنبوا ذنباً تابوا منه وقد قال واعلموا ان
فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم • قال سهل بن حنيف
اتهموا الراي على الدين فلقد رايتني يوم ابي جندل ولواستطيع ان ارد امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لفعلت • فهذا امور صدرت عن شهوة وعجلة لا عن شك
في الدين كما صدر عن حاطب التجسس لقريش مع انها ذنوب ومعاص يجب
على صاحبها ان يتوب وهي بمنزلة عصيان امر النبي صلى الله عليه وسلم • ومما
يدخل في هذا حديث ابي هريرة في فتح مكة قال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن اتى السلاح فهو آمن

ومن اغلق بابه فهو آمن فقالت الانصار اما الرجل فقد ادر كنهه رغبة في قرابته ورافة بعشيرته قال ابوهريرة قال جاء الوحي وكان اذا جاء لا ينبغي علينا فاذا جاء فليس احد منا يرفع طرفه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينقضي الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار قالوا اليك يا رسول الله قال قلت اما الرجل فادر كنهه رغبة في قرابته ورأفة بعشيرته قالوا قد كان ذلك قال كلا اني عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم المحبا محباكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه ليكون ويقولون والله ما قلنا الا لرضى بالله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم رواه مسلم و ذلك ان الانصار لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد آمن اهل مكة واقروهم على اموالهم ودمائهم مع دخوله عليهم عنوة وقهراً وتمكنه من قتلهم واخذ اموالهم لو شاء خافوا ان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يستوطن مكة ويستبطن قريشاً لان البلد بلد العشيرة عشيرته وان يكون نزاع النفس الى الوطن والاهل يوجب انصرافه عنهم فقال من قال منهم ذلك ولم يقله الفقهاء واولوا الالباب الذين يعلمون انه لم يكن له سبيل الى استيطان مكة فقالوا ذلك لا طعننا ولا عيباً ولكن ضنا بالله ورسوله والله ورسوله قد صدقاهم انما حملهم على ذلك الضن بالله ورسوله وعذراهم فيما قالوا لما رأوه وسمعوا اولاً ان مفارقة الرسول شديد على مثل اولئك المؤمنين الذين هم شعار وغيرهم دثاروا الكلمة التي تخرج عن محبة وتعظيم وتشريف وتكريم تغفر لصاحبها بل يحمدها وان كان مشاهداً لو صدق ربه ون ذلك استحق صاحبها النكال

وكذلك الفعل الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لابي بكر حين اراد ان
يتأخر عن موقفه في الصلاة لما احس بالنبي صلى الله عليه وسلم مكانك فتأخر
ابو بكر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت مكانك وقد امرتك
فقال ما كان لابن ابي خافة ان يتقدم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك
ابو ايوب الانصاري لما استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في ان ينتقل الى السفلى
وان يصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العلو وشق عليه ان يسكن فوق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملك في مكانه وذكر له ان سكناه اسفل
ارفق به من اجل دخول الناس عليه فامتنع ابو ايوب من ذلك ادباً مع النبي
صلى الله عليه وسلم وتوقيراً له فكلمة الانصار رضي الله عنهم من هذا الباب
وبالجملة فالكلمات في هذا الباب ثلاثة اقسام احداها من ما هو كفر مثل
قوله ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله الثاني ما هو ذنب ومعصية يخاف
على صاحبه ان يحبط عمله مثل رفع الصوت فوق صوته ومثل
مراجعة من راجعه عام الحد بية بعد ثباته على الصلح ومجادلة من جادله يوم
بدربعد ماتين له الحق وهذا كله يدخل في المخالفة عن امره الثالث
ما ليس من ذلك بل يحمد عليه صاحبه او لا يحمد كقول عمر ما بالنانة صر الصلاة
وقد امنوا كقول عائشة الم يقل الله فاما من اوتي كتابه يمينه وكقول
حفصة الم يقل الله وان منكم الاواردها ومراجعة الحجاب في منزل بدرومراجعة
سعد في صلح غطفان على نصف تمر المدينة ومثل من اجعتهم له لما امرهم بكسر
الآنية التي فيها الحوم الحمر فقالوا او لا تغسلها فقال اغسلوها وكذلك رد عمر

لابي هريرة لما خرج مبشرا و مراجعته النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكذلك
مراجعته له لما اذن لهم في نحر الظهر في بعض المغازي و طلبه منه ان يجمع
الازواد و يدعو الله ففعل ما اشار به عمرو و نحو ذلك مما فيه سوال عن اشكال
لبيتين لهم او عرض المصلحة قد يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا
ما اتفق ذكره من السنن الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل من
سبه من معاهد و غير معاهد و بعضها نص في المسئلة و بعضها ظاهر و بعضها
مستنبط مستخرج استنباطا قد يقوى في رأي من فهم و قد يتوقف عنه من
لم يفهمه او من لم يتوجه عنده او رأي ان الدلالة منه ضعيفة و لن يخفى
الحق على من توخاه و قصده و رزقه الله تعالى بصيرة و علما و الله سبحانه اعلم ❖

❖ فصل ❖

واما اجماع الصحابة فلان ذلك نقل عنهم في قضايا متعددة ينتشر مثلها و يستفيض
و لم ينكرها احد منهم فصارت اجماعا ❖ و اعلم انه لا يمكن ادعاء اجماع الصحابة
على مسئلة فرعية باباغ من هذا الطريق فمن ذلك ما ذكره سيف بن عمر
التميمي في كتاب (الردة و الفتوح) عن شيوخه قال و رفع الى المهاجر يعني
المهاجر بن ابي امية و كان اميرا على اليمامة و نواحيها امر اثنان مغنيتان
غنت احدهما بشتن النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها و نزع ثنيتها
و غنت الاخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها و نزع ثنيتها فكتب اليه ابو بكر
بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت و زمزمت بشتن النبي صلى الله
عليه وسلم فلو لا ما قد سبقني لا مرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبهه

❖ فصل في ثبوت اجماع الصحابة على قتل سباب النبي صلى الله عليه وسلم ❖

الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد او معاهد فهو محارب غادره
 وكتب اليه ابو بكر في التي تغت بهجاء المسلمين اما بعد فانه بلغني انك قطعت
 يد امرأة في ان تغت بهجاء المسلمين ونزعت ثيبتها فان كنت ممن تدعي
 الاسلام فادب وتقدمه دون المثلة وان كنت ذمية فلعمري لما صفت
 عنه من الشرك اعظم ولو كنت تقدمت اليك في مثل هذا بلغت
 مكر وهك فاقبل الدعوة واياك في المثلة في الناس فانها مأثم ومنفرة الا في
 قصاص وقد ذكر هذه القصة غير سيف وهذا يوافق ما تقدم عنه ان من
 شتم النبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يقتله وليس ذلك لاحد بعده
 وهو صريح في وجوب قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم
 ومعاهد وان كان امرأة وانه يقتل بدون استتابة بخلاف من سب الناس
 وان قتله حد للانبياء كما ان جلد من سب غيرهم حد له وانما لم يامر ابو بكر
 بقتل تلك المرأة لان المهاجر سبق منه فيها حد باجتهاده فكره ابو بكر ان
 يجمع عليها حدين مع انه لعلها اسلمت او تابت فقبل المهاجرون بئها قبل كتاب
 ابي بكر وهو محل اجتهاد سبق منه فيه حكم فلم يغيره لان الاجتهاد لا ينقض
 بالاجتهاد وكلامه يدل على انه انما منعه من قتلها ما سبق من المهاجر وروى
 حرب في مسائله عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد قال اتى عمر برجل سب
 النبي صلى الله عليه وسلم فقتله ثم قال عمر من سب الله او سب احدا من
 الانبياء فاقتلوه قال ليث وحدثني مجاهد عن ابن عباس قال ايما مسلم سب الله
 او سب احدا من الانبياء فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة

يستتاب فان رجع و الاقتل و اياما عاهد عاند فيسب الله او احدا من الانبياء
او جهر به فقد نقض العهد فاقتلوه * و عن ابي مسجعة بن ربيع قال لما قدم
عمر بن الخطاب الشام قام قسطنطين بطريق الشام و ذكر معاودة
عمر له و شروطه عليهم قال اكتب بذلك كتابا قال عمر نعم فبينما هو يكتب
الكتاب اذ ذكر عمر فقال اني استثنى عليك معرة الجيش مرتين
قال لك ثنات و قبح الله من اقالك فلما فرغ عمر من الكتاب قال له
يا امير المؤمنين قم في الناس فاخبرهم الذي جعلت لي و فرضت علي ليتنا هوا
عن ظلمي قال عمر نعم فقام في الناس فحمد الله و اثني عليه فقال الحمد لله
احمده و استعينه من يهد الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له فقال النبطي
ان الله لا يضل احدا قال عمر ما تقول قل لا شيء و عاد النبطي لمقاتته فقال
اخبروني ما يقول قالوا يزعم ان الله لا يضل احدا قال عمر انما نعظك الذي
اعطيناك لتدخل علينا في ديننا و الذي نقسى بيده لئن عدت لا ضرر بن
الذي فيه عيناك و عاد عمرو لم يعد النبطي فلما فرغ عمر اخذ النبطي الكتاب
رواه حرب فهذا عمر رضى الله عنه بمحضر من المهاجرين و الانصار يقول
لمن عاهدنا انما نعظك العهد على ان تدخل علينا في ديننا و حلف لئن عاد
ليضر بن عنقه فعلم بذلك اجماع الصحابة على ان اهل العهد ليس لهم ان يظهر او
الاعتراض علينا في ديننا و ان ذلك منهم مبيح لدمائهم و ان من اعظم
الاعتراضات سب نبينا صلى الله عليه و سلم و هذا ظاهر لا خفاء به لان اظهار
التكذيب بالقدر من اظهار شتم رسول الله صلى الله عليه و سلم و انما يقتله عمر

لانه لم يكن قد تقرر عنده ان هذا الكلام طعن في دينا لجواز ان يكون اعتقد
ان عمر قال ذلك من عنده فلما تقدم اليه عمرو بين له ان هذا اد ينال له
لان عدت لاقتلك ه ومن ذلك ما استدل به الامام احمد ورواه عن هشيم
ثنا حصين عن حدثه عن ابن عمر قال مر به راهب فقيل له هذا يسب
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر لو سمعته لقتلته انما نعظمهم الذمة على
ان يسبوا نينا صلى الله عليه وسلم ورواه ايضا من حديث الثوري عن
حصين عن شيخ ان ابن عمر اصلت على راهب سب النبي صلى الله عليه
وسلم بالسيف وقال انما نصلحهم على سب النبي صلى الله عليه وسلم والجمع
بين الروايتين ان يكون ابن عمر اصلت عليه السيف اعلمه يكون مقرا بذلك
فلما نكر كف عنه وقال لو سمعته لقتلته وقد ذكر حديث ابن عمر غير واحد
وهذه الآثار كلها نص في الذم والذمية وبعضها عام في الكافر والمسلم او نص
فيهما وقد تقدم حديث الرجل الذي قتله عمر من غير استتابة حين ابي لن
برضى بحكم النبي صلى الله عليه وسلم وحديث كشفه عن رأس ضبيع بن
عسل وقوله لورا بك محلو قال ضربت الذي فيه عيناك من غير استتابة وانما
ذنب طائفته الاعتراض على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تقدم
عن ابن عباس انه قال في قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات الآية هذه في شأن عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة ليس فيها توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة وقال
نزلت في عائشة خاصة واللعنة للمنافقين عامة ومعلوم ان ذاك انما هو لان

قد فهاذى للنبي صلى الله عليه وسلم وتفاق والمنافق يجب قتله اذ الجاه لم تقبل
ثوبته ❖ وروى الامام احمد باسناد ه عن سماك بن الفضل عن عروة بن م ن محمد
عن رجل من بلقين ان امرأة سبت النبي صلى الله عليه وسلم فقتلها اختلابن
الوليد وهذه المرأة مبهمة وقد تقدم حديث محمد بن مسلمة في ابن يامين
الذى زعم ان قتل كعب بن الاشرف كان غدرا وحلف محمد بن مسلمة
لئن وجدته خاليا ليقلنه لانه نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى الغدر ولم ينكر
المسلمون عليه ذلك ❖ ولا يرد على ذلك امسك الاميرام معاوية او مروان
عن قتل هذا الرجل لان سكونه لا يدل على مذهب وهو لم يخالف محمد بن
مسلمة ولعل سكوته لانه لم ينظر في حكم هذا الرجل او نظر فلم تبين له حكمة
او لم تبعث داعية لاقامة الحد عليه او ظن ان الرجل قال ذلك معتقدا انه
قتل دون امر النبي صلى الله عليه وسلم او لاسباب اخرى بالجملة فمجرد كفه
لا يدل على انه مخالف لمحمد بن مسلمة فيما قاله وظاهر القصة ان محمد بن
مسلمة رآه مخطئا بترك اقامة الحد على ذلك الرجل ولذا لك هجره لكن
هذا الرجل انما كان مسلما فان المدينة لم يكن بها يومئذ احد من غير المسلمين ❖
وذكر ابن المبارك اخبرني حرملة بن عثمان حدثني كعب بن علقمة ان
غرفة بن الحارث الكندي وكانت له صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم
سمع نصرانيا شتم النبي صلى الله عليه وسلم فضربه فذق انفه فرفع ذلك
الى عمرو بن العاص فقال له انا قد اعطيناهم العهد فقال له غرفة معاذ الله ان
نعطيهم العهد على ان يظهر واشتم النبي صلى الله عليه وسلم وانما اعطيناهم العهد

على ان نخلى بينهم وبين كنائسهم يعملون فيها ما بدا لهم وان لا نحمليهم على
 ما لا يطيقون وان ارادهم عدو قاتلنا دونهم وعلى ان نخلى بينهم وبين احكامهم
 الا ان ياتونا راضين باحكامنا فتحكم فيهم بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه
 وسلم وان غابوا عننا لم نعرض لهم فقال عمرو صدقت فقد اتفق عمرو وغرفة
 ابن الحارث على ان العهد الذي بيننا وبينهم لا يقتضى اقرارهم على
 اظهار شتم الرسول صلى الله عليه وسلم كما اقتضى اقرارهم على ما هم
 عليه من الكفر والتكذيب فمتى اظهروا شتمه فقد فعلوا ما يبيح
 الدم من غير عهد عليه فيجوز قتلهم وهذا كقول ابن عمر في الراهب
 الذي شتم النبي صلى الله عليه وسلم لو سمعته لقتلته فان لم نعطهم العهد على
 ان يشتموا نبينا وانما لم يقتل هذا الرجل والله اعلم لان البينة لم تقم عليه بذلك
 وانما سمعه غرفة ولعل غرفة قصد قتله بتلك الضربة ولم يمكن من اتمام قتله
 لعدم البينة بذلك ولان فيه افتياتا على الامام والامام لم يثبت عنده ذلك وعن
 خلود بن جلاس عن عمر بن عبد العزيز فكتب عمر انه لا يقتل الا من سب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اجلده على رأسه اسواط ولو لا اني اعلم ان ذلك
 خير انه لم افعل رواه حرب وذكره الامام احمد وهذا مشهور عن عمر بن
 عبد العزيز وهو خليفة راشد عالم بالسنة متبع لها فهذا قول اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان لا يعرف عن صاحب ولا تابع
 خلاف لذلك بل اقرار عليه واستحسان له
 واما الاعتبار فمن وجوه احدها ان عيب ديننا وشتم نبينا مجاهدة لنا ومحاربة

اثبات قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم بالقياس

فكان نقضاً للعهد كالمجاهدة والمحاربة بالاولى * بين ذلك ان الله سبحانه قال في كتابه
وجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم والجهاد بالنفس يكون باللسان كما يكون
باليد بل قد يكون اقوى منه * قال النبي صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين بايديكم
والستكم واموالكم رواه النسائي وغيره * وكان يقول لحسان بن ثابت
اغزهم وغازهم وكان ينصب له منبر في المسجد ينافخ عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشعره وهجائه للمشركين * وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
ايد بروح القدس * وقال ان جبرئيل معك مادمت تنافخ عن رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) وقال هي انكى فيهم من النبل وكان عدد من المشركين
يكفون عن اشياء ممن يؤذى المسلمين خشية هجاء حسان حتى ان كعب بن
الاشرف ذهب الى مكة كان كلما نزل عند اهل بيت هجاهم حسان بقصيدة
فينخرجونه من عندهم حتى لم يبق له بمكة من يؤويه * وفي الحديث افضل
الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر * وافضل الشهادة حمزة بن عبد المطلب
ورجل تكلم بحق عند سلطان جائر فامر به فقتل * واذا كان شأن الجهاد
باللسان هذا الشأن في شتم المشركين وهجائهم واظهار دين الله والدعاء اليه
علم ان من شتم دين الله ورسوله واظهر ذلك وذكر كتاب الله بالسوء
علانية فقد جاهد المسلمين وحاربهم وذلك نقض للعهد * الوجه الثاني *
انا وان اقر دنائهم على ما يعتقدونه من الكفر والشرك فهو كما قرارناهم على ما يضررونه
لنا من العداوة وارادة السوء بنا و تمنى الغوائل لنا فاننا نحن نعلم انهم يعتقدون
خلاف دينا ويريدون سفك دماءنا وتلوذ بهم ويسعون في ذلك

لو قدر و اعليه فهذا القدر اقررناهم عليه فاذا عملوا بموجب هذه الارادة بان
حاربونا و قاتلونا نقضوا العهد كذلك اذا عملوا بموجب تلك العقيدة من
اظهار السب لله و لكتابه و لدينه و لرسوله نقضوا العهد اذ لافرق بين العمل
بموجب الارادة و بموجب الاعتقاد . الوجه الثالث ان مطلق العهد الذي
بيننا و بينهم يقتضي ان يكفروا و يمسكوا عن اظهار الطعن في ديننا و شتم رسولنا كما
يقتضي الامساك عن سفك دمائنا و محاربتنا لان معنى العهد ان كل واحد من
المتعاهدين يؤمن الاخر مما يحذره منه قبل العهد و من المعلوم اننا نحذره منهم اظهار كلمة
الكفر و سب الرسول و شتمه كما نحذراظهار المحاربة بل اولى لان سفك الدماء
و نبذ الاموال في تعزير الرسول و توقيده و رفع ذكره و اظهار شرفه و علو قدره
و هم جميعا يعلمون هذا من ديننا فالظاهر منهم لسبه فاقض للعهد فاعل لما كنا
نحذره و نقاتله عليه قبل العهد و هذا واضح . الوجه الرابع ان العهد
المطلق لو لم يقتض ذلك فالعهد الذي عاهد هم عليه عمر بن الخطاب
و اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قد تبين فيه ذلك و سائر
اهل الذمة انما جروا على مثل ذلك العهد فروي حرب باسناد صحيح
عن عبد الرحمن بن غنم قال كتب لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى اهل
الشام هذا كتاب لعبد الله امير المؤمنين من مدينة كذا و كذا انكم لما قدمتم
علينا سألناكم الامان لانفسنا و ذرارينا و اموالنا على ان لا نحدث و ذكر
الشروط الى ان قال و لا نظهر شركا و لاندعوا اليه احدا و قال في آخره
شرطنا ذلك على انفسنا و اهلينا و قبلنا عليه الا مان فان نحن خالفنا عن شيء

بندل الاموال و سفك الدماء في تعزير رسول الله صلى الله عليه وسلم و توقيده

شرطنا لكم وضمنناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا محل من
 اهل المعاندة والشقاق وقد تقدم قول عمر له في مجلس العقد انما نعطك
 الذي اعطيناك لتدخل علينا في ديننا والذي نفسي بيده لئن عدت لاضر بن
 عنقك وعمر صاحب الشروط عليهم فعلم بذلك ان شروط المسلمين
 عليهم ان لا يظهروا كلمة الكفر وانهم متى اظهروها صاروا اعداء بين وهذا
 الوجه يوجب ان يكون السب نقضاً للعهد عند من يقول لا يتنقض العهد
 به الا اذا شرط عليهم تركه كما خرج به بعض اصحابنا وبعض الشافعية في
 المذهبين وكذلك يوجب ان يكون نقضاً للعهد عند من يقول اذا شرط
 عليهم انتقاض العهد بفعله انتقض كما ذكر بعض اصحاب الشافعي فان اهل الذمة
 انما هم جارون على شروط عمر لانه لم يكن بعده امام عقد عقد يخالف
 عقده بل كل الائمة جارون على حكم عقده والذي سعى ان يضاف الى
 من خالف في هذه المسئلة انه لا يخالف اذا شرط عليهم انتقاض العهد باظهار
 السب فان الخلاف حينئذ لا وجه له البتة مع اجماع الصحابة على صحة هذا
 الشرط وجربانه على وفق الاصول فاذا كان الائمة قد شرطوا عليهم ذلك
 وهو شرط صحيح لزم العمل به على كل قول الوجه الخامس ان العقد مع
 اهل الذمة على ان يكون الدار لتجري فيها احكام الاسلام وعلى انهم اهل
 صغار وذلة على هذا عوده واصولحوها فاعطاهم الرسول والظعن فيه
 في الدين يتاني كونهم اهل صغار وذلة فان من اظهر سب الدين والظعن فيه
 لم يكن من الصغار في شيء فلا يكون عهده باقياً الوجه السادس ان الله

فرض الله علينا تعزيره صلى الله عليه وسلم وتوقيره
نصر احاد المسلمين واجبر ايضا

فرض علينا تقرير رسوله وتوقيره وتعزيره ونصره ومنعه وتوقيره اجلاله
وتعظيمه وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق بل ذلك اول درجات
التعزير والتوقيف فلا يجوز ان نصالح اهل الذمة ان يسمعو ناستم نيينا ويظهروا
ذلك فان تمكينهم من ذلك ترك للتعزير والتوقيف وهم يعلمون اننا لانصالحهم
على ذلك بل الواجب علينا ان نكفهم عن ذلك ونزجرهم عنه
بكل طريق وعلى ذلك عاهدناهم فاذا فعلوه فقد نقضوا الشرط الذي
بيننا وبينهم الوجه السابع ان نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض
علينا لانه من التعزير للفروض ولانه من اعظم الجهاد في سبيل الله ولذلك
قال سبحانه ما لكم اذ قيل لكم افرؤا في سبيل الله اناقلتم الى الارض الى قوله
الا تنصروه فقد نصره الله وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصارا لله
كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله الآية بل نصر
احاد المسلمين واجب بقوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما
وبقوله المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه فكيف لا ينصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن اعظم النصر حماية عرضه ممن يؤذيه الا ترى الى قوله
صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق يؤذيه حمى الله جلده من نار
جهنم يوم القيامة ولذلك سمى من قابل الشاتم بمثل شتمه منتصرا وسب
رجل ابا بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت فلما اخذ لينتصر قام
فقال يا رسول الله كان يسبني وانت قاعد فلما اخذت لا تنصرفت فقال
كان الملك يرد عليه فلما انتصرت ذهب الملك فلم اكن لا قعد وقد ذهب

﴿ قَامَ الْمَدْحَةُ وَالْمُعَظِّمِ، الْإِنَاءِ عَلَيْهِ صَلَی اللہُ عَلَیْہِ وَسَلَامٌ قَامَ الدِّینِ كُلِّہٖ ﴾

الملك او كما قال صلى الله عليه وسلم وهذا كثير معروف في كلامهم يقولون
 لمن كافي الساب والشاتم متصرا كما يقولون لمن كافي الضارب والقاتل
 متصرا وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم قال للذي قتل بنت مروان
 لما شتمته اذا احببتم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا
 الى هذا وقال للرجل الذي خرق صف المشركين حتى ضرب بالسيف
 سائب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعجبتم من رجل
 نصر الله ورسوله وحمايته عرضه صلى الله عليه وسلم في كونه نصر اباع
 من ذلك في حق غيره لان الواقعة في عرض غيره قد لا تضر مقصوده
 بل تكذب له بها حسنات اما انتهاك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فانه متاف لدين الله بالكلية فان العرض متى انتهك سقط الاحترام
 والتعظيم فسقط ما جاء به من الرسالة فبطل الدين فقيام المدح
 والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله وسقوط ذلك يسقط
 الدين كله واذا كان كذلك وجب علينا ان نتصبر له بمن انتهك
 عرضه والانتصار له بالقتل لان انتهاك عرضه انتهاك لدين الله ومن المعلوم
 ان من سعى في دين الله بالافساد استحق القتل بخلاف انتهاك عرض غيره معينا فانه
 لا يظل الدين والمعاهد لم تعاهده على ترك الانتصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولا من غيره كما لم تعاهده على ترك استيغاء حقوق المسلمين ولا يجوز ان
 تعاهده على ذلك وهو يعلم ان لم تعاهده على ذلك فاذ لم يمتنع وجب علينا ان نتصبر له
 بالقتل ولا عهد معه على ترك ذلك فيجب قتله وهذا بين واضع لمن تأمله

• الوجه الثامن • ان الكفار قد عودوا على ان لا يظهروا شيئا من المنكرات التي
تختص بدينهم في بلاد الاسلام فمتى اظهروها استحقوا العقوبة على اظهارها وان كان
اظهارها ديناً لهم فمتى اظهروا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم استحقوا عقوبة
ذلك وعقوبة ذلك القتل كما تقدم • الوجه التاسع • انه لا خلاف بين المسلمين
علماءهم ممنوعون من اظهار السب وانهم يعاقبون عليه اذا فعلوه بعد النهي
فعلم انهم لم يقرروا عليه كما اقر واعلى ما هم من الكفر واذا فعلوه لم يقرروا عليه من
الحيات استحقوا العقوبة بالاتفاق وشعوبة السب اما ان يكون جلداً وحسباً
او قطعاً او قتلاً والاول باطل فان مجرد سب الواحد من المسلمين وسيلطان المسلمين
يوجب الجلد والحبس فلو كان سب الرسول كذلك استوى من سب الرسول
وسب غيره من الامة وهو باطل بالضرورة والقطع لا معنى له فتعين القتل
• الوجه العاشر • ان القياس الجلي يقتضي انهم متى خالفوا شيئاً مما عودوا عليه
انتقض عهدهم كما ذهب اليه طائفة من الفقهاء فان الدم مباح بدون العهد
والعهد عقد من العقود واذا لم يف احد المتعاقدين بما عاقد عليه فاما ان يفسخ
العقد بذلك او يتمكن التعاقد الآخر من فسخه هذا المصل مقرر في عقد البيع
والنكاح والهبة وغيرها من العقود والحكمة فيه ظاهرة فانه انما التزم ما التزمه
بشرط ان يلتزم الآخر بما التزمه فاذا لم يلتزمه الآخر صار هذا غير ملتزم
فان الحكم المعلق بشرط لا يثبت بعينه عند عدمه باتفاق العقلاء
وانما اختلفوا في ثبوت مثله اذ اتين هذا فان كان للعقد عليه حقاً
للعقود بحيث له ان يبطله بدون الشرط لم يفسخ العقد بفوات الشرط

بل له ان يفسخه كما اذا شرط رهنا او كفلا او صفة في المبيع وان كان حقانه
اولغيره ممن يتصرف له بالولاية ونحوها لم يجوز له امضاء العقد بل يفسخ
العقد بفوات الشرط ويجب عليه فسخه كما اذا شرط ان تكون الزوجة
حرة فظهرت امة وهو ممن لا يحل له نكاح الاماء او شرط ان يكون الزوج
مسلمًا فبان كافرا او شرط ان تكون الزوجة مسلمة فبان وثنية وعقد
الذمة ليس حقا للامام بل هو حق لله ولعامة المسلمين فاذا خالفوا شيئا مما شرط
عليهم فقد قيل يجب على الامام ان يفسخ العقد وفسخه ان يلحقه بما منه ويخرجهم من
دار الاسلام ظنا ان العقد لا يفسخ بمجرد المخالفة بل يجب فسخه وهذا ضعيف
لان الشروط اذا كان حقا لله لا للعاقد افسخ العقد بفواته من غير فسخ
وهنا الشروط على اهل الذمة حق لله لا يجوز للسلطان ولا لغيره ان ياخذ
منهم الجزية ويعاهدهم على المقام بدار الاسلام الا اذا التزموها والاوجب
عليه قتالهم بنص القرآن ولو فرضنا جواز اقرارهم بدون هذا الشرط فلما ذاك
فيما لا ضرر على المسلمين فيه فاما ما يضر المسلمين فلا يجوز اقرارهم عليه بحال
ولو فرض اقرارهم على ما يضر المسلمين في انفسهم واموالهم فلا يجوز اقرارهم
على افساد دين الله والطن على كتابه ورسوله ولهذا المراتب قال كثير
من الفقهاء ان عهدهم ينتقض بما يضر المسلمين من المخالفة دون مالا يضرهم
وخص بعضهم ما يضرهم في دينهم دون ما يضرهم في دنياهم والطن على
الرسول اعظم المضرات في دينهم اذ اتين هذا فنقول قد شرط عليهم
ان لا يظهر واسب الرسول وهذا الشرط من وجهين احدهما انه موجب

عقد الذمة ومقتضاه كما ان سلامة المبيع من العيوب وحلول الثمن وسلامة المرأة والزوج من موانع الوطى واسلام الزوج وحرية اذ كانت الزوجة حرة مسلمة هو موجب العقد المطلق ومقتضاه فان موجب العقد هو ما يظهر عرفاً ان العاقد شرطه وان لم يتلفظ به كسلامة المبيع ومعلوم ان الامساك عن الطعن في الدين وسب الرسول مما يعلم ان المسلمين يقصدونه بعقد الذمة ويطلبونه كما يطلبون الكف عن مقاتلتهم واولى فانه من اكبر الموءذيات والكف عن الاذى العام موجب عقد الذمة واذا كان ظاهر حال المشتري انه دخل على ان السلعة سليمة من العيوب حتى ثبت له الفسخ بظهور العيب وان لم يشرطه فظاهر حال المسلمين الذين عاقدوا اهل الذمة انهم دخلوا على ان المشركين يكفون عن افساد دينهم والطعن فيه بيد اولسان وانهم لو علموا انهم يظهرون الطعن في دينهم لم يعاهدوهم على ذلك واهل الذمة يعلمون ذلك كالمبائع ان المشتري اتمام دخل معه على ان المبيع سالم بل هذا ظهر واشهر ولا خفاء به الوجه الثاني في ثبوت هذا الشرط ان الذين عاهدوهم اولا هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر ومن كان معه وقد قلنا العهد الذي يتناوون بينهم وذكرنا اقوال الذين عاهدوهم وهو عهد متضمن انه شرط عليهم الامساك عن الطعن في دين المسلمين وانهم اذا فعلوا ذلك حلت دماؤهم واموالهم ولم يبق يتناوون بينهم عهد واذا ثبت ان ذلك مشروط عليهم في العقد فزواله يوجب انفساخ العقد لان الانفساخ ايضا مشروط عليهم ولان الشرط حق الله كاشتراط اسلام الزوج والزوجة فاذا فات هذا

الشرط بطل العقد كما يبطل اذا ظهر الزوج كافر أو المرأة وثنية أو المبيع
 غصباً أو حراً أو تجدد بين الزوجين صهر أو رضاع يحرم أحدهما على الآخر
 أو تلف المبيع قبل القبض فإن هذه الأشياء كما لم يجوز الإقدام على العقد مع
 العلم بها يبطل العقد مقامه أو طرؤه هل عليه فكذاك وجود هذه الأقوال
 والأفعال من الكافرين لم يجوز للإمام أن يعاهدها مع إقامته عليها كان وجودها
 موجباً لفسخ العقد من غير إنشاء فسخ على أن الوقدر أن العقد لا يفسخ إلا بفسخ
 الإمام فإنه يجب عليه فسخه به غير تردد لأنه عقد للمسلمين فإنه لو اشترى الولي
 سلعة لليتيم فبانت معيبة وجب عليه استردادها فأت من مال اليتيم وفسخه
 يكون بقوله وبفعله وقبضه ففسخ العقد نعم لا يجوز له أن يفسخه بمجرد القول
 فإن فيه ضرراً على المسلمين وليس للسلطان فعل ما فيه ضرر على المسلمين مع
 القدرة على تركه وقولنا إن الذي انتقض عهده انتهى لم يبق له عهد بمصم
 دمه والأول هو الوجه فإن بقاء العقد مع وجود ما يتنافى مع ما كان
 الفقهاء فيما ينافي العقد فقايل يقول جميع المخالفات تنافيه بناء على أنه ليس
 للإمام أن يباح لهم بدون شيء من الشروط التي شرط عمره وقايل يقول
 التي تنافيه هي المخالفات المضرّة بالمسلمين بناء على جواز مصالحتهم على ما هو
 دون ذلك كما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم أولاً حال ضعف
 الإسلام وقايل يقول التي تنافيه هي ما يوجب الضرر العام في الدين
 أو الدنيا كالطعن على الرسول ونحوها وبالجملة فكما لا يجوز للإمام أن يعاهدهم
 مع كونهم يفعلونه فهو مناف للعقد كما أن كلما لا يجوز للتبايعين والمشتاكن أن

يتعاقدا مع وجوده فهو مناف للمقد و الظاهر الطعن في الد ين لا يجوز للإمام
 ان يلعنه مع وجوده منهم اعني مع كونهم ممكنين من فعله اذا ارادوا
 وهذا مما اجمع المسلمون عليه ولهذا بعضهم يوافقون على فعله بالتعزير
 واكثرهم يوافقون عليه بالقتل وهو مما لا يشك فيه مسلم ومن شك فيه فقد
 خلع رتبة الاسلام من عنقه واذا كان المقد لا يجوز عليه كان منافيا للمقد
 ومن خالف شرطاً مخالفة تنافي ابتداء المقد فان عقده ينسخ بذلك بلاريب
 كما حد الزوجين اذا احدث ديناً يمنع ابتداء المقد مثل ارئد اذ المسلم
 او اسلام المرأة تحت الكافر فان المقد ينسخ بذلك اما في الحال او عقب
 انقضاء العدة او بعد عرض القاضى كما هو مقرر في مواضعه فاحداث
 اهل الذمة الطعن في الدين مخالفة لموجب المقد مخالفة تنافي ابتداءه
 فيجب انقساخ عقدهم بها وهذا بين لمن تأمله وهو يوجب انقساخ المقد
 بما ذكرناه عند جميع الفقهاء وتبين ان ذلك هو مقتضى قياس الاصول
 واعلم ان هذه الوجوه التي ذكرناها من جهة المعنى في الذمى فاما المسلم
 اذا سب فلم يحتاج ان يذكر فيه شيئا من جهة المعنى لظهور ذلك في حقه
 ولكون المحل محل وفاق ولكن سيأتى ان شاء الله تعالى تحقيق الامر فيه هل سبه
 ردة محضة كسائر الردد الجنائية عن زيادة مغلظة او هو نوع من الردة
 متغلظ بقتله على كل حال وهل يقتل للسب مع الحكم باسلامه ام لا والله
 سبحانه اعلم فان قيل فقد قال تعالى لتبلون في اموالكم واتقوا وتسمعون
 من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشرکوا اذى كثيرا وان

تصبروا و تقوافان ذلك من عزم الامور فاعبرنا نسمع منهم الا ذى
الكثير ودعانا الى الصبر على اذاهم وانما يؤذينا اذى عامما الطعن في كتاب الله
ودينه ورسوله وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى من هذا الباب قلنا
اولا ليس في الآية بيان ان ذلك مسموع من اهل الذمة والعهد وانما هو
مسموع في الجملة من الكفار وثانيا ان الامر بالصبر على اذاهم وبتقوى الله
لا يمنع قتالهم عند المكنة واقامة حد الله عليهم عند القدرة فانه لا خلاف بين
المسلمين انا اذا سمعنا مشركا او كتابيا يؤذى الله ورسوله فلا عهد يثنا وبينه
وجوب علينا ان نقاتله ونجاهده اذا امكن ذلك وثالثا ان هذه الآية
وما شابهها منسوخ من بعض الوجوه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما قدم المدينة كان بها يهود كثير ومشركون وكان اهل الارض
ذالك صنفين مشركا او صاحب كتاب فهاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بها من اليهود وغيرهم وامرهم الله اذ ذاك بالعفو والصفح كما
في قوله تعالى وذ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
حسد آمن عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله
بامره فامر الله بالعفو والصفح عنهم الى ان يظهر الله دينه ويعز جنده فكان اول العز
وقعة بدر فانها اذلت رقاب اكثر الكفار الذين بالمدينة وارهبت سائر
الكفار وقد اخرجنا في الصحيحين عن عروة عن اسامة بن زيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركب حمرا على اكاف على قطيفة فدكية وارف اسامة
ابن زيد يعوسعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر ففسار

حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي
 واذ افي المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي
 المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاوبة لداية خمر ابن ابي ائفه
 بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف
 قتل فدعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن ابي بن سلول ايها
 المرأ انه لا احسن مما تقول ان كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا رجع الى رحلك
 فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشناه في
 مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا
 يتشاورون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عباد فقال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد ا لم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله
 ابن ابي قال كذا وكذا قال سعد بن عباد يا رسول الله اعف عنه واصفح
 فوالذي نزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك ولقد اصطلح
 اهل هذه البصرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصاة فلما رد الله ذلك بالحق
 الذي اعطاك شرق بذلك فذلك الذي فعل به ماراً يتفعف عنه رسول الله
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يعفون عن المشركين واهل الكتاب
 كما امرهم الله تعالى ويصبرون على الاذى قال الله تعالى ولتسمعن من الذين
 اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركووا الذي كثير او ان تصبروا وتثقوا
 فان ذلك من عزم الامور وقال الله عز وجل ود كثير من اهل الكتاب

لو يرد ونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم
الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامر. ان الله على كل شيء قدير. وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاول في العفو ما امره الله تعالى حتى اذن الله
عز وجل فيه فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم يد قريش و قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
من قتل من صناديد قريش و قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
منصورين غانمين مع اسارى من صناديد الكفار وسادة قريش فقال
ابن ابي بن سلول ومن معه من المشركين عبدة الاوثان هذا امر قد توجه
فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فاسلموا اللفظ للبشارى وقال
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى واعرض عن المشركين. لست عليهم
بمسيطر. فاعف عنهم واصفح. وان تعفوا وتصفحوا. فاعفوا واصفحوا حتى
ياتي الله بامر. قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله. ونحو هذا
في القرآن مما امر الله به المؤمنين بالعفو والصفح عن المشركين فانه نسخ ذلك
كله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صافرون. فنسخ هذا عفوهم عن
المشركين وكذا روى الامام احمد وغيره عن قتادة قال امر الله فيه
ان يغفرو عنهم ويصفح حتى ياتي الله بامر. وقضائه ثم انزل الله عز وجل
برآءة فاتي الله بامر وقضائه فقال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله الآية قال فنسخت
هذه الآية ما كان قبلها وامر الله فيها بقتال اهل الكتاب حتى يسلموا او يقتلوا

بالجزية صفاروا وتمة لهم . و كذلك ذكر موسى بن عقبة عن الزهري
 ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقاتل من كف عن قتاله كقوله تعالى فان
 اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والعوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سيلا . الى ان
 فرلت براءة وجملته ذلك انه لما نزلت براءة امر ان يتدى جميع الكفار
 بالقتال و ثيهم و كتابهم سواء كفوا عنه او لم يكفوا وان يئذ اليهم تلك
 اليهود المطلقة التي كانت ينهون بينهم قبله فيها جاهد الكفار والمنافقين واغلق
 عليهم بعد ان كان قد قبل له ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذامهم . ولهذا
 قال زيد بن اسلم نسخت هذه الآية ما كان قبلها فاما قبل براءة وقبل بدر
 فقد كان مأمورا بالصبر على اذامهم والصبر عنهم اما بعد بدر وقبل براءة فقد
 كان ليقاتل من يؤذيه ويمسك عن سآله كما فعل بآبن الاشرف وغيره ممن
 كان يؤذيه فبدر كانت اساس عز الدين وفتح مكة كانت كمال عز الدين
 فكانوا قبل بدر يسمعون الاذى الظاهر ويؤمرون بالصبر عليه وبعد بدر
 يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم فيؤمرون بالصبر عليه وفي نبوء
 امر وابل اغلاق للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعد ما كافروا منافق من اذام
 في مجلس خلص ولا علم بل مات بغيلة لعله بانه يقتل اذ انكم وقد كان بعد
 بدر لليهود استطالة واذى للمسلمين الى ان قتل كعب بن الاشرف قال
 محمد بن اسحاق في حديثه عن محمد بن مسلمة قال فاصبحنا وقد خافت
 يهودنا فمنا بعد والله فليس بها يهودى الا وهو يخاف على نفسه . وروى
 باسناد عن محبصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم

به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محبصة بن مسعود على ابن سنيعة رجل من
تجار يهود كان يلا بسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك
لم يسلم وكان اسن من محبصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول اى عدوا لله
قتلته اما والله لرب شحم في بطنك من ماله فوالله ان كان لاول اسلام
حويصة فقال محبصة فقلت له والله لقد امرنى بقتله من لوا امرنى بقتلك
لضربت عنقك فقال لوا مراك محمد بقتلى لقتلتنى فقال محبصة نعم والله
فقال حويصة والله ان دينا باع هذا منك لعجب و ذكر غير ابن اسحاق
ان اليهود حذرت وذلت وخافت من يوم قتل ابن الا شرف
فلما اتى الله بامر الله الذى وعده من ظهور الدين وعزا المؤمنين امر
رسوله بالبراءة الى المعاهدين وبقتال المشركين كافة وبقتال اهل
الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فكان ذلك
عاقبة الصبر والتقوى الذين امرهم بهما في اول الامر وكان اذ ذاك
لا يؤخذ من احد من اليهود الذين بالمدينة ولا غيرهم جزية وصارت
تلك الآيات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله يده ولا بلسانه
فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه وصارت آية الصغار على المعاهدين في
حق كل مؤمن قوى يقدر على نصر الله ورسوله يده اولسانه وبهذه الآية ونحوها
كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عهد
خلفائه الراشدين وكذلك هو الى قيام الساعة لا تزال طائفة من هذه الامة
قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام فمن كان من المؤمنين بارخص

هو فيها مستضعف او في وقت هو فيها مستضعف فليعمل بآية الصبر
والصفح والعفو عن يؤذي الله ورسوله من الذين اتوا الكتاب والمشركون
واما اهل القوة فانما يعملون بآية قتال ائمة الكفر الذين يطعنون في الدين
وبآية قتال الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون
فان قبل فقد قال الله تعالى الم ترالى الذين نهوا عن التجوى الى قوله واذا جاءوك
حيوك بما لم يحبك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعضدنا الله بما نقول حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير ❖ فاخبرناهم يحيون الرسول تحية منكروة واخبرنا
العذاب في الآخرة يكفيهم عليها فعلم ان تعذيبهم في الدنيا ليس بواجب ❖
وعن انس بن مالك قال مر بهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
السام عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتدرون ما يقول قالوا لا قال يقول السام عليك قالوا
يا رسول الله الانقله قال لا اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
رواه البخاري ❖ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل رهط
من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك
قالت عائشة ففحتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة انى الله يحب الرفق فى الامر كله
فقلت يا رسول الله لم تسمع ما قالوا قال قد قلت و عليكم متفق عليه ❖
وعن جابر قال سلم ناس من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
السام عليك يا با القاسم فقال و عليكم فقالت عائشة و غضبت لم نسمع

ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب ولا يجابون علينا رواه مسلم
ومثل هذا الداء اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وسب له ولو قاله المسلم لصار به
مرتدا لانه داء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته بانه يموت وهذا
فعل كافرو مع هذا فلم يقتلهم بل نهى عن قتل اليهودى الذى قال ذلك لما
استأمره اصحابه في قتله قلناه عن هذا اجوبة ١٠ احدها ١٠ ان هذا كان في
حال ضعف الاسلام الا ترى انه قال لعائشة مهلا يا عائشة فان الله يحب
الرفق في الامر كله وهذا الجواب كما ذكرناه في الاذى الذى اصره الله
بالصبر عليه الى ان اتى الله بامر ٢ ذكر هذا الجواب طوائف من المالكية
والشافعية والحنبلية منهم القاضى ابو يعلى وابو اسحاق الشيرازى وابو الوفاء
ابن عقيل وغيرهم ومن اجاب بهذا جعل الامان كالايمان في انتفاضه بالشتم
ونحوه ٣ وفي هذا الجواب نظر لما روى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اليهود اذا سلم احدكم فائما يقول السام عليكم فقولوا عليك ٤ وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا
وعليكم متفق عليها ٥ فعلم ان هذا سنة قائمة في حق اهل الكتاب مع بقائهم
على الذمة وانه صلى الله عليه وسلم حال عز الاسلام لم يامر بقتلهم لاجل
هذا وقد ركب الى بنى النضير فقال اذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم وكان ذلك بعد
قتل ابن الاشرف فعلم انه كان بعد قوة الاسلام نعم قد قد منا ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسمع من الكفار والمنافقين في اول الاسلام اذى كبيرا
وكان يضرب عليه امثالا لقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم ٦

لا ت إقامة الحدود عليهم كان يفضى الى فتنة عظيمة ومفسدة اعظم من
مفسدة الصبر على كلاتهم فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله افواجا
وانزل الله برآءة قال فيها جاهد الكفار والمنافقين واغلاظ عليهم وقال
تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الى قوله اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقبلا ✽ فلما رأى من بقى من المنافقين ما صار الامر اليه من عز الاسلام
وقيام الرسول بجهاد الكفار والمنافقين اضمروا النفاق فلم يكن يسمع
من احد من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء وماتوا ابغضهم حتى بقى منهم
اناس بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم صاحب السر حذيفة فلم
يكن يصلى عليهم هو ولا يصلى عليهم من عرفهم بسبب آخر مثل عمر بن
الخطاب فهذا يفيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتمل من الكفار
والمنافقين قبل براءة مالم يكن يحتمل منهم بعد ذلك كما قد كان يحتمل من
اذى الكفار وهو بمكة مالم يكن يحتمل بدار الهجرة والنصرة لكن هذه
الكلمة ليست من هذا الباب كما قد بيناه ✽ الجواب الثانى ان هذا ليس من السب
الذى ينتقض به العهد لانهم انما اظهروا التحية الحسنة والسلام المعروف ولم يظهروا
سباً ولا شتماً وانما حرقوا السلام تحريفاً خفياً لا يظهر ولا يفتن به اكثر الناس
ولهذا لما سلم اليهودى على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ السلام لم يعلم به
اصحابه حتى علمهم وقال ان اليهود اذا سلم احدكم فانما يقول السلام عليكم
وعهدهم لا ينتقض بما يقولونه سرا من كفر او تكذيب فان هذا لا بد منه
وكذلك لا ينتقض العهد بما يخفونه من السب وانما ينتقض بما يظهر وانه

وقد ذكر غير واحد ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون
 السام عليك فيرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليكم ولا يدري
 ما يقولون فاذا خرجوا قالوا لو كان نبياً لعذبنا واستجيب فينا وعرف قولنا
 فدخلوا عليه ذات يوم وقالوا السام عليك ففطنت عائشة الى قولهم وقالت وعليكم
 السام والذام والداء واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة
 ان الله يحب الرفق في الامر كله ولا يحب الفحش ولا الفحش فقالت يا رسول الله
 لم تسمع ما قالوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب
 فقولوا وعليكم . فهذا دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يظهر له
 انه سب ولذلك نهى عائشة عن التصريح بشتمهم وامرها بالرفق بان ترد
 عليهم تحيتهم فان كانوا قد حيوا تحية سيئة استجيب لنافيهم ولم يستجب لهم
 فينا ولو كان ذلك من باب سبهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الذي هو
 السب لكان فيه العقوبة ولو بالتعزير والكلام . فلما لم يشرح رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في مثل هذه التحية تعزيراً ونهى من اغلظ عليهم لاجل ما علم ان
 ذلك ليس من السب الظاهر لكونهم اخفوه كما يخفى المنافقون تفاههم
 ويعرفون في لحن القول فلا يعاقبون بمثل ذلك وسيأتي تمام الكلام ان شاء
 الله تعالى في ذلك . الجواب الثالث . ان قول اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 له الا تقتله لما اخبرهم انه قال السام عليكم دليل على انه كان مستقراً عندهم
 قتل الساب من اليهود لما رأوه من قتل ابن الاشرف والمرأة وغيرها فنهاهم
 النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله واخبرهم ان مثل هذا الكلام حقه

ان يقابل بمثله لانه ليس اظهر السب والشتم من جنس خافعت تلك اليهودية
وابن الاشرف وغيرهما وانما هو اسرار رب تكسر لمر المناهقين بالنفاق
الجواب الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يعقو عن شتمه وسبه في
حياته وليس للامة ان يعفوا عن ذلك يوضح ذلك انه لا خلاف ان من سب النبي
صلى الله عليه وسلم او عابه بعد موته من المسلمين كان كافرا حلال الدم وكذلك
من سب نبيامن الانبياء ومع هذا فقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كاذبين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وقال تعالى واذ قال موسى
لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فكان بنو اسرائيل
يؤذون موسى في حياته بما لو قال له اليوم احد من المسلمين وجب قتله
ولم يقتلهم موسى عليه السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يقتدى به في ذلك
فمر بما سمع اذاه او بلغه فلا يخاصم المؤذي على ذلك قال الله تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن الآية وقال تعالى ومنهم من يلزك في الصدقات
فان اعطوا منها رخصوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون وعن الزهري
عن ابي سلمة عن ابي سعيد قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم اذ جاء
عبد الله ابن ذبي (١٠) الخويرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله قال ويلك من
يعدل اذ لم اعدل قال عمر بن الخطاب دعني اضرب عنقه قال دعه فان
له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يرقون من
الدين كما يرق السهم من الرمية وذكر الحديث وفيه نزلت ومنهم
من يلزك في الصدقات هكذا رواه البخاري وغيره من حديث معمر عن

لا يجوز للامة ان يعفوا عن سبه صلى الله عليه وسلم

الزهرى واخرجاه في الصحيحين من وجوه اخرى عن الزهرى عن
 ابى سلمة والضحاك الحمدانى عن ابى سعيد قال بينا نحن جلوس عند النبي
 صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذوالخويصرة وهو رجل من تميم
 فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من
 يعدل اذا لم اعدل قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
 ائذن لى فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له
 اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم . وذكر حديث
 الخوارج المشهور ولم يذكر نزول الآية ونسبة ذى الخويصرة هو المشهور
 في عامة الحديث كما رواه عامة اصحاب الزهرى عنه والاشبه ان ما انفرد به
 معمر وهم منه فان له مثل ذلك وقد ذكرنا ان اسمه حرقوص بن زهير
 وفي الصحيحين ايضا من حديث عبد الرحمن بن ابى نعم عن ابى سعيد
 قال بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن الى النبي صلى الله عليه وسلم بذهية
 في تربتها قسمها بين اربعة نفر وفيه فغضبت قريش والانصار وقالوا يعطى صناديد
 اهل نجد ويدعونا فقال انما اتالفهم فاقبل رجل غائر العينين ثاقب الجبين
 كثر اللحية مشرف الوجنتين مخلوق الرأس فقال يا محمد انق الله قال فمن
 يطعم الله اذا عصيته افيامننى على اهل الارض ولا تامنوني فسأل رجل من
 القوم قتله اراه خاله بن الوليد فمنعه فلما ولى قال ان من ضئضى هذا قوما
 يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم وذكر الحديث في صفة الخوارج وفي
 آخره يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان لئن ادركتهم لاقتلهم

قتل عاد وفي رواية لمسلم الا تأمنوني وانا امن من في السماء ياتيني خبر السماء
صباحا ومساء • وفيها فقال يا رسول الله اتق الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ويلك اولست احق اهل الارض ان يتقى الله قال ثم ولي الرجل فقال خالد بن
الوليد يا رسول الله الا ضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون يصلي قال خالد
وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لم امر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم • وفي رواية في الصحيح
فقام اليه عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله الا ضرب عنقه قال لا فقام
اليه خالد سيف الله فقال يا رسول الله الا ضرب عنقه قال لا فهذا
الرجل الذي قد نص القرآن انه من المنافقين بقوله ومنهم من يلزك في الصدقات
اي يعيبك ويظعن عليك وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم اعدل واتق الله
بعد ما خص بالمال اولئك الاربعة نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى انه جار
ولم يتق الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اولست احق اهل الارض ان
يتقى الله الا تأمنني وانا امن من في السماء • ومثل هذا الكلام لا ريب انه يوجب
القتل لو قاله اليوم احد وانما لم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يظهر
الاسلام وهو الصلاة التي يقاثل الناس حتى يفعلوها وانما كان نفاقه بما يخص
النبي صلى الله عليه وسلم من الاذي وكان له ان يعفو عنه وكان يعفو عنهم ثانيا
للقلوب لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقد جاء ذلك مفسرا في هذه
القصة او في مثلها فروى مسلم في صحيحه عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه
قال اتي رجل بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله

صلى الله عليه وسلم يقبض منها ويعطى منها الناس فقال يا محمد اعدل فقال ويحك
 ومن يعدل اذا لم اعدل لقد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل فقال عمر بن
 الخطاب دعني يا رسول الله فاقتل هذا المنافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس
 اني اقتل اصحابي ان هذا هو اصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون
 منه كيمرق السهم من الرمية وروى البخاري عنه عن عمرو عن جابر رضي الله عنهما
 بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنمية بالجرادة اذ قال له رجل اعدل
 فقال لقد شقبت ان لم اعدل وجاء من كلامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما هو اغلظ من هذا قال ابن اسحاق في رواية ابن بكير عنه حدثني ابو عبيدة
 ابن محمد بن عمار بن يسر عن مقسم ابي القاسم مولى عبد الله بن الحارث قال خرجت
 انا ونبلا د بن كلاب الليثي فلقينا عبد الله بن عمرو بن العاص يطوف بالكعبة
 معلقا عليه في يده فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
 ذو الخويصرة التميمي يكله قال نعم ثم حدثنا فقال اتى ذو الخويصرة التميمي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم المغام بخين فقال يا محمد قد رايت
 ما صنعت قال فكيف رايت فقال لما ركعت فغضب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال اذا لم يكن للعدل عندى فعند من يكون فقال عمر يا رسول الله
 الا اقوم اليه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع فانه
 سيكون له شيعه يتعنقون في الدارين حتى يمرقون منه كيمرق السهم من الرمية
 وذكر تمام الحديث قال ابن اسحاق حدثني ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين
 قال اتى ذو الخويصرة التميمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم المقاسم

بحنين وذكر مثل هذا سواء رواه الامام احمد عن يعقوب بن ابراهيم بن
سعد عن ابيه عن ابن اسحاق نحوه هذا وقال الاموي عن ابن اسحاق وذكر الحديث
عن ابي عبيدة وعن محمد بن علي وعن ابن ابي نجيح عن ابيه ان رجلا تكلم عند
النبي صلى الله عليه وسلم قال ولم يسمه الا محمد بن علي فانه قال هو ذوالخويصرة
التيمي وكذلك ذكر غيره ان ذوالخويصرة هو الذي اعترض على النبي
صلى الله عليه وسلم في قسم غنائم حنين . وكذلك المنافق الذي سمعه ابن
مسعود فانه في غنائم حنين ايضا . واما الذين في حديث ابن ابي نعم عن ابي سعيد
فانه كان بعد هذه المرة لان فيه ان عليا بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
باليمن بذهية فقسمها بين اربعة من اهل نجد ولا خلاف بين اهل العلم ان
عليا كان في غزوة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن اليمن فتحت
يومئذ ثم انه استعمل عليا على اليمن سنة عشر بعد تبوك وبعد ان بعثه
مع ابي بكر الى الموسم بنجد اليهود وافي النبي صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع منصرفه من اليمن وكان النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة لما بعث علي
بالصدقة وملايين ذلك ان غنائم حنين نقل النبي صلى الله عليه وسلم منها
خلقا كثيرا من قريش واهل نجد وهذه الذهية انما قسمها بين اربعة نجديين
واذا كان كذلك فاما ان يكون المعترض في هذه المرة غير ذوالخويصرة
ويكون ابو سعيد قد شهد القستين . وعلى هذا فالذي في رواية معمر ان آية
الصدقات نزلت في قصة ذوالخويصرة ليس بجيد بل هو مدرج في
الحديث من كلام الزهري او كلام معمر لان ذوالخويصرة انما انكر عليه قسم

الغنائم وليست هي الصدقات التي جعلها الله لثمانية اصناف ولا التفات الى ما ذكره بعض المفسرين من ان الآية نزلت في قسم غنائم حنين واما ان يكون المعترض في ذهنية علي رضي الله عنه هو ذوالخويصرة ايضا وعلى هذا فيكون احاديث ابي سعيد كلها في هذه القصة لا في قسم الغنائم وتكون الآية قد نزلت في ذلك او يكون قد شهد القصتين معا والآية نزلت في احدهما وقد روي عن ابي برزة الاسلمي قال اتى رسول صلى الله عليه وسلم بمال فقسمه فاعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئا فقام رجل من ورائه فقال يا محمد ما عدلت في القسمة رجل اسود مطموم الشعر عليه ثوبان ايضان فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال والله لا تجدون بعدى رجلا هو اعدل مني ثم قال يخرج في آخر الزمان قوم كان هذا منهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فاذا القيتهم فقتلوه هم شر الخلق والخلقة رواه النسائي ومن هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين عن ابي وائل عن عبد الله قال لما كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب واثرهم يومئذ في القسمة فقال رجل والله ان هذه لقسمة ما عدل فيها وما ارى يد بها وجه الله قال فقلت والله لا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله

ورسوله ثم قال یرحم الله موسى قد اودى باكثر من هذا فصر قال فقلت
لا جرم لا ارفع اليه بعد ها حديثا وفي رواية للبخاري قال رجل من
الانصار ما اراد بها وجه الله ❖ وذكر الواقدي ان المتكلم بهذا كان معتب بن
قشير وهو معدود من المنافقين فهذا الكلام مما يوجب القتل بالاتفاق لانه
جعل النبي صلى الله عليه وسلم ظالما راثبا وقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم
بان هذا من اذى المرسلين ثم اقتدى في العفو عن ذلك بموسى عليه السلام
ولم يستتب لان القول لم يثبت فانه لم يراجع القائل ولا تكلم في ذلك بشيء
ومن ذلك ما رواه ابن ابي عاصم وابو الشيخ في الدلائل باسناد صحيح عن
قتادة عن عقبة بن وساج (١) عن ابن عمر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقليد من ذهب وفضة فقسمه بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال
يا محمد والله لان امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك
بعدي فلما ولي قال ردوه علي رويدا ومن ذلك قول الانصاري الذي حاكم الزبير
في شراج الحرة لما قال له صلى الله عليه وسلم اسق يازبير ثم سرح الى جارك فقال ان كان
ابن عمك ❖ وحديث الرجل الذي قضى عليه فقال لا ارضى ثم ذهب الى ابي بكر ثم
الى عمر فقتله ❖ ولهذا نظائر في الحديث اذا تتبعتم مثل الحديث المعروف عن بهز بن
حكيم عن ابيه عن جده ان اخاه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جيرا اني على ماذا
اخذ وافا عرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الناس يزعمون انك تنهى
عن الفئ ونستحل به فقال لئن كنت افعل ذلك انه لعلي وما هو عليهم خلوا
له جيرانه ❖ رواه ابوداود باسناد صحيح فهذا وان كان قد حكى هذا القذف

(١) في الخلاصة وساج بفتح الواو والمهمة الثقيلة واخره جيم ١٢ الحسن النعمان

عن غيره فانما قصد به انتقاصه وايداه به ذلك ولم يحكه على وجه الرد على من قاله وهذا من انواع السب * ومثل حديث ابن اسحاق عن هشام عن ابيه عن عائشة قالت ابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم جزورا من اعرابي بوسق من تمر الذخيرة فجاء به الى منزله فالتمس التمر فلم يجده في البيت قال فخرج الى الاعرابي فقال يا عبد الله انا ابتعنا منك جزورا لك هذا بوسق من تمر الذخيرة ونحن نرى انه عندنا فلم نجده فقال الاعرابي واغدراه واغدراه فوكزه الناس وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه رواه ابن ابي عاصم وابن حبان في الدلائل فهذا الباب كله مما يوجب القتل ويكون به الرجل كافرا منا فقا حلال الدم كان النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء يعفون ويصفحون عمن قاله امثالا لقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * وكقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن * وقوله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم * وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم * وكقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر * وكقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذهم * وذلك لان درجة الحلم والصبر على الاذى والعفو عن الظلم افضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام قال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * وقال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا

و اصلح فاجره على الله • وقال تعالى ان تبدوا خيرا او تحفوه او تغفوا نحن مسرورون •
 فان الله كان عفوا قديرا • وقال تعالى وان عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
 ولئن صبرتم لهو خیر للصابرين • والا حاديث في هذا الباب كثيرة مشهورة
 ثم الانبياء احق الناس بهذه الدرجة لفضلهم واحوج الناس اليها لما ابتلوا به
 من دعوة الناس ومعالجتهم وتغيير ما كانوا عليه من العادات وهو امر
 لم يأت به لحد الا عودي • قال الكلام الذي يؤذيهم يكفر به الرجل فيصير به
 محاربا ان كان ذا عهد ومرتدا او منافقا ان كان ممن يظهر الاسلام ولهم
 فيه ايضا حق الادمي فجعل الله لهم ان يغفوا عن مثل هذا النوع ووسع
 عليهم ذلك لما فيه من حق الادمي تغليباً لحق الادمي على حق الله كما جعل مستحق
 القود و حد القذف ان يغفوا عن القاتل والقاذف وهم لولي لما في جواز عفو
 الانبياء ونحوهم من المصالح العظيمة المتعلقة بالنبي وبالامة وبالدين وهذا
 معنى قول عائشة رضي الله عنها ما ضرب رسول صلى الله عليه وسلم بيده
 خادماه ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا انتقم
 لنفسه قط • وفي لفظ ما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه الا ان تنتهك محارم الله
 فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم الله متفق عليه • ومعلوم ان
 النيل منه اعظم من انتهاك المحارم لكن لما دخل فيها حقه كانت الامر اليه
 في العفو او الانتقام فكان يختار العفو ربما امر بالقتل اذ ارأى المصلحة في ذلك
 بخلاف ما لاحق له فيه من زنا وسرقة او ظلم لغيره فانه يجب عليه القيام به
 وقد كان اصحابه اذ ارأوا من يؤذيهم ارادوا قتله لعلمهم بانه يستحق القتل

فيعفو عنه صلى الله عليه وسلم ويبين لهم ان عفوه اصلح مع اقراره لهم
 على جواز قتله ولو قتله قاتل قبل عفو النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض له
 النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بانه قد انتصر لله ورسوله بل يحمده على
 ذلك ويثني عليه كما قتل عمر رضي الله عنه الرجل الذي لم يرض بحكمه
 وكما قتل رجل بنت مروان وآخر اليهودية السابة فاذا تعذر عفوه بموته
 صلى الله عليه وسلم بقي حقاً محضاً لله ولرسوله وللمؤمنين لم يعف عنه
 مستحقه فيجب اقامته ويبين ذلك ما روى ابراهيم بن الحكم بن ابان حدثني
 ابي عن عكرمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان اعرابياً جاء الى النبي
 صلى الله عليه وسلم يستعينه في شيء فاعطاه شيئاً ثم قال احسنت اليك قال
 الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان
 كفوا ثم قام فدخل منزله ثم ارسل الى الاعرابي فدعاه الى البيت يعني
 فاعطاه فرضى فقال انك جئتنا فاعطيناك فقلت ما قلت وفي نفسي
 المسلمين شيء من ذلك فان احببت فقل بين ايدهم ما قلت بين يدي حتى
 يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء قال
 رسول صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم جاء فسالنا فاعطيناه فقال ما قال وانا
 دعوناه الى البيت فاعطيناه فزعم انه قد رضى اكد لك قال الاعرابي نعم
 فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان
 مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه
 فاتبعها الناس فلم يزدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين

ناقتي فانا رفق بها فتوجه لها صاحب الناقه بين يد يها فاخذ لها من قمام الارض
فجاءت فاستناخت فشد عليها رجليها واستوى عليها واني لو تركتكم حين
قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ✽ رواه ابو احمد العسكري بهذا الاسناد
قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اعطني فانك لا تعطيني
من مالك ولا من مال ابيك فاغلظ للنبي صلى الله عليه وسلم فوثب اليه
اصحابه فقالوا يا عدو الله تقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره
بهذا يبين لك ان قتل ذلك الرجل لا جل قوله ما قال كان جائزا قبل
الاستتابة وانه صار كافرا بتلك الكلمة ولو لا ذلك لما كان
يدخل النار اذا قتل على مجرد تلك الكلمة بل كان يدخل الجنة لانه مظلوم
شهيد وكان قاتله يدخل النار لانه قتل مؤمنا متعمدا وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يبين ان قتله لم يحل لان سفك الدم بغير حق من اكبر الكبائر وهذا
الاعرابي كان مسلما لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه لفظ صاحبكم
ولهذا جاءه الاعرابي يستعينه ولو كان كافرا محاربا لما جاء يستعينه في شيء
ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه لاسلم لذكر في الحديث انه اسلم فلما
لم يجر للاسلام ذكر دل على انه كان ممن دخل في الاسلام وفيه جفاء الاعراب
وممن دخل في قوله تعالى فان اعطوا منهار ضواوا ان لم يعطوا منها اذ هم يسخطون ✽
ومما يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعفو عن المنافقين الذين
لا يشك في تقاتهم حتى قال لو اعلم اني لو زدت على السبعين غفرا لزدت
حتى نهاه الله عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وامره بالاغلاظ عليهم فكثير

مما كان يحتمله من المنافقين من الكلام وما يعاملهم من الصفع والعفو والاستغفار
 كان قبل نزول برائة لما قيل له لا تطع الكافر بن والمنافقين ودع اذاهم * لاحتياجه
 اذ ذاك الى استعطافهم وخشية نفور العرب عنه اذا قتل احدا منهم وقد صرح
 صلى الله عليه وسلم لما قال ابن ابي لئن رجعنا الى المدينة ليجرجن الاعداء منها الا ذل *
 ولما قال ذوالخو بصرة اعدل فانك لم تعدل وعند غير هذه القصة انما لم يقتلهم
 لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فان الناس ينظرون الى ظاهر الامر
 فيرون واحدا من اصحابه قد قتل فيظن للظان انه يقتل بعض اصحابه على غرض
 باو حقد او نحو ذلك فينفرون عن الدخول في الاسلام واذا كان من شريعته
 ان يتألف الناس على الاسلام بالاموال العظيمة ليقوم دين الله وتعلو كلمته فلان
 يتألفهم بالعفو اولى واخرى فلما نزل الله تعالى براءة ونهاه عن الصلاة على
 المنافقين والقيام على قبورهم وامره ان يجاهد الكفار والمنافقين ويغظ عليهم
 نسخ جميع ما كان المنافقون يعاملون به من العفو كما نسخ ما كان الكفار يعاملون
 به من الكف عمن سالم ولم يبق الا اقامة الحدود واعلاء كلمة الله في حق كل انسان
 * فان قيل فقد قال تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة
 الى قوله من الذين هادوا ويمحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا
 واسمع غير مسمع وراعنا يا ايها الذين آمنوا فاعطوا كلمة الله مائة الف مرة مثل قوله
 لا تقبل كلامه وقولهم راعنا قال قتادة وغيره كانت اليهود تقول للنبي
 صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك يستهزئون بذلك وكانت في اليهود قبيحة

وروى الامام احمد عن عطية قال كان ياتى ناس من اليهود فيقولون را عنا
سمعتك حتى قالها ناس من المسلمين فكره الله له ما قالت اليهود وقال عطية الخراساني
كان الرجل يقول ارعنا سمعتك وبلوى بذك لسانه ويطعن في الدين •
وذكر بعض اهل التفسير ان هذه اللفظة كانت سابقيا بلغة اليهود فهو لاء
قد سبوه بهذا الكلام ولووا السننهم به واستهزوا به وطعنوا في الدين ومع
ذلك لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم قلنا عن ذلك اجوبة • احدها •
ان ذلك كان في حال ضعف الاسلام في الحال التي اخبر الله عن رسوله والمؤمنين
انهم يسمعون من الذين اتوا الكتاب والمشركين اذى كثيرا وامرهم بالصبر
والتقوى ثم ان ذلك نسخ عند القوة بالامر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن
يد وهم صاغرون والصاغرون لا يفعل شيئا من الاذى في الوجه ومن فعله ليس
بصاغرا • ثم ان من الناس من يسمى ذلك نسخا لتغير الحكم ومنهم من لا يسميه
نسخا لان الله امرهم بالصنع والعفو الى ان ياتي الله بامرهم وقد اتى الله بامرهم من
عز الا سلام واظهارهم والامر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
وهذا مثل قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل
الله لهن سيلا • وقال النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل الله لهن سيلا • فبعض
الناس يسمى ذلك نسخا وبعضهم لا يسميه نسخا والخلاف لفظي • ومن الناس
من يقول الامر بالصنع باق عند الحاجة اليه بضعف المسلم عن القتال بان
يكون في وقت او مكان لا يتمكن منه وذلك لا يكون منسوخا اذ المنسوخ
ما ارتفع في جميع الازمنة المستقبلة وبالجملة فلا خلاف ان النبي صلى الله عليه

وسلم كان مفروضا عليه لما قوي ان يترك ما كان يعامل به اهل الكتاب
والمشركين ومظهرى النفاق من العفو والصنع الى قتالهم واقامة الحدود
عليهم سمي نسخا ولم يسم الجواب الثاني • ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له
ان يعفو عن سبه وليس للامة ان يعفوا عن سبه كما قد كان يعفو عن سبه
من المسلمين مع انه لا خلاف بين المسلمين في وجوب قتل من سبه من المسلمين •
• الجواب الثالث • ان هذا ليس باظهار للسب وانما هو اخفاء له بمنزلة السام
عليكم وبمنزلة ظهور النفاق في لحن القول لانهم كانوا يظهر ون انهم يقصدون
مسأله ان يسمع كلامهم وان يراعيهم فينتظروهم حتى يقضوا كلامهم وحتى
يفهموا كلامه ويأتونه على هذا الوجه ثم انهم يلوون السنتهم بالكلام وينوون
به الاستهزاء والسب والطعن في الدين كما يلوون السنتهم بالسلام وينوون
به الدعاء عليه بالموت واليهود امة معروفة بالنفاق والخبث وان تظهر خلاف
ما تبطن ولكن ذلك لا يوجب اقامة حد عليهم ولو كانت هذا سببا ظاهرا
لما كان المسلمون يخاطبون بمثل ذلك قاصدين به الخير حتى نهوا عن التكلم
بكلام يحتمل الاستهزاء وبوهمه بحيث يصير سببا بالنية ودلالة الحال وذلك
ان هذه اللفظة كانت العرب تتخاطب بها لا تقصد سببا قال عطاء كانت لغة
في الانصار في الجاهلية وقال ابو العالية ان مشركى العرب اذا حدث بعضهم
بعضا يقول احدهم لصاحبه ارعني سمعك فنهوا عن ذلك وكذلك قال
الضحاك وذلك ان العرب تقول ارعته سمعي ارعاه اذا فرغته الكلام
لانك جعلت السمع يرعى كلامه ويقول راعيته سمعي بهذا المعنى لكن كانت

اليهود تعتقد ها سباينها اما لما فيها من الاشتراك فانها كما تستعمل في استرعاء
السمع تستعمل بمعنى المفاعلة كانه قيل راعني حتى ارا عليك وهذا انما يكون
بين الامثال والنظراء ومرتبة الرئيس اعلى من ذلك او ان اليهود
ينوون بها معنى الرعونة او فيها طلب حفظ الكلام والاهتمام
به وهذا انما يكون من الاعلى للأسفل لان الرعاية هي الحفظ والكلاءة
ومنه استرعاء الشاة وقد غلبت في عرفهم ولغتهم على معنى
ردى كما قيل انهم ينوون بها اسمع لاسمعت وبالجملة انما يصير مثل هذا سببا بالنية
ولي اللسان ونحوه فنهى المسلمون عنها حسا لمادة التشبه باليهود وتشبه اليهود
بهم وجعل ذلك ذريعة الى الاستهزاء به ولما يحتمله لفظها من قلة الادب
في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم الجواب الرابع ما ذكره بعض اهل
التفسير الذي ذكر انها كانت سبا قبيحا بلغة اليهود قال كان المسلمون يقولون
راعنا يا رسول الله وارعنا سمعك يعنون من المراءاة وكانت هذه اللفظة سبا
قبيحا بلغة اليهود فلما سمعتها اليهود اغتموها وقالوا فيما بينهم كنا ناسب محمدا سرا
فاعلنوا له الآن بالشتيم وكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم
فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده يا معشر اليهود لان سمعتم من رجل منكم يقولوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ضرر بن عنقه فقالوا او لستم تقولونها فانزل الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا لكيلا يتخذ اليهود ذلك سبيلا الى شتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذا القول دليل على ان اللفظة مشتركة في لغة العرب

وسلم كان مفروضا عليه لما قوي ان يترك ما كان يعامل به اهل الكتاب
والمشركين ومظهرى النفاق من العفو والصمغ الى قتالهم واقامة الحدود
عليهم سمي نسخا ولم يسم الجواب الثاني • ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له
ان يعفو عن سبه وليس للامة ان يعفوا عن سبه كما قد كان يعفو عن سبه
من المسلمين مع انه لا خلاف بين المسلمين في وجوب قتل من سبه من المسلمين •
• الجواب الثالث • ان هذا ليس باظهار للسب وانما هو اخفاء له بمنزلة السام
عليكم وبمنزلة ظهور النفاق في لحن القول لانهم كانوا يظهر ون انهم يقصدون
مسأله ان يسمع كلامهم وان يراعيهم فينتظرهم حتى يقضوا كلامهم وحتى
يفهموا كلامه ويأتونه على هذا الوجه ثم انهم يلوون السنتهم بالكلام وينوون
به الاستهزاء والسب والطعن في الدين كما يلوون السنتهم بالسلام وينوون
به الدعاء عليه بالموت واليهود امة معروفة بالنفاق والخبث وان تظهر خلاف
ما تبطن ولكن ذلك لا يوجب اقامة حد عليهم ولو كانت هذا سببا ظاهرا
لما كان المسلمون يخاطبون بمثل ذلك قاصدين به الخير حتى نهوا عن التكلم
بكلام يحتمل الاستهزاء وبوهمه بحيث يصير سببا بالنية ودلالة الحال وذلك
ان هذه اللفظة كانت العرب تتخاطب بها لا تقصد سببا قال عطاء كانت لغة
في الانصار في الجاهلية وقال ابو العالية ان مشركى العرب اذا حدث بعضهم
بعضا يقول احدهم لصاحبه ار غني سمعك فنهوا عن ذلك وكذلك قال
الضحاك وذلك ان العرب تقول ار غني سمعك ار غاء اذا فرغته لكلامه
لانك جعلت السمع يرعى كلامه ويقول راعيته سمعى بهذا المعنى لكن كانت

اليهود تعتقد هـا سبائنها ما لما فيها من الاشتراك فانها كما تستعمل في استرعاء
السمع تستعمل بمعنى المفاعلة كانه قيل راعني حتى ارا عليك وهذا انما يكون
بين الامثال والنظراء ومرتبة الرئيس اعلى من ذلك او ان اليهود
ينوون بها معنى الرعونة او فيها طلب حفظ الكلام والاهتمام
به وهذا انما يكون من الاعلى للأسفل لان الرعاية هي الحفظ والكلاءة
ومنه استرعاء الشاة وقد غلبت في عرفهم ولغتهم على معنى
ردى كما قيل انهم ينوون بها اسمع لا سمعت وبالجملة انما يصير مثل هذا سببا بالنية
ولي اللسان ونحوه فنهى المسلمون عنها حسا لمادة التشبه باليهود وتشبه اليهود
بهم وجعل ذلك ذريعة الى الاستهزاء به ولما يحمله لفظها من قلة الادب
في مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم الجواب الرابع هـ ما ذكره بعض اهل
التفسير الذي ذكر انها كانت سباقية حابغة اليهود قال كان المسلمون يقولون
راعنا يا رسول الله وارعنا سمعك يعنون من المراءاة وكانت هذه اللفظة سبا
قيح حابغة اليهود فلما سمعتها اليهود اغتموها وقالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا
فاعلنوا له الآن بالشتم وكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد وبضحكون فيما بينهم
فسمها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده يا معشر اليهود لان سمعتها من رجل منكم يقولها الرسول الله
صلى الله عليه وسلم لاضر بن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا لكيلا يتخذ اليهود ذلك سبيلا الى شتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم هـ فهذا القول دليل على ان اللفظة مشتركة في لغة العرب

ولغة العبرانيين وان المسلمين لم يكونوا يفهمون من اليهود اذا قالوها الا معناها في لغتهم فلما فطنوا معناها في اللغة الاخرى نهوهم عن قولها واعلموهم ان ذلك ناقض لعهدهم ومبيح لدمائهم وهذا اوضح دليل على انهم اذا انكلموا بما يفهم منه السب حلت دماؤهم وانما لم يستحلوا دماءهم لان المسلمين لم يكونوا يفهمون السب والكلام في السب الظاهر وهو ما يفهم منه السب * فان قيل * اهل الذمة قد اقرروا نعم على دينهم ومن دينهم استحلال سب النبي صلى الله عليه وسلم فاذا قالوا ذلك لم يقولوا غير ما اقرروا نعم عليه وهذا انكسة المخالف * قلنا * ومن دينهم استحلال قتال المسلمين واخذ اموالهم ومحاربتهم بكل طريق ومع هذا فليس لهم ان يفعلوا ذلك بعد العهد ومتى فعلوه نقضوا العهد وذلك لانا وان كنا نقرهم على ان يعتقدوا ما يعتقدونه وبخفوا ما يخفونه فلم نقرهم على ان يظهر او اذ لك ويتكلموا به بين المسلمين ونحن لا نقول بنقض عهد الساب حتى نسمعه يقول ذلك او يشهد به المسلمون ومتى حصل ذلك كان قد اظهره واعلنه * وتحرر الجواب * ان كلنا المقدمتين باطلة * اما قوله اقرروا نعم على دينهم * فيقال لو اقرروا نعم على كل ما يدعون به لكانوا بمنزلة اهل ملتهم المحاربين ولو اقرروا نعم على كل ما يدعون به لم يعاقبوا على اظهار دينهم واظهار الطعن في ديننا ولا خلاف انهم يعاقبون على ذلك ولو اقرروا نعم على دينهم مطلقا لقرروا نعم على هدم المساجد واحراق المصاحف وقتل العلماء والصالحين فان ما يدعون به مما يؤذي المسلمين كثير والخطيئة اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ثم لا خلاف انهم لا يقررون على شيء من ذلك وانما اقرروا نعم

كما قال غرسة بن الحارث على ان تخليهم يفعلون بينهم ما شاءوا مما لا يؤذي المسلمين ولا يضرهم ولا نعرض عليهم في امور لا تظهر فان الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها ولكن اذا اعلنت فلم تنكر خربت العامة وشرطنا عليهم ان لا يفعلوا شيئا يؤذي بنا ولا يضرنا سواء كانوا يستحلونه او لا يستحلونه فمضى آذوا الله ورسوله فقد نقضوا العهد وشرطنا عليهم التزام حكم الاسلام وان كانوا يرون ان ذلك لا يلزمهم في دينهم وشرطنا عليهم اداء الجزية وان اعتقدوا ان اخذها منهم حرام وشرطنا عليهم اخفاء دينهم فلا يظهرون الاصوات بكتابهم ولا على جنائزهم ولا ضرب ناقوس وشرطنا عليهم ان لا يرتفعوا على المسلمين وان يخالفوا بها آيهم هيئة المسلمين على وجه يتميزون به ويكونون اذلاء في تمييزهم الى غير ذلك من الشروط التي يعتقدون انها لا تجب عليهم في دينهم فعلمنا شرطنا عليهم ترك كثير مما يعتقدونه دينهم امامباحا او واجبا وفعل كثير مما يعتقدونه ليس من دينهم فكيف يقال اقررناهم على دينهم مطلقا * واما المقدمة الثانية * فنقول هب انا اقررناهم على دينهم فقوله استحلال السب من دينهم * جوابه * ان يقال اهو من دينهم قبل العهد او من دينهم وان عاهدوا على تركه * الاول * مسلم لكن لا ينفع لان هؤلاء قد عاهدوا فان لم يكن هذا من دينهم في هذه الحال لم يكن لهم ان يفعلوه لانه من دينهم في حال اخرى وهذا كما ان المسلم من دينه استحلال ما يهيم واما لهم واذ اهم بالهجوم والسب اذا لم نعاهد هم وليس من دينه استحلال ذلك اذا عاهد هم فليس لنا ان نؤذيهم ونقول قد عاهدناكم على ديننا استحلال اذاكم فان المعاهدة

التي بين المتحاربين تحرم على كل واحد منهما في دينه ما كان يستعمله من ضرر
 الآخر و إذا قبل العهد واما الثاني فمنع فانه ليس من دينهم استحلال
 نقض العهد ولا مخالفة من عاهد في شيء مما عاهد به بل من دين جميع اهل
 الارض الوفاء بالعهد و ان لم يكن معتقد هم فنحن انما عاهدناهم على ان يدبوا
 بوجوب الوفاء بالعهد فان لم يكن دينهم وجوب الوفاء به فلم نعاهدهم على
 دين يستعمل صاحبه نقض العهد و لو عاهدناهم على هذا الدين لكان قد عاهدناهم
 على ان يدبوا بنقض العهد فنقضوه و نحن موفون بالعهد و بطلان هذا واضح
 و اذا لم يكن فعل ما عاهدوا على تركه من دينهم فنحن قد عاهدناهم على ان
 يكفوا عن اذا لنا بالسنتهم و ايد بهم و ان لا يظهروا شيئاً من اذى الله و رسوله
 و ان يخفوا دينهم الذي هو باطل في حكم الله و رسوله و اذا عاهدوا على
 ترك هذا و اخفاء هذا كان فعله حراماً عليهم في دينهم لان ذلك غدروا و خيانه
 و ترك للوفاء بالعهد و من دينهم ان ذلك حرام و لو ان مسلماً عاهد قوم
 من الكفار طائفاً غير مكره على ان يمسك عن ذكر صليهم لوجب عليه في دينه
 ان يمسك ما دام العهد قائماً فقول القائل من دينهم استحلال سب نبينا باطل اذ ذلك
 مع العهد المقتضى لتركه جرام في دينهم كما يحرم عليهم في دينهم استحلال دماءنا
 و اموالنا لاجل العهد و هم يعتقدون عند انفسهم انهم اذا اذوا الله و رسوله
 بالسنتهم او ضرروا المسلمين بعد العهد فقد فعلوا ما هو جرام في دينهم كما ان المسلم
 يعلم انه اذا اذاهم بعد العهد فقد فعل ما هو جرام في دينه و يعلمون ان ذلك
 مخالفة للعهد و ان ظنوا ان لا عهد بيننا و بينهم و انما هم مظلومون تحت يد الاسلام

فذلك ابعدهم عن العصمة واولى بالا لتقام فانه لا عاصم لهم منا الا العهد فان لم يعتقدوا
 الوفاء بالعهد فلا عاصم اصلا وهذا كله بين لمن تأمله يتبين به بعض فقه المسئلة
 ومن الفقهاء من اجاب عن هذا باناقررناهم على ما يعتقدونه ونحن انما نقول
 بنقض العهد اذا سبوه بما لا يعتقدونه من القذف ونحوه وهذا التفصيل
 ليس بمرضى وسبأني ان شاء الله تعالى تحقيق ذلك • فان قيل • فهب انهم
 صولحوا على ان لا يظهر واذا ذلك لكن مجرد اظهار دینهم كيف ينقض
 العهد وهل ذلك الاثباته مالوا ظهور واصواتهم بكتابتهم او صليهم او
 اعيادهم فان ذلك موجب لتكليمهم وتعزيرهم دون نقض العهد • قلنا •
 واي ناقض للعهد اعظم من ان يظهر واكلة الكفر وعلوها وخرجوا عن
 حد الصغار ويطعنوا في ديننا ويؤذونا اذى هو اباح من قتل النفوس واخذ
 الاموال واما اظهار تلك الاشياء بعد شرط عمر المعروف ففيها وجهان عندنا
 • احدهما • ينتقض العهد فلا يلزمنا والآخر • لا ينتقض العهد والفرق بينهما من
 وجهين (احدهما) ان ظهور تلك الاشياء ليس فيه ظهور كلمة الكفر وعلوها وانما
 فيه ظهور رلدین المشرکین وبين البابين فرق فان المسلم لو تكلم بكلمة الكفر
 كفروا لو لم يفعل الا مجرد مشاركة الكافر في هديه عوقب ولم يكفر وكان
 ذلك كاظهار المعاصي من المسلم يوجب عقوبته ولا يطل ايمانه والتكلم بكلمة
 الكفر يطل ايمانه كذلك اهل العهد اذا اظهروا الكفر ونحوه نقضوا ايمانهم
 واذا اظهروا ايمانهم عصوا ولم ينقضوا ايمانهم وهذا جواب من يقول
 من اصحابنا وغيرهم انهم لو اظهروا التلث ونحوه مما هو دینهم نقضوا العهد

(الجواب الثاني) ان ظهور تلك الاشياء ليس فيها ضرر عظيم على المسلمين ولا معرفة في دينهم ولا طعن في ملتهم وانما فيه احد امرين اما اشتباه زيهم بزي المسلمين او اظهار المنكرات دينهم في دار الاسلام كاظهار الواحد من المسلمين لشرب الخمر ونحوه واما سب الرسول والطعن في الدين ونحو ذلك فهو مما يضر المسلمين ضررا يفوق قتل النفس واخذ المال من بعض الوجوه فانه لا يبلغ في اسفائك كلمة الله ولا اذلال دين الله واهانة كتاب الله من ان يظهر الكافر المعاهد السب والشتم لمن جاء بالكتاب ولاجل هذا الفرق فصل اصحابنا واصحاب الشافعي الامور المحرمة عليهم في العهد الذي بيننا وبينهم الى ما يضر المسلمين في نفس او مال او دين والى ما لا يضر وجعلوا القسم الاول ينقض العهد حيث لا ينقضه القسم الثاني لان مجرد العهد ومطلقه يوجب الامتناع عما يضر المسلمين ويؤذيهم فخصوله تفويت لمقصود العقد فيفسخه كالموفات مقصود البيع بتلف العوض قبل القبض او ظهوره مستحقا ونحوه بخلاف غيره ولان تلك المضرات يوجب جنسها عقوبة المسلم بالقتل فلان يوجب عقوبة المعاهد بالقتل اولى واخرى لان كلاهما ملتزم اما بايمانه او بامانه ان لا يفعلها ولان تلك المضرات من جنس المحاربة والقتال وذلك لابقاء العهد معه بخلاف المعاصي التي فيها مراغمة ومصارمة فان قيل هـ فقد اقر واعلى ما هم عليه من الشرك الذي هو اعظم من سب الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون اقرارهم على سب الرسول اولى بل قد اقر واعلى سب الله تعالى وذلك لان النصارى يعتقدون التثليث ونحوه وهو شتم الله تعالى

لما روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتني ولم يكن له ذلك فاماتكذب به اباي فقلوه لن يعيد في كما بد اثنى وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واماشته اباي فقلوه اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وروى في صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه * وكان معاذ بن جبل يقول اذا رأى النصارى لا ترجموهم فلقد سبوا الله سبة ما سبه اياها احد من البشر وقد قال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا ادا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * ان دعوا للرحمن ولدا الآية * وقد اقر اليهود على مقاتلتهم في عيسى عليه السلام وهي من ابلغ القذف * قلنا * الجواب من وجوه * احدها * ان هذا السؤال فاسد الاعتبار فان كون الشيء في نفسه اعظم اثما من غيره يظهر اثره في العقوبة عليه في الآخرة لافي الاقرار عليه في الدنيا * الا ترى ان اهل الذمة يقررون على الشرك ولا يقررون على الزنا ولا على السرقة ولا على قطع الطريق ولا على قذف المسلم ولا على محاربة المسلمين وهذه الاشياء دون الشرك بل سنة الله في خلقه كذا لك فانه عجل لقوم لو ط العقوبة وفي الارض مداين مملوءة من الشرك لم يعاجلهم بالعقوبة لاسيما والمخج بهذا الكلام يرى ان قتل الكفار انما هو لمجرد المحاربة سواء كان كفره اصليا او طاريا حتى انه لا يرى قتل المرتدة ويقول الدنيا ليست دار الجزاء على الكفر وانما الجزاء على

الكفر في الآخرة فانما يقاتل من يقاتل فقط لدفع اذاه . ثم لا يجوز ان يقال
 اذا اقررتاهم على الكفر فلان نقرهم على المحاربة التي هي دون الكفر بطريق
 الاولى وسبب ذلك انما كان من الذنوب يتعدى ضرره فاعله عجلت لصاحبه
 العقوبة في الدنيا تشريعا وتقديرا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما من ذنب
 احرى ان تعجل لصاحبه العقوبة من البغي وقطيعة الرحم . لان تاخير عقوبته
 فساد لاهل الارض بخلاف ما لا يتعدى ضرره فاعله فانه قد تؤخر عقوبته
 وان كان اعظم كالكفر ونحوه فاذا اقررتاهم على الشرك اكثر ما فيه تاخير
 العقوبة عليه وذلك لا يستلزم تاخير عقوبة ما يضر بالمسلمين لانه دونه كما قدمناه
 . الوجه الثاني . ان يقال لا خلاف انهم اذا اقرروا على ما هم عليه من الكفر غير
 مضارين للمسلمين لا يجوز اذاهم لافي دماءهم ولا في ابشارهم ولو اظهروا
 السب ونحوه عوقبوا على ذلك اما في الدماء او في الابشار . ثم انه لا يقال
 اذا لم يعاقبوا بالتعزير على الشرك لم يعاقبوا على السب الذي هو دونه واذا
 كان هذا السؤال معترضا على الاجماع لم يجب جوابه كيف والمنازع
 قد سلم انهم يعاقبون على السب فعلم انهم لم يقرهم عليه فلا يقبل منه السؤال
 والجواب عن هذه الشبهة مشترك فلا يجب علينا الا نفرد به . الوجه
 الثالث . ان الساب ينضم السب الى شركه الذي عوهد عليه بخلاف
 المشرك الذي لم يسب ولا يلزم من الاقرار على ذنب مفرد الاقرار عليه
 مع ذنب آخر وان كان دونه فان اجتماع الذنوب يوجب جرما مغاظا
 لا يحصل حال الافراد . الوجه الرابع . قوله ما هم عليه من الكفر اعظم

من سب الرسول ليس بجيد على الاطلاق وذلك لان اهل الكتاب طائفتان
 اما اليهود فاصل كفركم تكذيب الرسول وسبه اعظم من تكذيبه فليس
 لهم كفر اعظم من سب الرسول فان جميع ما يكفرون به من الكفر بدین
 الاسلام وبمسی و بما اخبر الله به من امور الآخرة وغير ذلك متعلق بالرسول
 فسبه كفر بهذا كله لان ذلك اثما علم من جهته وليس عند اهل الارض
 في وقتنا هذا علم موثق يشهد عليه انه من عند الله الا العلم المورث عن
 محمد صلى الله عليه وسلم و ما سوى ذلك مما يورث عن غيره من الانبياء فقد
 اشبهه واختلط كثير منه او اكثره والواجب فيما لا يعلم حقيقته منه ان
 لا يصدق ولا يكذب ❦ واما النصارى فسيهم للرسول طعن فيما جاء به
 من التوحيد و انباء الغيب و الشرائع و انما ذنبه الاعظم عندهم ان قال ان
 عيسى عبدا لله و رسوله كما ان ذنبه الاعظم عند اليهود ان غير شريعة
 التوراة و الا فالنصارى ليسوا محافظين على شريعة مورثة بل كل برهة
 من الدهر تبدع لهم الاحبار شريعة من الدين لم ياذن الله بها ثم لا يرهونها
 حق و عابتها فسيهم له متضمن الطعن في التوحيد و للشرك و للتكذيب
 بالانبياء و الدين و مجرد شركهم ليس متضمنا لتكذيب جميع الانبياء و رد
 جميع الدين فلا يقال ما هم عليه من الشرك اعظم من سب الرسول
 بل سب الرسول فيه ما هم عليه من الشرك و زيادة ❦ و بالجملة فينبغي
 للعاقل ان يعلم قيام دين الله في الارض انما هو بواسطة المرسلين
 صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فلو لا الرسل لما عبد الله و حمد

لا شريك له ولما علم الناس اكثر ما يستحقه سبحانه من الاسماء الحسنی والصفات العلی
ولا كانت له شریعة فی الارض ولا تحسبن ان العقول لو تركت وعلومها التي
تستفیدها بمجرد النظر عرفت الله معرفة مفصلة بصفاته واسماؤه علی وجه
اليقين فان عامة من تكلم فی هذا الباب بالعقل فانما تكلم بعد ان بلغه ما جاءت
به الرسل واستصغى بذلك واستأنس به سواء اظهر الا نقیاد للرسل او
لم يظهر وقد اعترف عامة الرؤوس منهم انه لا ينال بالعقل علم جازم فی تفاصيل
الامور الالهية وانما ينال به الظن والحسبان والقدر الذي يمكن العقل ادراكه
بنظره فان المرسلین صلوات الله وسلامه عليهم نبهوا الناس علیه وذكرهم
به ودعوههم الى النظر فیسه حتى فتحوا اعیناً عمياً واذاناً صماً وقلوباً غلغلاً
والقدر الذي يعجز العقل عن ادراكه علموهم اياهم وانبأوهم به فالطعن
فيهم طعن فی توحيد الله واسماؤه وصفاته وكلامه ودينه وشرائعه وانبیائه
و ثوابه وعقابه وعامة الاسباب التي بينه وبين خلقه بل يقال انه ليس
فی الارض مملكة قائمة بالنبوة او اثر نبوة وان كل خير فی الارض فمن آثار
النبوات ولا يستریبن العاقل فی هذا الباب الذين درست النبوة فيهم مثل
البراهمة والصابئة والمجوس ونحوهم فلا سفتهم وعامتهم قد اعرضوا عن الله
وتوحيده واقبلوا علی عبادة الكواكب والنيران والاصنام وغير ذلك من
الاولثان والطواغیت فلم یبق بايديهم لا توحيد ولا غيره وليست امة
مستمسكة بالتوحيد الا اتباع الرسل قال الله سبحانه شرع لكم من الدين ما وصی به
نوحا الذي او حينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا

الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فاخبر ان دينه
الذي يدعوا اليه المرسلون كبر على المشركين فما الناس الا تابع لهم او مشرك
وهذا حق لا ريب فيه فعلم ان سب الرسل والطعن فيهم ينبوع جميع انواع
الكفر وجماع جميع الضلالات وكل كفر ففرع منه كما ان تصديق الرسل
اصل جميع شعب الايمان وجماع مجموع اسباب الهدى ❖ الوجه الخامس ❖
ان نقول قد ثبت بالسنة ثبوت لا يمكن دفعه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يامر بقتل من سبه وكان المسلمون يجرضون على ذلك مع الامساك عن مثل
هذا الساب في الشرك او اسوأ منه من محارب ومعاهد فلو كانت هذه
الحجة مقبولة لتوجه ان يقال اذا امسكوا عن المشرك فلا مساك عن الساب
اولى واذا دعوه الذي على كفره فمعاذته على السب اولى وهذا لو قبل
معارضه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل قياس عارض السنة فهو رد
❖ الوجه السادس ❖ ان يقال ما هم عليه من الشرك وان كان سب الله فهم لا يعتقدونه
سبا انما يعتقدونه تمجيدا او تقديسا فليسوا قاصدين به قصد السب والاستهانة
بخلاف سب الرسول فلا يلزم من اقرارهم على شيء لا يقصدون به الاستخفاف
اقرارهم على ما يقصدون به الاستخفاف وهذا جواب من يقتلهم اذا اظهروا
سب الرسول ولا يقتلهم اذا اظهروا ما يعتقدونه من دينهم ❖ الوجه السابع ❖
ان اظهار سب الرسول طعن في دين المسلمين واضرار بهم ومجرد
التكلم بدنيهم ليس فيه اضرار بالمسلمين فصار اظهار سب الرسول بمنزلة المحاربة
يعاقبون عليها وان كانت دون الشرك وهذا ايضا جواب هذا

القائل * الوجه الثامن * منع الحكم في الاصل المقيس عليه فاننا نقول متى
 اظهروا كفرهم و اعلنوا به تقضوا العهد بخلاف مجرد رفع الصوت بكتابتهم
 فانه ليس كل ما فيه كفر و لسنا نقفه ما يقولون و انما فيه اظهار شعار الكفر و فرق
 بين اظهار الكفر و بين اظهار شعار الكفر او نقول متى اظهروا الكفر الذي هو طعن
 في دين الله نقضوا به العهد بخلاف كفر لا يطعنون به في ديننا و هذا لان
 العهد انما اقتضى ان يقولوا و يفعلوا ايهم ماشاءوا مما لا يضر المسلمين فاما ان يظهروا
 كلمة الكفر او ان يؤذوا المسلمين فلم يعاهدوا عليه البتة و سياأتي ان شاء الله تعالى
 الكلام على هذين القولين و الذين قبلهما قال كثير من فقهاء الحديث و اهل
 المدينة من اصحابنا و غيرهم لم نقرهم على ان يظهروا شيئا من ذلك و متى اظهروا شيئا
 من ذلك نقضوا العهد قال ابو عبد الله في رواية حبل كل من ذكر شيئا يعرض
 بذلك الرب ثبارك و تعالى فعليه القتل مسلما كان او كافرا و هذا ما ذهب
 اهل المدينة * و قال جعفر بن محمد سمعت ابا عبد الله يسأل عن يهودي مر بمؤذن و هو
 يؤذن فقال له كذبت فقال يقتل لانه شتم * و من الناس من فرق بين ما يعتقد و نه
 و ما لا يعتقد و نه و من الناس من فرق بين ما يعتقد و نه و اظهاره يضربنا
 لانه قدح في ديننا و بين ما يعتقد و نه و اظهاره ليس بطعن في نفس ديننا
 و سياأتي ان شاء الله تعالى ذلك فان فروع المسئلة تظهر ما خذها و قد منا
 عن عمر رضي الله عنه انه قال بمحضر من المهاجرين و الانصار للنصراني الذي
 قال ان الله لا يفضل احدا الا اثم نعطك ما اعطيناك على ان تدخل علينا في ديننا
 فوالذي نفسي بيده لان عدت لا آخذن (١) الذي فيه عيناك * و جميع ما ذكرنا

(١) هكذا في المنقول عنه و الظاهر لا ضربين كما مر قبل مرارا ١٢ الحسن النعماني

من الآيات والاعتبار بجي" ايضاً في ذلك فان الجهاد واجب حتى تكون
 كلمة الله هي العليا وحتى يكون الدين كله لله وحتى يظهر دين الله على الدين
 كله وحتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والنهي عن اظهار المنكر واجب
 بحسب القدرة فاذا اظهروا كلمة الكفر واعلنوها خرجوا عن العهد الذي
 عاهدوا عليه والصغار الذي التزموه ووجب علينا ان نجاهد الذين اظهروا
 كلمة الكفر وجهادهم بالسيف لانهم كفار لا عهد لهم والله سبحانه اعلم
 • المسئلة الثانية • انه يتعين قتله ولا يجوز استرقاقه ولا المن عليه ولا فداؤه اما
 ان كان مسلماً فبالاجماع لانه نوع من المرتد او من الزنديق والمرتد يتعين قتله
 وكذلك الزنديق وسواء كان رجلاً او امرأة وحيث قتل يقتل مع الحكم
 بما سلامه فان قتله حد بالاتفاق فتجب اقامته وفيما قد مناه دلالة واضحة على
 قتل السابة المسلمة من السنة واقاويل الصحابة فان في بعضها تصريحاً بقتل
 السابة المسلمة وفي بعضها تصريحاً بقتل السابة الذمية واذا قتلت الذمية
 للسب فقتل المسلمة اولى كما لا يخفى على الفقيه ومن قال من اهل الكوفة ان
 المرتدة لا تقتل بقياس مذهبهم ان لا تقتل السابة لان الساب عنده مرتد
 وقد كان يحمل مذهبهم ان تقتل السابة حداً كقتل الساحرة عند بعضهم
 وقتل قاطعة الطريق ولكن اصوله تأبى ذلك والصحيح الذي عليه العامة
 قتل المرتدة فالسابة اولى وهو الصحيح لما تقدم وان كان الساب معاهداً
 فانه يتعين ايضاً قتله سواء كان رجلاً او امرأة عند عامة الفقهاء من السلف
 ومن تبعهم وقد ذكرنا قول ابن المنذر فيما يجب على من سب النبي صلى الله

سب النبي صلى الله عليه وسلم يجب قتله ولا يجوز استرقاقه ولا المن عليه ولا التذرية

عليه وسلم قال اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم فحده القتل ومن قاله مالك واللبث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي * قال وجنكى عن النعمان لا يقتل من سبه من اهل الذمة وهذا اللفظ دليل على وجوب قتله عند العامة وهذا مذهب مالك واسحاق وسائر فقهاء المدينة وكلام اصحابه يقتضى ان لقتله ماخذين * احدهما انتقاض عهده . والثانى . انه حد من الحدود وهو قول فقهاء الحديث قال اسحاق بن راهويه ان اظهر واسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منهم ذلك او تحقق عليهم قتلوا واخطأ هؤلاء الذين قالوا ما هم فيه من الشرك اعظم من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسحاق يقتلون لان ذلك نقض للعهد وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز ولا شبهة في ذلك لانه يصير بذلك ناقضا للصالح وهو كما قتل ابن عمر الراهب الذى سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما على هذا صالحناهم . وكذلك نص الامام احمد على وجوب قتله وانتقاض عهده وقد تقدم بعض نصوصه في ذلك وكذلك نص عامة اصحابه على وجوب قتل هذا الساب ذكروه بخصوصه في مواضع وهكذا اذكروه ايضا في جملة ناقضى العهد من اهل الذمة . ثم المتقدمون منهم وطوائف من المتأخرين قالوا ان هذا وغيره من ناقضى العهد يتعين قتلهم كما دل عليه كلام احمد * وذكر طوائف منهم ان الامام مخير فيمن نقض العهد من اهل الذمة كما يخير في الاسيرين الاسترقاق والقتل والمن والفداء ويجب عليه فعل الصالح للامة من هذه الاربعة بعد ان ذكروه .

في الناقضين للعهد قد دخل هذا الساب في عموم هذا الكلام واطلاقه
والاوجب ان يقال فيه بالتخير اذ اقبل به في غيره من ناقضي العهد لكن قيد
محققوا اصحاب هذه الطريقة ورووا عنهم مثل القاضي ابي يعلى في كتبه المتأخرة
وغيره هذا الكلام وقالوا بالتخير في غير ساب الرسول واما سابه فانه يتعين
قتله وان كان غيره مخيرا فيه كالاسير وعلى هذا فاما ان لا يحكى في تعيين قتله
خلاف لكون الذين اطلقوا التخير في موضع قد قالوا في موضع آخر بان
الساب يتعين قتله وصرح رأس اصحاب هذه الطريقة بانه مستثنى من ذلك
الاطلاق او يحكى فيه وجه ضعيف لان الذين قالوا به في موضع نصوا على
خلافه في موضع آخر . واختلف اصحاب الشافعي ايضا فيه فمنهم من قال
يجب قتل الساب حتما وان خير في غيره . ومنهم من قال هو كغيره
من الناقضين للعهد وفيه قولان اضعفهما انه يلحق بآمنه والصحيح منها جواز
قتله قالوا ويكون كالاسير يجب على الامام ان يفعل فيه الاصلح للامة من
القتل والاسترقاق والمن والفداء وكلام الشافعي في موضع يقتضى ان
حكم الناقض للعهد حكم الحربي فلذا قيل انه كالاسير وفي موضع آخر امر
بقتله عينا من غير تخيير . وتحرير الكلام في ذلك يحتاج الى تقدم مقدمة فيما يشق به
العهد وفي حكم ناقض العهد على سبيل العموم ثم يتكلم في خصوص مسألة السب
اما الاول فان ناقض العهد قسما ممتنع لا يقدر عليه الا بقتال . ومن هو في
ايدى المسلمين . اما الاول فان يكون لهم شوكة ومنعة فيمنعوا بها على الامام من
اداء الجزية والتزام احكام الملة الواجبة عليهم دون ما يظلمهم به الوشاة او يلحقوا

بدار الحرب مستوطنين بها فهو لاء قد نقضوا العهد بالاجماع فاذا اسر الرجل
منهم فحكمه عند الامام احمد في ظاهر مذهبهم حكم اهل الحرب اذا اسروا
يفعل بهم الامام ما يراه اصلحة قال في رواية ابي الحارث وقد سئل عن قوم
من اهل العهد نقضوا العهد وخرجوا بالذرية الى دار الحرب فبعث في طلبهم
فلحقوهم فحاربوهم قال احمد اذا نقضوا العهد فمن كان منهم بالغاً فيجربى عليه
ما يجربى على اهل الحرب من الاحكام اذا اسروا فامرهم الى الامام يحكم فيهم
بما يرى واما الذرية فما ولد بعد نقضهم العهد فهو بمنزلة من نقض العهد
ومن كان ممن ولد قبل نقض العهد فليس عليه شيء وذلك ان امرأة علقمة
ابن علاثة قالت ان كان علقمة ارثد فانالم ارثده وكذا روي عن الحسن
فمين نقض العهد ليس على النساء شيء وقال في رواية صالح وقد سئل عن
قوم من اهل العهد في حصن ومعهم مسلمون فنقضوا العهد والمسلمون
معهم في الحصن ما السبيل فيهم قال ما ولد لهم بعد نقض العهد فالذرية
بمنزلة من نقض العهد يسبون ومن كان قبل ذلك لا يسبون فقد نص على
ان ناقض العهد اذا اسر بعد المحاربة بخير الامام فيه وعلى ان الذرية الذين
ولدوا بعد نقض العهد بمنزلة من نقض العهد يسبون فعلم ان ناقض العهد يجوز
استرقاقه وهذا هو المشهور من مذهبهم وعنه انهم اذا قد رعليهم فانهم
لا يسترقون بل يردون الى الذمة قال في رواية ابي طالب في رجل من
اهل العهد لحق بالعد وهو واهله وولده وولد له في دار العد وقال يسترق
ولادهم الذين ولدوا في دار العد ويردون هم واولادهم الذين

ولدوا في دار الاسلام الى الجزية قبل له لا يسترقي اولادهم الذين ولدوا في دار الاسلام قال لا قبل له فان كانوا ادخلوهم صغاراً ثم صاروا رجالاً قال لا يسترقون ادخلوهم ما منهم وكذلك قال في رواية ابن ابراهيم وقد سأله عن رجل لحق بدار الحرب هو واهله وولده في بلاد العدو وقد اخذوه المسلمون قال ليس على ولده واهله شيء ولكن ما ولد له وهو في ايديهم يسترقون ويردون هم الى الجزية فقد نص على ان الرجل الذي نقض العهد يرد الى الجزية هو وولده الذين كانوا موجودين وانهم لا يسترقون وان ولده الذين حدثوا بعد المحاربة يسترقون وذلك لان صغار ولده سبي من اولاد اهل الحرب وهم يصيرون رقيقاً بنفس السبي فلا يدخلون في عقد الذمة او لا ولا آخراً واما اولاده الذين ولدوا قبل النقض فلهم حكم الذمة المتقدمه فعلى الرواية الاولى المشهورة بخير الامام في الرجال اذا اسروا فيفعل ما هو الا صاح للمسلمين من قتل واسترقاق ومن وفداء واذ اجاز ان يمن عليهم جاز ان يطلقهم على قبول الجزية منهم وعقد الذمة لهم ثانياً لكن لا يجب عليه ذلك كما لا يجب عليه في الاسير الحربي الا صلى اذا كان كتابياً وقد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرى بنى قريظة واسرى من اهل خيبر ولم يدعهم الى اعطاء الجزية ولودعاهم اليها لا جابوا وعلى الرواية الثانية يجب دعاؤهم الى العود الى الذمة كما كانوا كما يجب دعاء المرتد الى ان يعود الى الاسلام ويستحب كما يستحب دعاء المرتد ومتى بذلوا العود الى الذمة وجب قبول ذلك منهم كما يجب قبول الاسلام

من المرند وقبول الجزية من الحربي الاصل اذ ابدلها قبل الاسر ومتى امتنعوا
فقياس هذه الرواية وجوب قتلهم دون استرقاقهم جعلاً لنقض الامان
كنقض الايمان ولو تكررت النقص منهم فقد يقال فيهم ما يقال فيمن تكررت ردة
ونحو من هذه الرواية قال اشهب صاحب مالك في مثل هو لاء قال لا يعود
الحرقوا لا يسترق ابداً بحال بل يردون الى ذمتهم بكل حال وكذلك
قال الشافعي في (الام) وقد ذكر نواقض العهد وغيرها قال وايهم قال او فعل
شيئاً مما وصفته نقضاً للعهد واسلم لم يقتل اذا كان ذلك قولاً وكذلك اذا كان
ذلك فعلاً لم يقتل الا ان يكون في دين المسلمين ان من فعله قتل حد او قصاصاً
فيقتل بحد او قصاص لا بنقض عهد وان فعل مما وصفنا وشرط انه نقض
لعهد الذمة فلم يسلم ولكنه قال اتوب واعطى الجزية كما كنت اعطيها او على
صلح اجد عوقب ولم يقتل الا ان يكون قد فعل فعلاً يوجب القصاص
والحد فان فعل او قال مما وصفنا وشرط انه يحمل دمه فظفر نابه فامتنع
من ان يقول اسلم او اعطى جزية قتل واخذ ماله فيثأفقد نص على وجوب
قبول الجزية منه اذ ابدلها وهو في ايدينا وانه اذا امتنع منها ومن الاسلام
قتل واخذ ماله ولم يخبر فيه ولاصحابه في وجوب قبول الجزية من الاسير
الحربي الاصل وجهان عن الامام احمد رواية ثالثة انهم يصيرون رقيقاً
اذا اسروا وقال في رواية ابن ابراهيم اذا اسر الروم من اليهود ثم ظهر المسلمون
عليهم فانهم لا يبيعونهم وقد وجبت لهم الحرمة الامن ارتد منهم عن جزية
فهو بمنزلة المملوك وهذا هو المشهور من مذهب مالك قال ابن القاسم وغيره

من المالكية اذ اخرجوا ناقضين للعهد ومنعوا الجزية وامتنعوا امتناعاً غير ان
 يظلموا ولحقوا ابدار الحرب فقد انتقض عهدهم واذ انتقض عهدهم ثم اسروا
 فعم في ولا يردون الى ذمتنا فواجبوا استرقاقهم ومنعوا ان تعقد لهم الذمة
 ثانياً كانه جعل خروجهم من الذمة مثل ردة المرتد يمنع اقراره بالجزية
 لكن هو لاء لا يسترقون لكون كفرهم اصلياً وقلل اصحاب ابي حنيفة من
 نقض العهد فانه يصير كالمرتد الا انه يجوز استرقاقه والمرتد لا يجوز استرقاقه
 فاما ان لم يقدر عليهم حتى بذلوا الجزية وطلبوا العود الى الذمة فانه يجوز
 عقد هالهم لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عقدوا الذمة لاهل
 الكتاب من اهل الشام مرة ثانية وثالثة بعد ان نقضوا العهد والقصة في
 ذلك مشهورة في فتوح الشام وما حسب في هذا خلافاً فان مالكا واصحابه
 قالوا اذا منعوا الجزية وقتلوا المسلمين والامام عدل فلنهم يقاتلون حتى يردوا
 اليه مع ان المشهور عند هم ان الاسير منهم لا يرد الى الذمة بل يكون فيئافاً اذا
 كان مالك لا يخالف في هذه المسئلة فغيره اولى ان لا يخالف فيها لانه هو الذي
 اشتهر عنه القول بمنع عود الاسير منهم الى الذمة فان بذل هو لاء
 العود الى الذمة فهل يجب قبول ذلك منهم كما يجب قبوله من الحربي
 الاصل ان قلنا انه يجب رد الاسير منهم الى ذمتهم هو لاء اولى وان قلنا
 لا يجب هناك فينوجه ان لا يجب هنا ايضاً لان بني قينقاع لما نقضوا العهد
 الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم اراد قتلهم حتى اخرج عليه عبدالله
 ابن ابي في الشفاعة فيهم فاجلهم الى اذرعهم ولم يقرهم بالمدينة مع ان

القوم كانوا احرصا على المقام بالمدينة بعهد يحدونه و كذا لك بنو قريظة
 لما حاربوا ارا دوا الصلح والعود الى الذمة فلما لم يحبهم النبي صلى الله عليه
 وسلم نزلوا على حكم سعد بن معاذ و كذا لك بنو النضير لما نقضوا العهد
 فحاصروهم انزلهم على الجلاء من المدينة مع انهم كانوا احرصا على المقام
 بدارهم بان يعودوا الى الذمة وهو لاء الطوائف كانوا اهل ذمة عاهدوا
 النبي صلى الله عليه وسلم ان الدار دار الاسلام يجرى فيها حكم الله تعالى
 ورسوله وانه مهما كان بين اهل العهد من المسلمين وبين هؤلاء المتعاهدين
 من حدث فامرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم هكذا في كتاب الصلح
 فاذا كانوا نقضوا العهد فبعضا قتل و بعضا اجلى ولم يقبل منهم ذمة ثانية مع
 حرصهم على بذلها علم ان ذلك لا يجب ولا يجوز ان يكون ذلك لكون ارض
 الحجاز لا يقر فيها اهل دينين ولا يمكن الكفار من المقام بها لان هذا الحكم
 لم يكن شرع بعد بل قد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه
 مرهونة عند ابي شحمة اليهودي بالمدينة و بالمدينة غيره من اليهود و بنجر
 خلائق منهم وهي من الحجاز لكن عهد النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه
 ان يخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وان لا يبقى بهاد ينان فانفذ
 عهده في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه و الفرق بين هؤلاء
 وبين المرتدين ان المرتد اذا عاد الى الاسلام فقد اتى بالغاية التي بقا قتل
 الناس حتى يصلوا اليها فلا يطلب منه غير ذلك وان ظننا ان باطنه خلاف
 ظاهره فانالم نؤمن ان نشق عن قلوب الناس واما هؤلاء فان الكف عنهم انما كان

لاجل العهد ومن خفنا منه الخيانة جاز لنا ان نبذل اليه العهد وان لم يجوز نبذل العهد الى
من خفنا منه الردة فاذا انقضوا العهد فقد يكون ذلك اماراة على عدم الوفاء
وان اجابتهم الى العهد انما فعلوه خوفا وتقية ومتى قدروا فيكون هذا
الخوف يجوز الترك معاهدتهم على اخذ الجزية كما كان يجوز نبذ العهد الى
اهل الهدنة بطريق الاولى وفي هذا دليل على انه لا يجب رد الاسير الناقض
للعهد الى الذمة بطريق الاولى فان النبي صلى الله عليه وسلم اذا لم يرد هم
الى الذمة وقد طلبوها امتنعين فان لا يرد هم اذا طلبوها موثقين او لم يرد
اسير بني قريظة بعد نقض العهد فقتل مقاتلتهم ولم يرد هم الى العهد ولان الله
تعالى قال ومن نكث فثما ينكث على نفسه * فلو كان الناكث كلما طلب العهد منا
وجب ان نجيبه لم يكن للنكث عقوبة يخافها بل ينكث اذا احب لكن يجوز ان
نعيد هم الى الذمة لان النبي صلى الله عليه وسلم وهب الزبير بن باطاء
القرظي لثابت بن قيس بن شماس هو واهله وماله على ان يسكن ارض الحجاز
وكان من اسرى بني قريظة الناكثين فعلم جوازا قرارهم في الدار بعد
النكث واجلاء بني قينقاع بعد القدرة عليهم الى اذ رعات فعلم جوازا لمن
عليهم بعد النكث واذ اجاز المن على الاسير الناكث وقراره في دار الاسلام
فالنفادة به اولى وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في هؤلاء الناقضين
تدل على جواز القتل والمن على ان يقيموا دار الاسلام وان يذهبوا الى
دار الحرب اذا كانت المصلحة في ذلك وفي ذلك حجة على من اوجب اعادتهم
الى الذمة وعلى من اوجب استرقاقهم * فان قيل * انما اوجبنا اعادتهم الى

الذمة لان خروجهم عن الذمة ومفارقة جماعه المسلمين كخروجهم
عن الاسلام ومفارقة جماعه المسلمين او نقض الامان كنقض الايمان فاذا
كان المرتد عن الاسلام لا يقبل منه ما يقبل من الكافر الاصل بل اما الاسلام
او السيف فكذلك المرتد عن العهد لا يقبل منه ما يقبل من الحربي الاصل
بل اما الاسلام او العهد والا فالسيف ولانه قد صارت لم حرمة العهد
المتقدم فمنعت استرقاقهم كما منع استرقاق المرتد حرمة اسلامه المتقدم
* قلنا * المرتد بخروجه عن الدين الحق بعد دخوله فيه تعاظ كفره
فلم يقر عليه بوجه من الوجوه فتحتم قتله ان لم يسلم عصمة للدين كما
تحتم غيره من الحدود حفظا للفروج والاموال وغير ذلك ولم يميز
استرقاقه لان فيه اقرارا له على الردة لتشرفه بدين قد بدله وناقض
العهد قد نقض عهده الذي كان يرضى به فزال حرمة وصار يادي
المسلمين من غير عقد ولا عهد فصار كحربي اسرناه واسوه حاله وكماله
ذلك لا يجب المن عليه بجزية ولا بغيرها لان الله تعالى انما امرنا ان نقاتلهم
حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فمن اخذنا قبل ان يعطى
الجزية لم يدخل في الآية لانه لا قتال معه بل قد خبرنا الله اذ اشددنا
الوثاق بين المن والعداء ولم يوجب المن في حق ذمي ولا كتابي
ولان الاسير قد صار للمسلمين فيه حق بامكان استعباده والمفاداة به فلا يجب
عليهم بذل حقه منه مجانا وجاز قتله لانه كافر لا عهد له وانما هو باذل للعهد
في حال لا يجب معاهدته وذلك لا يعصم دمه فان قال * من منع من اعادته

الى الذمة وجعله فينا هذا من على الاسير مجانلو ذلك اضاعة لحق المسلمين فلم يميز
 اتلاف اموالهم * قلنا * هذا مبني على انه لا يجوز للمن على الاسير والمرضى
 جوازه كجادل عليه الكتاب والسنة ومدعى النسخ يفتقر الى دليل * فان قيل *
 خروجه عن العهد موجب للتغليظ عليه فينبغي امان يقتل او يسترق كما ان
 المرتد يغلظ حاله بتعين قتله فاذا جاز في هذا ما يجوز في الحربي الاصل لم يبق
 بينهما فرق * قلنا * اذ اجاز استرقاقه جاز اقراره بالجزية اذا لم يكن المانع
 حقاؤه لانه ليس في ذلك الافوات ملك رقبته وقد يرى الامام ان في اقراره
 بالجزية او في المن عليه والمفاداة به مصلحة اكبر من ذلك بخلاف المرتد فانه
 لا سبيل الى استبقائه وبخلاف الوثني اذ اجوزنا استرقاقه فان المانع من اقراره
 بالجزية حق الله و هو دينه و ناقض العهد دينه قبل النقض و بعده سواء
 و نقضه انما يعود ضرره على من يحاربه من المسلمين فكان الرأى فيه الى اميرهم
 * فان قيل * فهلا حكيت خلافا انه يتعين قتل هذا الناقض للعهد كما يتعين قتل غيره
 من الناقضين كما سيأتى وقد قال ابو الخطاب اذا حكمنا بنقض عهد الذمى
 فظاهر كلام الامام احمد انه يقتل في الحال قال وقال شيخنا يخبر الامام فيه بين
 اربعة اشياء فاطلق الكلام فبين نقض العهد مطلقا و تبعه طائفة على الاطلاق
 و من قيد * قيد * بان ينقضه بما فيه ضرر على المسلمين مثل قتالهم و نحوه فاما ان
 نقضه بمجرد اللحاق بدار الحرب فهو كالاسير و يؤيد هذا ما رواه عبد الله بن
 احمد قال سألت ابي عن قوم نصارى نقضوا العهد و قاتلوا المسلمين قال ارى
 ان لا يقتل الذرية ولا يسبون و لكن يقتل رجالهم * قلت لا يبي فان ولد لرجالهم

اولاد في دار الحرب قال اري ان يسبوا اولئك ويقتلوا قلت لا بي فان هرب
من الذرية الى دار الحرب احد فسباهم المسلمون ترى لهم ان يسترقوا قال الذرية
لا يسترقون ولا يقتلون لانهم لم ينقضوا هم انما نقض العهد رجاهم وما ذنب هؤلاء
فقد امر رحمه الله بقتل المقاتلة من هؤلاء اما مجرد النقض او للنقض والقتال
قلنا قد ذكرنا فيما مضى نص احمد على ان من نقض العهد وقتل المسلمين
فانه يجري عليه ما يجري على ادل الحرب من الاحكام واذ اسرحكم فيه الامام
بما رأى ونص رحمه الله فبين الحق بدار الحرب على انه يسترق في رواية وعلى
ان يعاد الى ذمته في رواية اخرى فلم يميز ان يقال ظاهر كلامه في هذه الصورة
يدل على وجوب قتله مع تصريحه بخلاف ذلك كيف والذين قالوا ذلك
انما اخذوا من كلامه في مسائل شتى ليست هذه الصورة منها على ان ابا الخطاب
وغيره لم يذكروا هذه الصورة ولم يدخل في كلامهم اعنى صورة اللحاق
بدار الحرب وانما ذكروا من نقض العهد بان ترك ما يجب عليه في العهد
او فعل ما ينتقض به عهده وهو في قبضة المسلمين وذكروا ان ظاهر كلام
احمد يعين قتله وهو صحيح فمن فهم من كلامهم عموم الحكم في كل من انتقض
عهده فمن فهمه اتي لا من كلامهم ومن ذكر اللحاق بدار الحرب وقاتل
المسلمين والامتناع من اداء الجزية وغير ذلك من النواقض فانه احتاج ان
يفرق بين اللحاق بدار الحرب وبين غيره كما ذكرناه من نصوص الامام
احمد وغيره من الائمة على الناقض الممتنع والفرق بينهما انه من لم يوجد منه
الا للحاق بدار الحرب فانه لم يجز جنابة فيها ضرر على المسلمين حتى يعاقب

عليها بخصوصها والماترك العهد الذي بيننا وبينه فصار ككافر لا عهد له كما سيأتي
 ان شاء الله تعالى تقريره ويجب ان يعلم ان من لحق بدار الحرب صار حربياً فما وجد
 منه من الجنايات بعد ذلك فهي كجنايات الحربى لا يؤخذ بها ان اسلم او عاد
 الى الذمة وكذلك قال الحربى ومن هرب من ذمتنا الى دار الحرب ناقضاً للعهد
 عاد حربياً وكذا لك ايضاً اذا امتنعوا بدار الاسلام من الجزية او الحكم ولم
 شوكة ومنعة قاتلوا بها عن انفسهم فانهم قد قاتلوا بعد ان انتقض عهدهم و صار حكمهم
 حكم المحاربين فلا يمنع قتل من استرق منهم بل حكمه الى الامام ويجوز استرقاقه
 كما نص الامام احمد على هذه بعينها لان المكان الذي تحيزوا فيه وامتنعوا بمنزلة
 دار الحرب ولم يجنوا على المسلمين جناية ابتداء بها للمسلمين وانما قاتلوا عن انفسهم
 بعد ان تحيزوا وامتنعوا وعلم انهم محاربون فمن قال من اصحابنا ان من قاتل
 المسلمين يتعين قتله ومن لحق بدار الحرب خير الامام فيه فانما ذاك اذا قاتلهم
 ابتداء قبل ان يظهر تقضى العهد ويظهر الامتناع بان يعين اهل الحرب على قتال
 المسلمين ونحو ذلك فاما اذا قاتل بعد ان صار في شوكة ومنعة يمتنع بها عن
 اداء الجزية فانه يصير كالخبري سواء كما تقدم ولهذا قلنا على الصحيح ان
 المرتدين اذا اتلفوا دماً او مالا بعد الامتناع لم يضمنوه وما اتلفوه قبل الامتناع
 ضمنوه وسيأتي ان شاء الله تعالى تمام الكلام في الفرق واما ما ذكره الامام احمد
 في رواية عبد الله فانما اراد به الفرق بين الرجال والذرية ليشبين ان الذرية
 لا يجوز قتلهم وان الرجال يقتلون كما يقتل اهل الحرب ولهذا قال في الذرية
 الذين ولدوا بعد النقص يسبون ويقتلون وانما اراد انهم يسبون اذا كانوا

صغاراً و يقتلون اذا كانوا رجالاً اي يجوز قتلهم كاهل الحرب الاصلين ولم يرد ان
القتل يتعين لهم فانهم على خلاف الاجماع والله اعلم. القسم الثاني * اذا لم يكن
ممتنعاً عن حكم الامام فذهب ابي حنيفة ان مثل هذا لا يكون ناقضاً للعهد
ولا ينقض عهد اهل الذمة عنده الا ان يكونوا اهل شوكة و منعة يمتنعوا
بذلك عن الامام ولا يمكنه اجراء احكامنا عليهم او تخلفوا بدار الحرب
لانهم اذا لم يكونوا ممتنعين امكن الامام ان يقيم عليهم الحدود ويستوفي منهم
الحقوق فلا يخرجون بذلك عن العصمة الثابتة كمن خرج عن طاعة الامام
من اهل البغي ولم تكن له شوكة * وقال الامام مالك لا ينتقض عهدهم الا ان
يخرجوا ناقضين للعهد و منعاً للجزية و امتنعوا من امن غير ان يظلموا او يلحقوا ابدار
الحرب فقد انتقض عهدهم لكن يقتل عنده الساب و المستكره للمسئلة على
الزنا و غيرها * و اما مذهب الامام الشافعي و الامام احمد فانهم قسموا الامور
المتعلقة بذلك قسمين * احدهما * يجب عليهم فعله * والثاني * يجب عليهم
تركه * فاما الاول * فانهم قالوا اذا امتنع الذي مما يجب عليه فعله و هو اداء الجزية
او جريان احكام الملة عليه اذا حكم بها حاكم المسلمين انتقض العهد بلا تردد *
قال الامام احمد في الذي يمنع الجزية ان كان واحداً اكره عليها و اخذت منه
وان لم يعطها ضربت عنقه وذلك لان الله تعالى امر بقتالهم الى ان يعطوا الجزية عن
يد و هم صاغرون * و الاعطاء له مبتدأ و تمام فمبتدأه الالتزام والضمان و منتهاه
الاداء و الاعطاء و من الصغار جريان احكام المسلمين عليهم فمتى لم يتموا اعطاء
الجزية او اعطوها و ليسوا بصاغرين فقد زالت الغاية التي امرنا بقتالهم اليها

فيعود القتال ولان حقن دمايهم انما ثبت ببذل الجزية والتزام جريان احكام الاسلام عليهم فمتى امتنعوا منه واتوا بضده صاروا كالمسلم الذي ثبت حقن دمه بالاسلام اذا امتنع منه واتى بكلمة الكفر وعلى ما ذكره الامام احمد فلا بد ان يمتنع من ذلك على وجه لا يمكن استيفاءه منه مثل ان يمتنع من حق بدني لا يمكن فعله والنيابة عنه دائما ويمتنع من اداء الجزية ولعيب ماله كما قلنا في المسلم اذا امتنع من الصلاة او الزكاة فاما ان قاتل المسلم على ذلك فذلك هو الغاية في انتقاض العهد من قاتل على ترك الصلاة او الزكاة لما القسم الثاني وهو ما يجب عليهم تركه فنوعان * احدهما * ما فيه ضرر على المسلمين * والثاني * ما لا ضرر فيه عليهم والاول قسمان ايضا * احدهما * ما فيه ضرر على المسلمين في انفسهم واهلهم مثل ان يقتل مسلما او يقطع الطريق على المسلمين او يعين على قتال المسلمين او يتجسس للعد وبمكاتبة او كلام او ايواء عين من عيونهم او يزني بمسامة او يصيبها باسم نكاح * والقسم الثاني * ما فيه اذى وغضاضة عليهم مثل ان يذكر الله او كتابه او رسوله او دينه بالسوء * والنوع الثاني ما لا ضرر فيه عليهم مثل اظهار اصواتهم بشعائر دينهم من الناقوس والكتاب ونحو ذلك ومثل مشابهة المسلمين في حياتهم ونحو ذلك وقد تقدم القول في انتقاض العهد بكل واحد من هذه الاقسام فاذا نقض الذمي العهد ببعضها وهو في قبضة الاسلام مثل ان يزني بمسامة او يتجسس للكفار فالمنصوص عن الامام احمد انه يقتل قال في رواية حنبل كل من نقض العهد او احدث في الاسلام حدثا مثل هذا يعني سب النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عليه القتل ليس على هذا اعطوا العهد

والذمة فقد نص على ان من نقض العهد واتى بمفسدة مما ينقض العهد قتل
عينا وقد تقدمت نصوصه ان من لم يوجد منه الانقض العهد بالا مثناع
فانه كالحرى • وقال فى مواضع متعددة فى ذمى فجر باصرة مسلمة يقتل
ليس على هذا اصولها والمرأة ان كانت طارئة اقيم عليها الحد وان كان
استكرها فلا شئ عليها • وقال فى يهودى زنا بمسلمة يقتل لان عمر رضى الله عنه
اثنى يهودى نحس بمسلمة ثم غشها فقتله فالزنا اشد من نقض العهد قبل
فبعد نصرانى زنى بمسلمة قال يقتل ايضا وان كان عبدا • وقال فى مجوسى
فجر بمسلمة يقتل هذا قد نقض العهد وكذلك ان كان من اهل الكتاب
يقتل ايضا قد صلب عمر رجلا من اليهود فجر بمسلمة هذا نقض العهد فقبل له
تري عليه الصلب مع القتل قال ان ذهاب رجل الى حديث عمر كانه
لم يعب عليه وقال منها سألت احمد عن يهودى او نصرانى فجر باصرة
مسلمة ما يصنع به قال يقتل فاعدت عليه قال يقتل قلت ان الناس يقولون
غير هذا قال كيف يقولون فقلت يقولون عليه الحد قال لا ولكن يقتل
فقلت له فى هذا شئ قال نعم عن عمر انه امر بقتله • وقال فى رواية جماعة
من اصحابه فى ذمى فجر بمسلمة يقتل قبل فان اسلم قال يقتل هذا قد وجب
عليه فقد نص رحمه الله على وجوب قتله بكل حال سواء كان محصنا وغير
محصن وان القتل واجب عليه وان اسلم وانه لا يقام عليه حد الزنا الذى يفرق
فيه بين المحصن وغير المحصن واتبع فى ذلك ما رواه خالد الحذاء عن
ابن اشوع عن الشعبي عن عوف بن مالك ان رجلا نحس باصرة فقتلها

فامر به عمر فقتل و صلب و رواه المروزي عن مجالد عن الشعبي عن سويد
ابن غفلة ان رجلا من اهل الذمة نخس بامرأة من المسلمين بالشام وهي على
حمار فصرعها والقي نفسه عليها فراه عوف بن مالك فصر به فشجه فانطلق
الي عمر يشكو عوفا فاتي عوف عمر فحدثه حديثه فارسل الي المرأة يسألها
فصدقت عوفا فقال قد شهدت اختنا فامر به عمر فصلب قال فكان اول
مصلوب في الاسلام ثم قال عمر ايها الناس اتقوا الله في ذمة محمد صلى الله
عليه وسلم ولا تظلموهم فمن فعل هذا فلا ذمة له • وروي سيف
في الفتوح هذه القصة عن عوف بن مالك مبسوطه وذكر فيها ان الحمار
صرع المرأة وابن النبطي ارادها فامتنعت واستغاثت قال عوف
فاخذت عصا فمشيت في اثره فادرسته فصربت رأسه ضربة ذاعجر
ورجعت الي منزلي وفيه فقال للنبطي اصدقني فاخبره • وقال الامام
احمد ايضا في الجاسوس اذا كان ذميا قد نقض العهد يقتل وقال في الراهب
لا يقتل ولا يوذى ولا يسأل عن شيء الا ان نعلم منه انه يدل على عورات
المسلمين ويخبر عن امرهم عدوهم فيستحل حينئذ مه وقد نص الامام احمد
على انه من نقض العهد بسب الله او رسوله فانه يقتل • ثم اختلف اصحابنا بعد
ذلك فقال القاضي واكثر اصحابه مثل ابيه ابي الحسين والشريف ابي جعفر وابي
المواهب العكبري وابن عقيل وغيره وطوائف بعدهم ان من نقض العهد
بهذه الاشياء وغيرها حكم الاسير بخير الامام فيه كما يخير في الاسير
بين القتل والمن والاسترقاق والفداء وعليه ان يختار من الاربعة ما هو

الأصلح للمسلمين قال القاضي في (المجرد) إذا قلنا قد انتقض عهد هـ فانا نستوفي منه الحقوق والقتل والحد والتعزير لان عقد الذمة على ان تجرى احكامنا عليه وهذه احكامنا فاذا استوفينا منه فالامام مخير فيه بين القتل والاسترقاق ولا يرد الى ما منه لانه بفعل هذه الاشياء قد نقض العهد واذا نقض عاد بمعناه الاول فمكانه وجد نصراني بدار الاسلام ثم ان القاضي في الخلاف قال حكم ناقض العهد حكم الاسير الحربي يتخير الامام فيه بين اربعة اشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء لان الامام احمد قد نص في الاسير على الخيار بين اربعة اشياء وحكم الاسير لانه كافر حصل في ايدينا بغير امان قال ويحمل كلام الامام احمد اذا رآه الامام صلاحا واستثنى في الخلاف وهو الذي صنفه آخر سائب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة قال فانه لا تقبل توبته ويتحتم قتله ولا يخير الامام في قتله وتركه لان قذف النبي صلى الله عليه وسلم حق لميت فلا يسقط بالتوبة كقذف الآدمي * وقد يستدل لهؤلاء من المذهب بعموم كلام الامام احمد وتعليقه حيث قال في قوم من اهل العهد نقضوا العهد وخرجوا بالذرية الى دار الحرب فبعث في طلبهم فلم يقوهم فخار بوههم قال اذا نقضوا العهد فمن كان منهم بالغافيجرى عليه ما يجرى على اهل الحرب من الاحكام اذا اسروا فامرهم الى الامام يحكم فيهم بما يرى وعلى هذا نقول فللامام ان يعبد هم الى الذمة اذا رأى المصلحة في ذلك كماله مثل ذلك في الاسير الحربي الاصل في هذه القول في الجملة هو الصحيح من قول الامام الشافعي * والقول الآخر للشافعي ان من نقض العهد من هوء لاه يرد الى ما منه

ثم من اصحابه من استثنى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فجعله
 موجبا للقتل حتمادون غيره ومنهم من عمم الحكم * هذا هو الذي ذكره
 اصحابه واما اللفظه فانه قل في (الام) اذا اراد الامام ان يكتب كتاب صالح
 على الجزية كتب وذكر الشروط الى ان قال وعلى ان احد امنكم ان ذكر محمد
 صلى الله عليه وسلم او كتاب الله او دينه بما لا ينبغي ان يذكر به فقد برئت
 منه ذمة الله ثم ذمة امير المؤمنين وجميع المسلمين ونقض ما اعطى من الامان
 وحل لامير المؤمنين ماله ودمه كما يحل اموال اهل الحرب ودماءهم وعلى
 ان احد امن وجاهل ان اصاب مسلمة بزنا او اسم نكاح او قطع الطريق على
 مسلم او قتل مسلما عن دينه او اعان المحاربين على المسلمين بقتال او دلالة
 على عورات المسلمين او ايواء لعيونهم فقد نقض عهده واحل دمه وماله
 وان نال مسلما بآدمون هذا في ماله او عرضه لزمه فيه الحكم ثم قال فهذه
 الشروط اللازمة ان رخصها فان لم يرخصها فلا عقدة له ولا جزية * ثم قال وايهم
 قال او فعل شيئا مما وصفته نقضا للعهد واسلم لم يقتل اذا كان ذلك قولاً وكذلك
 اذا كان فعلاً لم يقتل الا ان يكون في دين المسلمين ان من فعله قتل حدا او قصاصا
 فيقتل بمحد او قصاص لا نقض عهد وان فعل ممّا وصفنا وشرط انه نقض
 لعهد الذمة فلم يسلم ولكنه قال اتوب واعطى الجزية كما كنت اعطيها وعلى
 صلح اجدده عوقب ولم يقتل الا ان يكون فعل فعلاً يوجب القصاص او الحد
 فاما مادون هذا من الفعل او القول فكل قول فيعاقب عليه ولا يقتل * قال
 فان فعل او قال ما وصفنا وشرط ان يحل دمه فظفر به فامتنع من ان يقول اسلم

او اعطى جزية قتل واخذ ماله فيثا وهذا اللفظ يعطى وجوب قتله اذا امتنع
من الاسلام والعود الى الذمة. وسلك ابو الخطاب في (الهداية) والحلواني
وكثير من متأخري اصحابنا مسلك المتقدمين في اقرار نصوص الامام احمد
بجملها وهو الصواب فان الامام احمد قد نص على القتل عينا فمين زنى بمسلمة
حتى بعد الاسلام وجعل هذا اشد من نقض العهد بالحق ودار الحرب ثم
انه نص هناك على ان الامر الى الامام كما لا سيرو نص هنا على ان الامام
يخير ان يقتل ولا يخفى لمن تأمل نصوصه ان القول بالتحجير مطلقا مخالف لما
واما ابو حنيفة فلا تجب هذه المسئلة على اصله لانه لا ينتقض عهد اهل الذمة
عنده الا ان يكونوا اهل شوكة ومنعة فيمتنعون بذلك على الامام ولا يمكنه
اجراء احكامنا عليهم. ومذهب مالك لا ينتقض عهدهم الا ان يخرجوا
ممتنعين من امانهم للجزية من غير ظلم او يلحقوا بدار الحرب لكن مالك لا يوجب
قتل سائر الرسل صلى الله عليه وسلم عينا وقال اذا استكره الذمي
مسئلة على الزنا قتل ان كانت حرة وان كانت امة عوقب العقوبة الشديدة
فذهب به ايجاب القتل عينا لبعض اهل الذمة الذين يفعلون ما فيه ضرر على
المسلمين فمن قال انه يرد الى ما منه قال لانه حصل في دار الاسلام بامان
فلم يجوز قتله حتى يرد الى ما منه كما لو دخلها بامان صبي وهذا ضعيف جدا لان
الله قال في كتابه وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوم انكثوا ايمانهم الآية
فهذه الآية وان كانت نزلت في اهل الهدنة فعومها لفظا ومعنى يتناول كل

ذى عهد على ما لا يخفى وقدام سبحانه بالمقاتلة حيث وجدناهم فعم ذلك ما منهم
 وغير ما منهم ولان الله تعالى امر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون •
 فمتى لم يعطوا الجزية او لم يكونوا صاغرين جاز قتالهم من غير شرط على
 معنى الآية • ولانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل من
 رأوه من رجال يهود صبيحة قتل ابن الاشرف و كانوا معه معا هد ين
 ولم يأمر بردهم الى ما منهم • وكذا لك لما نقضت بنو قينقاع العهد قاتلهم
 ولم يردهم الى ما منهم • ولما نقضت بنو قريظة العهد قاتلهم واسرهم ولم يبلغهم
 ما منهم • وكذلك كعب بن الاشرف نفسه امر بقتله غيلة ولم يشعره انه يريد قتله
 فضلا عن ان يبلغه ما منه • وكذا لك بنو النضير اجلاهم على ان لا ينقلوا
 الا ما حملته الابل الا الحلقة وليس هذا بابلاغ للامن لان من بلغ ما منه يؤمن على
 نفسه واهله وماله حتى يبلغ ما منه • وكذا لك سلام بن ابي الحقيق وغيره
 من يهود لما نقضوا العهد قتلهم نوبة خبير ولم يبلغهم ما منهم ولانه قد ثبت ان
 اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو واباعبيدة ومعاذ بن جبل وعوف
 ابن مالك قتلوا النصراني الذي اراد ان يفجر بالمسلمة و صلبوه ولم ينكره منكر
 فصارا جماعا ولم يردوه الى ما منه ولان في شروط عمر التي شرطها على النصارى
 فان نحن خالفنا عن شئ شرطناه لكم وضمنناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل
 لكم منا ما حل لاهل المعاندة والشقاق رواه حرب باسناد صحيح وقد تقدم
 عن عمرو وغيره من الصحابة مثل ابي بكر وابن عمر وابن عباس و خالد بن الوليد
 وغيرهم رضوا ان الله تعالى عليهم انهم قتلوا او امروا بقتل ناقض العهد ولم يبلغوه

مأمنه ولأن دمه كان مباحا وإنما عصيته الذمة فتى ارتفعت الذمة بقى على
 الإباحة ولأن الكافر لودخل دار الإسلام بغير أمان وحصل في أيدينا جاز
 قتله في دارنا وأمان دخل بأمان صبي فأنما ذلك لأنه يعتقد أنه مستامن
 فصارت له شبهة أمان وذلك يمنع قتله كمن وطئ فرجا يعتقد أنه حلال لأحد
 عليه وكذلك ينسب في دخوله دار الإسلام إلى تفریط وإما هذا فإنه ليس
 له أمان ولا شبهة أمان لأن مجرد حصوله في الدار ليس بشبهة أمان بالاتفاق
 بل هو مقدم على ما ينقض به العهد مفراط في ذلك عالم أنا لم نصالحه على
 ذلك فأي عذره في حقن دمه حتى يلحقه بما منه نعم لو فعل من نواقض
 العهد ما لم يعلم أنه يضرنا مثل أن يذكر الله تعالى أو كتابه أو رسوله بشيء
 يحسبه جائزا عندنا كان معذورا بذلك فلا ينقض العهد كما تقدم ما لم يتقدم
 إليه كما فعل عمر بقسطنطين النصراني وأمان قال أنه كالا سير الحربي إذا
 حصل في أيدينا فقال لأنه كافر حلال الدم حصل في أيدينا وكل من كان
 كذلك فإنه مأسور فلنا أن نقله كما قتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبه بن
 أبي معيط والنضر بن الحارث ولنا أن نمن عليه كما من النبي صلى الله عليه
 وسلم على ثمامة بن أثال الحنفي وعلى أبي عزة الجمحي ولنا أن نفادي به كما فادي
 النبي صلى الله عليه وسلم بعقيل وغيره ولنا أن نسترقه كما استرق المسلمون
 خلقا من الأسرى مثل أبي لؤي لؤي قاتل عمر ومالك العباس وغيرهم ما قتل
 الأسير واسترقاه فما أعلم فيه خلا فالكفر قد اختلف العلماء في المن عليه
 والمفاداة هل هو باق أو منسوخ على ما هو معروف في مواضعه وهذا لأنه

اذا انقض العهد عاد كما كان والحربي الذي لا عهد له اذا قدر عليه جاز قتله واسترقاقه ولانه ناقض للعهد فجاز قتله واسترقاقه كاللأحق بداء الحرب والمحارب في طائفة ممتنعة اذا اسربل هذا الولي لان نقض العهد بذلك متفق عليه فهذا الغاظ فاذا اجاز ان يحكم فيه يحكم الاسير فني هذا الولي نعم اذا انتقض العهد بفعل له عقوبة تخصه مثل ان يقتل مسلماً او يقطع الطريق عليه ونحو ذلك اقيمت عليه تلك العقوبة سواء كانت قتلاً او جلد اثم ان بقي حياً بعد اقامة حد تلك الجريمة عليه صار كالكافر الحربي الذي لا حد عليه ومن فرق بين سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سائر النواقض قال لان هذا حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعف عنه فلا يجوز اسقاطه بالاسترقاق ولا بالتوبة كسب غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياًتني ان شاء الله تعالى تحرير ماخذ السب ولما من قال انه يتعين قتله اذا نقضه بما فيه مضرة على المسلمين ومن ما اذا لم يوجد منه الامجد للعلق بداء الحرب والامتناع عن المسلمين فلان الله تعالى قال وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطفنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة الى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايدكم ويخزهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين فواجب سبحانه قتال الذين نكثوا العهد وطفنوا في الدين ومعلوم ان مجرد نكث العهد موجب للقتال الذي كان واجبا قبل العهد واوكد فلا بد ان يفيد هذا زيادة توكيد وما ذاك الا لان الكافر الذي ليس بمعاهد يجوز الكف عن

قتاله اذ اقتضت المصلحة ذلك الى وقت فيجوز استرقاقه بخلاف هذا الذي
نقض وطعن فانه يجب قتاله من غير استتابة وكل طائفة وجب قتالها من غير
استيناف لفعل يبيع دم احادها فانه يجب قتل الواحد منهم اذ افعله وهو في
ايدينا كالردة والقتل في المحاربة والزنا ونحو ذلك بخلاف البني فانه لا يبيع
دم الطائفة الا اذا كانت ممتعة وبخلاف الكفر الذي لا عهد معه فانه يجوز
الاستيناف بقتل اصحابه في الجملة وقوله سبحانه يعذبهم الله بايد يكف ويخزهم .
دليل على ان الله تعالى يريد الانتقام منهم وذلك لا يحصل من الواحد الا
اذا قتل ولا يحصل ان من عليه او فودى به او استرق نعم دلت الآية على ان
الطائفة الناقضة الممتعة يجوز ان يتوب الله على من يشاء منها بعد ان يعذبها
ويخزيها بالغلبة لان ما حاق بهم من العذاب والخزي يكفي في رد عنهم وردع
امثالهم عما فعلوه من النقض والطعن اما الواحد فلم يقتل بل من عليه لم يكن
هناك رادع قوى عن فعله . وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم لما سبي
بنى قريظة قتل مقاتلة واسترق الذرية الا امرأة واحدة كانت قد اقلت رحي
من فوق الحصن على رجل من المسلمين فقتلها ذلك وحدثها مع عائشة
رضي الله عنها معروف ففرق صلى الله عليه وسلم بين من اقتصر على نقض
العهد وبين من آذى المسلمين مع ذلك وكان لا يبلغه عن احد من المعاهدين
انه آذى المسلمين الا نذوب الى قتله وقد اجلي كثيراً ومن على كثير ممن
نقض العهد فقط . وايضاً فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهدوا
اهل الشام من الكفار ثم نقضوا العهد فقاتلهم ثم عاهدوهم مرتين او ثلاثاً

وكذلك

و كذ لك مع اهل مصر و مع هذا فلم يظفروا بمعاهد آذى المسلمين بطعن في الدين او زنا بمسئلة و نحو ذ لك الاقتلوه و امر و ا بقتل هو لاء الاجناس عينا من غير تخيير فعلم انهم فرقوا بين النوعين و وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل مقيس بن صبابه و عبد الله بن خطل و نحوهما ممن ارتد و جمع الى ردته قتل مسلم و نحوه من الضرر و مع هذا فقد ارتد في عهد ابي بكر رضي الله عنه خلق كثير و قتلوا من المسلمين عدداً بعد الامتناع مثل ما قتل طليحة الاسدي عكاشة بن محصن و غيره و لم يوخذ احد منهم بقصاص بعد ذ لك فاذا كان المرتد يوخذ بما اصابه قبل الامتناع من الجنايات ولا يوخذ بما فعله بعد الامتناع فكذ لك الناقض للعهد لان كلاهما خرج عما عصم به دمه هذا نقض ايمانه و هذا نقض امانه و ان كان في هذا خلاف بين الفقهاء في المذهب و غيره فانما نقضنا على اصل ثبت بالسنة و اجماع الصحابة نعم المرتد اذا عاد الى الاسلام عصم دمه الا من حد يقتل بمثله المسلم و المعاهد يقتل على ما فعله من الجنايات المضرة بالمسلمين لانه يصير مباحا بالنقض و لم يعد الى شئ يعصم دمه فيصير كحربي يغلظ قتله بين ذ لك ان الحربي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا آذى المسلمين و خسرهم قتله عقوبة له على ذ لك و لم يمين عليه بعد القدره عليه فهذا الذي نقض عهده بضرر المسلمين اولى بذ لك الا ترى انه لما من على ابي عزة الجمحي و عاهده ان لا يمين عليه فقد ربه ثم قدر عليه بعد ذ لك و طلب ان يمين عليه فقال لا تمسح سبلا تلك بمكة و تقول سخرت بمحمد مرتين ثم قال لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين فلما نقض يمينه منعه ذ لك من المن عليه لانه ضرره بعد

ان كان عاهده على ترك ضراره فكذلك من عاهد من اهل الذمة انه لا يؤذى المسلمين ثم اذ هم لو اطلقوه للدغوا من جحر واحد مرتين ولمسح المشرك سبلاته وقال من خرجت بهم مرتين وايفسناه فلانه اذا الحق بدار الحرب وامتنع لم يضر المسلمين وانما ابطال العقد الذي بينهم وبينه فصار تحريمي اصيل اما اذا فعل ما يضر بالمسلمين من مقاتلة او زنا بمسلمة او قطع طريق او حبس او نحو ذلك فانه يتعين قتله لانه لو لم يقتل لحلت هذه المفسدات عن العقوبة عليها وتعطلت حدود هذه الجرائم ومثل هذه الجرائم لا يجوز العفو عن عقوبتها في حق المسلم فلان لا يجوز العفو عن عقوبتها في حق الذمي او لي واهري ولا يجوز ان يقام عليه حدا منفردا كما يقام على من بقيت ذمته الحد لان صاحبها صار حرييا والحربي لا يقام عليه الا القتل فتعين قتله وصار هذا اكالا سيرا اقتضت المصلحة قتله لعلمنا انه متى افلت كان فيه ضرر على المسلمين اكثر من ضرر قتله لا يجوز المن عليه ولا المفاداة به اتفاقا ولان الواجب في مثل هذا اما القتل او المن او الاسترقاق او الفداء فاما الاسترقاق فانه ابقى له على ذمته بنحو مما كان فانه كان تحت ذمتنا اخذ منه الجزية بمنزلة العبد ولهذا قال بعض الصحابة لعمر في مسلم قتل ذميا اتقيد عبدك من اخيك بل ربما كان استعباده اتقع له من جعله ذميا واستعباد مثل هذا الا نؤمن عاقبته وسوء عاقبته واما المن عليه والمفاداة به فابطل في المفسدة واعادته الى الذمة ترك لعقوبته بالكيفية فتعين قتله يوضح ذلك انا على هذا النقد يزلنا عاقبه اذا عاد الى الذمة الا بما يعاقب فيه المسلم او الباقي على ذمته وهذا في الحقيقة يؤول الى قول من

يقول ان العهد لا ينقض بهذه الاشياء فلا معنى لجعل هذه الاشياء ناقضة للعهد
 وايجاب اعادة اصحابها الى العهد وان لا يعاقبوا اذا عاذا والابما يعاقب به
 المسلم يؤيد ذلك ان هذه الجرائم اذا رفعت العهد وفسخته فلا تن
 يمنع ابتداء بطريق الاولى لان الدوام اقوى من الابتداء الا ترى ان
 العدة والردة تمنع ابتداء عقد النكاح دون دوامه فاما ان كان وجود
 هذه المضرات يمنع دوام العقد فمنعه ابتداءه اولى واخرى واذا لم يجوز
 ابتداء عقد الذمة فلان لا يجوز لمن اولى ولان الله تعالى امر بقتل جميع
 المشركين الا ان المشرك ود وثاقه من المحاربين جعل لنا ان نعامله بما نرى
 والخارج عن العهد ليس بمنزلة الذى لم يدخل فيه كما ان الخارج عن الدين
 ليس بمنزلة الذى لم يدخل فيه فان الذى لم يدخل فيه باق على حاله
 والذى خرج من الايمان والامان قد احدث فسادا فلا يلزم من احتمال
 الفساد الباقي المستصحب احتمال الفساد المحدث المتجدد لان الدوام اقوى
 من الابتداء • يبين ذلك ان كل اسير كان يؤذى المسلمين مع كفره فان
 النبي صلى الله عليه وسلم قتله مثل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
 ومثل ابي عزة الجمحي في المرة الثانية • وايضا • فانه اذا امتنع بطائفة
 او بدار الحرب كان ما يتوقى من ضرره متعلقا بعزه ومنعته كالحربي الاصل
 فاذا زالت المنعة باسره لم يبق منه ما يبقى الا من جهة كونه كافرا فقط
 فلا فرق بينه وبين غيره اما اذا اضر المسلمين واداهم بين ظهرانيهم او تورد عليهم
 بالامتناع مما اوجبه الذمة عليه كان ضرره بنفسه من غير طائفة تمنعه وتنصره

فيجب ازهاق نفسه التي لا عصمة لها وهي منشأ للضرر وينبوع لاذى المساحين
 الا ترى ان الممتنع ليس فيما فعله اغراء للاحاد غير ذوي المنعة بخلاف الواحد
 فان فيما فعله فتح باب الشرفان لم يعاقب فعل ذلك غيره وغيره ولا عقوبة
 لمن لا عهد له من الكفار الا السيف . وايضا فان الممتنع منهم قد امرنا بقتاله
 الى ان يعطى الجزية عن يد وهو صاغر و امرنا بقتاله حتى اذا اثناه
 فشد الوثاق فكل آية فيها ذكر القتال دخل فيها فينتظمه حكم غيره من
 الكفار الممتنعين ويجوز انشاء عقد ثان لهم واسترقاقهم ونحو ذلك اما من
 فعل جناية انتقض بها عهد . وهو في ابد يناقلم يدخل في هذه العمومات
 لانه لا يقايل وانما يقتل اذ القتال للممتنع واذا كان اخذ الجزية والمن والفداء
 انما هو لمن قوتل وهذا لم يقايل فيبقى داخل في قوله فاقتلوا المشركين غير
 داخل في آية الجزية والفداء . وايضا فان الممتنع يصير بمنزلة الحربي والحربي
 يندرج جميع شانه تحت الحراب بحيث لو اسلم لم يواخذ بضمان شئ من
 ذلك بخلاف الذي في ايدينا وذلك انه مادام تحت ايدينا في ذمتنا
 فانه لا تاويل له في ضرر المسلمين وايدائهم اما اللحاق بدار الحرب
 فقد يكون له معه شبهة في دونه يرى انه اذا تمكن من الحرب هرب
 لاسيما وبعض فقهاء ثنايبع له ذلك فاذا فعل ذلك بتاويل كان بمنزلة ما يتلفه
 اهل البغي والعدل حال القتال لاضمان فيه وما ائلفوه في غير حال الحرب
 ضمنته كل طائفة للآخرى فليس حال من تأول فيما فعله من النقض كحال من
 لم يتأول . وايضا فانما يفعله بالمسلمين من الضرر الذي ينتقض به عهده لا بدله

من عقوبة لانه لا يجوز اخلاء الجرائم التي تدعو اليها الطباع من عقوبة زاجرة وشرع
 الزواجر شاهد لذلك ثم لا يخلو اما ان تكون عقوبته من جنس عقوبة من يفعل
 ذلك من مسلم او ذمي بامرأة ذمية او دون ذلك او فوق ذلك و الاول باطل
 لانه يلزم ان يكون عقوبة المعصوم والمباح سواء ولان الذي نقض العهد يستحق
 العقوبة على كفره وعلى ما فعله من الضرر الذي نقض به العهد وانما اخرجت
 عقوبة الكفر لاجل العهد فاذا ارتفع العهد استحق العقوبة على الامرين وبهذا
 يظهر الفرق بينهما وبين من فعل ذلك وهو معصوم وبين مباح دمه لم يفعل ذلك
 لان هذه المعاصي اذا فعلها المسلم فانها منجبرة بما يلتزمه من نصر المسلمين ومنفعتهم
 وموالاتهم فلم يتحضر مضر للمسلمين لان فيه منفعة ومضرة وخيرا وشرا
 بخلاف الذمي فانه اذا اضر المسلمين تمحض ضرر الزوال العهد الذي هو
 مظنة منفعته ووجود هذه الامور المضرة واذالم يجزان يعاقب بمثل
 ما يعاقب به المسلم فان لا يعاقب بما هو دونه اولى واخرى فوجب ان يعاقب
 بما هو فوق عقوبة المسلم ثم المسلم يتحتم قتله اذا فعل مثل هذه الاشياء فتحتم
 عقوبة ناقض العهد اولى لكن يختلفان في جنس العقوبة فهذا عقوبته القتل
 فيجب ان يتحتم وذلك عقوبته تارة القتل وتارة القطع وتارة الرجم او الجلد

فصل

اذ ائلخصت هذه القاعدة فبين نقض العهد على العموم فنقول شاتم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يتعين قتله كما قد نص عليه الائمة اما على قول من يقول
 يتعين قتل كل من نقض العهد وهو في ايدينا او يتعين قتل كل من نقض العهد

بما فيه ضرر على المسلمين واذى لهم كما قد ذكرناه في مذهب الامام احمد وكما قد دل عليه كلام الشافعي الذي نقلناه او نقول يتعين قتل من نقض العهد بسب الرسول صلى الله عليه وسلم وحده كما قد ذكره القاضي ابو يعلى وغيره من اصحابنا وكما ذكره طائفة من اصحاب الشافعي وكما نص عليه عامة الذين ذكرناه في نواقض العهد وذكرنا ان الامام يتخير فيمن نقض العهد على سبيل الاجمال فانهم ذكرنا في مواضع اخر انه يقتل من غير تخيير فظاهر واما على قول من يقول ان كل ناقض للعهد فان الامام يتخير فيه كالاسير فقد ذكرنا انهم قالوا انه يستوفي منه الحقوق كالقتل والحد والتعزير لان عقد الذمة على ان تجرى احكامنا عليه وهذه احكامنا ثم اذا استوفينا منه ذلك فالامام يتخير فيه كالاسير وعلى هذا القول فيمكنهم ان يقولوا انه يقتل لان سب رسول الله صلى الله عليه وسلم موجب للقتل حدا من الحدود كما لو نقض العهد بزنا او قطع طريق فانه يقام عليه حد ذلك فيقتل ان اوجب القتل بل قد يقتل الذمي حدا من الحدود وان لم ينتقض عهده كما لو قتل ذميا آخر او زنى بدمية فانه يستوفي منه القود وحد الزنا وعهده باق ومذهب مالك يمكن ان يوجه على هذا الماخذ ان كان فيهم من يقول لم ينتقض عهده وبالجملة فالقول بان الامام يتخير في هذا انما يدل عليه كلام بعض الفقهاء او اطلاقه وكذلك القول بانه يلحق بما منه واخذ مذاهب الفقهاء من الاطلاقات من غير مراجعة لما فسروا به كلامهم وما تقتضيه اصولهم يجر الى مذاهب قبيحة فان تقرر في هذا خلاف فهو ضعيف نقلا لما قد مناه وتوجيهها لما سئل عنه والد ابل على

انه يتعين قتله ولا يجوز استرقاقه ولا المن عليه ولا المتفاداة به من طريقين
 • احدهما • ما تقدم من الادلة على وجوب قتل ناقض العهد اذا نقضه
 بما فيه ضرر على المسلمين مطلقا • الثاني • ما يخصه وهو من وجوه • احدها •
 من الآيات الدالة على وجوب قتل الطاعن في الدين • الثاني • حديث
 الرجل الذي قتل المرأة اليهودية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واهل بيته صلى الله عليه وسلم وها قد تقدم من حديث علي وابن
 عباس فلو كان سب النبي صلى الله عليه وسلم يرفع العهد فقط ولا يوجب
 القتل لكانت هذه المرأة بمنزلة كافرة اسيرة وبمنزلة كافرة دخلت الى
 دار الاسلام ولا عهد لها و معلوم انه لا يجوز قتلها وانها تصير رقيقة للمسلمين
 بالسبي وهذه المرأة المقتولة كانت رقيقة والمسلم اذا كانت له امة كافرة
 جارية لم يجزله ولا غيره قتلها لمجرد كونها جارية بل تكون ملكا لسيدها
 ترد عليه اذا اخذها المسلمون ولا نعلم بين المسلمين خلافا في ان المرأة
 لا يجوز قتلها لمجرد الكفر اذا لم تكن معاينة كما يقتل الرجل لذلك
 ولا نعلم خلافا في ان المرأة اذا ثبت في حقها حكم نقض العهد فقط
 مثل ان تكون من اهل الهدنة وقد نقضوا العهد فانه لا يجوز قتل نسائهم
 واولادهم بل يسترق النساء والاولاد وكذلك الذي اذا نقض العهد ولحق
 بدار الحرب فمن ولد له بعد نقض العهد لم يجز قتل النساء منهم والاطفال
 بل يكونون رقيقا للمسلمين وكذلك اهل الذمة اذا امتنعوا بدار الحرب
 ونحوها فمن الفقهاء من قال العهد باق في ذريتهم ونسائهم كما هو المعروف

عن الامام احمد وقال اكثرهم ينتقض العهد في الذريرة والنساء ايضاً ❖ ثم ❖
لا يختلفون ان النساء لا يقتلن واصل ذلك ان الله تبارك وتعالى يقول
في كتابه وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب
المعتدين ❖ فامر بقتال الذين يقاتلون فعلم ان شرط القتال كون المقاتل
مقاتلاً ❖ وفي الصحيحين عن ابن عمر قال وجدت امرأة مقتولة في
بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قتل النساء والصبيان ❖ وعن رباح بن ربيع انه خرج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمر رباح
واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما اصابته المقدمة
فوقفوا ينظرون اليها يعني وبتعجبون من قتلها حتى لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم على راحلته فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما كانت هذه لتقاتل فقال لاحد هم الحق خالد اقل له لا تقتلوا
ذريرة ولا عسيفارواه الامام احمد وابوداود وابن ماجه ❖ وعن ابن كعب
ابن مالك عن عمه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الى ابن ابي الحقيق
بخبير نهى عن قتل النساء والصبيان رواه الامام احمد ❖ وفي الباب احاديث
مشهورة على ان هذا من العلم العام الذي تناقلته الامة خلفا عن سلف وذلك لان
المقصود بالقتال ان تكون كلمة الله هي العليا وان يكون الدين كله لله وان
لا تكون فتنة اي لا يكون احد يفتن احدا عن دين الله فانما نقاتل من كان
يمانعا عن ذلك وهم اهل القتال فامان لا يقاتل عن ذلك فلا وجه لقتله

كالمرأة والشيخ الكبير والراهب ونحو ذلك ولاز المرأة نصير رقيقة للمسلمين
ومالا لهم في قتلها تفويت لذلك عليهم من غير حاجة واضاعة للمال لغير
حاجة نعم اذا قاتلت المرأة جاز ان تقتل بالاتفاق لوجود المعنى فيها الذي
جعل الله ورسوله عدمه مانعا من قتلها بقوله صلى الله عليه وسلم ما كانت
هذه للقتال لكن هل يجوز ان تقصد بالقتل كما يقصد الرجل او يقصد كفها
كما يقصد كف الصائل ففيه خلاف بين الفقهاء فاذا كان الحكم في المرأة مثل
ذلك وقد اهدى النبي صلى الله عليه وسلم دم امرأة ذمية لاجل سبها
مع ان قتلها لو كان حراما لانكره النبي صلى الله عليه وسلم كما انكر قتل
المرأة التي وجد هامقنولة في بعض مغازيه وان لم تكن مضمونة بدية ولا كفارة
فانه صلى الله عليه وسلم لا يسكت عن انكار المنكر بل اقراره دليل على الجواز
والاباح وقد علم ان السابية ليست بمنزلة الاسيرة الكافرة لان تلك لا يجوز
قتلها وعلم ان السب اوجب قتلها بنفسه كما يجب قتلها بالاجماع اذا قطعت
الطريق وقتلت فيه واذا زنت وكما يجب قتلها بالردة عند جماهير العلماء
فان قبل • يجوز ان يكون سبها للنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة قتلها والمرأة
اذا قاتلت وكانت معاهدة انتقض عهدها كالرجل اذا فعل ذلك ويجوز
ان تكون حينئذ بمنزلة المرأة المقاتلة اذا اسرت يتخير الامام فيها بين اربعة
اشياء كما يتخير في الرجل المقاتل اذا اسره قلنا • الجواب من وجوه
• احدها • ان هذه المرأة لم يصد ر عنها الا مجرد شتم النبي صلى الله عليه
وسلم بحضرة سيدنا المسلم ولم تحضر احدا من المشركين للقتال ولا اشارت

على الكفار برأى تعين فيه على قتال المسلمين و معلوم ان من لم يقاتل بيد
ولا اعان على القتال بلسانه لم يجزان ينسب اليه القتال بوجه من الوجوه ونحن
لا ننكر ان من لا يجوز قتله كالراهب والاعمى والشيخ الفانى والمقعد ونحوهم اذا كان
لهم رأى فى القتال وكلام يعينون به على قتال المسلمين كانوا بمنزلة المقاتلين لكن
مجرد سب المرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوم مسلمين ليس من هذا
القبيل وانما هو اذى لله ولرسوله ابلغ من القتال من بعض الوجوه فلو لم يكن
موجباً للقتل لكانت المرأة الكافرة قد قتلت لانها مقاتلة وهي لم تقاتل وذلك
غير جائز فعلم انه موجب للقتل وان لم يكن قتالا وقد يكون قتالا اذا ذكر
فى معرض الحض على قتال المسلمين واغراء الكفار بحربهم فاما فى هذه الواقعة
فلم يكن من القتال المعروف * الجواب الثانى * انا نسلم ان سب النبى صلى الله
عليه وسلم بمنزلة محاربة المسلمين ومقاتلتهم من بعض الوجوه كما كتب ابو بكر
الصدىق رضى الله عنه ان حد الانبياء ليس يشبه الحد وذمن تعاطى يعنى
سب الانبياء من مسلم فهو مرتد او معاهد فهو محارب غادر بل هو من ابلغ
انواع الحرب كما تقدم تقريره لكن الجواب نوعان احدهما ما ينقطع فسدته
بالقتل تارة وبلاسترقاق اخرى وبالمن او الفداء اخرى وهو حراب الكافر
بالقتال يدا ولسانا فان الحربى والجريئة المقاتلة اذا اسرافا سترقا انقطع عن المسلمين
ضررهما كما يزول بالقتل وكذلك لو من عليهما رجاء ان يسلما اذ ابدت
مخائل الاسلام او رجاء ان يكفعا عن الاسلام شر من خلفهما او فودى بهما فهنا
مفسدة المحاربة قد تزول بهذه الامور * والثانى * ما لا تزول مفسدته الا باقامة

الحد فيه مثل جواب المسلم او المعاهد في دار الاسلام بقطع الطريق ونحوه
 فان ذلك يتحتم اقامة الحد فيه باتفاق الفقهاء فهذه الامة التي كانت نسب
 النبي صلى الله عليه وسلم قد حاربت في دار الاسلام فان قيل تعاقب بالاسترقاق
 فهي رقيقة لا يتغير حالها وان قيل يمن عليها او يفادى بها لم يجز لوجهين
 • احدهما • انها ملك مسلم ولا يجوز اخراجها عن ملكه مع حياتها • الثاني •
 ان ذلك احسان اليها وازالة للرق عنها فلا يجوز ان يكون جزاء لسبها
 وحزائها فتعين قتلها • الجواب الثالث • ان مفسدة السب لا تزول الا
 بالقتل لانها متى استبقيت طمعت هي وغيرها في السب الذي هو من اعظم
 الفساد في الارض كقاطع الطريق سواء بخلاف المرأة المقاتلة اذا اسرت فان
 مفسدة مقاتلتها قد زالت باسرها ولا يمكنها مع استرقاقها ان تقاوم ويمكنها ان
 تظهر السب والشتم فصار سبها من جنس الجنايات التي توجب العقوبات
 لا تزول مفسدتها الا باقامة الحد فيها وعلم ان الذميمة التي تسب ليست بمنزلة
 الحرية التي تقاوم اذا اسرت بل هي بمنزلة الذميمة التي تقطع الطريق وتزني •
 ✽ الجواب الرابع ✽ ان الحديث فيه حكم وهو القتل وسبب القتل هو السب
 فيجب اضافة الحكم الى السب والاصل ايجاد الحكم فمن زعم ان السب حكم
 آخر احتاج الى دليل وقياسه على الاسيرة لا يصح لما سبق ان شاء الله تعالى
 • الجواب الخامس • انها لو كانت بمنزلة الاسيرة لكان النظر فيها للامام لا يجوز
 لاحاد الرعية تخير واحدة من الخصال الاربع فيها ومن قتلها ضمنها بقيمتها للمسلمين
 ان كانت فيئا وللغنائم ان كانت مغنا فعلم ان القتل كان واجبا فيها عينا •

يبقى ان يقال الحد ود لا يقيمها الا الامام او نائبه وجوابه من وجوه احدها
 ان السيد له ان يقيم الحد على عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اقيموا
 الحد ود على ما ملكتم ايمانكم وقوله اذازنت امة احدكم فليحد هاهنا ولا اعلم خلافا
 بين فقهاء الحديث ان له ان يقيم عليه الحد مثل حد الزنا والقذف والشرب
 ولا خلاف بين المسلمين ان له ان يعززه واختلفوا هل له ان يقيم عليه قتلا
 او قطعاً مثل قتله لردته او لسبه النبي صلى الله عليه وسلم وقطعه للسرقة
 وفيه عن الامام احمد روايتان . احدها . يجوز وهو المنصوص عن الشافعي
 . والاخرى . لا يجوز كما حد الوجهين لاصحاب الشافعي وهو قول مالك وقد
 صح عن ابن عمر انه قطع يد عبده له سرق و صح عن جفصة انها قتلت
 جارية لها اعترفت بالسحر وكان ذلك برأى ابن عمر فيكون الحديث حجة
 لمن يجوز للسيد ان يقيم الحد على عبده مطلقاً وعلى هذا القول فالسيد له ان
 يقيم الحد على عبده بعله في المنصوص عن الامام احمد وهو احدى الروايتين
 عن مالك والنبي صلى الله عليه وسلم لم يطلب من سيد الامة بيته على سبه
 بل صدقه في قوله كانت تسبك و تشتمك ففي الحديث حجة لهذا القول
 ايضاً . الوجه الثاني . ان ذلك اكثر ما فيه انه اقيمت على الامام والامام
 له ان يعفو عن اقام حد او اجبا دونه . الوجه الثالث . ان هذا وان كان
 حدا فهو قتل حربي ايضاً فصار بمنزلة قتل حربي تحتم قتله وهذا يجوز قتله
 لكل احد وعلى هذا يحمل قول ابن عمر في الراهب الذي قيل له انه يسب
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو سمعته لقتلته . الوجه الرابع . ان مثل هذا

قد وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق الذي قتله عمر
بدون إذن النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يرض بحكمه فنزل القرآن باقراره .
ومثل بشت مروان التي قتلها ذلك الرجل حتى ساء النبي صلى الله عليه
وسلم ناصرا لله ورسوله . وذلك ان من وجب قتله لمعنى يكيد به الدن
ويفسده ليس بمنزلة من قتل لاجل معصيته من زنا ونحوه . الجواب
السادس . ان الفقهاء قد اختلفوا في المرأة المقاتلة اذا اسرت هل يجوز
قتلها ومذهب الشافعي انها لا تقتل فلو كانت هذه انما قتلت لكونها قد قتلت
لم يجز ان تقتل بعد الاسر عنده فلا يصح ان يوردها السؤال على اصله .
❖ الدليل الثالث ❖ ان الساب لو صار بمنزلة الحربي فقط لكان دمه معصوما بامان
يعقده اؤذمة او هدنة ومعلوم ان شبهة الامان كحقيقته في حقن الدم والمنفر
الذين ارسلهم النبي صلى الله عليه وسلم الى كعب بن الاشرف جاؤا اليه على ان
يستسلموا منه وحادثوه وماشوه وقد آمنهم على دمه وماله وكان بينه وبينهم قبل ذلك
عهد وهو يعتقد بقاءه ثم انهم استاذنوه في ان يشموا ريح الطيب من رأسه
فاذن لهم مرة بعد اخرى وهذا كله يثبت الامان فلو لم يكن في السب الا مجرد
كونه كافرا حرييا لم يجز قتله بعد امانه اليهم وبعد ان اظهروا له انهم يؤمنون له
واستئذ انهم اياه في امسالك يد به فلم بذلك ان ايداه الله ورسوله موجب
للقتل لا يصح منه امان ولا عهد وذلك لا يكون الا فيما وجب القتل عينا
من الحدود وكحد الزنا و حد قطع الطريق و حد المرتد ونحو ذلك فان عقد
الامان لهؤلاء لا يصح ولا يصحرون مستأمنين بل يجوز اغتيالهم والفتك بهم

لتعين قتلهم فعلم ان سباب النبي صلى الله عليه وسلم كذلك • يؤيد هذا ما ذكره
 اهل المغازي من قول النبي صلى الله عليه وسلم انه لو قر كما قر غيره ما اغتيل
 ولكنه نال منا الاذى وهجانا بالشعرو لم يفعل هذا احد منكم الا كان السيف
 فان ذلك دليل على ان لاجزاء الا القتل • الدليل الرابع • قوله صلى الله
 عليه وسلم ان كان ثابتا من سب نبي قتل ومن سب اصحابه جلد • فواجب القتل
 عينا على كل سباب ولم يخير بينه وبين غيره وهذا مما يعتمد في الدلائل ان كان
 محفوظا • الدليل الخامس • ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى قتل
 ابن الاشرف لانه كان يؤذي الله ورسوله وكذا كان يامر بقتل من يسبه
 او يهجو الامن عفا عنه بعد القدرة وامره صلى الله عليه وسلم لا يجاب
 فعلم وجوب قتل الساب وان لم يجب قتل غيره من المخاريق وكذا كان
 كانت سيرته لم يعلم انه ترك قتل احد من السابين بعد القدرة عليه الامن
 تاب او كان من المنافقين وهذا يصلح ان يكون امثالا للامر بالجهاد واقامة
 الحد وذا فيكون على الايجاب يؤيد ذلك ان في ترك قتله تركا لنصر الله
 ورسوله وذلك غير جائز • الدليل السادس • اقاويل الصحابة فانها نصوص
 في تعيين قتله مثل قول عمر رضي الله عنه من سب الله او سب احدا من
 الانبياء فاقتلوه • فامر بقتله عينا ومثل قول ابن عباس رضي الله عنه ايمان معا
 عاند فسب الله او سب احدا من الانبياء او جهر به فقد نقض العهد فاقتلوه
 فامر بقتل المعاهد اذا سب عينا ومثل قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
 فيما كتب به الى المهاجر في المرأة التي سبت النبي صلى الله عليه وسلم لو لا

ما قد سبقني فيها الامر بك بقتلها لان حد الانبياء لا يشبه الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد ومعهده فهو محارب غادره قين ان الواجب كان قتلها عيناً لولا فوات ذلك ولم يجعل فيه خيرة الى الامام لاسيما والساية امرأة وذلك وحده دليل كما تقدم ومثل قول ابن عمر في الراهب الذي بلغه انه يسب النبي صلى الله عليه وسلم لو سمعته لقتله ولو كان كالاسير الذي يخبر فيه الامام لم يجز لابن عمر اختيار قتله وهذا الدليل واضح والدليل السابع ✽ ان ناقض العهد بسب النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه حاله اغلظ من حال الجري الاصلى وخروجه عما عاهدنا عليه بالظعن في الدين واذاى الله ورسوله ومثل هذا يجب ان يعاقب عقوبة يزجر امثاله عن مثل حاله والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تتقنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون فامر الله رسوله اذا صادف الناكثين للعهد في الحرب ان يشرد بهم غيرهم من الكفار بان يفعل بهم ما يفرق به اولائك وقال تعالى الاتقاتلون قومنا كثيرا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة فحضر على قتال من نكث اليمين وهم باخراج الرسول وبدؤ بنقض العهد ومعلوم ان من سب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد فعل ما هو اعظم من الهمة باخراج الرسول وبدؤنا اول مرة ثم قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايد يكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف

صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم • فلم ان تعذب هو لا •
 واخزاهم ونصر المؤمنين عليهم وشفاء صدورهم بالانتقام منهم وذهاب
 غيظ قلوبهم مما آذوهم به امر مقصود للشارع مطلوب في الدين ومعلوم ان
 هذا المقصود لا يحصل ممن سب النبي صلى الله عليه وسلم وآذى الله تعالى
 ورسوله وعباده المؤمنين الا بقتله لا يحصل بمجرد استرقاقه ولا بالمن عليه
 والمفاداة به • وكذلك ايضا تكيل غيره من الكفار الذين قد يريدون
 اظهار السب لا يحصل على سبيل التمام الا بذلك ولا يعارض هذا من تقضي
 العهد في طائفة ممتعة اذا امرنا واحدا منهم لان قتال او لئك والظهور
 عليهم يحصل هذا المقصود بخلاف من كان في ابد يناقبل السب وبعده فان
 لم يحدث فيه قتلا لم يحصل هذا المقصود • وجماع ذلك ان نقض العهد
 لا بد له من قتال او قتل اذ لا يحصل المقصود الا بذلك وهذا الوجه وان كان
 فيه عموم لكل من نقض العهد بالآذى لكن ذكرناه هنا لخصوص الدلالة
 ايضا فانها تدل عموما وخصوصا ❖ الدليل الثامن ❖ ان الذي اذا سب النبي
 صلى الله عليه وسلم فقد صدر منه فعل تضمن امرين • احدهما • انتقاض
 العهد الذي بيننا وبينه • الثاني • جنايته على عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وانتهاكه حرمة وايداء الله ورسوله والمؤمنين وطعنه في الدين وهذا
 معنى زائد على مجرد كونه كافرا قد نقض العهد • ونظير ذلك ان ينقضه
 بالزنا بمسلمة او بقطع الطريق على المسلمين وقتلهم واخذ اموالهم او بقتل
 مسلم فان فعله مع كونه نقضا للعهد قد تضمن جناية اخرى فان الزنا وقطع

الطريق والقتل من حيث هو وجناية وتفض العهد جنابة كذلك هناسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث هو وجناية منفصلة عن تفض العهد له
عقوبة تخصه في الدنيا والآخرة زائدة على مجرد عقوبة التكذيب بنبوته
والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة واعدهم عذاباً مهيناً فعلق اللعنة في الدنيا والآخرة
والعذاب المهين بنفس اذى الله ورسوله فعلم انه موجب ذلك وكذلك
قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة
الكفر انهم لا ايمان لهم لعلمهم ينتهون وقد تقدم تقريره بوضع ذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة آمن الناس الذين كانوا يقاتلونه قبل ذلك
والذين نقضوا العهد الذي كان بينه وبينهم وخانوه الا نفر منهم القيتان
اللتان كانتا تغنيان بهجائه وسارة مولاة بنى عبد المطلب التي كانت تؤذيه
بمكة فاذا كان قد امر بقتل التي كانت تهجوه من النساء مع ان قتل المرأة
لا يجوز الا اذا قاتلت وهو صلى الله عليه وسلم قد آمن جميع اهل مكة
من كان قد قاتل ونقض العهد من الرجال والنساء علم بذلك ان الهجاء
جنابة زائدة على مجرد القتال والحراب لان التفريق بين المتماثلين
لا يقع من النبي صلى الله عليه وسلم كما انه امر بقتل ابن خطل لانه كان
قد قتل مسلماً ولانه كان مرتداً ولانه كان يامر بهجائه وكل واحد
من القتل والردة والامر بهجائه جنابة زائدة على مجرد الكفر والحراب
ومما يبين ذلك انه قد كان امر بقتل من كان يؤذيه بعد فتح مكة مثل ابن

الزبيرى و كعب بن زهير و الحويرث بن ثقيد و ابن خطل و غيرهم مع
امانه لسائر اهل البلد و كذلك اهدردم ابى سفيان بن الحارث و امتنع
من ادخاله عليه و ادخال عبد الله بن امية لما كانا نايقان في عرضه و قتل
ابن ابى معيط و النضر بن الحارث دون غيرهما من الاسرى و سمى من
يبدل نفسه في قتله ناصر الله و رسوله و كان يندب الى قتل من يؤذيه
و يقول من يكفينى عدوى و كذلك اصحابه يسارعون الى قتل من آذاه
بلسانه و ان كان ابا او غيره و يندرون قتل من ظفروا به من هذا الضرب
و قد تقدم من بيان ذلك ما فيه بلاغ و من المعلوم ان هؤلاء لو كانوا بمنزلة
سائر الكفار الذين لا عهد لهم لم يقتلهم ولم يامر بقتلهم في مثل هذه الاوقات التى
آمن فيها الناس و كف عنهم هو مثلهم فلم ان السب جنابة زائدة على الكفر و قد تقدم
تقرير ذلك في المسئلة الاولى على وجهه يقطع العاقل ان نسب الرسول
صلى الله عليه وسلم جنابة لها موقع يزيد على سائر الجنابات بحيث يستحق
صاحبها من العقوبة ما لا يستحقه غيره و ان كان كافرا حريا مبالغيا محاربة
المسلمين و ان وجوب الانتصار ممن كان هذه حاله كان مؤكدا في الدين
و السعى في اهدار دمه من افضل الاعمال و اوجبها و احقها بالمسارعة اليه
و ابتغاء رضوان الله تعالى فيه و ابلغ الجهاد الذى كتبه الله على عباده و فرضه
عليهم و من تأمل الذين اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم يوم الفتح
و اشتد غضبه عليهم حتى قتل بعضهم في نفس الحرم و اعرض عن بعضهم
و انتظر قتل بعضهم وجد لهم جرائم زائدة على الكفر و الحراب من ودة

وقتل ونحو ذلك وجرم اكثرهم انما كان من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذاه بالسنتهم فاي دليل اوضح من هذا على ان سبه وهجاءه جنابة زائدة على الكفر والحراب لا يدخل في ضمن الكفر كما يدخل سائر المعاصي في ضمن الكفر وعلى ان المعاهدين اذا انقضوا العهد وفيهم من سب النبي صلى الله عليه وسلم كان للسب عقوبة زائدة على عقوبة مجرد نقض العهد ومما يدل على ان السب جنابة زائدة على كونه كفرا وحرابا وان كان متضمنا لذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يعفو عن يؤذيه من المنافقين كما تقدم بيانه وقد كان له ان يقتلهم كما تقدم ذكره في حديث ابى بكرة وغيره ولو كان السب مجرد ردة لوجب قتله كالمرند يجب قتله فلم انه قد تغلب في السب حق النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يجوز له العفو عنه * ومما يدل على ان السب جنابة مفردة ان الذمى لو سب واحدا من المسلمين او المعاهدين ونقض العهد لكان سب ذلك الرجل جنابة عليه يستحق به من العقوبة ما لا يستحقه بمجرد نقض العهد فيكون سب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سب واحد من البشر * ومما يدل على ذلك ان سباب النبي صلى الله عليه وسلم وشتمه يؤذيه شتما وهجاؤه كما يؤذيه التعرض لدمه وماله قال الله تعالى لما ذكر القبيصة ايجب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه . فجعل القبيصة التي هي كلام صحيح بمنزلة اكل لحم المغتاب ميتا فكيف بهتانه وسب النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا بهتانا . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

لعن المؤمن كقتله • وكابو ذى ذلك غيره من البشر • وإيضاً فان ذلك
يؤذى جميع المؤمنين ويؤذى الله سبحانه وتعالى ومجرد الكفر والمخاربة
لا يحصل بهما من اذاه ما يحصل بالوقعة في العرض مع المخاربة فلو قيل
ان الواقع في عرضه ممن انتقض عهده بمنزلة غيره ممن انتقض
عهده لكانت الواقعة في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم واذاه
بذلك جرم لا جزاء له من حيث خصوص النبي صلى الله عليه وسلم وخصوص
اذاه كالمقتل رجل نبياً من الانبياء فان لقتله من العقوبة ما لا يستحق على مجرد
الكفر والمخاربة وهذا كله ظاهر لا خفاء به فان دماء الانبياء واعراضهم
اجل من دماء المؤمنين واعراضهم فاذا كان دماء غيرهم واعراضهم لا تدرج
عقوبتها في عقوبة مجرد نقض العهد فان لا تندرج عقوبة دمائهم واعراضهم
في عقوبة نقض العهد بطريق الاولى • وما يوضح ذلك ان سب النبي صلى الله
عليه وسلم تعلق به عدة حقوق حق الله سبحانه من حيث كفر برسوله
وعادى افضل اوليائه وبارزه بالمخاربة ومن حيث طعن في كتابه ودينه فان
صحتها موقوفة على صحة الرسالة ومن حيث طعن في الوحيه فان الطعن في
الرسول طعن في المرسل وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وانكار كلامه
وامره وخبره وكثير من صفاته وتعلق به حق جميع المؤمنين من هذه
الامة ومن غيرها من الامم فان جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصاً صالته فان
قيام امر دنياهم ودينهم وآخرتهم به بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا
والآخرة بوساطته وسفارته فالسب له اعظم عندهم من سب انفسهم وابائهم

وإنما هم وسب جميعهم كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وأبائهم والناس
أجمعين وتعلق به حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث خصوص نفسه
فإن الإنسان تؤذ به الواقعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله وأكثر مما يؤذيه
الضرب بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه خصوصاً من يجب
عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره ليستفعا بذلك في الدنيا والآخرة
فإن هناك عرضه قد يكون أعظم عنده من قتله فإن قتله لا يقدح عند
الناس في نبوته ورسالته وعلو قدره كما أن موته لا يقدح في ذلك بخلاف
الواقعة في عرضه فإنها قد تؤثر في نفوس بعض الناس من النفرة عنه وسوء
الظن به ما يفسد عليهم إيمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة فكيف
يجوز أن يعتقد عاقل أن هذه الجناية بمنزلة ذمي كان في ديار المسلمين فلمحق
ببلاد الكفار مشوطاً لها مع أن ذلك اللحاق ليس في خصوصه حق الله
والرسوله ولا لأحد من المسلمين أكثر مما فيه أن الرجل كان معصياً بجلبنا
نخرق تلك العصمة فأنما أضرب نفسه لا بأحد من المؤمنين فعلم بذلك أن
السب فيه من الأذى لله ورسوله ولعباده المؤمنين ما ليس في الكفر والمخاربة
وهذا ظاهر أن شاء الله إذا ثبت ذلك فنقول هذه الجناية جناية السب موجبها
القتل لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من لکعب بن الأشرف فإنه قد
آذى الله ورسوله فعلم أن من آذى الله ورسوله كان حقه أن يقتل وولما
تقدم من أهدأ النبي صلى الله عليه وسلم المرأة السابية مع أنها لا تقتل لمجرد
نقض العهد ولما تقدم من أمره صلى الله عليه وسلم بقتل من كان يسبه مع

امساكه عن هو بمنزله في الدين وندبه الناس في ذلك والثناء على من
سارع في ذلك • ولما تقدم من الحديث المرفوع ومن اقوال الصحابة رضى
الله عنهم ان من سب نبيا قتل ومن سب غير نبى جلد • والذي يختص بهذا
الموضع ان نقول هذه الجناية اما ان يكون موجبا بخصوصها القتل او الجلد
او لا عقوبة لها بل يدخل عقوبتها في ضمن عقوبة الكفر والحراب وقد ابطالنا
القسم الثالث والقسم الثاني ايضا باطل لوجوه • احدها • انه لو كان الامر
كذلك لكان الذمى اذ انقض العهد بسب النبى صلى الله عليه وسلم ينبغي ان
يجلد لسب النبى صلى الله عليه وسلم لانه حق آدمى ثم يكون كالكافر الحربى
يقتل للكفر ومعلوم ان هذا خلاف ما دل عليه السنة واجماع الصحابة فانهم
اتفقوا على القتل فقط فعلم ان موجب كلا الجنائين القتل والقتل لا يمكن
تعدده وكذلك كان ينبغي ان يجلد المرتد لحق النبى صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل لردته كمرتد سب بعض المسلمين فانه يستوفى منه حق الآدمى
ثم يقتل الا ترى ان السارق يقطع لسرقته التى هي حق لله ويرد المال المسروق
اذا كان باقيا بالاتفاق ويغرم بدله ان كان تالفا عند اكثر الفقهاء ولا يدخل
حق الآدمى في حق الله مع اتحاد السب • الثاني • انه لو لم يكن موجبه القتل
وانما القتل موجب كونه ردة لم يجز للنبى صلى الله عليه وسلم العفو عنه لان
اقامة الحد على المرتد واجبة بالاتفاق لا يجوز العفو عنه فلما عفا عنه النبى
صلى الله عليه وسلم في جنابة دل على ان السب نفسه يوجب القتل حق للنبى
صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه حق الله تعالى ويكون سابه وقاذفه بمنزلة

سأب غيره وقاذفه قد اجتمع في سبه حقان حق الله وحق لآدمي فلو ان
المسبوب والمقدوف عقابن حقه لم يغدر القاذف والسأب على حق الله
بل دخل في القول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم اذا عفا عن سبه دخل
في عفوه عنه حق الله فلم يقتل لكفره كما يبرز سب غيره لمعصيته مع ان
المعصية المجردة عن حق آدمي توجب التعزير يوضح ذلك انه قد ثبت انه
كان له ان يقتل من سبه كما في حديث ابي بكر وحديث الذي امر بقتله
لما كذب عليه وحديث الشعبي في قتل الخارجي وكادت عليه احاديث
قد تقدم ذكرها وثبت له ان يعفو عنه كما دل عليه حديث ابن مسعود
وابي سعيد وجابر وغيرهم فلم ان سبه يوجب القتل كما ان سب غيره يوجب
الجلد وان تضمن سبه الكفر بالله كما تضمن سب غيره المعصية لله ويكون
الكفر والحراب نوعين احدهما حق الله خالص والثاني ما فيه حق الله وحق
لآدمي كما ان المعصية قسمان احدهما حق خالص لله والثاني حق لله
ولآدمي ويكون هذا النوع من الكفر والحراب بمنزلة غيره من الانواع
في استحقاق فاعله القتل ويفارقه في الاستيفاء فانه الى آدمي كما ان المعصية
بسب غير النبيين بمنزلة غيرها من المعاصي في استحقاق فاعلها الجلد ويفارق
غيرها في ان الاستيفاء فيها الى آدمي يوضح هذا ان الحق الواجب على
الانسان قد يكون حقاً محضاً لله وهو ما اذا كفر او عصى على وجه لا يوذى
احداً من الخلق فهذا اذا وجب فيه حد لم يجز العفو عنه بحال وقد يكون
حقاً محضاً لآدمي بمنزلة الديون التي تجب للانسان على غيره من ثمن مبيع

فاذا كان كفر المرتد قد تغلظ لكونه قد خرج عن الدين بعد ان دخل فيه فاجب القتل عينا فكفر الساب الذي آذى الله ورسوله وجميع المؤمنين من عباده اولى ان يتغلظ فيوجب القتل عينا لان مفسدة السب في انواع الكفر اعظم من مفسدة مجرد الردة • وقد اختلف الناس في قتل المرتدة وان كان المختار قتلها ونحن قد مناصوا عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في قتل السابة الذمية وغير الذمية والمرتد يستتاب من الردة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قتلوا الساب ولم يستبوه • فعلم ان كفره اغاظ فيكون تعين قتله اولى ❖ الدليل العاشر ❖ ان تطهير الارض من اظهار سب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب بحسب الامكان لانه من تمام ظهور دين الله وعلو كلمة الله وكون الدين كله لله فحيث ما ظهر سبه ولم ينتقم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهرا ولا كلمة الله عالية وهذا كما يجب تطهيرها من الزناة والسراق وقطاع الطريق بحسب الامكان بخلاف تطهيرها من اصل الكفر فانه ليس بواجب كجواز اقرار اهل الكتابين على دينهم بالذمة ملتزمين جريبان حكم الله ورسوله عليهم لا ينافي اظهار الدين وعلو الكلمة وانما يجوز مهادة الكافر وامانه عند العجز والمصلحة المرجوة في ذلك وكل جناية وجب تطهير الارض منها بحسب القدرة تعين عقوبة فاعلها العقوبة المحدودة في الشرع اذا لم يكن لها مستحق معين فوجب ان يتعين قتل هذا لانه ليس لهذه الجناية مستحق معين لانه تعين بها حق الله ورسوله وجميع المؤمنين وبهذا يظهر الفرق بين الساب وبين الكافر

لجواز اقرار ذلك على كفره مستخفياً به ملتزماً بحكم الله ورسوله بخلاف المظهر
 للسب * الدليل الحادي عشر * ان قتل سباب النبي صلى الله عليه وسلم وان
 كان قتل كافر فهو حد من الحد وليس قتلاً على مجرد الكفر والحرب
 لما تقدم من الاحاديث الدالة على انه جناية زائدة على مجرد الكفر والحاربة
 ومن ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه امرؤا فيه بالقتل عينا وليس هذا
 موجب الكفر والحاربة ولما تقدم من قول الصديق رضي الله عنه في التي
 سببت النبي صلى الله عليه وسلم ان حد الانبياء ليس يشبه الحدود * ومعلوم ان
 قتل الاسير الحربي ونحوه من الكفار والمحاربين لا يسمى حداً اولاً لان ظهور
 سبه في ديار المسلمين فساد عظيم اعظم من جرائم كثيرة فلا بد ان يشرع له حد يزجر
 عنه من يتعاطاه فان الشارع لا يهمل مثل هذه المفاصد ولا يخليها من
 الزواجر وقد ثبت ان حد القتل بالسنة والاجماع وهو حد لغير معين حي
 لان الحق فيه لله ولرسوله وهو ميت ولكل مؤمن وكل حد يكون بهذه المثابة
 فانه يتعين اقامته بالاتفاق * الدليل الثاني عشر * ان نصر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وتعزيره وتوقيره واجب وقتل سبابه مشروع كما تقدم فلو جاز
 ترك قتله لم يكن ذلك نصراً له ولا تعزيراً ولا توقيراً بل ذلك اقل نصرة لان
 الساب في ايدينا ونحن متمكنون منه فان لم نقتله مع ان قتله جائز لكان ذلك
 غاية في الخذلان وترك التعزير له والتوقيره وهذا ظاهر * واعلم ان تقرير
 هذه المسئلة له طرق متعددة غير ما ذكرناه ولم نطل الكلام هنا لان عامة
 الدلائل المذكورة في المسئلة الاولى تدل على وجوب قتله لمن تأملها فاكتمل

بما ذكرناه هناك وان كان القصد في المسئلة الاولى بيان جواز قتله مطلقاً
وهنا بيان وجوب قتله مطلقاً وقد اجبتنا هناك عن ترك النبي صلى الله عليه
وسلم قتله من اهل الكتاب والمشركين السايين وبين ان ذلك انما كان في
اول الامر حين كان ما موراً بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بقتال الذين اوتوا
الكتاب حتى يعطوا الجزية ويجهاد الكفار والمنافقين وانه كان له ان يعفو عن
سبه لان هذه الجريمة غلب فيها حقه وبعد موته لا عافي عنها والله اعلم *

❖ المسئلة الثالثة انه يقتل ولا يستتاب سواء كان مسلماً او كافراً ❖
قال الامام احمد في رواية حنبل كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم ونقصه مسلماً
كان او كافراً فعليه القتل واري ان يقتل ولا يستتاب وقال كل من نقض العهد
واحدث في الاسلام حدثاً مثل هذا رأيت عليه القتل ليس صلى هذا
اعطوا العهد والذمة وقال عبد الله سألت ابي عن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم يستتاب قال قد وجب عليه القتل ولا يستتاب خالد بن الوليد قتل
رجلاً شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستببه هذا مع نصه انه مرتد ان كان
مسلماً وانه قد نقض العهد ان كان ذمياً واطلق في سائر اجوبته انه يقتل
ولم يامر فيه باستتابة هذا مع انه لا يختلف نصه ومذهبه ان المرتد المجرم يستتاب
ثلاثاً الا ان يكون ممن ولد على الفطرة فقد روي عنه انه يقتل ولا يستتاب
والمشهور عنه استتابة جميع المرتدين واتباع في استتابة ما صح في ذلك عن
عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابي موسى وغيرهم من الصحابة رضي الله
عنهم انهم امروا باستتابة المرتد في قضايا متفرقة وقد رها عمر رضي الله عنه

❖ المسئلة الثالثة انه يقتل ولا يستتاب سواء كان مسلماً او كافراً ❖

ثلاثاً وفسر الامام احمد قول النبي صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه
بانه المقيم على التبدل الثابت عليه فاذا تاب لم يكن مبدلاً وهو راجع بقول
قد اسلمت ❦ وهل استتابه المرتد واجبة او مستحبة فيه عن الامام احمد روايتان
وكذلك الخرقى اطلق القول بان من قذف ام النبي صلى الله عليه وسلم قتل
مسليماً كان او كافراً واطلق ابو بكر انه يقتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك غيرهما مع انهم في المرتد يذكرون انه لا يقتل حتى يستتاب فان
تاب من السب بان يسلم او يعود الى الذمة ان كان كافراً او يعود الى الاسلام
ان كان مسلماً ويقطع عن السب فقال القاضي في (المجرد) وغيره من اصحابنا والردة
تحصل بمجرد الشهادتين وبالتعريض بسب الله تبارك وتعالى وبسب النبي
صلى الله عليه وسلم الا ان الامام احمد قال لا تقبل توبة من سب النبي صلى الله
عليه وسلم لان المرة تلحق النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك قال
ابن عقيل قال اصحابنا في سب النبي صلى الله عليه وسلم انه لا تقبل توبته من
ذلك لما دخل من المرة من السب على النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق
آدمي لم يعلم اسقاطه وقال القاضي في خلافه وانه ابو الحسين اذا سب
النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم تقبل توبته مسلماً كان او كافراً ويجعله
ناقضاً للعهد نص عليه احمد ❦ وذكر القاضي النصوص التي قد منها عن
الامام احمد في انه يقتل ولا يستتاب وقد وجب عليه القتل قال القاضي لان
حق النبي صلى الله عليه وسلم يتعلق به حقان حق لله وحق لآدمي
والعقوبة اذا تعلق بها حق لله وحق لآدمي لم تسقط بالتوبة كالحديث في المحاربة

فانه لو تاب قبل القدرة لم يسقط حق الآدمي من القصاص وسقط حق الله وقال ابو المواهب العكبري يجب لقذف النبي صلى الله عليه وسلم الحد المغلظ وهو القتل تاب او لم يتب ذميا كان او مسلما وكذا لك ذكر جماعات آخرون من اصحابنا انه يقتل سباب النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقبل توبته سواء كان مسلما او كافرا ومرادهم بانه لا تقبل توبته ان القتل لا يسقط عنه بالتوبة والتوبة اسم جامع للرجوع عن السب بالاسلام وبغيره فلذلك اثوابها وارادوا انه لو رجع عن السب بالاسلام او بالاقلاع عن السب والعود الى الذمة ان كان ذميا لم يسقط عنه القتل لان عامة هؤلاء لماذكروا هذه المسئلة قالوا خلا فالابي حنيفة والشافعي في قولهما ان كان مسلما يستتاب فان تاب والا قتل كالمتردد وان كان ذميا فقال ابو حنيفة لا يتنقض عهده واختلف اصحاب الشافعي فيه فعلم انهم ارادوا بالتوبة توبة المتردد وهي الاسلام ولانهم قد حكموا بان المتردد قد صرحوا بان توبة المتردد ان يرجع الى الاسلام وهذا ظاهر فيه فان كل من ارتد بقول فتوبته ان يرجع الى الاسلام ويتوب من ذلك القول واما الذمي فان توبته لها صورتان . احدها . ان يقلع عن السب ويقول لا اعود اليه وانا اعود الى الذمة والتزم موجب العهد . والثانية . ان يسلم فان اسلامه توبة من السب وكلا الصورتين تدخل في كلام هؤلاء الذين قالوا لا تقبل توبته مسلما كان او كافرا وان كانت الصورة الثانية ادخل في كلامهم من الاولى لكن اذ لم يسقط عنه القتل بتوبة هي الاسلام فان لا يسقط بتوبة هي العود الى الذمة اولى وانما كانت ادخل

لانه قد علم ان التوبة من المسلم انما هي الاسلام فكذلك من الكافر انه كره
توبة الاثنين بلفظ واحد ولان تعليلهم بكونه حق آدمي وقياسه على المحارب
دليل على انه لا يسقط بالاسلام ولانهم قد صرحوا في مواضع ياتي بعضها
ان التوبة من الكافر هنا اسلامه . وقد صرح بذلك جماعة غيرهم فقال القاضي
الشريف ابو علي بن ابي موسى في (الارشاد) وهو ممن يعتمد نقله ومن سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب ومن سبه صلى الله عليه
وسلم من اهل الذمة قتل وان اسلم . وقال ابو علي بن البناء في (الحصايل
والاقسام) له ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم وجب قتله ولا تقبل توبته
وان كان كافرا فاسلم فالصحيح من المذهب انه يقتل ايضا ولا يستتاب . قال
ومذهب مالك كذا هبنا عامة هؤلاء لم يذكروا خلافا في وجوب قتل
المسلم والكافر وانه لا يسقط بالتوبة من الاسلام وغيره وهذه طريقة
المقاضي في كتبه المتأخرة من التعليق الجديد وطريقة من وافقه وكان القاضي
في (التعليق القديم) وفي (الجامع الصغير) يقول ان المسلم يقتل ولا تقبل توبته
وفي الكافر اذا اسلم روايتان قال القاضي في الجامع الصغير الذي ضمنه مسائل
التعليق القديم ومن سب ام النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم تقبل توبته
فان كان كافرا فاسلم ففيه روايتان . احدهما . يقتل ايضا . والثانية . لا يقتل
ويستتاب قياسا على قوله في الساحر اذا كان كافرا لم يقتل وان كان مسلما قتل
وكذلك ذكر من نقل من التعليق القديم مثل الشريف ابي جعفر قال اذا
سب ام النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم تقبل توبته وفي الذي اذا سب

أم النبي صلى الله عليه وسلم روايتان * احدهما * يقتل * والاخرى * لا يقتل
 قال وبهذا التفصيل قال مالك وقال اكثرهم تقبل توبته في الحالين * لئانه
 حد وجب كقذف آدمي فلا يسقط بالتوبة كقذف غير أم النبي صلى الله
 عليه وسلم وكذلك قال أبو الخطاب في رؤس المسائل اذا قذف أم النبي
 صلى الله عليه وسلم لا تقبل التوبة منه وفي الكافر اذا سبه ثم اسلم روايتان
 وقال أبو حنيفة والشافعي تقبل توبته في الحالين * لئانه حد وجب كقذف
 آدمي فلا يسقط بالتوبة دليله قذف غير أم النبي صلى الله عليه وسلم وانما
 ذكرت عبارة هؤلاء ليتبين ان مرادهم بالتوبة هنا من الكافر الا سلام
 ويظهر ان طريقتهم بعينها هي طريقة ابن البناء في ان المسلم اذا سب لم تقبل توبته
 وان الذمي اذا سب ثم اسلم قتل ايضا في الصحيح من المذهب فان قيل فقد
 قال القاضي في خلافه * فان قيل * اليس قد قلتم لو نقض العهد بغير سب النبي
 صلى الله عليه وسلم مثل ان نقضه بمنع الجزية او قتال المسلمين او اذ يتهمة ثم
 تاب قبلتم توبته وكان الامام فيه بالخيار بين اربعة اشياء كالخربي اذا حصل
 اسير في ايدينا هلاقلتم في سب النبي صلى الله عليه وسلم اذا تاب منه كذلك
 * قيل * لان سب النبي صلى الله عليه وسلم قذف لمبت فلا يسقط بالتوبة كما
 قذف ميتا وهذا من كلامه يدل على ان التوبة غير الا سلام لانه لو نقض
 العهد بغير السب ثم اسلم لم يتخير الامام فيه * قلنا * لا فرق في التخير بين الاربعة
 قبل التوبة التي هي الافلاع وبعده عند من يقول به وانما اراد المخالف
 ان يقيس على صورة تشبه صور النزاع وهي الحكم فيه بعد التوبة اذا

كان قبل التوبة قد ثبت جواز قتله على ان توبة الذمي الناقض للعهد لها صورتان . احدهما . ان يسلم فان اسلامه توبة من الكفر ونوا بعه . والثانية . ان يرجع الى الذمة تائباً من الذنب الذي احده حتى انتقض عهده . فهذا توبة من نقض العهد فاذا تاب هذه التوبة وهو مقدور عليه جاز للامام ان يقبل توبته حيث يكون حكمه حكم الاسير كما ان الاسير اذا طلب ان تعقد له الذمة جاز ان يجاب الى ذلك فالزم المخالف القاضي على طريقته ان الناقض التائب من النقض يخبر الامام فيه فملاخيره تموه في الساب اذا تاب توبة يمكن التخيير بعدها بان يقلع عن السب ويطلب عقد الذمة له ثانياً فلذلك قيل في هذه الصورة هلاخيرا امام فيه بعد التوبة وان كان في صورة اخرى لا يمكن التخيير بعد توبة هي الاسلام وقد تقدم ذكر ذلك وقد قد منا ايضاً ان الصحيح انه لا يخير فيمن نقض العهد بما يضر المسلمين بحال وقد ظهر ان الرواية الاخرى التي حكوها في الفرق بين المسلم والكافر مخرجة من نصه على الفرق بين الساحر الكافر والساحر المسلم وذلك انه قد قال في الساحر الذمي لا يقتل ما هو عليه من الكفر اعظم . واستدل بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل لبيد بن اعصم لما سحره والساحر المسلم يقتل عنده لما جاء في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر وعثمان وابن عمر وحفصة رضي الله عنهم من الاحاديث ووجه الترجيح ان ما الكافر عليه من الشرك اعظم مما هو عليه من السب والسحر فنسبة السب والسحر اليه واحدة بخلاف المسلم فاذا قتل الساحر المسلم دون الذمي فكذلك الساب

الذي دون المسلم لكن السب ينقض العهد فيجوز قتله لاجل نقض العهد
 فاذا اسلم امتنع قتله لنقض العهد وهو لا يقتل لخصوص السب كما لا يقتل
 لخصوص السحر فيبقى دمه معصوماً وقد حكى هذه الرواية الخطابي عن
 الامام احمد نفسه فقال قال مالك بن انس من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
 من اليهود والنصارى قتل الا ان يسلم وكذلك قال احمد بن حنبل وحكى
 آخرون من اصحابنا رواية عن الامام احمد ان المسلم تقبل توبته من السب
 بان يسلم ويرجع عن السب كذلك ذكر ابو الخطاب في (الهداية) ومن
 احتذى حذوه من متأخري اصحابنا في سب الله ورسوله من المسلمين
 هل تقبل توبته ام يقتل بكل حال روايتان فقد تلخص ان اصحابنا حكموا في
 السب اذ اتاب ثلاث روايات • احدها • يقتل بكل حال وهي التي
 نصرها كلهم ودل عليها كلام الامام احمد في نفس هذه المسئلة واكثر
 محققهم لم يذكرها سواها • والثانية • تقبل توبته مطلقاً • والثالثة • تقبل
 توبة الكافر ولا تقبل توبة المسلم وثوبة الذي التي تقبل اذا قلنا بها ان
 يسلم فلما اذا اقلع وطلب عقد الذمة له ثانياً لم يعصم ذلك دمه رواية
 واحدة كما تقدم • وذكر ابو عبد الله السامري ان من سب النبي صلى الله
 عليه وسلم من المسلمين فهل تقبل توبته على روايتين قال ومن سبه من اهل الذمة
 قتل وان اسلم ذكره ابن ابي موسى فعلى ظاهر كلامه يكون الخلاف في المسلم
 دون الذي عكس الرواية التي حكاهما جماعة من الاصحاب وليس الامر
 كذلك فان ابن ابي موسى قال ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل

ولم يستتب ومن سبه من اهل الذمة قتل وان اسلم فلم يذكر خلافا في شيء من ذلك كما دل عليه المأثور عن الامام احمد وكتاب ابي عبد الله السامري تضمن نقل ابي الخطاب ونقل ابن ابي موسى كما اقتضى شرطه ان تضمنه عدة كتب صغار فلما ذكر ما حكاه ابو الخطاب من الروايتين في المسلم وما ذكره ابن ابي موسى في الذمي اذا اسلم ظهر نوع خلل والافلا ريب ان قبلنا توبة المسلم باسلامه فتوبة الذمي باسلامه اولى فان كلما يفرض في الكافر من غاظ السب فهو في المسلم وزيادة فانها يشتركان في اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويتفرد سب المسلم بانه يدل على زندقته وان سابه منافق ظهر تفاقه بخلاف الذمي فانه سب مستند الى اعتقاد وذلك الاعتقاد زال بالاسلام نعم وقد يوجه ما ذكره السامري بان يقال السب قد يكون غلطا من المسلم لا اعتقادا فاذا تاب منه قبلت ثوبته اذ هو عثرة لسان وموهاد ب او قلة علم والذمي سبه اذى محض لا ريب فيه فاذا وجب الحد عليه لم يسقط باسلامه كسائر الحدود وقد ينزع هذا الى قول من يقول ان السب لا يكون كفرا في الباطن الا ان يكون استمخلا لا وهو قول مرغوب عنه كما سيأتي ان شاء الله تعالى * واعلم ان اصحابنا ذكره الله لا تقبل ثوبته لان الامام احمد قال لا يستتاب ومن اصله ان كل من قبلت ثوبته فانه يستتاب كالمرئد ولهذا لما اختلفت الرواية عنه في الزنديق والساحر والكاهن والعراف ومن ارتد وكان مسلم الاصل هل يستتابون ام لا على روايتين . فان قلنا . لا يستتابون قتلوا بكل حال وان تابوا وقد صرح في رواية عبد الله بان من سب النبي صلى الله عليه وسلم قد وجب عليه القتل ولا يستتاب فنيين

ان القتل فد وجب وما وجب من القتل لم يسقط بحال. يؤيد هذا انه قد قال في ذمي فجر بمسامة يقتل قيل له فان اسلم قال يقتل هذا قد وجب عليه فتبين ان الاسلام لا يسقط القتل الواجب وقد ذكر في الساب انه قد وجب عليه القتل. وايضاً فانه اوجب على الزاني بمسامة بعد الاسلام القتل الذي وجب عقوبة على الزنا بمسامة حتى انه يقتله سواء كان حراً او عبداً او محصناً او غير محصن كما قد نص عليه في مواضع ولم يسقط ذلك القتل بالاسلام ويوجب عليه مجرد حد الزنا لانه ادخل على المسلمين من الضرر والمعرة ما اوجب قتله وتقض عهده فاذا اسلم لم تنزل عقوبة ذلك الاضرار عنه كما لا تنزل عنه عقوبة قطعه للطريق لو اسلم ولم يحزان يقال هو بعد الاسلام كسلم فعل ذلك يفعل به ما يفعل بالمسلم لان الاسلام يمنع ابتداء العقوبة ولا يمنع دوا مهالان الدوام اقوى كما لو قتل ذمي ذمياً ثم اسلم قتل ولو قتله وهو مسلم لم يقتل ولهذا ينتقض عهد الذمي باشياء مثل الزنا بالمسامة وان لم يكن محصناً وقتل اى مسلم كان والتجسس للكفار وقتال المسلمين واللحاق بدار الحرب وان كان المسلم لا يقتل بهذه الاشياء على الاطلاق فاذا اوجب قتل الذمي بها عيناً ثم اسلم كان كالمو وجب قتله بذمي ثم اسلم اذ لا فرق بين ان يجب عليه حد لا يجب على المسلم فيسلم او يجب عليه قصاص لا يجب على المسلم فيسلم فان القصاص في انذاره بالاسلام كالحد وهو يسقط بالشبهة فكما يمنع الاسلام ابتداءه دون دوامه فكذلك العقوبات الواجبة على المعاهد وهذا ينبغي على قولنا يتعين قتل الذمي اذا فعل هذه الاشياء.

وان لخصوص هذه الجنايات اثر في قتله وراء كونه كافرا غير ذي عهد و يقتضى ان قتله حد من الحد ودالتى تجب على اهل دار الاسلام من مسلم و معاهد ليس بمنزلة رجل من اهل دار الحرب اخذ اسيرا اذ ذاك المقصود بقتله تطهير دار الاسلام من فساد هذه الجنايات و حسم مادة جناية المعاهد ين و اذا كان قد نص على ان لا تزول عنه عقوبة ما ادخله على المسلمين من الضرر في زناه بالمسلمة فان لا تزول عنه عقوبة اضراره بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او لى لان ما يلحق المسلمين من المصرة في دينهم بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما يلحق بالزنا بمسلمة اذا اقيم على الزانى الحد و نصه هذا يدل على ان الذى اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم او سبه ثم اسلم قتل بذلك و لم يقيم عليه مجرد حد قذف واحد من الناس و هو ثمانون اوسب واحد من الناس و هو التعزير كما انه لم يوجب على من زنى بمسلمة اذا اسلم حد الزنا و انما اوجب القتل الذى كان واجبا و على الرواية الاخرى التى خرجها القاضى في كتبه القديمة و من اتبعه فان الذى يستتاب من السب فان تاب و الا قتل و كذلك يستتاب المسلم على الرواية التى ذكر ابو الخطاب وغيره كما يستتاب الزنديق و الساحر و لم اجد للاستتابة في كلام الامام احمد اصلا فاما استتابة المسلم فظاهره كما استتابة من ارتد بكلام تكلم به و اما استتابة الذى فان يدعى الى الاسلام فاما استتابة بالعود الى الذمة فلا يكفي على المذهب لان قتله متعين فاما على الوجه المضطرب الذى يقال فيه ان الامام يخبر فيه فيشرع استتابة بالعود الى الذمة لان اقراره بها جائز بعد هذا لكن لا تجب هذه الاستتابة رواية

واحدة وان اوجبت الاستتابة بالاسلام على احدى الروايتين واما على الرواية التي ذكرها الخطابي فانه اذا اسلم الذمي سقط عنه القتل مع انه لا يستتاب كالاسير الحربي وغيره من الكفار يقتلون قبل الاستتابة ولو اسلموا سقط عنهم القتل وهذا الوجه من قول من يقول بالاستتابة فان الذمي اذا تقضى العهد جاز قتله لكونه كافرا محاربا وهذا لا يجب استتابة بالانفاق اللهم الا ان يكون على قول من يوجب دعوة كل كافر قبل قتاله فاذا اسلم جاز ان يقال عصم دمه كالحربي الا صلى بخلاف المسلم فانه اذا قبلت توبته فانه يستتاب ومع هذا فمن قبل توبته فقد يجوز استتابة كما يجوز استتابة الاسير لانه من جنس دعاء الكافر الى الاسلام قبل قتله لكن لا يجب لكن المنصوص عن اصحاب هذا القول انه لا يقال له اسلم ولا تسلم لكن اذا اسلم سقط عنه القتل فيلخص من ذلك انها لا يستتابان في المنصوص المشهور فان تابا لم تقبل توبتهما في المشهور ايضا وحكى عنه في الذمي انه اذا اسلم سقط عنه القتل وان لم يستتب وحكى عنه ان المسلم يستتاب وتقبل توبته وخرج عنه في الذمي انه يساب وهو بعيد واعلم انه لا فرق بين سبه بالقذف وغيره كما نص عليه الامام احمد وعامة اصحابه وعامة العلماء وفرق الشيخ ابو محمد المقدسي رحمه الله بين القذف والسب فذكر الروايتين في المسلم وفي الكافر في القذف ثم قال وكذا لك سبه بغير القذف الا ان سبه بغير القذف يسقط بالاسلام لان سب الله تعالى يسقط بالاسلام فسب النبي صلى الله عليه وسلم اولى وسباني ان شاء الله تعالى تحرير ذلك اذا ذكر بانواع السب فهذا المذهب الامام احمد

• واما مذهب مالك رضي الله عنه فقال مالك في رواية ابن القاسم ومطرف
 ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القاسم من سبه او شتمه
 او عابه او تنقصه فانه يقتل كالزنديق • ويقال ابو مصعب وابن ابي اويس سمعنا
 مالكا يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل
 مسلما كان او كافرا ولا يستتاب • وكذا قال محمد بن عبد الحكم اخبرنا
 اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
 مسلما كان او كافرا قتل ولم يستتب قال وروى لنا مالك الا ان يسلم
 الكافر قال اشهب عنه من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر
 قتل ولم يستتب • فهذه نصوصه نحو من نصوص الامام احمد والمشهور من
 مذهبه انه لا تقبل توبة المسلم اذا سب النبي صلى الله عليه وسلم وحكمه
 حكم الزنديق • يقتل عندهم ولا كفرا اذا اظهر التوبة من السب
 وروى للوليد بن مسلم عن مالك انه جعل سب النبي صلى الله عليه وسلم
 ردة قال اصحابه فلي هذا يستتاب فان تاب نكل وان ابي قتل ويحكم له
 بحكم المرتد واما الذي اذا سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فهل يدبر
 عنه الاسلام القتل على روايتين ذكرهما القاضي عبد الوهاب وغيره احدهما
 يسقط عنه قال مالك في رواية جماعة منهم ابن القاسم من شتم نبينا من اهل
 الذمة او احدا من الانبياء قتل الا ان يسلم وفي رواية لا يقال له اسلم ولا
 لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة • وفي رواية مطرف عنه من سب
 النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين او احدا من الانبياء او اتقصه قتل وكذلك

من فعل ذلك من اليهود والنصارى قتل ولا يستتاب الا ان يسلم قبل القتل
قال ابن حبيب وسمعت ابن الماجشون يقول له وقال لي ابن عبد الحكم وقال لي
اصبغ عن ابن القاسم فعلى هذه الرواية قال ابن القاسم قال مالك ان شتم النصراني
النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة
ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمد قوله عندي ان اسلم طائعا وعلى هذا
فاذا اسلم بعد ان يؤخذ وثبت عليه السب ويعلم انهم يريدون قتله ان لم يسلم
لا يسقط عنه القتل لانه مكره في هذه الحال والرواية الثانية لا يد راعنه
اسلامه القتل قال محمد بن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد
لا يسقط عن الذمي باسلامه وانما تسقط عنه باسلامه جدود الله فاما حد
القذف فحد للعباد كان ذلك من نبي او غيره واما مذهب الشافعي رضي الله عنه
فلم في سب النبي صلى الله عليه وسلم وجهان واحد هما هو كالمتردد اذا تاب
يسقط عنه القتل وهذا قول جماعة منهم وهو الذي يحكيه اصحاب الخلاف
عن مذهب الشافعي والثاني ان جد من سبه القتل فكما لا يسقط حد
القذف بالتوبة لا يسقط القتل الواجب بسب النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة
قالوا ذكر ذلك ابو بكر الفارسي وادعى فيه الاجماع ووافقه الشيخ ابو بكر
القفال وقال الصيدلاني قولنا ثلثا هو ان الساب بالقذف مثلا يستوجب
القتل للردة لا للسب فان تاب زال القتل الذي هو موجب للردة وجلد
ثمانين لا تمذف وعلى هذا الوجه لو كان السب غير قذف عزر بحسبه ثم منهم
من ذكر هذا الخلاف في المسام اذا سب ثم اسلم ولم يتعرض للكلام في الذمي

اذا سب ثم اسلم . ومنهم من ذكر الخلاف في الذمي كالخلاف في المسلم اذا
 جدد الاسلام بعد السب . ومنهم من ذكر في الذمي اذا سب ثم اسلم انه
 يسقط عنه القتل وهو الذي حكاها اصحاب الخلاف عن مذهب الشافعي وعليه يدل
 عموم كلام الشافعي في موضع من (الام) فانه قال بعد ان ذكر نواقض العهد و ذكر فيها
 سب النبي صلى الله عليه وسلم و ايهم قال او فعل شيئا مما وصفته نقضا للعهد و اسلم
 لم يقتل اذا كان ذلك قولاً و كذلك اذا كان فعلاً لم يقتل الا ان يكون
 في دين المسلم ان من فعله قتل حدا او قصاصاً فيقتل بمحدا او قصاص
 لا نقض عهد وان فعل مما وصفنا و شرط انه نقض لعهد الذمة فلم يسلم
 ولكنه قال اتوب و اعطى الجزية كما كت اعطيها او على صلح اجدده .
 عوقب و لم يقتل الا ان يكون فعل فعلاً يوجب القصاص او القود
 فاما ما دون هذا من الفعل او القول فكل قول فيعاقب عليه و لا يقتل قال
 فان فعل او قال مما وصفنا و شرط انه يحل دمه فظفرنا عليه فامتنع من ان
 يقول اسلم او اعطى الجزية قتل و اخذ ماله فيثا فقد ذكر ان من نقض العهد
 فانه تقبل ثوبته اما بان يسلم او بان يعود الى الذمة . و ذكر الخطابي قال قال
 مالك بن انس من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود و النصارى قتل الا
 ان يسلم و كذلك قال احمد بن حنبل . و قال الشافعي يقتل الذمي اذا سب
 النبي صلى الله عليه وسلم و تبرأ منه الذمة و احتج في ذلك بخبر كعب بن
 الاشرف و ظاهر هذا القتل و الاستدلال يقتضي ان لا يكف عنه اذا ظهر
 التوبة لانه لم يحك عنه شيئا و لان ابن الاشرف كان مظهر للذمة مجيباً الى

فصل في بيان استتابة المسلم وقبول توبته من سب النبي صلى الله عليه وسلم

أظهار التوبة لو قبلت منه والكلام في فصلين **أحدهما** في استتابة المسلم وقبول توبته من سب النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا المشهور عن مالك وأحمد أنه لا يستتاب ولا تسقط القتل عنه توبته وهو قول الليث بن سعد وذكر القاضي عياض أنه المشهور من قول السلف وجمهور العلماء وهو أحد الوجهين لأصحاب الشافعي وحكي مالك وأحمد أنه تقبل توبته وهو قول الإمام أبي حنيفة وأصحابه وهو المشهور من مذهب الإمام الشافعي بناء على قبول توبته المرتد فتكلم أولا في قبول توبته والذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين أنه تقبل توبته المرتد في الجملة وروى عن الحسن البصري أنه يقتل وإن أسلم جعله كالزاني والسارق وذكر عن أهل الظاهر نحو ذلك أن توبته تنفعه عند الله ولكن لا يدرأ القتل عنه: وروى عن أحمد أن من ولد في الإسلام قتل ومن كان مشركا فأسلم استيب: وكذلك روى عن عطاء وهو قول إسحاق بن راهويه والمشهور عن عطاء وأحمد الاستتابة مطلقا وهو الصواب: ووجه عدم قبول التوبة قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه ورواه البخاري ولم يستثن ما إذا تاب وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بأحدى ثلاث الشب الزاني والنفس بالنفس والمارك لدينه المفارق للجماعة متفق عليه: فإذا كان القاتل والزاني لا يسقط عنها القتل بالتوبة فكذلك المارك لدينه المفارق للجماعة: وعن حكيم بن جماعة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه ورواه الإمام

احمد ولانه لا يقتل لمجرد الكف والمخاربة لانه لو كان كذ لك لما قتل المترهب
والشيخ الكبير والاعمى والمقعّد والمرأة ونحوهم فلما قتل هؤلاء علم ان الردة
حد من الحدود والحدود لا تسقط بالتوبة والصواب ما عليه الجماعة لان الله
سبحانه وتعالى قال في كتابه كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين الى قوله
تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فاخبرانه
غفور رحيم لمن تاب بعد الردة وذلك يقتضى مغفرته له في الدنيا
والآخرة ومن هذا حاله لم يعاقب بالقتل بين ذلك ما رواه الامام احمد قال
حدثنا علي بن عاصم عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس ان
رجلا من الانصار ارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين فانزل الله تعالى
كيف يهدى الله قوما كفروا الى آخر الآية فبعث بها قومه اليه فرجع
تائباً قبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه وخلي عنه ورواه النسائي من
حديث داود مثله وقال الامام احمد ثنا علي بن خالد عن عكرمة بمعناه
وقال والله ما كذبني قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كذب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الله والله اصدق الثلاثة فرجع تائباً
فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه وخلي عنه وقال ثنا حجاج عن
ابن جريج حدثنا عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله تعالى كيف
يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق في ابي
عامر بن النعمان ووحوح بن الاسلم والحارث بن سويد بن الصامت

في اثني عشر رجلاً رجوعاً عن الإسلام ولحقوا بقريش ثم كتبوا إلى
 أهلهم هل لنا من توبة فنزلت إلا الذين تابوا من بعد ذلك في الحارث بن
 سويد بن الصامت وقال ثعالب الرزاق أنا جعفر عن حميد عن مجاهد قال
 جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحارث
 فرجع إلى قومه فأنزل الله فيه القرآن كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
 إيمانهم إلى قوله غفور رحيم قال فحملها إليه رجل من قومه فقراً ها عليه
 فقال الحارث والله أنك ما علمت لصديق وإن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لا صدق منك وإن الله لا صدق الثلاثة قال فرجع الحارث
 فأسلم فحسن إسلامه وكذلك ذكر غير واحد من أهل العلم أنها نزلت
 في الحارث بن سويد وجماعة ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة
 كهيئة البدء ولحقوا بمكة كفاراً فأنزل الله فيهم هذه الآية فندم الحارث
 وأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي توبة
 ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله
 غفور رحيم فحملها إليه رجل من قومه فقراً ها عليه فقال الحارث أنك
 والله ما علمت لصديق وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدق منك
 وإن الله عز وجل لا صدق الثلاثة فرجع الحارث إلى المدينة وأسلم
 وحسن إسلامه فهذا رجل قد ارتد ولم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم
 بعد عودته إلى الإسلام ولأن الله تعالى قال في أخباره عن المنافقين أبالله وآياته
 ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نenf عن

طائفة منكم تعذب طائفة. فدل على ان الكافر بعد ايمانه قد يعفى عنه وقد يعذب
وانما يعفى عنه اذا تاب فعلم ان توبته مقبولة. وذكر اهل التفسير انهم كانوا
جماعة وان الذي تاب منهم رجل واحد يقال له مخشى بن حمير وقال
بعضهم كان قد انكر عليهم بعض ما سمع ولم يما لهم عليه وجعل يسير مجازاة لهم
فلما نزلت هذه الآيات برئ من نقاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تفرعيني
تقشر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم فاجعل وفاتي قتلا في نسيلك
وذكروا القصة. وفي الاستدلال بهذا انظر. ولانه قال تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الى قوله يخلقون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان يتوبوا اليك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا
اليماني الا نيا والآخره وما لهم في الارض من ولي ولا نصير. وذلك دليل
على قبول توبة من كفر بعد اسلامه وانهم لا يعذبون في الدنيا ولا في الآخرة
عذابا باليما بفهوم الشرط ومن جهة التعليل ولسياق الكلام والقتل عذاب
اليم. فعلم ان من تاب منهم لم يعذب بالقتل ولان الله سبحانه قال من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا
على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين. اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون. لاجرم انهم في الآخرة
هم الخاسرون. ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا

و صبروا ان ربك من بعد هالغفور رحيم • فيبين ان الذنوب هاجروا الى دار الاسلام بعد ان فتوا عن دينهم بالكفر بعد الاسلام وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم ويرحمهم ومن غفر له ذنبه مطلقا لم يعاقبه في الدنيا ولا في الآخرة وقال سفیان بن عیینة عن عمرو بن دينار عن عكرمة خرج ناس من المسلمين يعني من المهاجرين فادركهم المشركون ففتنهم فاعطوهم الفتنة فنزلت فيهم ومن الناس من يقول آمنة بالله فاذا اودى في الله جعل فتنة الناس ككذاب الله الآية ونزل فيهم من كفر بالله من بعد ايمانه الآية • ثم انهم خرجوا حرة اخرى فانقلبوا حتى اتوا المدينة فانزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا الى آخر الآية • ولانه سبحانه قل ومن يرتدد منكم عن دينه فميت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة • فعلم ان من لم يميت وهو كافر من المرتدين لا يكون خالدا في النار • وذلك دليل على قبول التوبة وصحة الاسلام فلا يكون تاركا له منه فلا يقتل ولعموم قوله تعالى فاذا انسأخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم • فان هذا الخطاب عام في قتال كل مشرك وتولية سبيله اذا تاب من شركه واقام الصلاة وآتى الزكاة سواء كان مشركا اصليا او مشركا مرتدا • وايضا فان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان قد ارتد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولحق بمكة واقترى على الله ورسوله ثم انه بعد ذلك بايعه النبي صلى الله عليه وسلم وحقق دمه وكذلك الحارث بن سويد وكذلك جماعة من اهل مكة اسلموا ثم ارتدوا ثم عادوا الى الاسلام فحقت

دماؤهم وقصص هؤلاء وغيرهم مشهورة عند اهل العلم بالحديث والسيرة
وايضاً فالاجماع من الصحابة رضي الله عنهم على ذلك فان النبي صلى الله عليه
وسلم لما توفي ارتد اكثر العرب الا اهل مكة والمد ينتهوا لطائف واتباع قوم
من تنبأ لهم مثل مسيلمة والنسي وطلحة الاسدي فقاتلهم الصديق وسائر
الصحابة رضي الله عنهم حتى رجع اكثرهم الى الاسلام فاقروهم على ذلك
ولم يقتلوا واحداً من رجع الى الاسلام ومن رؤس من كان قد ارتد ورجع طليحة
الاسدي المتبي والاشعث بن قيس وخلق كثير لا يحصون والعلم بذلك
ظاهر لا خفاء به على احد وهذه الرواية عن الحسن فيها نظر فان مثل هذا
لا يخفى عليه ولعله اراد نوعاً من الردة كظهور الزندقة ونحوها او قال
ذلك في المرتد الذي ولد مسلماً ونحو ذلك مما قد شاع فيه الخلاف ولما قوله
صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه فنقول بموجبه فانما يكون مبدلاً
اذا دام على ذلك واستمر عليه فاما اذا رجع الى الدين الحق فليس بمبدل
وكذلك اذا رجع الى المسلمين فليس بتارك لدينه مفارق للجماعة بل هو
متمسك بدينه ملازم للجماعة وهذا بخلاف القتل والزنا فانه فعل صدر عنه
لا يمكن دوامه عليه بحيث اذا تركه يقال انه ليس بزازن ولا قاتل فمضى وجد
منه ثواب حده عليه وان عزم على ان لا يعود اليه لان العزم على ترك العود
لا يقطع مفسدة ماضية من الفعل على ان قوله التارك له فيه المفارق للجماعة
قد يفسر بالمخارب قاطع الطريق كذلك رواه ابو داود في سننه مفسراً عن
عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ

مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمد ارسل الله الاباحدي ثلاث رجل
زنى بعد احصان فانه يرجم ورجل خرج محارباً لله ورسوله فانه يقتل او يصلب
او ينفى من الارض او يقتل نفساً فيقتل بها * فهذا المستثنى هو المذكور في
قوله التارك لدينه المفارق للجماعة ولهذا وصفه بفراق الجماعة وانما يكون
هذا بالمحاربة ويؤيد ذلك ان الحديثين تضمننا انه لا يحل دم من يشهد ان
لا اله الا الله وان محمد ارسل الله والمرتب لم يدخل في هذا العموم فلا حاجة
الى استثنائه وعلى هذا فيكون ترك دينه عبارة عن خروجه عن موجب
الدين ويفرق بين ترك الدين وتبديله او يكون المراد به من ارتد وحارب
كالعريين ومقيس بن صبابه ممن ارتد وقتل واخذ المال فان هذا يقتل بكل
حال ان تاب بعد القدرة عليه ولهذا والله اعلم استثنى هؤلاء الثلاثة الذين
يقتلون بكل حال وان اظهروا التوبة بعد القدرة ولو كان اريد
المرتد المجرد لما احتج الى قوله المفارق للجماعة فان مجرد الخروج من
الدين يوجب القتل وان لم يفارق جماعة الناس فهذا وجه يحتمله
الحديث وهو والله اعلم مقصود هذا الحديث * واما قوله لا يقبل الله توبة
عبد اشرك بعد اسلامه فقد رواه ابن ماجة من هذا الوجه ولفظه لا يقبل الله
من مشرك اشرك بعد اسلامه عملاً حتى يفارق المشركين الى المسلمين * وهذا دليل
على قبول اسلامه اذ ارجع الى المسلمين وبيان ان معنى الحديث ان توبته
لا تقبل مادام مقيماً في ظهر اني المشركين مكثراً السواد هم كحال الذين قتلوا
بيد رومناه ان من اظهر الاسلام ثم قتن عن دينه حتى ارتد فانه لا تقبل

توبته وعمله حتى يهاجر الى المسلمين وفي مثل هو لا . نزل قوله تعالى ان
الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم الآية وايضاً فان ترك الدين وتبديله
وفراق الجماعة يدوم ويستمر لانه تابع للاعتقاد والاعتقاد دائم فتمنى قطعه
وتركه عاد كما كان ولم يبق لما مضى حكم اصلا ولا فيه فساد ولا يجوز ان
يطلق عليه القول بانه مبدل للدين ولا لانه نارك لانه كما يطلق على الزاني
والقاتل بان هذا زان وقاتل فان الكافر بعد اسلامه لا يجوز ان يسمى كافرا
عند الاطلاق ولان تبدل الدين وتركه في كونه موجبا للقتل بمنزلة الكفر
الاصلى والحراب في كونها كذلك فاذا كان زوال الكفر بالاسلام اوزوال
المحاربة بالعهد يقطع حكم الكفر فكذلك زوال تبدل الدين وتركه بالعود
الى الدين واخذه يقطع حكم ذلك التبدل والترك .

فصل

لذا اتقرر ذلك فان الذى عليه جماهير اهل العلم ان المرتد يستتاب ومذهب
مالك واحمد انه يستتاب ويؤجل بعد الاستتابة ثلاثة ايام وهل ذلك
واجب او مستحب على روايتين عنهما اشهرهما عنهما ان الاستتابة واجبة وهذا
قول اسحاق بن راهويه . وكذلك مذهب الشافعي هل الاستتابة واجبة
او مستحبة على قولين لكن عنده في احد القولين يستتاب فان تاب في الحال
والا قتل وهو قول ابن المنذر والمزني وفي القول الآخر يستتاب كمذهب
مالك واحمد . وقال الزهري وابن القاسم في رواية يستتاب ثلاث مرات
ومذهب ابى حنيفة انه يستتاب ايضا فان لم يتب والا قتل والمشهور

فصل في ان الاستتابة للمرتد واجبة او مستحبة او غير ذلك

عندهم ان الاستتابة مستحبة وذكر الطحاوي عنهم لا يقتل المرتد حتى يستتاب
وعندهم يعرض عليه الاسلام فان اسلم والاقتل مكانه الا ان يطلب ان يؤجل
فانه يؤجل ثلاثة ايام * وقال الثوري يؤجل ما رجيت توبته وكذا لك معنى
قول النخعي * وذهب عبيد بن عمير وطاوس الى انه يقتل ولا يستتاب لانه
صلى الله عليه وسلم امر بقتل المبدل دينه والتارك لدينه المفارق للجماعة
ولم يأمر باستتابته كما امر الله سبحانه بقتال المشركين من غير استتابة مع انهم
لو تابوا لكفنا عنهم * يؤيد ذلك ان المرتد اغلظ كفرا من الكافر الاصل فاذا
جاز قتل الاسير الحربي من غير استتابة فقتل المرتد اولى * وسر ذلك ان الانبياء
قتل كافر حتى نستتبه بان يكون قد بلغه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم
الى الاسلام فان قتل من لم يبلغه الدعوة غير جائز والمرتد قد بلغه الدعوة
فجاز قتله كالكافر الاصل الذي بلغته وهذا هو علة من رأى الاستتابة مستحبة
فان الكفار يستحب ان ندعوهم الى الاسلام عند كل حرب وان كانت
الدعوة قد بلغتهم فكذلك المرتد ولا يجب ذلك فيها * نعم لو فرض
المرتد من يخفى عليه جواز الرجوع الى الاسلام فان الاستتابة هنا لا بد منها
ويدل على ذلك ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى يوم فتح مكة
دم عبد الله بن سعد بن ابي سرح ودم مقيس بن صبابه ودم عبد الله بن
خطل وكانوا مرتدين ولم يستبهم بل قتل ذاك الرجلان وتوقف صلى الله
عليه وسلم عن مبايعة ابن ابي سرح لعل بعض المسلمين يقتله فعلم ان قتل
المرتد جائز ما لم يسلم وانه لا يستتاب * وايضا فان النبي صلى الله عليه وسلم

عاقب العرتين الذين كانوا في اللقاح ثم ارتدوا عن الاسلام بما اوجب موتهم
ولم يستشهدوا لانه فعل شيئاً من الاسباب المبيحة للدم فقتل قبل استتابته
كالكافر الاصلى وكالزاني وكقاطع الطريق ونحوهم فان كل هؤلاء من قبلت
توبته ومن لم تقبل يقتل قبل الاستتابة ولان المرتد لو امتنع بان يلحق بدار
الحرب او بان يكون المرتد ون ذوى شوكة يمتنعون بها عن حكم الاسلام
فانه يقتل قبل الاستتابة بلا تردد فكذلك اذا كان في ايدينا * وحجة من
راى الاستتابة املا واجبة او مستحبة قوله سبحانه وتعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * امر الله رسوله ان يخرج جميع الذين كفروا
انهم ان انتهوا غفر لهم ما سلف وهذا معنى الاستتابة والمرتد من الذين
كفروا والامر للوجوب * فلم * ان استتابة المرتد واجبة ولا يقال فقد
بلغهم عموم الدعوة الى الاسلام لان هذا الكفر اخص من ذلك الكفر
فانه يوجب قتل كل من فعله ولا يجوز استبقاؤه وهو لم يستتب من هذا
الكفر * وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم بعث بالتوبة الى الحارث بن
سويد ومن كان قد ارتد معه الى مكة كما قدمناه بعد ان كانت قد نزلت
فيهم آية التوبة فيكون استتابته مشروعة ثم ان هذا الفعل منه خرج امثالاً
للامر بالدعوة الى الاسلام والابلاغ لدينه فيكون واجباً * وعن جابر
رضي الله عنه ان امرأَةً يقال لها ام مروان ارتدت عن الاسلام فامر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يعرض عليها الاسلام فان رجعت والا قتلت *
وعن عائشة رضي الله عنها قالت ارتدت امرأة يوم احد فامر النبي صلى الله

عليه وسلم ان تستتاب فان تابت والا قتلت رواها الدارقطني . وهذا
ان صح امر بالاستتابة والامر للوجوب والعمدة فيه اجماع الصحابة عن
محمد بن عبد الله بن عبد القاري قال قدم علي عمر بن الخطاب رجل من
قبل ابي موسى الاشعري فسأله عن الناس فاخبره ثم قال هل من مغربة
خبر قال نعم رجل كفر بعد اسلامه قال فما فعلتم به قال قربناه فضررنا عنقه
قال عمر فملا حبسهم ثلاثا واطعمهم يوم رغيوا واستبتموه لعله يتوب
ويرجع الى امر الله اللهم اني لم احضر ولم امر ولم ارض اذ بلغني رواه مالك
والشافعي واحمد وقال اذهب الى حديث عمرو وهذا يدل على ان
الاستتابة واجبة والالم يقل عمر لم ارض اذ بلغني . وعن انس بن مالك
قال لما افتنحنا تستر بعثني الاشعري الى عمر بن الخطاب فلما قدمت عليه قال
ما فعل البكريون قال فلما رأيتك لا يبقاع قلت يا امير المؤمنين ما فعلوا انهم قتلوا
والحقوا بالشركين اريدوا عن الاسلام قاتلوا مع المشركين حتى قتلوا قال
فقال لان اكون اخذتهم سلما كان احب الي مما علي وجه الارض من صفراء
او بيضاء وقال فقلت وما كان سيلهم لو اخذتهم سلما قال كنت اعرض
عليهم الباب الذي خرجوا منه فان ابوا استودعهم الحبس . وعن عبد الله
ابن عتبة قال اخذ ابن مسعود قوما ارتدوا عن الاسلام من اهل العراق
قال فكتب فيهم الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فكتب اليه ان اعرض
عليهم دين الحق وشهادة ان لا اله الا الله فان قبلوا نخل عنهم وان
لم يقبلوا فاقتلهم فقبلها بعضهم فتركه ولم يقبلها بعضهم فقتله . رواها الامام

احمد بسند صحيح . وعن العلاء ابى محمد ان عليا رضى الله تعالى عنه اخذ رجلا من بنى بكر بن وائل قد تنصر فاستتابه شهرا فابى فقدمه ليضرب عنقه فنادى بالبكر فقال علي اما انك واجده امامك في النار رواه الحلال وصاحبه ابوبكر . وعن ابى موسى انه اتى برجل قد ارتد عن الاسلام فدعاه عشرين ليلة او قريبا منها فجاء معاذ فدعاه فابي فضرب عنقه رواه ابوداود . وروى من وجه آخر ان اباموسى استتابه شهرا ذكره الامام احمد . وعن رجل عن ابن عمر قال يستتاب المرتد ثلاثا رواه الامام احمد . وعن ابى وائل عن ابى معين السعدى قال مرت في السحر بمسجد بنى حنيقة وهم يقولون ان مسيلة رسول الله فائيت عبد الله فاخبرته فبعث الشرط فجاءوا بهم فاستتابهم فتابوا فغلى سيولهم وضرب عنق عبد الله ابن النواحة فقالوا احدث قوم في امر فقتلت بعضهم وتركتم بعضهم فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم اليه هذا وابل ابن اثل فقال اتشهد ان انى رسول الله فقالوا اتشهد ان انى مسيلة رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بالله ورسوله ولو كنت قاتلا وفدا لقتلتكما قال فلذلك قتلته رواه عبد الله بن احمد باسناد صحيح . فهذه اقوال الصحابة في قضايا متعددة لم ينكرها منكر فصارت اجماعا والفرق بين هذا وبين الكافر الاصل من وجوه . احدها ان توبة هذا اقرب لان المطلوب منه اعادة الاسلام والمطلوب من ذلك ابتداءه والاعادة اسهل من الابتداء فاذا اسقط عنا استتابة الكافر لصعوبتها لم يلزم سقوط استتابة المرتد

الكافر الاصل
الفرق بين المرتد وبين الكافر الاصل

٠ الثاني . ان هذا يجب قتله عينا وان لم يكن من اهل القتال وذاك لا يجوز
ان يقتل الا ان يكون من اهل القتال ويجوز استبقاؤه بالامان والهدنة
والذمة والارفاق والمن والفداء فاذا كان حده اغلظ فلم يقدم عليه
الابعد الا عذار اليه بالاستتابة بخلاف من يكون جزاؤه دون هذا
٠ الثالث . ان الاصل قد بلغت الدعوة وهي استتابة عامة من كل كفر واما هذا
فانما نستتبه من التبديل وترك الدين الذي كان عليه ونحن لم نصرح له
بالاستتابة من هذا ولا بالدعوة الى الرجوع ❀ واما ابن ابي سرح وابن
خطل ومقيس بن صبابه فانه كانت لهم جرائم زائدة على الردة وكذلك
العرنيون فان اكثر هؤلاء قتلوا مع الردة واخذوا الاموال فصاروا قطاع
الطريق محاربين ورسوله وفيهم من كان يؤذي بلسانه اذى صار به من
جنس المحاربين فلذلك لم يستتابوا على ان تمتنع لا يستتاب واما يستتاب المقدور
عليه ولعل بعض هؤلاء قد استتب فنكل ❀

❀ فصل ❀

ذكرنا حكم المرتد اسطراد الان الكلام في الساب متعلق به تعلقا شديدا
فمن قال ان ساب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين يستتاب قال انه
نوع من الكفر فان من سب الرسول اوجحد نبوته او كذب بآية من
كتاب الله او تهود او تنصر ونحو ذلك كل هؤلاء قد بدلوا دينهم وتركوه
وفارقوا الجماعة فيستتابون وتقبل توبتهم كغيرهم ❀ بهو يد ذلك ان في كتاب
ابي بكر رضي الله عنه الى المهاجر في المرأة السابة ان حد الانبياء ليس يشبه

❀ فصل في متعلقات احكام المرتد ❀

الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو محرم وقد اومعاهد فهو محارب غادر
وعن ابن عباس رضى الله عنه ايما مسلم سب الله او سب احدا من الانبياء
فقد كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب منها فان رجع
والا قتل والا عصى الذي كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم كان
ينهاها فلا تنهى ويزجرها فلا تنزجر فقتلها بعد ذلك فان كانت مسلمة فلم
يقتلها حتى استتابها وان كانت ذمية وقد استتابها فاستتابه المسلم اولى وايضا
فاما ان يقتل الساب لكونه كفر بعد اسلامه او لخصوص السب والثاني
لا يجوز لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان
لا اله الا الله الا باحدى ثلاث كفر بعد اسلام او زنا بعد احصان
او قتل نفس فيقتل بها وقد صح ذلك عنه من وجوه متعددة وهذا الرجل
لم يزن ولم يقتل فان لم يكن قتله لاجل الكفر بعد الاسلام امتنع قتله فثبت
انه انما يقتل لانه كفر بعد اسلامه وكل من كفر بعد اسلامه فان توبته تقبل
لقوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية ولما تقدم من الادلة الدالة على قبول توبة
المرتد وايضا فعموم قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينشروا يغفر لهم
ما قد سلف وقوله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله والاسلام يهدم
ما كان قبله رواه مسلم يوجب ان من اسلم غفر له كل ما مضى وايضا
فان المناقين الذين نزل فيهم قوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون
هو اذن قل اذن خير لكم الى قوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وقد قيل فيهم

ان نغف عن طائفة منكم نغذب طائفة مع ان هو لاء قد آذوه بالسنتهم
و بايد بهم ايضاً ثم العفومر جولم وانما يرجى الصفومع التوبة فعلم ان
توبتهم مقبولة ومن عفى عنه لم يعذب في الدنيا ولا في الآخرة . وايضاً فقوله
سبحانه جاهد الكفار والمنافقين الى قوله فان يتوبوا بك خيرا لهم وان يتولوا
يعذبهم الله عذاباً اليماً الآية فانها تدل على ان المنافق اذا كفر بعد اسلامه
ثم تاب لم يعذب عذاباً اليماً في الدنيا ولا في الآخرة والقتل عذاب اليماً
فعلم انه لا يقتل . وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في
رجال من المنافقين اطاع احد هم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال علام
نشتني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فخلعوا بالله ما قالوا شيئاً فانزل الله
هذه الآية . وعن الضحاك قال خرج المنافقون مع النبي صلى الله عليه وسلم
الى تبوك فكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فخلعوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا شيئاً من ذلك فانزل الله هذه الآية
اكذبوا بالهم . وايضاً فلا ريب ان توبتهم فيما بينهم وبين الله وان تضمنت
التوبة من حقوق الآدميين لوجه . احدها . انه قد قيل كفارة الغيبة
الاستغفار لمن استغيبه وقد ذهب كثير من العلماء او اكثرهم الى مثل ذلك
فجاز ان يكون قد اتى به من الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم الموجب
لانواع الثناء عليه والتعظيم له موجبا لما ناله من عرضه . الثاني . ان حق

الانبياء تابع لحق الله وانما عظمت الواقعة في اعراضهم لما ينضمن ذلك من الكفر والواقعة في دين الله وكتابه ورسالاته فاذا تبعت حق الله في الوجوب تبعته في السقوط لئلا يكون اعظم منه و معلوم ان الكافر تصح توبته من حقوق الله فكذلك من حقوق الانبياء المتعلقة بنبوتهم بخلاف التوبة من الحقوق التي يجب للناس بعضهم على بعض . الثالث . ان الرسول قد علم منه انه يدعوا للناس به واتباعه ويخبرهم ان من فعل ذلك فقد غفر له كل ما اسلفه في كفره فيكون قد عفا لمن قد اسلم عما ناله من عرضه ويهذه الوجوه يظهر الفرق بين سب الرسول وبين سب واحد من الناس فانه اذا سب واحد من الناس لم يأت بعد سبه ما يناقض موجب السب وسبه حق آدمي محض لم يعف عنه والمقتضي للسب هو موجود بعد التوبة والاسلام كما كان موجودا قبلها ان لم يزجر عنه بالحد وهناك الداعي اليه الكفر وقد زال بالايان واذا ثبت ان توبته و ايمانه مقبول منه فيما بينه وبين الله فاذا اظهرها وجب ان يقبلها منه لما روى ابو سعيد في حديث ذي الخويصرة التميمي الذي اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم في القسمة فقال خالد ابن الوليد يا رسول الله الا اضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون يصلي قال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اومر ان اتعب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم رواه مسلم * وقال لاسامة في الرجل الذي قتله بعد ان قال لا اله الا الله كيف قتله بعد ان قال لا اله الا الله قال انما قالها بعد ما قال فهاشقت عن قلبه . وكذا في

حديث المقداد نحو هذا وفي ذلك نزل قوله تعالى ولا تقولوا لمن اتى
اليكم السلام لست مؤمناً تبغون عرض الحياة الدنيا ولا خلاف بين المسلمين
ان الحربي اذا اسلم عند رؤية السيف هو مطلق او مقيد بصح اسلامه وتقبل
توبته من الكفر وان كانت دلالة الحال تقتضي ان باطنه خلاف ظاهره
وايضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من المنافقين علانيتهم
ويكل سرائرهم الى الله مع اخبار الله له انهم اتخذوا ايمانهم جنة وانهم يخلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا فعلم ان
من اظهر الاسلام والتوبة من الكفر قبل ذلك منه فهذا قول هو لا
وسبأني ان شاء الله تعالى الاستدلال على تعيين قتله من غير استتابة
والجواب عن هذه الحجج -

❖ الفصل الثاني ❖

في ان الذمي اذا سبه ثم تاب وقد ذكرنا فيه ثلاثة اقوال - احدها -
يقتل بكل حال وهو المشهور من مذهب الامام احمد ومذهب الامام مالك اذا
تاب بعد اخذه وهو وجه لاصحاب الشافعي - الثاني - يقتل الا ان يتوب
بالاسلام وهو ظاهر الرواية الاخرى عن مالك واحمد - والثالث -
يقتل الا ان يتوب بالاسلام او بالعود الى الذمة كما كان وعليه يدل ظاهر
عموم كلام الشافعي الا ان يتأول وعلى هذا فانه يعاقب اذا عاد الى الذمة
ولا يقتل فمن قال ان القتل يسقط عنه بالاسلام فانه يستدل بمثل ما ذكرناه
في المسلم فانه كله يدل على ان الكافر ايضاً اذا اسلم سقط عنه موجب السب

❖ فصل في ان الذمي اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم تاب ❖

ويدل على ذلك أيضاً ان الصحابة ذكروا انه اذا فعل ذلك فهو غادر محارب وانه ناقض للعهد و معلوم ان من حارب و نقض العهد اذا اسلم عصم دمه و ماله و قد كان كثير من المشركين مثل ابن الزبير و كعب بن زهير و ابي سفيان بن الحارث و غيرهم يهجون النبي صلى الله عليه وسلم بانواع الهجاء ثم اسلموا فعصم الاسلام دماهم و اموالهم و هو لاء و ان كانوا محاربين لم يكونوا من اهل العهد فهو د لبل على ان حقوق الادميين التي يستحلها الكافر اذا فعلها ثم اسلم سقطت عنه كما سقطت حقوق الله و لهذا اجمع المسلمون اجماعاً مستنده كتاب الله و سنة نبيه الظاهرة ان الكافر الحربي اذا اسلم لم يؤخذ بما كان اصابه من المسلمين من دم او مال او عرض و الذمي اذا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه معتقد حل ذلك و عقد الذمة لم يوجب عليه تحريم ذلك فاذا اسلم لم يؤخذ به بخلاف ما يصيبه من دماء المسلمين و اموالهم و اعراضهم فان عقد الذمة يوجب تحريم ذلك عليه منا كما يوجب تحريم ذلك علينا الكف عن سب دينهم و الطعن فيه فهذا اقرب ما يتوجه به الاستدلال بقصص هؤلاء و ان كان الاستدلال به خطاءً و ايضاً فان الذمي امان يقتل اذا سب لكفره او حرا به كما يقتل الحربي الساب او يقتل حداً من الحد و كما يقتل لزنائه بذمته و قطع الطريق على ذمي و الثاني باطل فتعين الاول و ذلك لان السب من حيث هو سب ليس فيه اكثر من انتهاك العرض و هذا القدر لا يوجب الا الجلد بل لا يوجب على الذمي شيئاً لا اعتقاده حل ذلك نعم انما صولح على الكف عنه

والامساك فتمت اظهر السب زال العهد فصار حرياً أولاً لان كون السب موجباً للقتل
حد احكم شرعى فيفتقر الى دليل ولا دليل على ذلك اذا اكثر ما يذكر من
الادلة انما يفيد انه يقتل وذلك متروك بين كون القتل لكفره وحرابه او لخصوص
السب ولا يجوز اثبات الاحكام بمجرد الاستحسان والاستصلاح فان ذلك
شرع للدين بالرأى وذلك حرام كقوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله * والقياس في المسئلة متعذر لوجهين (احدهما)
ان كثيراً من النظر يمنع جريان القياس في الاسباب والشروط والموانع
لان ذلك يفتقر الى معرفة نوع الحكمة وقد رهاو ذلك متعذر لان ذلك
يخرج السب عن ان يكون سباً وشرط القياس بقاء حكم الاصل ولانه
ليس في الجنايات الموجبة للقتل حداً ما يمكن إلحاق السب بها لاختلافها
نوعاً وقد رאו اشتراكها في عموم المفسدة لا يوجب إلحاق بالاتفاق
وكون هذه المفسدة مثل هذه المفسدة يفتقر الى دليل والا كان شرعاً
بالرأى ووضعاً للدين بالمعقول وذلك انحلال عن معاهد الدين وانسلاخ
عن روابط الشريعة وانخلاع من ربق الاسلام وسياسة للخلق بالآراء
الملكية والانحاء العقلية وذلك حرام بلا ريب فثبت انه انما يقتل لاجل
كفره وحرابه ومعلوم ان الاسلام يسقط القتل الثابت للكفر والحراب
بالاتفاق . وايضاً فالذى لو كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيما بينه
وبين الله تعالى ويقول فيه ما عسى ان يقول من القبايح ثم اسلم واعتقد نبوته
ورسلته لمحا ذلك عنه جميع تلك السيئات ولا يجوز ان يقال ان النبي

صلى الله عليه وسلم يطالبه بموجب سبه في الدنيا ولا في الآخرة ومن قال
ذلك علم انه مبطل في مقالته للعلم بان الكافرين يقولون في الرسول شر
المقالات واشنعها وقد اخبر الله تعالى عنهم في القرآن بعضها مثل قولهم
ساحر وكاهن ومجنون ومفترو قول اليهود في مريم بهتاناً عظيماً ونسبتها
الى الفاحشة وان المسيح لغير رشدة وهذا هو القذف الصريح ثم لو اسلم
اليهودى واقر بنبوته المسيح وانه عبد الله ورسوله وانه بريء مما رمته اليهود
لم يبق للمسيح عليه تبعة ونحن نعتقد ان من الكفار من يعتقد نبوة نبينا
الى الامين * ومنهم من يعتقد نبوته مطلقا لكن الف الدين وعاداته واغراض
اخر تمنع الدخول في الاسلام * ومنهم المعرض عن ذلك الذي لا ينظر
اليه ولا يفكر فهو لاء قد يسبونه * ومنهم من يعتقد فيه العقيدة الردية ويكف
عن سبه وشتمه او يسبه ويشتمه بما يعتقد فيه مما يكفر به ولا يظهر ذلك
ومنهم من يظهر ذلك عند المسلمين * ومنهم من يسبه بما لم يكفر به مما يكون
سباً للنبي صلى الله عليه وسلم وغير النبي كالقذف ونحوه واذا اسلم الكافر
غفر لهم جميع ذلك ولم يجزى في كتاب ولا سنة ان الكافر اذا اسلم يبقى عليه
تبعة من التبعات بل الكتاب والسنة دليلان على ان الاسلام يجب ما قبله مطلقا
واذا كان اثم السب مغفورا له لم يجز ان يعاقب عليه بعد الاسلام * وايضا
فلو سب الله سبحانه ثم اسلم لم يؤخذ بموجب ذلك وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له
ذلك اما شتمه اباى فقله انى اتخذت ولدا وانا الاحد الصمد * ثم لو تاب

النصراني ونحوه من شتم الله سبحانه لم يعاقب على ذلك في الدنيا ولا في الآخرة بالاتفاق قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم فالا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم فسب النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون اعظم من سب الله فانه انما عظم وصار موجبا للقتل لكون حقه تابعا لحق الله فاذا اسقط المتبوع بالاسلام فالتابع اولى وبهذا يظهر الفرق بين سب الانبياء وسب غيرهم من المؤمنين فان سب الواحد من الناس لا يختلف بين ما قبل الاسلام وما بعده والا ذى والغضاضة التي يلحق المسبوب قبل اسلام الساب وبعده سواء بخلاف سب النبي صلى الله عليه وسلم فانه قد زال موجهه بالاسلام وتبدل بالتعزير له والتوقير والثناء عليه والمدح له كما تبدل السب لله بالايمان به وتوحيده وتقديسه وتحميده وعبادته يوضح ذلك ان الرسول له نعت البشرية ونعت الرسالة كما قال سبحانه ربي هل كنت الا بشرا رسولا فمن حيث هو بشر له احكام البشر ومن حيث هو رسول قد ميزه الله سبحانه وفضله بما خصه به فسه موجب للعقوبة من حيث هو بشر كغيره من المؤمنين وموجب العقوبة من حيث هو رسول بما خصه الله به لكن انما اوجب القتل من حيث هو رسول فقط لان السب المتعلق بالبشرية لا يوجب قتلا وسبه من حيث هو رسول حق له فقط فاذا اسلم الساب انقطع حكم السب المتعلق برسالة كما انقطع حكم السب المتعلق بالمرسل فسقط انقتل الذي هو موجب ذلك السب ويبقى

حق بشريته من هذا السب وحق البشرية انما يوجب جلد ثمانين فمن قال انه
يجلد لقذفه بعد اسلامه ويعزر راسبه لغير القذف قال ان الاسلام يسقط
حق الله وحق الرسالة ويبقى حق خصوص الآدمية كغيره من الآدميين
فيوءدب سابه كما يوءدب ساب جميع الموءمنين بعد اسلامه ومن قال
انه لا يعاقب بشيء قال هذا الحق اندرج في حق النبوة وانعمري في حق
الرسالة فان الجريمة الواحدة اذا اوجبت القتل لم توجب معه عقوبة اخرى
عند اكثر الفقهاء ولهذا اندرج حق الله المتعلق بالقتل والقذف في حق
الآدمي فاذا عفى للجاني عن القصاص وحدهم القذف لم يعاقب على ما انتهكه
من الجريمة كذلك اندرج هنا حق البشرية في حق الرسالة وفي هذين
الاصليين المقيس عليهما خلاف بين الفقهاء فان مذهب مالك ان القاتل يعززه
الامام اذا عفا عنه ولى الدم وعند ابي حنيفة ان حد القذف لا يسقط
بالعفو وكذا تردد من قال ان القتل يسقط بالاسلام هل يؤدب حد الموت عزيرا
على خصوص القذف والسب ومن قال هذا القول قل لا يستدل عليهما بان
الصحابه قتلوا سابه او امروا بقتل سابه او ارادوا قتل سابه من غير استتابة
فان للذمي اذا سبه لا يستتاب بلا تردد فانه يقتل لكفره الاصل كما يقتل
الاسير الحربي ومثل ذلك لا يستتاب كاستتابة المرتد اجماعا لكن لو اسلم
عصم دمه كذلك يقول فبين شتمه من اهل الذمة فانه يقتل ولا يستتاب كانه حربي
اذى المسلمين وقد اسرناه فانا نقتله فان اسلم سقط عنه القتل وكذلك
اكثر نصوص مالك واجهد وغيرهما انما هي انه يقتل ولا يستتاب وهذا لا تردد

فيه اذا سبه الذمي ومن قال ان الذمي يستتاب فقد يقول انه قد لا يعلم انه
 اذا اسلم سقط عنه القتل فيستتاب كما يستتاب المرتد واولى فان قتل الكفار
 قبل الاعذار اليهم ونبليغهم رسالات الله غير جائز ومن لم يستبه قال هذا
 هو القياس لما جاء في الكتب في قتل كل كافر اصلي اسير وقد ثبت ثبوتنا لا يمكن دفعه
 ان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدون كانوا يقتلون كثيرا من الاسرى
 من غير عرض الاسلام عليهم وان كانوا ناقضين للعهد وذلك في قصة قريظة
 وخير ظاهري لا يختلف فيه اثنان من اهل العلم بالسيرة فان النبي صلى الله عليه
 وسلم اخذهم اسرى بعد ان نقضوا العهد وضرب رقابهم من غير ان يعرض
 عليهم الاسلام وقد امر بقتل ابن الاشرف من غير عرض الاسلام عليه
 وانما قتله لانه كان يوذى الله ورسوله وقد نقض العهد ومن قال اذا قاب
 بالعود الى الذمة قبلت توبته او خير الامام فيه قال انه في هذه الحال بمنزلة
 جربي قد بذل الجزية عن يد وهو صاغر فيجب الكف عنه * واعلم ان
 هنا معنى لا بد من التنبيه عليه وهو ان الاسير الجربي الاصل لو اسلم فان اسلامه
 لا يزيل عنه حكم الاسر بل اما يصير رقيقا للمسلمين بمنزلة النسياء والصبيان
 كاحد القولين في مذهب الشافعي واحمد او بخير الامام فيه بين الثلاثة
 غير القتل على القول الآخر في المذهبين والدليل على ذلك ما رواه
 مسلم في صحيحه عن عمران بن حصين قال كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل
 فاسرت ثقيف رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسير اصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل واصابوا معه العضباء فاتي عليه

صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق فقال يا محمد فاته فقال ماشانك فقال بما
 اخذتني واخذت سابقة الحاج يعني العضاء فقال اخذتك بجريرة حلفائك
 من ثقيف ثم انصرف عنه فناداه يا محمد يا محمد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رحيمًا رقيقًا فرجع اليه فقال ماشانك قال اني مسلم قال لو قلتها وانت تملك
 امرك افلحت كل الفلاح ثم انصرف فناداه يا محمد يا محمد فاته فقال ماشانك
 فقال اني جائع فاطعمني وظآن فاستقنى قال هذه حاجتك فقدي بالرجلين
 فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا اسلم بعد الاسر لم يفلح كل الفلاح كما اذا
 اسلم قبل الاسر وان ذلك الاسلام لا يوجب اطلاقه وكذلك العباس بن
 عبد المطلب رضي الله عنه اظهر الاسلام بعد الاسر بل اخبر انه قد اسلم قبل
 ذلك فلم يطلقه النبي صلى الله عليه وسلم حتى فدي نفسه والقياس يقتضي
 ذلك فانه لو اسلم رقيق للمسلمين لم يمنع ذلك دوام رقه فكذلك اسلام
 الاسير لا يمنع دوام اسره لانه نوع رقي ومجوز للاسترقاق كما ان اسلامه
 لا يوجب ان يرد عليه ما اخذ من ماله قبل الاسلام فاذا كان هذا حال من
 اسلم بعد ان اسر ممن هو حربي الاصل فهذا الناقض للعهد حاله اشد بلاريب
 فاذا اسلم بعد ان تقضى العهد وهو في ايدينا لم يجوز ان يقال انه يطلق بل حيث
 قلنا قد عصم دمه فاما ان يصير رقيقا وللإمام ان يبيعه بعد ذلك وثمنه لبيت المال
 او انه يتخير فيه وهذا قياس قول من يجوز استرقاق ناقض العهد ومن لم يجوز
 استرقاقهم فانه يجعل هذا بمنزلة المرتد ويقول اذا عاد الى الاسلام لم يسترق
 ولم يقتل ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو اسلمت وانت تملك امرك لا فلتحت

فيه اذا سبه الذمي ومن قال ان الذمي يستتاب فقد يقول انه قد لا يعلم انه
اذا اسلم سقط عنه القتل فيستتاب كما يستتاب المرتد واولي فان قتل الكفار
قبل الاعذار اليهم ونبليغهم رسالات الله غير جائز ومن لم يستتبه قال هذا
هو القياس لما جاء في الكتب في قتل كل كافر اصلي اسير وقد ثبت ثبوتاً لا يمكن دفعه
ان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدون كانوا يقتلون كثيراً من الاسرى
من غير عرض الاسلام عليهم وان كانوا ناقضين للعهد وذلك في قصة قريظة
وخير ظاهري لا يختلف فيه اثنان من اهل العلم بالسيرة فان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذهم اسرى بعد ان تقضوا العهد وضرب رقابهم من غير ان يعرض
عليهم الاسلام وقد امر بقتل ابن الاشرف من غير عرض الاسلام عليه
وانما قتله لانه كان يوذى الله ورسوله وقد نقض العهد ومن قال اذا قاب
بالعود الى الذمة قبلت توبته او خير الامام فيه قال انه في هذه الحال بمنزلة
جربي قد بذل الجزية عن يد وهو صاغر فيجب الكف عنه * واعلم ان
هنا معنى لا بد من التنبيه عليه وهو ان الاسير الجربي الاصل لو اسلم فان اسلامه
لا يزيل عنه حكم الاسر بل اما يصير رقيقاً للمسلمين بمنزلة النسياء والصبيان
كاحد القولين في مذهب الشافعي واحمد او يخير الامام فيه بين الثلاثة
غير القتل على القول الآخر في المذهبين والدليل على ذلك ما رواه
مسلم في صحيحه عن عمران بن حصين قال كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل
فاسرت ثقيف رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسراهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني عقيل واصابوا معه العضباء فأتى عليه

صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق فقال يا محمد فاته فقال ماشانك فقال بما
 اخذتني واخذت سابقه الحاج يعني العضباء فقال اخذتك بجريرة حلفائك
 من ثقيف ثم انصرف عنه فناده يا محمد يا محمد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رحيمًا رقيقًا فرجع اليه فقال ماشانك قال اني مسلم قال لو قلتها وانت تملك
 امرك افلحت كل الفلاح ثم انصرف فناده يا محمد يا محمد فاته فقال ماشانك
 فقال اني جائع فاطعمني وظمان فاسقني قال هذه حاجتك فقدي بالر جلين
 فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا اسلم بعد الاسر لم يفلح كل الفلاح كما اذا
 اسلم قبل الاسر وان ذلك الاسلام لا يوجب اطلاقه وكذلك العباس بن
 عبد المطلب رضي الله عنه اظهر الاسلام بعد الاسر بل اخبر انه قد اسلم قبل
 ذلك فام يطلقه النبي صلى الله عليه وسلم حتى فدي نفسه والقياس يقتضي
 ذلك فانه لو اسلم رقيق للمسلمين لم يمنع ذلك دوام رقه فكذلك اسلام
 الاسير لا يمنع دوام اسره لانه نوع رقي ومجوز للاسترقاق كما ان اسلامه
 لا يوجب ان يرد عليه ما اخذ من ماله قبل الاسلام فاذا كان هذا حال من
 اسلم بعد ان اسر ممن هو حربي الاصل فهذا الناقض للعهد حاله اشد بل اريب
 فاذا اسلم بعد ان تقضى العهد وهو في ايدينا لم يجوز ان يقال انه يطلق بل حيث
 قلنا قد عصم دمه فاما ان يصير رقيقا وللإمام ان يبيعه بعد ذلك وثمنه لبيت المال
 او انه يتخير فيه وهذا قياس قول من يجوز استرقاق ناقض العهد ومن لم يجوز
 استرقاقهم فانه يجعل هذا بمنزلة المرتد ويقول اذا عاد الى الاسلام لم يسترق
 ولم يقتل ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو اسلمت وانت تملك امرك لا فلتحت

كل الفلاح دليل على ان من اسلم ولا يملك امره لم يكن حاله كحال من اسلم وهو مالك امره فلا تجوز التسوية بينهما بحال وفي هذا ايضا دليل على انه اذا بذل الجزية لم يجب اطلاقه فانه اذا لم يجب اطلاقه بالاسلام فيبذل الجزية اولى لكن ليس في الحديث ما ينفي استرقاقه .

﴿ فصل ﴾

والدليل على ان المسلم يقتل من غير استتابة وان اظهر التوبة بعد اخذه كما هو مذهب الجمهور قوله سبحانه ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا . وقد تقدم ان هذا يقتضي قتله ويقتضي تحم قتلهم وان تاب بعد الاخذ لانه سبحانه ذكر الذين يوذون الله ورسوله والذين يوذون المؤمنين والمؤمنات فاذا كانت عقوبة اولئك لا تسقط اذا تابوا بعد الاخذ فعقوبة هؤلاء اولى واخرى لان عقوبة كليهما على الاذى الذي قاله بلسانه لا على مجرد كفره هو باق عليه . وايضا . فانه قال لئن لم ينته المنافقون الى قوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقيلا وهو يقتضي ان من لم ينته فانه يؤخذ ويقتل فعلم ان الانتهاء العاصم ما كان قبل الاخذ . وايضا . فانه جعل ذلك تفسير اللعن فعلم ان الملعون متى اخذ قتل اذا لم يكن انتهى قبل الاخذ وهذا ملعون قد خل في الآية . يؤيد ذلك ما قد مناه عن ابن عباس انه قال في قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات للغافلات الموءمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولم عذاب عظيم . قال هذه في شان عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ليس فيها توبة ثم قرأ

﴿ فصل في ان المسلم اذا سب يقتل من غير استتابة وان اظهر التوبة ﴾

والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء الى قوله ان الذنب تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة قال فهم رجل
ان يقوم فيقبل رأسه من حسن مفسر فهذا ابن عباس قد بين ان من لعن
هذه اللعنة لا توبة له واللعنة الاخرى ابلغ منها يقرره ان قاذف امهات
المؤمنين انما استحق هذه اللعنة على قوله لاجل النبي صلى الله عليه وسلم فعلم
ان موديه لا توبة له وايضا قوله سبحانه انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله ويسعون في الارض فساد الآيات وهذا الساب محارب لله ورسوله
كما تقدم تعزيره من انه محاد لله ورسوله وان المحاد لله ورسوله مشاق لله
ورسوله محارب لله ورسوله ولان المحارب ضد المسالم والمسالم الذي تسلم
منه ويسلم منك ومن آذاه لم يسلم منه فليس بمسالم فهو محارب وقد تقدم
من غير وجه ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه عدوا له ومن عاداه فقد
حاربه وهو من اعظم الساعين في الارض بالفساد قال الله تعالى في صفة
المنافقين واذ قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم
هم المفسدون ولكن لا يشعرون وكل ما في القرآن من ذكر الفساد كقوله
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقوله واذ اتولى سعى في الارض ليفسد
فيها الى قوله والله لا يحب الفساد وغير ذلك فان السب داخل فيه فانه اصل
لكل فساد في الارض اذ هو افساد للنبوة التي هي عماد صلاح الدين والدنيا
والآخرة واذ كان هذا الساب محاربا لله ورسوله ساعيا في الارض بفساد
وجب ان يعاقب باحدى العقوبات المذكورة في الآية الا ان يتوب

قبل القدرة عليه وقد قدمنا الادلة على ان عقوبته متعينة بالقتل كعقوبة من
 قتل في قطع الطريق فيجب ان يقام ذلك عليه الا ان يتوب قبل القدرة
 وهذا الساب الذي قامت عليه البينة ثم ثاب بعد ذلك انما ثاب بعد القدرة
 فلا تسقط العقوبة عنه ولهذا كان الكافر الحربي اذا اسلم بعد الاخذ لم تسقط
 عنه العقوبة مطلقا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للعقيلي لو قلتها وانت تملك
 امرك افلحت كل الفلاح بل يعاقب بالاسترقاق او بجواز الاسترقاق وغيره
 لكن هذا امر تد محارب فلم يكن استرقاقه كالمرنين اذا المحاربة باللسان
 كالمحاربة باليد فتعين عقوبته بالقتال * وايضا فسنه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دلت من غير وجه على قتل الساب من غير استتابة فانه امر بقتل
 الذي كذب عليه من غير استتابة وقد ذكرنا ان ذلك يقتضي قتل الساب
 سواء اجرينا الحديث على ظاهره او حملناه على من كذب عليه كذا يثبته
 وكذلك في حديث الشعبي انه امر بقتل الذي طعن عليه في قسم مال
 الغزي من غير استتابة وفي حديث ابي بكر لما استاذنه ابو برزة ان يقتل الرجل
 الذي شتمه من غير استتابة قال انها لم تكن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فعلم انه كان له قتل من شتمه من غير استتابة وعمر رضي الله عنه قتل
 الذي لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم من غير استتابة اصلا فنزل القرآن
 باقراره على ذلك وهو من ادنى انواع الاستخفاف به فكيف باعلاها
 وايضا فان عبد الله بن سعد بن ابي سرح لما طعن عليه واقتري افتراء عابه
 به بعد ان اسلم اهدر دمه وامتنع عن مبايعته * وقد تقدم تقرير الدلالة

منه على ان الساب يقتل وان اسلم وذكرنا انه كان قد جاءه مسلماتا باقدا سلم
 قبل ان يمضي اليه كما روينا عن غير واحد او قد جاءه يريد الاسلام وقد علم النبي
 صلى الله عليه وسلم انه قد جاءه يريد الاسلام ثم كف عنه انتظارا ان يقوم اليه رجل
 فيقتله وهذا نص في ان مثل هذا المرتد الطاعن لا يجب قبول توبته بل
 يجوز قتله وان جاء تائباً وان تاب وقد قررنا هذا فيما مضى وهنامن وجوه
 اخرى ان الذي عصم دمه غفور رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه لا مجرد
 اسلامه وان بالاسلام والتوبة انمحي الاثم وبغفو النبي صلى الله عليه وسلم
 احتقن الدم والعفو بطل بموته صلى الله عليه وسلم وليس للامة ان يغفوا
 عن حقه وامتناعه من بيعته حتى يقوم اليه بعض القوم فيقتله نص في جواز
 قتله وان جاء تائباً * واما عصمة دمه بعد ذلك فليس دليلاً على ان نعصم
 دم من سب و ثاب بعد ان قدرنا عليه لا ناقد بينا من غير وجه ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قد كان يغفو عن سبه ممن لا خلاف بين الامة في وجوب قتله
 اذ ا فعل ذلك وتعذر غفو النبي صلى الله عليه وسلم عنه * وقد ذكرنا ايضاً
 ان حديث عبد الله بن خطل يدل على قتل الساب لانه كان مسلماً فاراد
 وكان يهجو فقتل من غير استتابة * وايضاً فمات قدم من حديث انس
 المرفوع واثرا بن بكر في قتل من آذاه في ازواجه وشراريه من غير استتابة
 وما ذاك الا لاجل انه من نوع الاذى وكذلك حرمة الله ومعلوم ان
 السب اشد اذى منه بدليل ان السب يحرم منه ومن غيره ونكاح الازواج
 لا يحرم الا منه صلى الله عليه وسلم وانما ذاك في تحريم ما يؤذيه ووجوب

قتل من يؤذيه اى اذا كان من غير استتابة * وايضاً فانه صلى الله عليه وسلم امر بقتل النسوة اللاتى كن يؤذينه بالسنتهن بالهجماء مع امانه لعلامة اهل البلد ومع ان قتل المرأة لا يجوز الا ان تفعل ما يوجب القتل ولم يستتب واحدة منهم حين قتل من قتل والكافرة الحريية من النساء لا تقتل ان لم تقاتل والمرتدة لا تقتل حتى تستتاب وهو لاء النسوة قتلن من غير ان يقاتلن ولم يستتبن فعلم ان قتل من فعل مثل فعلهن جائز بدون استتابة فان صدور ذلك عن مسلمة او معاهدة اعظم من صدوره عن حريية * وقد بسطنا بعض هذه الدلالات فيما مضى بما اغنى عن اعادته هنا وذكرنا ان السنة تدل على ان السب ذنب مقتطع عن عموم الكفر وهو من جنس المحاربة والتوبة التى تحقق دم المرتد انما هى التوبة عن الكفر فاما ان ارتد بمحاربة مثل سفك الدم واخذ المال كما فعل العرنيون وكما فعل مقيس ابن صباية حيث قتل الانصارى واستاق المال ورجع مرتداً فهذا يتعين قتله كما قتل النبي صلى الله عليه وسلم مقيس بن صباية وكما قيل له في مثل العرنيين انما جزاؤهم ان يقتلوا الآية فلذلك من تكلم بكلام من جنس المخادعة والمعاربة لم يكن بمنزلة من ارتد فقطه وايضاً ما اعتمد الامام احمد من ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا بين الساب وبين المرتد المجرى فقتلوا الاول من غير استتابة واستتابوا الثانى وامروا باستتابته وذلك انه قد ثبت انهم قتلوا سابه وقد تقدم ذكر بعض ذلك مع انه قد تقدم عنهم انهم كانوا يستيبون المرتدوباً مرون باستتابته فثبت بذلك انهم كانوا لا يقبلون توبة من يسبه من المسلمين

لان توبته لو قبلت لشرعت استتابته كالمرد فانه على هذا القول نوع من المرتدين
ومن خص المسلم بذلك قال لا يدل ذلك على ان الكافر السلب لا يسقط عنه
اسلامه القتل فان الحربي يقتل من غير استتابة مع ان اسلامه يسقط عنه القتل اجماعا
ولم يبلغنا عن احد من الصحابة انه امر باستتابة الساب الا ما روى عن ابن
عباس وفي اسناد الحديث عنه مقال ولفظه انما مسلم سب الله او سب احدا
من الانبياء فقد كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب
فان رجع والاقتل وهذا والله اعلم فبين كذب نبوة شخص من الانبياء
وسبه بناء على انه ليس نبي الا ترى الى قوله فقد كذب برسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا ريب ان من كذب بنبوة بعض الانبياء وسبه بناء على ذلك
ثم تاب قبلت توبته من كذب ببعض آيات القرآن فان هذا الظاهر امره فهو
كالمرد اما من كان يظهر الاقرار بنبوة النبي ثم اظهر سبه فهذا هو مسئلتنا
يؤيد هذا الناقد ووبنا عنه انه كان يقول ليس لقاذف ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم توبة وقاذف غيره من له توبة ومعلوم ان ذلك رعاية لحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم ان مذهبه ان سباب النبي صلى الله عليه
وسلم وقاذفه لا توبة له وان وجه الرواية الاخرى عنه ان صحت ما ذكرناه
او نحوه وايضا فان سبه او شتمه ممن يظهر الاقرار بنبوته دليل على
فساد اعتقاده وكفره به بل هو دليل على الاستهانة به والاستخفاف بحرمته
فان من قر الايمان به في قلبه والايمان موجب لا كرامه واجلا له لم يتصور
منه ذمه وسبه والنقص به وقد كان من اقبح المناقبين نقا من يستخف

بشتم النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل حجرة من حجر نساءه في نفر من المسلمين قد كان تقلص عنهم الظل فقال سيأتيكم انسان ينظر بعين شيطان فلا تكلموه فجاء رجل ازرق فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال علي ما شئتني انت وفلان وفلان دعاهم باسمائهم فانطلق فجاء بهم فخلعوا له واعتذروا اليه فانزل الله تبارك وتعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم الآية رواه ابو مسعود ابن القرات ورواه الحاكم في صحيحه وقال فانزل الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له الآية واذا ثبت انه كافر مستهين به فإظهار الاقرار برسالته بعد ذلك لا يدل على زوال ذلك الكفر والاستهانة لان الظاهر انما يكون دليلاً صحيحاً معتمداً اذا لم يثبت ان الباطن بخلافه فاذا قام دليل على الباطن لم يلتفت الى ظاهر قد علم ان الباطن بخلافه ولهذا اتفق العلماء على انه لا يجوز للحاكم ان يحكم بخلاف علمه وان شهد عنده بذلك العدول ويجوز له ان يحكم بشهادتهم اذا لم يعلم خلافها وكذلك ايضاً لو اقرار ارا علم انه كاذب فيه مثل ان يقول لمن هو اكبر منه هذا ابني لم يثبت نسبه ولا ميراثه باتفاق العلماء وكذلك الادلة الشرعية مثل خبر العدل الواحد ومثل الامر والنهي والعموم والقياس يجب اتباعها الا ان يقوم دليل اقوى منها يدل على ان باطنها يخالف لظاهرها ونظائر هذا كثيرة فاذا علمت هذا فنقول هذا الرجل قد قام الدليل على فساد عقيدته وتكذيبه به واستهائه له فإظهاره

الاقرار برسلته الآن ليس فيه اكثر مما كان يظهره قبل هذا وهذا القدر
 بطلت دلالة فلا يجوز الاعتماد عليه وهذه نكتة من لا يقبل توبة الزنديق
 وهو مذهب اهل المدينة ومالك واصحابه والليث بن سعد وهو المنصور
 من الرواتين عن ابي حنيفة وهو احدى الروايات عن احمد نصرها كثير
 من اصحابه وغناها يستتاب وهو المشهور عن الشافعي وقال ابو يوسف
 اخر القتل من غير استتابة لكن ان تاب قبل ان يقتله قبلت توبته وهذا
 ايضا الرواية الثالثة عن احمد وعلى هذا المأخذ فاذا كان الساب قد تكرر
 منه السب ونحوه مما يدل على الكفر اعتضد السب بدلالات اخر من
 الاستخفاف بجرمات الله والاستهانة بفرائض الله ونحو ذلك من دلالات
 النفاق والزندق كان ذلك ابلغ في ثبوت زندقته وكفره وفي ان لا يقبل
 منه مجرد ما يظهر من الاسلام مع ثبوت هذه الامور وما ينبغي ان يتوقف
 في قتل مثل هذا وفي ان لا يسقط عنه القتل بما يظهر من الاسلام اذ توبة
 هذا بعد اخذه لم تجد له حالا لم تكن قبل ذلك فكيف تعطل الحدود
 بغير موجب نعم لو انه قبل رفعه الى السلطان ظهر منه من الاقوال والاعمال
 ما يدل على حسن الاسلام وكف عن ذلك لم يقتل في هذه الحال وفيه
 خلاف بين اهل هذا القول سيأتي ان شاء الله تعالى ذكره وعلى مثل هذا ومن
 هو اخف منه ممن لم يظهر نفاقه قط تحمل آيات التوبة من النفاق وعلى الاول
 تحمل آيات اقامة الحد ثم من اسقط القتل عن الذمي اذا اسلم قال بهذا
 يظهر الفرق بينه وبين الكافر اذا اسلم فانه كان يظهر له بين يمين سبه او

لا يمنع من سبه فظهر دین الاسلام الذي يوجب تعزيره وتوقيره فكان
ذلك دليلا على صحة اتقائه ولم يعارضه ما يخالف فوجب العمل به وهذه
الطريقة مبنية على عدم قبول توبة الزنديق كما قررناه من ظهور دليل
الكفر مع عدم ظهور دليل الاسلام وهو من القياس الجلي ويدل على
جواز قتل الزنديق والمنافق من غير استتابة قوله تعالى ومنهم من يقول
اذن لي ولا تقني الى قوله قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنين ونحن
تربص بكم ان يصيبكم الله بعباد من عنده او بايد بنا قال اهل التفسير
او بايد بنا بالقتل ان اظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم وهو كما قالوا الان العذاب
على ما يظنونه من النفاق بايد بنا لا يكون الا القتل لكفرهم ولو كان المنافق
يجب قبول ما يظهر من التوبة بعد ما ظهر نفاقه وزندقته لم يمكن ان تربص
بهم ان يصيبهم الله تعالى بعباد من عنده او بايد بنا لا كما اردنا ان نعذبهم
على ما اظهروه اظهروا التوبة وقال قتادة وغيره قوله ومن حولكم من
الاعراب منافقون الى قولهم سنعذبهم مرتين قالوا في الدنيا القتل وفي
البرزخ عذاب القبر وما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى يخلفون بالله
لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله سبحانه يخلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم الى قوله يخلفون
لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
وكذلك قوله تعالى يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم وقوله سبحانه اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله

يعلم انك لرسوله و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون • اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون • وقوله تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون • الى قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلم عذاب مهين • الى قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون • دلت هذه الآيات كلها على ان المنافقين كانوا ايرضون المؤمنين بالايان الكاذبة وينكرون انهم كفروا ويحلفون انهم لم ينكروا بكلمة الكفر • وذلك دليل على انهم يقتلون اذا ثبت ذلك عليهم بالبينة لو جوه • احدها • انهم لو كانوا اذا اظهروا التوبة قبل ذلك منهم لم يحتاجوا الى الحلف والانكار وكانوا يقولون قلنا وقد تبنا فعلم انهم كانوا يخافون اذا اظهر ذلك عليهم انهم يعاقبون من غير استتابة • الثاني • انه قال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة واليمين انما تكون جنة اذا لم نأت بينة عادلة تكذبها فاذا كذبتها بينة عادلة انخرقت الجنة فجاز قتلهم ولا يمكنه ان يجتن بعد ذلك الا الجنة من جنس الاولى وتلك جنة مخروقة • الثالث • ان الآيات دليل على ان المنافقين انما عصم دماءهم الكذب والانكار ومعلوم ان ذلك انما عصم اذا لم تقم بينة بخلافه ولذلك لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك قوله سبحانه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير • يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الآية وقوله تعالى في موضع آخر جاهد الكفار والمنافقين • قال الحسن وقنادة

باقامة الحدود عليهم وقال ابن مسعود يده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه ❖ وعن ابن عباس وابن جريج باللسان وتعليظ الكلام وترك الرفق ❖ ووجه الدليل ان الله امر رسوله بجهاد المنافقين كما امره بجهاد الكافرين وان جهادهم انما يمكن اذا اظهر منهم من القول او الفعل ما يوجب العقوبة فانه ما لم يظهر منه شيء البتة لم يكن لنا سبيل عليه فاذا اظهر منه كلمة الكفر فجهاده القتل وذلك يقتضي ان لا يسقط عنه بتجديد الاسلام له ظاهر الا نالوا سقطينا عنهم القتل بما اظهروه من الاسلام لكانوا بمنزلة الكفار وكان جهادهم من حيث هم كفار فقط لا من حيث هم منافقون ❖ والاية تقتضي جهادهم لانهم صنف غير الكفار لاسباب قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين يقتضي جهادهم من حيث هم منافقون لان تعليق الحكم باسم مشتق مناسب يدل على ان موضع الاشتقاق هو العلة فيجب ان يجاهد لاجل النفاق كما يجاهد الكافر لاجل الكفرة ومعلوم ان الكافر اذا اظهر التوبة من الكفر كان تركاله في الظاهر ولا يعلم ما يخالفه اما المنافق فاذا اظهر الاسلام لم تكن تركا للنفاق لان ظهور هذه الحال منه لا ينفي النفاق ولان المنافق اذا كان جهاده باقامة الحد عليه كجهاد الذي في قلبه مرض وهو الزاني اذا زنى لم يسقط عنه حد ما اذا اظهر التوبة بعد اخذه لاقامة الحد عليه كما قد عرف ولانه لو قبلت علا نيتهم دائما مع ثبوت ضدها لم يكن الى الجهاد على النفاق سبيل فان المنافق اذا ثبت عنه انه اظهر الكفر فلو كان اظهار الاسلام حينئذ ينفعه لم يمكن جهاده ❖ ويدل على ذلك قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغريبتك بهم

ثم لا يحاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما اتقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله
 في الذين خلوا من قبل * دلت هذه الآية على ان المنافقين اذا لم ينتهوا فان الله
 يغري نبيه بهم وانهم لا يحاورونه بعد الاغراء بهم الا قليلا وان ذلك في حال
 كونهم ملعونين اينما وجدوا واصبوا اسروا وقتلوا وانما يكون ذلك اذا
 اظهروا النفاق لانه مادام مكتوما لا يمكن قتلهم وكذا قال الحسن اراد
 المنافقون ان يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فواعدهم الله في هذه الآية
 فكتموا واسروه وقال قتادة ذكر لنا ان المنافقين ارادوا ان يظهروا ما في
 قلوبهم من النفاق فواعدهم الله في هذه الآية فكتموا ولو كان اظهار التوبة بعد
 اظهار النفاق مقبولا لم يمكن اخذ المنافق ولا قتله لتمكنه من اظهار التوبة لاسيما اذا كان
 كلما شاء اظهر النفاق ثم اظهر التوبة وهي مقبولة منه * يؤيد ذلك ان الله تبارك
 وتعالى جعل جزاءهم ان يقتلوا ولم يجعل جزاءهم ان يقتلوا ولم يستثن حال
 التوبة كما استثناه من قتل المحاربين وقتل المشركين فانه قال فاذا انسلك الاشهر
 الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم
 كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم * وقال في
 المحاربين انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
 ان يقتلوا او يصلبوا الى قوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم * فعلم
 انهم يقتلون من غير استتابة وانه لا يقبل منهم ما يظهر عنه من التوبة * يوضح
 ذلك انه جعل انتهاءهم النافع قبل الاغراء بهم وقبل الاخذ والتقتيل وهناك
 جعل التوبة بعد ذكر الحصر والاخذ والقتل فعلم ان الانتهاء بعد الاغراء بهم

لا ينفعهم كما لا تنفع المحارب التوبة بعد القدرة عليه وان نعت المشرك من
مرتد واصل التوبة بعد القدرة عليه وقد اخبر سبحانه ان سنته فيمن لم يتب
عن النفاق حتى قدر عليه ان يؤخذ ويقتل وان هذه السنة لا تبدل لها
والانتهاء في الآية اما ان يعنى به الانتهاء عن النفاق بالتوبة الصحيحة
او الانتهاء عن اظهاره عند شياطينه وعند بعض المؤمنين والمعنى الثاني
اظهر فان من المنافقين من لم ينته عن اسرار النفاق حتى مات النبي صلى الله
عليه وسلم وانتهوا عن اظهاره حتى كان في آخر الامر لا يكاد احد يجترئ
على اظهار شيء من النفاق نعم الانتهاء يعم القسمين فمن انتهى عن اظهاره
فقط او عن اسراره واعلانه خرج من وعيد هذه الآية ومن اظهر لحقه
وعيدها ومما يشبه ذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
الى قوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعد بهم الله عذابا اليما
في الدنيا والآخرة فانه دليل على ان المنافق اذا لم يتب عذبه الله في الدنيا
والآخرة وكذلك قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون الى قوله
سنعذبهم مرتين واما قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والمرجعون في المدينة فقد قال ابو رزين هذا شيء واحد هم المنافقون
وكذلك قال مجاهد كل هؤلاء منافقون فيكون من باب عطف الخاص
على العام كقوله تعالى وجبريل وميكال وقال سلمة بن كهيل وعكرمة
الذين في قلوبهم مرض اصحاب الفواحش والزناة ومعلوم ان من اظهر
الفاحشة لم يكن بد من اقامة الحد عليه فكذلك من اظهر النفاق ويدل على

جواز قتل الزنديق المنافق من غير استئابة ما خير جاء في الصحيحين عن علي
في قصة حاطب بن ابي بلتعة فقال عمر د عني يا رسول الله اضرب عنق هذا
المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك
لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فدخل
علي ابن ضرب عنق المنافق من غير استئابة مشروع اذ لم ينكر النسي
صلى الله عليه وسلم على عمر استئبال ضرب عنق المنافق ولكن اجاب بان هذا ليس
بمنافق ولكنه من اهل بدر المغفور لهم فاذا اظهر النفاق الذي لا ريب انه
نفاق فهو مباح الدم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها في حديث الافك
قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه فاستعذر من عبد الله
ابن ابي بن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من بعد رني
من رجل بلغني اذاه في اهل فوالله ما علمت على اهل الاخيراء والقذذ كروا
رجلا ما علمت عليه الاخيراء وما كان يدخل على اهل الامي فقام سعد بن
معاذ احد بني عبد الاشهل فقال يا رسول الله انالوا الله اعذر ك منه ان كان
من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرنا ففعلنا فيه امر ك
فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فحذه
وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله
لا نقتله ولا نقد ر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ
فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتله فمالك منافق تجادل عن المنافقين
فتا الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتلوا ورسول الله صلى الله

عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى
سكتوا وسكت متفق عليه . وفي الصحيحين عن عمرو بن جابر بن
عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس
من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا
فغضب الانصارى غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصارى يا للانصار
وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى
الجاهلية ثم قال ماشا نهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصارى قال فقال النبي
صلى الله عليه وسلم دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن ابي بن مسلول اقد
تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليجرجن الاعز منها الا ذل قال عمر الا نقتل
باني الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه . وذكر اهل التفسير واصحاب السير ان هذه القصة
كانت في غزوة بني المصطلق اختصم رجل من المهاجرين ورجل من الانصار
حتى غضب عبد الله بن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم
غلام حديث السن وقال عبد الله بن ابي افعلوها قد نافرنا وكابرونا في بلادنا
واقه مامثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمنك بك يا كلك اما والله لئن رجعنا
الى المدينة ليجرجن الاعز منها الا ذل يعني بالاعز نفسه وبالا ذل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم
اجلتموهم بلادكم وقاسمتموهم امواكم اما والله لئن امسكتهم عنهم فضل الطعام
لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا ان يتحولوا عن بلادكم ويلحقوا بعشائركم

و مواليتهم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت
 والله الذليل القليل المبغض في قومك و محمد في عز من الرحمن و مودة من
 المسلمين و انت لا احبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب
 فمشی زيد بن ارقم بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و ذلك بعد فراغه من
 الغزوة و عنده عمر بن الخطاب فقال د عني اضرب عنقه يا رسول الله فقال
 اذا ترعد له انف كثيرة يثرب فقال عمر فان كرهت يا رسول الله ان
 يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن معاذ و محمد بن مسلمة او عباد بن بشر
 فليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر اذا يتحدث
 الناس ان محمدا يقتل اصحابه لا ولكن اذن بالرحيل و ذلك في ساعة لم يكن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها و ارسل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى عبد الله بن ابي قاتاه فقال انت صاحب هذا الكلام فقال عبد الله
 والذي انزل عليك الكتاب بالحق ما قلت من هذا شيئا و انت زيد ا
 لكاذب فقال من حضر من الانصار يا رسول الله شيخنا و كبيرنا لا تصدق
 عليه كلام غلام من غلمان الانصار عسى ان يكون هذا الغلام و هم في حديثه
 ولم يحفظ ما قال فعذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و فشت الملامة في الانصار لزيد
 و كذبوه قالوا و بلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي و كان من فضلاء الصحابة ما كان من
 امر ابيه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بلغني انك تريد
 قتل عبد الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني فانا حمل اليك راسه
 فوالله لقد علمت الخنزرج ما كان بهار جل ابرو الله به مني و اني اخشى ان

تأمر به غيري فيقتله فلا تد عني نفسي انظر الى قاتل عبد الله بن أبي عيسى
 في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافرا فادخل النار فقال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وقال النبي صلى الله عليه
 وسلم لا يتحدث الناس انه يقتل اصحابه ولكن برأبائك واحسن صحبته وذكروا
 القصة . قالوا وفي ذلك نزلت سورة المنافقين وقد اخرج جافي الصحيحين عن
 زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب
 الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
 ينفذوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل
 قاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله
 ابن ابي فساله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد يا رسول الله قال فوقع
 في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل الله تصديقي اذا جاءك المنافقون قال ثم
 دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفروا لهم فلو وادوسهم في هذه القصة
 بيان ان قتل المنافق جائز من غير استتابة وان اظهر النكار ذلك القول وتبرأ
 منه واظهر الاسلام واتمامع النبي صلى الله عليه وسلم من قتل ما ذكره من
 يتحدث الناس انه يقتل اصحابه لان النفاق لم يثبت عليه بالبينه وقد حلف
 انه ما قال وانما علم بالوحي وخبر زيد بن ارقم . وايضا لما خافه من ظهور
 فتنة بقتله وغضب اقوام يخاف افتتانهم بقتله . وذكر بعض اهل التفسير
 ان النبي صلى الله عليه وسلم عد المنافقين الذين وقفوا على العقبة في غزوة
 تبوك ليفتكوا به فقال حذيفة لا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان يقول

جاءوا بقتل المنافق وان اظهر التوبة

العرب لما ظفروا بصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالرسالة * وذكر بعضهم
 ان رجلا من المنافقين خاصم رجلا من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه
 المنافق وقال انطلق بنا الى عمر بن الخطاب فاقبل الى عمر فقال لليهودى
 اختصمت انا و هذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم
 اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكدلك قال نعم فقال لهما رويدكما
 حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت فاخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج
 به اليهما فضرب به المنافق حتى برد فقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء الله
 وقضاء رسوله فنزل قوله الم تر الى الذين يزعمون الآية وقال جبريل ان عمر
 فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقد تقدمت هذه القصة مروية
 من وجهين ففي هذه الاحاديث دلالة على ان قتل المنافق كان جائزا
 اذ لو لا ذلك لا نكر النبي صلى الله عليه وسلم على من اسأذنه في قتل المنافق
 ولا نكر على عمر اذ قتل من قتل من المنافقين ولا خبر النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الدم معصوم بالاسلام ولم يعلل ذلك بكراهية غضب عشائر المنافقين
 لهم وان يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وان يقول القائل لما ظفر
 بصحابه اقبل يقتلهم لان الدم اذا كان معصوما كان هذا الوصف عديم
 التأثير في عصمة دم المعصوم ولا يجوز تعليل الحكم بوصف لا اثر له ونزل
 تعليقه بالاسف الذى هو مناط الحكم وكما انه دليل على القتل فهو دليل على
 القتل * غير استتابة على ما لا يخفى * فان قيل * فلم لم يقتلهم النبي صلى الله عليه

وسلم مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علا نيتهم قلنا انما ذلك لوجهين
 • احدهما ان عا منهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما ثبت عليهم
 بالبينه بل كانوا يظهرون الاسلام ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة بسمعها الرجل
 الموء من فينقلها الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحلفون بالله انهم ما قالوها
 او لا يحلفون وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستشغالهم للزكاة
 وظهور الكراهة منهم لكثير من احكام الله وعامتهم يعرفون في لحن
 القول كما قال الله ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله
 اضغانهم ولو نشاء لارينا كهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول
 فاخبر سبحانه انه لو شاء لعرفهم رسوله بالسيما في وجوههم ثم قال ولتعرفنهم
 في لحن القول فاقسم انه لا بد ان يعرفهم في لحن القول • ومنهم
 من كان يقول القول او يعمل العمل فينزل القرآن يخبر ان صاحب
 ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة • ومنهم من كان المعلومون
 ايضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلائل والقرائن والامارات
 ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى ومن حولكم من الاعراب
 منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم • ثم جميع هؤلاء
 المنافقين يظهرون الاسلام ويحلفون انهم مسلمون وقد اتخذوا ايمانهم جنة
 واذا كانت هذه حالهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقيم الحدود بعلمه
 ولا يخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد • ثبت
 الموجب للحسد بينة او اقرار الا ترى كيف اخبر عن المرأة حبيبة بنت

انها ان جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي رميت به وجاءت به
على النعت المكروه فقال لولا الايمان لكان لي ولها شأن وكان بالمدينة امرأة
تعلن الشرف قال لو كنت راجما احدا من غيرينة لرجمتها. وقال للذين اختصموا
اليه انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بمحبه من بعض فاقضى
بهموما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذه فانما اتطع له قطعة
من النار. فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بمحبة
شرعية. ويدل على هذا انه لم يستبهم على التعيين ومن المعلوم ان احسن حال
من ثبت نفاقه وزندقته ان يستتاب كالمرتد فان تاب والا قتل ولم يبلغنا انه
امتتاب واحدا بعينه منهم . فلم ان الكفر والردة لم تثبت على واحد
بعينه ثبوتا يوجب ان يقتل كالمرتد ولهذا تقبل علايتهم وتكل سرائرهم
الى الله فاذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال
من لم يظهر نفاقه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اني لم اوامر ان اتعب عن قلوب
الناس ولا اشق بطونهم لما استوذن في قتل ذي الخويصرة ولما استوذن
ايضا في قتل رجل من المنافقين قال اليس يشهد ان لا اله الا الله قيل بلى
قال اليس يصلي قيل بلى قال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم فاخبر صلى الله
عليه وسلم انه نهى عن قتل من اظهر الاسلام من الشهادتين والصلاة وان
ذكر بالنفاق . رمي به وظهرت عليه دلالته اذا لم يثبت بمحبة شرعية انه
اظهر الكفر وكذا لك قوله في الحديث الاخر امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم

واموالهم الالبجتها وحسابهم على الله معناه اني امرت ان اقبل منهم ظاهر
الاسلام واكل بواطنهم الى الله والزنديق والمنافق انما يقتل اذا تكلم بكلمة
الكفر وقامت عليه بذلك بينة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب
يظهر فقه المسئلة الوجه الثاني انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف ان يتولد
من قتلهم من الفساد اكثر مما في استبقائهم وقد بين ذلك حين قال لا يتعدت
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اذا ترعد له انف كثيرة يثرب فانه لو قتلهم
بما يعلمه من كفرهم لا وشك ان يظن الظان انه انما قتلهم لا غرض واحقاد وانما
قصده الاسعانة بهم على الملك كما قال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه
اقبل يقتلهم وان يخاف من يريد الدخول في الاسلام ان يقتل مع اظهاره
الاسلام كما قتل غيره وقد كان ايضا يغضب لقتل بعضهم قبيلته واناس آخرون
فيكون ذلك سببا للفتنة واعتبر ذلك بما جرى في قصة عبد الله بن ابي لماعرض
مسعد بن معاذ بقتله خاصم له اناس صالحون واخذتهم الخمية حتى سكنهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما استاذنه عمر في قتل ابن ابي قال اصحابنا ونحن الآن اذا اخفنا مثل ذلك
كففتنا عن القتل فخالصه ان الحد لم يقم على واحد بعينه لعدم ظهوره
بالحجة الشرعية التي يعلم بها الخاص والعام او لعدم امكان اقامته الا مع تنفير
اقوام عن الدخول في الاسلام وارتداد آخر بن عنه واظهار قوم من
الحرب والفتنة ما يربي فسادا على فساد ترك قتل منافق وهذا ان المعنيان
حكمهما باق الى يومنا هذا الا في شئ واحد وهو انه صلى الله عليه وسلم ربما خاف

ان يظن الظان انه يقتل اصحابه لغرض آخر مثل اغراض الملوك فهذا امتف
اليوم والذي بين حقيقة الجواب الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كان بمكة مستضعفا هو واصحابه على جزيين عن الجهاد امرهم الله بكف
ايديهم والصبر على اذى المشركين فلما هاجروا الى المدينة وصار له دار عزة
ومنعة امرهم بالجهاد والكف عن سالمهم وكف يده عنهم لانه لو امرهم اذ ذاك
باقامة الحدود على كل منافق لفر عن الاسلام اكثر العرب اذ اراوا ان بعض
من دخل فيه يقتل وفي مثل هذه الحال نزل قوله تعالى ولا تطع الكافرين
والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا وهذه السورة
نزلت بالمدينة بعد الحندق فامرهم الله في تلك الحال ان يترك اذى الكافرين
والمنافقين له فلا يكافهم عليه لما يتولد في مكافاتهم من الفتنة ولم يزل
الامر كذلك حتى فتحت مكة ودخلت العرب في دين الله قاطبة ثم اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الروم وانزل الله تبارك وتعالى سورة
براءة وكل شرائع الدين من الجهاد والحج والامر بالمعروف فكان كمال
الدين حين نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قبل الوفاة باقل من ثلاثة اشهر
ولما نزلت براءة امرهم الله بنبيذ اليهود التي كانت للمشركين وقال فيها يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلاظ عليهم وهذه ناسخة لقوله تعالى ولا تطع
الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وذلك لانه لم يبق حينئذ للمنافق من يعينه
لواقيم عليه الحد ولم يبق حول المدينة من الكفار من يتحدث بان محمدا يقتل
اصحابه فامرهم الله بجهادهم والاغلاظ عليهم وقد ذكر اهل العلم ان آية الاحزاب

منسوخة بهذا الآية ونحوها وقال في الاحزاب لئن لم ينته المنافقون والذين
 في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
 الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا الآية فعلم انهم كانوا يفتنون اشياء اذ
 ذاك ان لم ينتهوا عنها قبلوا عليها في المستقبل لما اعز الله دينه ونصر رسوله فحيث
 ما كان للمنافق ظهور وتخاف من اقامة الحد عليه فتنة اكبر من بقاءه عملنا بآية
 دع اذ هم كما انه حيث عجزنا عن جهاد الكفار عملنا بآية الكف عنهم والصفح
 وحيث ما حصل القوة والعز خوطبنا بقوله جاهد الكفار والمنافقين فهدنا
 بين ان الامساك عن قتل من اظهر ثقافه بكتاب الله على عهد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اذ لا نسخ بعده ولم ندع ان الحكم تغير بعده لتغير المصلحة
 من غير وحي نزل فان هذا تصرف في الشريعة وتحويل لما بالرأي ودعوى
 ان الحكم المطلق كان لمعنى وقد زال وهو غير جائز كما قد نسبوا ذلك الى من
 قال ان حكم المؤلف انقطع ولم يأت على انقطاعه بكتاب ولا سنة سوى ادعاء
 تغير المصلحة ويدل على المسئلة ما روى ابو ادريس قال اتى علي رضي الله عنه
 بناس من الزنادقة ارتدوا عن الاسلام فسالهم فجحدوا فقامت عليهم البينة
 العدول قال فقتلهم ولم يستبهم قال واتى برجل كان نصرا نيا واسلم ثم رجع
 عن الاسلام قال فساله فاقربا كان منه فاستتابه فتركه فقيل له كيف تستيب
 هذا ولم تستب او لا بك قال ان هذا اقربا كان منه وان اولئك لم يقرؤا
 وجحدوا حتى قامت عليهم البينة فلذلك لم استبهم رواه الامام احمد
 وروى عن ابي ادريس قال اتى علي برجل قد تنصر فاستتابه فابي ان يتوب

فقتله واتي برسط يصلون القبلة وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود
العدول فجحدوا وقالوا ليس لنا دين الا الاسلام فقتلهم ولم يستتبهم ثم قال اندرون
لم استتبت هذا النصر اني استتبته لانه اظهر دينه واما الزنادقة الذين قامت
عليهم البيعة وجحدوني فانما قتلتم لانهم جحدوا وقامت عليهم البيعة فهذا من
اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب ان كل زنديق كتم زندقته وجحد حاجتي قامت عليه
البيعة قتل ولم يستتب وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل من جحد زندقته
من المنافقين لعدم قيام البيعة ويدل على ذلك قوله تعالى ومن حولكم من
الاعراب منافقون ومن اهل المدينة الى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا اعمالا صالحة واخر سيئة فاعلم ان من لم يعترف بذنبه كان من المنافقين
ولهذا الحديث قال الامام احمد في الرجل يشهد عليه بالبدعة فيجحد ليست
له توبة انما التوبة لمن اعترف فاما من جحد فلا توبة له قال القاضي ابو يعلى
وغيره اذا اعترف بالزندقة ثم تاب قبلت توبته لانه باعترافه يخرج عن
جد الزندقة لان الزنديق هو الذي يستبطن الكفر ولا يظهره فاذا اعترف
به ثم تاب خرج عن جده فلماذا قبلنا توبته ولهذا لم يقبل علي رضي الله عنه
توبة الزنادقة لما جحدوا وقد يستدل على المسئلة بقوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات الا ياتوا بالحق من ابي العالمة في قوله
تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال
هذه في اهل الايمان وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال اني تبت الان قال هذه في اهل النفاق ولا الذين يموتون

وهم كفار . قال هذه في اهل الشرك هذا مع انه الراوى عن اصحاب محمد
 صلى الله عليه وسلم فيما اظن انهم قالوا كل من اصاب ذنبا فهو جاهل بالله وكل
 من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب . ويدل على ما قال ان المنافق
 اذا اخذ ليقتل و رأى السيف فقد حضره الموت بدليل دخول مثل هذا
 في عموم قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت . وقوله تعالى
 شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت . وقد قال حين حضره الموت اني تبت
 الآن فليست له توبة كما ذكره الله سبحانه نعم ان تاب توبة صحيحة فيما بينه
 وبين الله لم يكن ممن قال اني تبت الآن بل يكون ممن تاب عن قريب لان الله
 سبحانه انما نفي التوبة عن حضره الموت و تاب بلسانه فقط ولهذا قال
 في الاول ثم يتوبون وقال هنا اني تبت الآن فمن قال اني تبت قبل حضور
 الموت او تاب توبة صحيحة بعد حضور اسباب الموت صحت توبته وربما
 استدل بعضهم بقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الايتين
 وبقوله تعالى فلما أدركه الفرق الآية وقوله تعالى فلولاً كانت قرية آمنت
 فنفعها إيمانها الآية . فوجه الدلالة ان عقوبة الامم الخالية بمنزلة السيف
 للمنافقين ثم اولئك اذا تابوا بعد معاينة المذاب لم ينفعهم فكذلك المنافق
 ومن قال هذا فرق بينه وبين الحربي بان لا تقتله عقوبة له على كفره
 بل تقتله لاسلم فاذا اسلم فقد اتى بالمقصود والمنافق انما يقتل عقوبة لاسلم
 فانه لم يزل مسلما والعقوبات لا تسقط بالتوبة بعد مجيء البأس وهذا كعقوبات
 سائر العصاة فهذه طريقة من يقتل الساب لكونه منافقا . وفيه طريقة اخرى

وهي ان سب النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه موجب للقتل مع قطع النظر
عن كونه مجرد ردة فان اقد يناله موجب للقتل ويناله جناية غير الكفر
اذ لو كان ردة محضة وتبدلا للدين وتركاله لما جاز للنبي صلى الله عليه وسلم
العفو عن كان يؤذيه كما لا يجوز العفو عن المرتد والمقتل الذين سبوه وقد
عفا عن قاتل وحارب وقد ذكرنا دلالة اخرى على ذلك فيما تقدم ولان
التقص والسب قد يصدر عن الرجل مع اعتقاد النبوة والرسالة لكن لما
وجب تعزيز الرسول وتوقيره بكل طريق غلظت عقوبة من انتهك عرضه
بالقتل فصار قتله حدا من الحدود لان سبه نوع من الفساد في الارض
كالمحاربة باليد لا مجرد كونه بدل الدين وتركه وفارق الجماعة واذا كان
كذلك لم يسقط بالتوبة كسائر الحدود غير عقوبة الكفر وتبدل الدين
قال الله تعالى انما جزاء الذين يماربون الله ورسوله ويسعون في الارض
فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا
من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين
تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم * فثبت بهذه
الآية ان من تاب بعد ان قدر عليه لم تسقط عنه العقوبة وكذلك قال سبحانه
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله
عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظله واصبح فان الله يتوب عليه ان الله
غفور رحيم * فامر بقطع ايديهم جزاء على ما مضى ونكالا عن السرقة
في المستقبل منهم ومن غيرهم واخبر ان الله يتوب على من تاب ولم يدر

القطع بذلك لان القطع له حكمتان الجزاء والنكال والتوبة تسقط الجزاء
ولا تسقط النكال فان الجنائي متى علم انه اذا تاب لم يعاقب لم يردع ذلك
الفساق ولم يزجرهم عن ركوب العظائم فان اظهار التوبة والاصلاح لمقصود
حفظ النفس والمال سهل ولهذا لم نعلم خلافا فاعتمد ان السارق او الزاني
لو اظهر التوبة بعد ثبوت الحد عليه عند السلطان لم يسقط الحد عنه وقد رجم
النبي صلى الله عليه وسلم ماعز او الغامدية واخبر بحسن توبتهما وحسن مصيرهما
وكذلك لو قيل ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يسقط بالتوبة وتجديده
الاسلام لم يردع ذلك الا لسن عن انتهاك عرضه ولم يزجر النفوس عن استحلال
حرمته بل يؤذيه الانسان بما يريد ويصيب من عرضه ما شاء من انواع السب
والاذى ثم يجدد اسلامه ويظهر ايمانه وقد ينال المرء من عرضه ويقع
منه تنقص له واستهزاء ببعض اقواله او اعماله وان لم يكن متقلا من دين
الى دين فلا نه يصعب على من هذه سبيله كلما نال من عرضه واستخف
بحرمته ان يجدد اسلامه بخلاف الردة المجردة عن الدين فان سقوط
القتل فيها بالعود الى الاسلام لا يوجب اجترأه الناس على الردة او الانتقال
عن الدين لا يقع الا عن شبهة قاذحة في القلب او شهوة قاصمة للعقل
فلا يكون قبول التوبة من المرتد محرصا للنفوس على الردة ويكون ما يتوقعه
من خوف القتل زاجرا له عن الكفر فانه اذا اظهر ذلك لا يتم مقصوده لعلمه
بانه يجبر على العود الى الاسلام وهنا من فيه استخفاف او اجترأ او سفاهة
تمكن من انتقاص النبي صلى الله عليه وسلم وغيبه والطعن عليه كلما شام

يحدد الاسلام ويظهر التوبة وبهذا يظهر ان السب والشتم يظهر الفساد في الارض الذي هو جب الحد اللازم من الزنا وقطع الطريق والسرقة وشرب الخمر فان مر يد هذه المعاصي اذا علم انه تسقط عنه العقوبة اذا تاب فعلها كلما شاء كذا لك من يدعوه ضعف عقله او ضعف دينه الى الانتقاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا علم ان التوبة تقبل منه اتى ذلك متى شاء ثم تاب منه وقد حصل مقصوده بما قاله كما حصل مقصود او لا لك بما فعلوه بخلاف مر يد الرد فان مقصوده لا يحصل الا بالمقام عليها وذلك لا يحصل له اذا قتل ان لم يرجع فيكون ذلك راد عاله وهذا الوجه لا يخرج السب عن ان يكون ردة ولكن حقيقته انه نوع من الردة يلفظ بما فيه من انتهاك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد تغلظ ردة بعض الناس بان ينضم اليها قتل وغيره فيتحتم القتل فيهادون الردة المجرمة كما يتحتم القتل في قتل من قطع الطريق اغلظ الجرم وان لم يتحتم قتل من قتل لغرض آخر فعوده الى الاسلام يسقط موجب الردة المحضة ويبقى خصوص السب ولا بد من اقامة حده كما ان توبة القاطع قبل القدره عليه تسقط تحتم القتل ويبقى حق اولياء المقتول من القتل او الدية او العفو وهذه مناسبة ظاهرة وقد تقدم نص الشارع ونبيهه على اعتبار هذا المعنى فان قيل تلك المعاصي يدعوا اليها الطمع مع صحة الاعتقاد فلم يشرع عنها اجر لتسارعت النفوس اليها بخلاف سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الطبع لا يدعوا اليه الا بخلل في الاعتقاد اكثر ما يوجب الردة فعلم ان مصدره اكثر ما يكون الكفر فيلزمه عقوبة

الكافر وعقوبة الكافر مشروطة بعدم التوبة واذا لم يكن اليه مجر د باعث
طبعي لم يشرع ما يزجر عنه وان كان حراماً كالاستخفاف في الكتاب
والدين ونحو ذلك قلنا بل قد يكون اليه باعث طبعي غير الحلل في
الاعتقاد من الكبر الموجب للاستخفاف ببعض احواله وافعاله والغضب
الداعي الى الوقعة فيه اذا خالف الغرض بعض احكامه والشهوة الحاملة
على ذم ما يخالف الغرض من اموره وغير ذلك فهذه الامور قد تدعوا لانسان
الى نوع من السب له وضرب من الاذى والانتقام وان لم يصد والامع
ضعف الايمان به كما ان تلك المعاصي لا تصد وايضاً الامع ضعف الايمان
واذا كان كذلك فقبول التوبة ممن هذه حاله يوجب اجترأ امثاله على
امثال كلماته فلا يزال العرض منهوكا والحرمة مخفورة بخلاف قبول التوبة
ممن يريد انتقالا عن الدين اما الى دين آخر او الى تعطيل فانه اذا علم انه
يستتاب على ذلك فان تاب والا قتل لم ينتقل بخلاف ما اذا صدر
السب عن كافر به ثم آمن به فان علمه بانه اذا اظهر السب لا يقبل
منه الا الا سلام او السيف يردعه عن هذا السب الا ان يكون مريدا
للا سلام ومتى اراد الا سلام فالسلام يجب ما كان قبله فليس سيف
سقوط القتل باسلام الكافر من الطريق الى الوقعة في عرضه ما في سقوطه
بتجدد اسلام من يظهر الا سلام وايضاً فان سب النبي صلى الله عليه وسلم
حق آدمي فلا يسقط بالتوبة كحد القذف وكسب غيره من البشر ثم من
فرق بين المسلم والذمي قال المسلم قد التزم ان لا يسب ولا يعنف سبه فاذا

اتى ذلك لقيم عليه حده كما يقام عليه حد الخمر وكما يعز على اكل لحم الميت
والخنزير والكافر لم يلتزم تحريم ذلك ولا يعتقد فلا تجب عليه اقامة حده
كما لا تجب عليه اقامة حد الخمر ولا يعز على الميت والخنزير نعم اذا ظهر
نقض العهد الذي يتناوب بينه خصار بمنزلة الحربي فنقله لذلك فقط لالكونه
اتى حدا يعتقد بجرمته فلذا اسلم سقط عنه العقوبة على الكفر ولا عقوبة عليه
لخصوص السب فلا يجوز قتله وحقيقة هذه الطريقة ان سب النبي
صلى الله عليه وسلم لما فيه من الفضاخنة عليه يوجب القتل تعظيما لجرمته وتعزيرا
له وتوقيرا ونكالا عن التعرض له والحد انما يقام على الكافر فيما يعتقد تحريمه
خاصة بكنهه اذا اظهر ما يعتقد حله من المحرمات عندنا زجر عن ذلك وعوقب
عليه كما اذا اظهر الخمر والخنزير فظاهر السب اما ان يكون كهذه الاشياء
كما زعمه بعض الناس او يكون نقضا للعهد كما قلنا للمسلمين على التقديرين
فالاسلام يسقط تلك العقوبة بخلاف ما يصيبه المسلم مما يوجب الحد عليه
وابضا فان الردة على قسمين ردة مجردة وردة مغالطة شرع القتل على
خصوصها وكل منهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها والادلة الدالة
على سقوط القتل بالتوبة لا تنعم القسمين بل انما تدل على القسم الاول كما
يظهر ذلك لمن تأمل الادلة على قبول توبة المرتد فيبقى القسم الثاني وقد قام
الدليل على وجوب قتل صاحبه ولم يأت نص ولا اجماع لسقوط القتل
عنه والقبس متعذر مع وجود الفرق الجلي فانقطع الالحاق والذي يحقق
هذه الطريقة انه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا اجماع ان كل من ارتد باي

قول او اي فعل كان فانه يسقط عنه القتل اذا تاب بعد القدرة عليه بل
الكتاب والسنة والاجماع قد فرق بين انواع المرتدين كما سنبذكره وانما
بعض الناس يجعل برأيه الردة جنساً واحداً على تباين انواعه وقيس
بعضها على بعض فاذا لم يكن معه عموم نطقي يعم انواع المرتدين لم يبق
الا القياس وهو فاسد اذا فارق الفرع الاصل بوصفه تأثير في الحكم وقد
دل على تأثيره نص الشارع وتبنيه والمناسبة المشتبهة على المصلحة المتبعة
وتقرير هذا من ثلاثة اوجه * احدها ان دلائل قبول توبة المرتد مثل
قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله الا الذين
تابوا بعد ذلك واصلحوا * وقوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه *
ونحوها ليس فيها الا توبة من كفر بعد الايمان فقط دون من انضم
الي كفره من اذى واضرار وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم اقام فيها قبول توبة من جرد الردة فقط وكذلك سنة الخلفاء
الراشدين انما تضمنت قبول توبة من جرد الردة وحارب بعد
ارتدادهم كمحاربة الكافر الاصل على كفره فمن زعم ان في الاصول
ما يعم توبة كل مرتد سواء جرد الردة او غلظها باي شيء كان فقد
اخطأ وحينئذ فقد قامت الادلة على وجوب قتل الساب وانه مرتد
ولم تدل الاصول على ان مثله يسقط عنه القتل فيجب قتله بالدليل السالم عن
المعارض * الثاني * ان الله سبحانه قال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم

الظالمين أو لك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون * إلا الذين تابوا من
بعد ذلك واصلحوا فإن الله غفور رحيم * أن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم
ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون * فأخبر سبحانه أن
من ازداد كفرا بعد إيمانه لن تقبل توبته * وفرق بين الكفر المزيّد كفرا
والكفر المجرد في قبول التوبة من الثاني دون الأول فمن زعم أن كل كفر
بعد الإيمان تقبل منه التوبة فقد خالف نص القرآن وهذه الآية أن كان
قد قيل فيها أن ازداد الكفر المقام عليه إلى حين الموت وأن التوبة المنفية
هي توبته عند الفراق أو يوم القيامة فالآية أعم من ذلك وقد رأينا سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقت بين النوعين فقبل توبة جماعة من المرتدين
ثم أنه أمر بقتل مقيس بن صبابه يوم الفتح من غير استتابة لما ضم إلى رده قتل
المسلم وأخذ المال ولم ينب قبل القدرة عليه وأمر بقتل العرينيين لما ضموا إلى
ردهم نجوا من ذلك وكذلك أمر بقتل ابن خطل لما ضم إلى رده السب
وقتل المسلم وأمر بقتل ابن أبي سرح لما ضم إلى رده الطعن عليه والافتراء
وإذا كان الكتاب والسنة قد حكما في المرتدين بحكمين ورأينا أن من ضر
وآذى بالردة أذى يوجب القتل لم يسقط عنه القتل إذا تاب بعد القدرة
عليه وإن تاب مطلقا دون من بدل دینه فقط لم يصح القول بقبول توبة المرتد
مطلقا وكان السبب من القسم الذي لا يجب أن تقبل توبته كما دلت عليه
السنة في قصة ابن أبي سرح ولأن السبب إبداء عظيم للمسلمين أعظم عليهم من

المحاربة باليد كما تقدم تقريره فيجب ان يتحتم عقوبة فاعله ولان المرئد المجرد
انما يقتله لمقامه على التبديل فاذا علو دالدين الحق زال المبيع له كما يزول
المبيع لدم الكافر الا صلى باسلامه وهذا الساب اتى من الاذى لله ورسوله
بعد المعاهدة على ترك ذلك بما اتى به وهو لا يقتل لمقامه عليه فان ذلك
ممتنع فصار قتله كقتل المحارب باليد وبالجملة فمن كانت ردة منه محاربة لله
و رسوله بيد او لسان فقد دلت السنة المفسرة للكتاب انه من كفر كفرا
مزيدا لا تقبل توبته منه * الوجه الثالث * ان الرد قد تجرد عن
السب والشتم فلا تضمنه ولا تستلزمه كما تجرد عن قتل المسلمين واخذ اموالهم
اذ السب والشتم افراط في العداوة وابلغ في المحادة مصدرة شدة سفه
الكافر وحرصه على فساد الدين واضرار اهله ولربما صدر عن من يعتقد
النبوة والرسالة لكن لم يأت بموجب هذا الاعتقاد من التوقيرو الانقياد
فصار بمنزلة ابليس حيث اعتقد ربوبية الله سبحانه بقوله رب وقد ايقن
ان الله امره بالسجود ثم لم يأت بموجب هذا الاعتقاد من الاستسلام
والانقياد بل استكبر وعاند معاندة معارض طاعن في حكمة الامر
ولا فرق بين من يعتقد ان الله ربه وان الله امره بهذا الامر ثم يقول انه لا يطيعه
لان امره ليس بصواب ولا سداد وبين من يعتقد ان محمدا رسول الله
وانه صادق واجب الاتباع في خبره وامره ثم يسبه او يعيب امره
لو شئنا من احواله لو نقصه انتقاصا لا يجوز ان يستحقه الرسول وذلك ان
الايان قول وعمل فمن اعتقد الواحدانية في الالهية لله سبحانه وتعالى

والرسالة لعبد ورسوله ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجه من الا جلال
والاكرام الذي هو حال في القلب يظهر اثره على الجوارح بل قارنه
الاستغفاف والتسفيه والازدراء بالقول او بالفعل كان وجود ذلك الاعتقاد
كعدمه وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة
والصلاح اذ الاعتقادات الايمانية تزكي النفوس وتصلحها فمضى لموجب زكاة
النفس ولا صلاحها فاذك الا لانها لم ترسخ في القلب ولم تصر صفة واعتقا
لنفس ولا صلاحا واذ لم يكن علم الايمان المفروض صفة لقلب الانسان
لازمة لم يتفعه فانه يكون بمنزلة حديث النفس وخواطر القلب والنجاة
لا تحصل الا بيقين في القلب ولو انه مثقال ذرة هذ افيما بينه وبين الله وامافي
الظاهر فيجري الاحكام على ما يظهره من القول والفعل والغرض بهذا التنبيه
على ان الاستهزاء بالقلب والانتقاص ينافي الايمان الذي في القلب من افاء
الضد ضده والاستهزاء باللسان ينافي الايمان الظاهر باللسان كذلك والغرض
بهذا التنبيه على ان السب الصادر عن القلب يوجب الكفر ظاهرا وباطنا
هذا مذهب الفقهاء وغيرهم من اهل السنة والجماعة خلاف ما يقوله بعض
الجهمية والمرجئة القائلين بان الايمان هو المعرفة والقول بلا عمل من اعمال
القلب من انه انما ينافيه في الظاهر وقد يجامعه في الباطن وربما يكون لنا
ان شاء الله تعالى عود الى هذا الموضوع والغرض هنا انه كما ان الردة تنجر عن السب
فكذلك قد تنجر عن قصد تبديل الدين واردة التكذيب بالرسالة كما
تنجر د كفر ابليس عن قصد التكذيب بالربوبية وان كان عدم هذا القصد

لا ينفعه كما لا ينفع من قال الكفر ان لا يقصد ان يكفر و اذا كان كذا لك
 فالشارع اذا امر بقبول توبة من قصد تبدل دينه الحق و غير اعتقاده
 وقوله فاما ذاك لان المقتضى للقتل الاعتقاد الطارى و اعدام الاعتقاد الاول
 فاذا عاد ذلك الاعتقاد الايمانى و زال هذا الطارى كان بمنزلة الماء والمصير
 يتنجس بتغيره ثم يزول التغير فيعود حملا لا لان الحكم اذا ثبت بعلة
 زال بزوالها و هذا الرجل لم يظهر مجرد تغير الاعتقاد حتى يعود معصوما بعوده
 اليه وليس هذا القول من لوازم تغير الاعتقاد حتى يكون حكمه حكمه اذ قد
 بتغير الاعتقاد كثيرا ولا يكون به اذى لله و رسوله و اضرار المسلمين
 يزيد على تغير الاعتقاد و يفعله من يظن سلامة الاعتقاد و هو كاذب عند الله
 و رسوله و المؤمنين في هذه الدعوى والظن و معلوم ان المفسدة في هذا
 اعظم من المفسدة في مجرد تغير الاعتقاد من هذين الوجهين من جهة كونه
 اضرارا اذا و من جهة كونه قد يظن او يقال ان الاعتقاد قد يكون سالما
 معه فيصد رعن لا يريد الانتقال من دين الى دين و يكون فسادا اعظم
 من فساد الانتقال اذا الانتقال قد علم انه كفر فنزع عنه ما نزع عن الكفر
 و هذا قد يظن انه ليس بكفر الا اذا صدر استحلالا بل هو معصية و هو من
 اعظم انواع الكفر فاذا كان الداعى اليه غير الداعى الى مجرد الردة و المفسدة
 فيه مخالفة لمفسدة الردة و هي اشد منها لم يجز ان يلحق التائب منه بالتائب
 من الردة بالردة لان من شرط القياس قياس المعنى استواء الفرع و الاصل
 في حكمه الحكم باستوائهما في دليل الحكمة اذا كانت خفية فاذا كان في الاصل

معاني مؤثرة يجوز ان تكون التوبة انما قبلت لاجلها وهي معه وممة في الفرع
لم يجوز اذ لا يلزم من قبول توبة من خففت مفسدة جنايته او انتفت قبول
توبة من تملكيت مفسدته او بقيت وحاصل هذا الوجه ان عصمة دم هذا
بالتوبة قياسا على المرتد متعذر لوجود الفرق المؤثر فيكون المرتد المتقل الى
دين آخر ومن اتى من القول بما يضر المسلمين ويؤذي الله ورسوله وهو
موجب للكفر نوعين تحت جنس الكافر بعد اسلامه وقد شرعت التوبة
في حق الاول فلا يلزم شرع التوبة في حق الثاني لوجود الفارق من حيث
لا ضرار ومن حيث ان مفسدته لا تزول بقبول التوبة

فصل

قد تضمن هذه الدلالة على وجوب قتل الساب من المسلمين وان تاب واسلم ويوجه
قول من فرق بينه وبين الذمي اذا اسلم وقد تضمن الدلالة على ان الذمي
اذا عاد الى الذمة لم يسقط عنه القتل بطريق الاول فان عود المسلم الى الاسلام
احقن له من عود الذمي الى ذمته ولهذا عامة العلماء الذين حققوا دم
هذا وامثاله بالعود الى الاسلام لم يقولوا مثل ذلك في الذمي اذا عاد الى
الذمة ومن تأمل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله لبني قريظة
وبعض اهل خيبر وبعض ابني النضير واجلائه لبني النضير وبني قينقاع بعد ان
نقض هؤلاء الذمة وحرصوا على ان يجيبهم الى عقد الذمة ثانيا فلم يفعل ثم
سنة خلفائه وصحابته في مثل هذا المؤذي وامثاله مع العلم بانه كان احرص
شيء على العود الى الذمة لم يسترب في ان القول بوجوب اعادة مثل هذا

السابع
الطريق المتعددة في وجوب قتل الذمي

الطريقة الاولى
في كراهية قتل الذمي

الى الذمة قول مخالف للسنة ولا جماع خير القرون وقد تقدم التنبيه على ذلك في حكم ناقض العهد مطلقا ولو لا ظهوره لاشبعنا القول فيه وانما احلنا على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته من له بها علم فانهم لا يستريبون انه لم يكن الذي بين النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء اليهود هدنة مؤقتة وانما كانت ذمة مؤبدة على ان الدار الاسلام وانه يجري عليهم حكم الله ورسوله فيما يختلفون فيه الا انهم لم يضرب عليهم جزية ولم يلزموا بالصغار الذي الزموا بعد نزول براءة لان ذلك لم يكن شرع بعد واما من قال ان الساب يقتل وان تاب واسلم وسواء كان كافرا او مسلما فقد تقدم دليله على ان المسلم يقتل بعد التوبة وان الذمي يقتل وان طلب العود الى الذمة واما قتل الذمي اذا وجب عليه القتل بالسب وان اسلم بعد ذلك فلم يملك فيه طرق وهي دالة على تحتم قتل المسلم ايضا كما تدل على تحتم قتل الذمي.

الطريقة الاولى قول الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم فوجه الدلالة ان هذا الساب المذكور من المحاربين لله ورسوله الساعين في الارض فسادا الداخلين في هذه الآية سواء كان مسلما او معاهدا وكل من كان من المحاربين الداخلين في هذه الآية فانه يقام عليه الحد اذا قدر عليه قبل التوبة سواء تاب بعد ذلك او لم يتب فهذا الذمي او المسلم اذا سب

ثم اسلم بعد ان كل واحد قد ر عليه قبل التوبة فيجب اقامة الحد عليه
 وحده القتل فيجب قتله سواء تاب او لم يتب • والدليل مبني على
 مقدمتين • احدهما انه داخل في هذه الآية • والثانية • ان ذلك
 يوجب قتله اذا اخذ قبل التوبة اما المقدمة الثانية فظاهرة فاننا لم نعلم به
 مخالفا في ان المحاريين اذا اخذوا قبل التوبة وجب اقامة الحد عليهم وان
 تابوا بعد الاخذ وذلك بين في الآية فان الله اخبر ان جزاءهم احد هذه
 الحدود الاربعة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فالتائب قبل
 القدرة ليس جزاؤه شيئا من ذلك وغيره احد هذه جزاؤه وجزاء
 اصحاب الحدود يجب لقمته على الآية لان جزاء العقوبة اذا لم يكن حقا لآدمي
 حتى بل كان حدا من حدود الله وجب استيفاءه باتفاق المسلمين وقد
 قال تعالى في آية السرقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا فامر بالقطع جزاء
 على ما كسباه فلو لم يكن الجزاء المشروع الحد ود من العقوبات واجبا
 لم يعلل وجوب القطع به اذ العلة المطلوبة يجب ان تكون ابلغ من الحكم
 واقوى منه والجزاء اسم للفعل واسم لما يجازى به ولهذا قرئ قوله تعالى
 فجزاءه مثل ما قتل • بالتثنية وبالاضافة وكذلك الثواب والعقاب
 وغيرها فالقتل والقطع قد يسمى جزاء ونكالا وقد يقال فعل هذه ليجز به
 وللجزاء ولهذا قال الا كثرون انه نصب على المفعول له والمعنى ان الله
 امر بالقطع ليجزيهم ولينكل عن فعلهم وقد قيل انه نصب على المصدر لان
 معنى اقطعوا اجزوهم ونكلوا وقيل انه على الحال اى فاقطعوههم مجزين

منكبين هم وغيرهم اوجازين منكبين وبكل حال فالجزاء ما مودبه
او مامور لاجله ثبت انه واجب الحصول شرعاً وقد اخبر ان جزاء
المحاربين احد الحدود الاربعة فيجب تحصيلها اذ الجزاء هنا يتحد فيه معنى
الفعل ومعنى المجزى به لان القتل والقطع والصلب هي افعال وهي عين
ما يجزى به وليست اجساماً بمنزلة المثل من النعم بين ذلك ان لفظ الآية خبر
عن احكام الله سبحانه التي يامر الامام بفعلها ليست عن الحكم الذي يخبر فيه
بين فعله وتركه اذ ليس الله احكام في اهل الذنوب يخبر الامام بين فعلها
وترك جميعها وايضاً فانه قال ذلك لم يخزى في الدنيا والخزى لا يحصل
الاباقامة الحد ود لا تعطيلها . وايضاً فانه لو كان هذا الجزاء الى الامام له
اقامته وتركه بحسب المصلحة لندب الى العفو كما في قوله تعالى وان عاقبتهم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . وقوله والجروح
قصاص فمن تصدق به فهو كفارة وقوله ودية مسلمة الى اهله الا ان
تصدقوا . وايضاً فالإدلة على وجوب اقامة الحد ود على السلطان من
السنة والاجماع ظاهرة ولم نعلم مخالفاً في وجوب جزاء المحاربين ببعض
ما ذكر الله في كتابه وانما اختلفوا في هذه الحدود هل يخبر الامام بينها بحسب
المصلحة او لكل جرم جزاء محدد شرعاً كما هو مشهور فلا حاجة الى الاطّاع في
وجوب الجزاء لكن نقول جزاء الساب القتل عينا بما تقدم من الدلائل الكبيرة
ولا يخبر الامام فيه بين القطع والاتقاء واذا كان جزاؤه القتل من هذه
الحد ودوقد اخذ قبل الثوبة وجب اقامة الحد عليه اذا كان من المحاربين

بلا نرد فلنسين المقدمة الاولى وهي ان هذا من المحاربين لله ورسوله الساعين
في الارض فسادا وذلك من وجوه واحداهما ما روينا من حديث عبد الله بن
صالح كاتب الليث قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال وقوله انما جزاه الذين يجارون الله ورسوله
ويسعون في الارض فسادا قال كان قوم من اهل الكتاب بينهم وبين
النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله
رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء ان يقتل وان شاء ان يصلب وان شاء ان
يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف واما النبي فهو ان يهرب في الارض فان جاء
تائبا فدخل في الاسلام قبل منه ولم يؤخذ بما سلف منه ثم قال في موضع آخر وذكر
هذه الآية من شهر السلاح في قبة الاسلام واخاف السبيل ثم ظفر به وقدر
عليه فامام المسلمين فيه بالخيار ان شاء قتله وان شاء صلبه وان شاء قطع يده
ورجله ثم قال او ينفوا من الارض يخرجوا من دار الاسلام الى دار الحرب
فان تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم وكذا ذلك
روى محمد بن يزيد الواسطي عن جوير عن الضحاك قوله تعالى انما جزاه
الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا قال كان ناس من
اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فقطعوا
الميثاق وافسدوا في الارض فخير الله رسوله ان يقتل ان شاء او يصلب او
يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف واما النبي فهو ان يهرب في الارض و
لا يقدر عليه فان جاء تائبا فدخل في الاسلام قبل منه ولم يؤخذ بما عمل وقال

الضحاك لئلا رجل مسلم قتل او اصاب حدا او مالا لمسلم فلحق بالمشر كين
فلا توبة له حتى يرجع فيضع يده في يد المسلمين فيقر بما اصاب قبل ان يهرب
من دم او غيره اقيم عليه او اخذ منه ففي هذين الاثرين انها نزلت في قوم
معاهد بن من اهل الكتاب لما نقضوا العهد وفسدوا في الارض وكذلك
في تفسير الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وان كان لا يعتمد عليه اذا انفرد
انها نزلت في قوم مواد عين وذلك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وادع هلال بن عويم وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن اتاه من المسلمين فهو آمن وان يهاج ومن اتى المسلمين منهم فهو آمن ان يهاج ومن
مر بهلال بن عويم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن ان يهاج قال
فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من اسلم من قوم هلال بن عويم
ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فهدوا اليهم فقتلوه واخذوا اموالهم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل عليه جبريل بالقصة فيهم فقد ذكر انها
نزلت في قوم معاهد بن لكن من غير اهل الكتاب . وروى عكرمة عن
ابن عباس وهو قول الحسن انها نزلت في المشر كين ولعله اراد
الذين نقضوا العهد كما قال هو لانه فان الكافر الاصل لا ينطبق عليه حكم
الآية والذي يحقق ان ناقض العهد يضر المسلمين داخل في هذه الآية من
الاثار ما قد مناه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتى برجل من
اهل الذمة نخس بامر له من المسلمين حتى وقعت فتيلها فامر به عمر فقتل
وصلب فكان اول مصلوب في الاسلام وقال يا ايها الناس اتقوا الله في ذمة

محمد صلى الله عليه وسلم ولا تظلموهم فمن فعل هذا فلا ذمة له وقد رواه عنه
عوف بن مالك الاشجعي وغيره كما تقدم وروى عبد الملك بن حبيب
باسناده عن عياض بن عبد الله الاشعري قال مرت امرأة تسير على بغل
فخنس بها عالج فوقعت من البغل فبدا بعض عورتها فكتب بذلك ابو عبيدة
ابن الجراح الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر ان اصلب العالج في ذلك
المكان فانالم نعاهدهم على هذا اتما عاهدناهم على ان يعطوا الجزية عن يد وهم
صاغرون وقد قال ابو عبد الله احمد بن حنبل في مجوسى فجر بمسلمة يقتل
هذا نقض العهد وكذلك ان كان من اهل الكتاب يقتل ايضا قد صلب
عمر رجلا من اليهود فجر بمسلمة هذا نقض العهد قيل له ترى عليه الصلب
مع القتل قال ان ذهب رجل الى حديث عمر كانه لم يعب عليه فهو لاه
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابو عبيدة وعوف بن مالك
ومن كان في عصرهم من السابقين الاولين قد استحلوا قتل هذا وصلبه
وبين عمر انالم نعاهدهم على مثل هذا الفساد وان العهد انتقض بذلك فعلم انهم
تاولوا فمين نقض العهد بمثل هذا انه من محاربة الله ورسوله والسعى في الارض
فسادا فاستحلوا ذلك قتله وصلبه والا فصلب مثله لا يجوز الا لمن ذكره الله في
كتابه وقد قال آخرون منهم ابن عمرو انس بن مالك ومجاهد وسعيد بن جبير
وعبد الرحمن بن جبير ومكحول وقتادة وغيرهم رضى الله عنهم انها نزلت في العربيين
الذين ارتدوا عن الاسلام وقتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناقوا بل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث العربيين مشهور لا منافاة بين الحديثين

فان سبب النزول قد يتعدد مع كون اللفظ عاما في مدلوله وكذلك كان عامة العلماء على ان الآية عامة في المسلم والمرتد والناقض كما قال الاوزاعي في هذه الآية هذا حكم حكمه الله في هذه الامة على من حارب مقبلا على الاسلام او عرّدا عنه وفمين حارب من اهل الذمة وقد جاءت آثار صحيحة عن علي وابي موسى وابي هريرة وغيرهم رضى الله عنهم تقتضي ان حكم هذه الآية ثابت فمين حارب المسلمين بقطع الطريق ونحوه مقبلا على اسلامه ولهذا يستدل جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على حدة قطاع الطريق بهذه الآية • والمقصود هنا ان هذا الناقض للعهد والمرتد عن الاسلام بما فيه الضرر داخل فيها كما ذكرنا دلائله عن الصحابة والتابعين وان كان يدخل فيها بعض من هو مقيم على الاسلام وهذا الساب ناقض للعهد بما فيه ضرر على المسلمين ومرتد بما فيه ضرر على المسلمين فيدخل في الآية • وما يدل على انه قد عني بها نقضوا العهد في الجملة ان النبي صلى الله عليه وسلم ثقي بنى قينقاع والنضير لما نقضوا العهد الى ارض الحرب وقتل بنى قريظة وبعض اهل خيبر لما نقضوا العهد والصحابة قتلوا وصلبوا بعض من فعل ما ينقض العهد من الامور المضرة فحكم النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه في اصناف ناقضي العهد حكم الله في هذه الآية مع صلاحه لان يكون امثالا لامر الله فيها دليل على انهم مرادون منها • الوجه الثاني • ان ناقض العهد والمرتد المؤذي لا ريب انه محارب لله ورسوله فان حقيقة نقض العهد محاربة المسلمين ومحاربة المسلمين محاربة لله ورسوله وهو اولي بهذا الاسم من قاطع الطريق ونحوه لان ذلك مسلم

لكن لما حارب المسلمين على الدنيا كان محارباً لله ورسوله فالذى يحاربهم على الدين اولى ان يكون محارباً لله ورسوله ثم لا يخلوا ما ان لا يكون محارباً لله ورسوله حتى يقاتلهم ويمتنع عنهم او يكون محارباً اذا فعل ما يضرهم مما فيه نقض العهد وان لم يقاتلهم والاول لا يصح لما قد مناه من ان هذا قد نقض العهد وصار من المحاربين ولان ابا بكر الصديق رضى الله عنه قال ايما معاهد تعاطى سب الانبياء فهو محارب غادر وعمر وسائر الصحابة قد جعلوا الذمى الذى تجلج المسلمة بعد ان نحس بها الدابة محارباً بمجرد ذلك حتى حكموا فيه بالقتل والصلب فعلم انه لا يشترط في المحاربة المقاتلة بل كلما نقض العهد عندهم من الاقوال والافعال المضرة فهو محارب داخل في هذه الآية فان قيل • فيلزم من هذا ان يكون كل من نقض العهد بما فيه ضرر يقتل اذا اسلم بعد القدرة عليه • قيل • وكذلك تقول وعليه يدل ما ذكرناه في سبب نزولها فانها اذا نزلت فمين نقض العهد بالفساد وقد قيل فيها الا الذين تابوا من قبل ان تتدروا عليهم علم ان النائب بعد القدرة مبقى على حكم الآية • الوجه الثالث • ان كل ناقض للعهد فقد حارب الله ورسوله ولولا ذلك لم يجز قتله ثم لا يخلوا اما ان يقتصر على نقض العهد بان يلحق بدار الحرب او يضم الى ذلك فسادا فان كان الاول فقد حارب الله ورسوله فقط فهذا لم يدخل في الآية وان كان الثاني فقد حارب وسعى في الارض فسادا مثل ان يقتل مسلماً او يقطع الطريق على المسلمين او يغصب مسلمة على نفسها او يظهر الطعن في كتاب الله ورسوله ودينه او يفتن مسلماً عن دينه فان هذا قد حارب الله ورسوله

نقضه العهد وسعى في الارض فسادا بفعله ما يفسد على المسلمين اما دينهم
او دنياهم وهذا قد دخل في الآية فيجب ان يقتل او يقتل ويصلب او ينقي من
الارض حتى يلحق بارض الحرب ان لم يقدر عليه او تقطع يده ورجله ان
كان قد قطع الطريق واخذ المال ولا يسقط عنه ذلك الا ان يتوب من
قبل ان يقدر عليه وهو المطلوب * الوجه الرابع * ان هذا الساب محارب لله
ورسوله ساع في الارض فسادا فيدخل في الآية وذلك لانه عدو لله
ورسوله ومن عادى الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله وذلك لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال للذي سبه من يكفيني عدوى وقد تقدم
ذكر ذلك من غير وجه واذا كان عدوا له فهو محارب * وروى البخاري
في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك
وتعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة * وفي الحديث عن معاذ بن جبل
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اليسير من الرياء شرك ومن
عادى اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة فاذا كان من عادى واحدا من الاولياء قد
بارز الله بالمحاربة فكيف من عادى صفوة الله من اوليائه فانه يكون اشد مبارزة
له بالمحاربة واذا كان محاربا لله لا جل عداوته للرسول فهو محارب للرسول
بطريق الاولى فثبت ان الساب للرسول محارب لله ورسوله * فان قيل * فلو سب
واحدا من اولياء الله غير الانبياء فقد بارز الله بالمحاربة فانه اذا سبه فقد عاداه كما
ذكرتم واذا عاداه فقد بارز الله بالمحاربة كما نصه الحديث الصحيح ومع هذا لا يدخل
في المحاربة المذكورة في الآية فقد انتقض الدليل وذلك يوجب صرف المحاربة الى

المحاربة باليد ✽ قبل هذا باطل من وجوه ✽ أحدها ✽ اذ ليس كل من
سب غير الانبياء يكون قد عاداهم اذ لا دليل يدل على ذلك وقد قال
سبحانه وتعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتاناً وثأماً مبیناً . بعد ان اطلق انه من آذى الله ورسوله فقد
لعنه الله في الدنيا والآخرة . فعلم ان المؤمن قد يوذى بما اكتسب ويكون
آذاه بحق كقائمة الحدود والانتصار في الشتم ونحو ذلك مع كونه
ولي الله واذا كان واجباً في بعض الاحيان او جائزاً لم يكن موزيه في تلك
الحال عدواً له لان المؤمن يجب عليه ان يوالى المؤمن ولا يعاديه وان
عاقبه عقوبة شرعية كما قال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
وقال تعالى من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا الثاني ان من سب
غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد يكون مع السب موالية من وجه
آخر فان سب المسلم اذا لم يكن بحق كان فسوقاً والفاسق لا يعادى
المؤمنين بل يوالىهم ويعتقد مع السب للمؤمن انه يجب موالاة من وجه
آخر اما سب النبي صلى الله عليه وسلم فانه ينافى اعتقاد نبوته ويستلزم البراءة
منه والمعاداة له لان اعتقاد عدم نبوته وهو يقول انه نبي يوجب ان يعامل
معاملة النبيين وذلك يوجب ابلغ العداوات له الثالث لو فرض ان سب
غير النبي صلى الله عليه وسلم عداوة له لكن ليس احد بعينه يشهد له انه ولي الله
شهادة توجب ان ترتب عليها الاحكام المبيحة للدماء بخلاف الشهادة
للنبي بالولاية فانها بعينه نعم لما كان الصحابة قد يشهد لبعضهم بالولاية خرج

في قتل سابعهم خلاف مشهور بمائنيه ان شاء الله تعالى عليه ❖ الرابع ❖ انه لو فرض
انه عادي ولياً علم انه ولي فانما يدل على انه بارز الله بالمحاربة وليس فيه
ذكر محاربة الله ورسوله والجزاء المذكور في الآية انما هو لمن حارب الله
ورسوله ومن سب الرسول فقد عاده ومن عاده فقد حاربه وقد
حارب الله ايضاً كما دل عليه الحديث فيكون محارباً لله ورسوله ومحاربة الله
ورسوله اخص من محاربة الله والحكم المعلق بالاخص لا يدل على انه
معلق بالاعم وذلك ان محاربة الرسول تقتضي مشاقته على ما جاء به من
الرسالة وليس في معاداة ولي بعينه مشاقة في الرسالة بخلاف الطعن
في الرسول ❖ الخامس ❖ ان الجزاء في الآية لمن حارب الله ورسوله
اوسعى في الارض فساداً والطاعن في الرسول قد حارب الله ورسوله
كما تقدم وقد سعى في الارض فساداً كما سيأتي وهذا الساب للولي وان
كان قد حارب الله فلم يسع في الارض فساداً لان السعي في الارض فساداً
انما يكون بافساد عام لدين الناس او دنياهم وهذا انما يتحقق في الطعن في
النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لا يجب على الناس الايمان بولاية الولي
ويجب عليهم الايمان بنبوة النبي ❖ السادس ❖ ان سباب الولي لو فرض انه
محارب لله ورسوله فخروجه من اللفظ العام لدليل اوجبه لا يوجب ان
يخرج هذا الساب للرسول لان الفرق بين العداوتين ظاهر والقول
العام اذا خصت منه صورة لم تخص منه صورة اخرى لا تساويها الا بدليل
آخر ❖ السابع ❖ ان حمله على المحاربة باليد متعذر ايضاً في حق الولي لان من

عاداه يده لم يوجب ذلك ان يدخل في حكم الآية على الاطلاق مثل ان
يضر به ونحو ذلك فلا فرق اذ في حقه بين المعاداة باليد واللسان
بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا فرق بين ان يعاديه بيد او لسان
فانه يمكن دخوله في الآية وذلك مقرر الاستدلال كما تقدم
واذا ثبت ان هذا الساب محارب لله ورسوله فهو ايضا ساع في الارض
فسادا لان الفساد نوعان فساد الدنيا من الدماء والاموال والفروج وفساد
الدين والذي يسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقع في عرضه يسعى
لفساد على الناس دينهم ثم بواسطة ذلك يفسد عليهم دنياهم وسواهم فرضنا
انه افسد على احد دينه او لم يفسد لانه سبحانه تعالى انما قال ويسعون في الارض
فساداه قيل انه نصب على المفعول له اي ويسعون في الارض للفساد وكما قال
واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد والسعى هو العمل والفعل فمن سعى لفساد امر الدين فقد سعى في الارض
فسادا وان خاب سعيه وقيل انه نصب على المصدر او على الحال تقديره
سعى في الارض مفسدا كقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين او كما يقال
جلس قعودا وهذا يقال لكل من عمل عملا يوجب الفساد وان لم يؤثر لعدم
قبول الناس له وتمكينهم اياه بمنزلة قاطع الطريق اذا لم يقتل احدا ولم يأخذ مالا
على ان هذا العمل لا يخلو من فساد في النفوس قط اذا لم يقيم عليه الحد وايضا
فانه لا ريب ان الطعن في الدين وتبحيح حال الرسول في اعين الناس وتغييرهم
عنه من اعظم الفساد كما ان الدعاء الى تعزيره وتوقيره من اعظم الصلاح والفساد

ضد الصلاح وكان كل قول وعمل يحبه الله فهو من الصلاح وكل قول
او عمل يبغضه الله فهو من الفساد قال سبحانه وتعالى ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها * يعني الكفر والمعصية بعد الايمان والطاعة لكن الفساد نوعان
لازم وهو مصدر فسد يفسد فسادا ومتعد وهو اسم مصدر افسد يفسد
افسادا كما قال تعالى سعي في الارض ليفسد فيه ويهلك الحرث والنسل والله
لا يحب الفساد * وهذا هو المراد هنا لان يقال يسعون في الارض فسادا وهذا
انما يقال لمن افسد غيره لانه لو كان الفساد في نفسه فقط لم يقل سعي في الارض
فسادا وهذا انما يقال في الارض لما انفصل عن الانسان كما قال سبحانه
وتعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا اني كتاب مبين * وقال
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم * وقال تعالى وفي الارض آيات للموقنين
وفي انفسكم * وايضا فان الساب ونجوه انتهك حرمة الرسول وتقص قدره
واذى الله ورسوله وعباده المؤمنين واجرا النفوس الكافرة والمنافقة
على اصطلام امر الاسلام وطلب اذلال النفوس المؤمنة وازالة عز الدين
وامفال كلمة الله وهذا من ابلغ السعي فسادا * ويؤيد ذلك ان عامة ما ذكر في القرآن
من السعي في الارض فسادا والافساد في الارض فانه قد عني به افساد الدين فثبت
ان هذا الساب محارب لله ورسوله ساع في الارض فسادا فيدخل في الآية *
* الوجه الخامس * ان المحاربة نوعان محاربة باليد ومحاربة باللسان والمحاربة
باللسان في باب الدين قد تكون انكي من المحاربة باليد كما تقدم تقريره في المسئلة
الاولى وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقتل من كان يحاربه باللسان

مع استبقائه بعض من حاربه باليد خصوصاً محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته فإنها انما تمكن باللسان وكذلك الفساد قد يكون باليد وقد يكون باللسان وما يفسده اللسان من الاديان اضعاف ما تفسده اليد كما ان ما يصلحه اللسان من الاديان اضعاف ما يصلحه اليد فثبت ان محاربة الله ورسوله باللسان اشد والسعي في الارض لفساد الدين باللسان او كد فهذا الساب لله ورسوله اولى باسم المحارب المفسد من قاطع الطريق * الوجه السادس * ان المحاربة خلاف المسالمة والمسالمة ان يسلم كل من المتسلمين من اذى الآخر فمن لم يسلم من يده او لسانه فليس بمسلم لك بل هو محارب ومعلوم ان محاربة الله ورسوله هي المغالبة على خلاف ما امر الله به ورسوله اذا المحاربة لذات الله ورسوله محال فمن سب الله ورسوله لم يسلم الله ورسوله لان الرسول لم يسلم منه بل طغنه في رسول الله مغالبة لله ورسوله على خلاف ما امر الله به على لسان رسوله وقد افسد في الارض كما تقدم فيد خل في الآية وقد تقدم في المسئلة الاولى ان هذا الساب محاد لله ورسوله مشاق لله تعالى ورسوله وكل من شاق الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله لان المحاربة والمشاقة سواء * فان الحرب هو الشق منه سمي المحراب مجرأباً واما كونه مفسداً في الارض فظاهر . واعلم ان كل ما دل على ان السب نقض للعهد فقد دل على انه محاربة لله ورسوله لان حقيقة نقض العهد ان يعود الذي محارباً فلو لم يكن بالسب يعود محارباً لما كان ناقضاً للعهد وقد قد منا في ذلك من الكلام ما لا يليق اعادته لما فيه من الاطالة فليراجع ماضى في هذا الموضع

بقي انه سعى في الارض فسادا وهذا واضح من ان يحتاج الى دليل فان اظهار
 كلمة الكفر والطعن في المرسلين والقدح في كتاب الله ودينه ورسوله
 وكل سب بينه وبين خلقه لا يكون اشد منه فسادا وعامة الآي في كتاب الله
 التي تنهى عن الافساد في الارض فان من اكثر المراد بها الطعن في الانبياء
 كقوله سبحانه عن المنافقين الذين يخادعون الله والذين آمنوا واذا قيل
 لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال تعالى الا انهم هم المفسدون
 وانما كان افسادهم تفاقهم وكفرهم وقوله لا تفسدوا في الارض بعد
 اصلاحها وقوله سبحانه والله لا يحب الفساد وقوله واصلم ولا تتبع سبيل
 المفسدين واذا كان هذا محاربا لله ورسوله سا عيا في الارض فسادا
 تناولته الآية وشملته ومما يقرر الدلالة من الآية ان الناس فيها قسمان منهم
 من يجعلها مخصوصة بالكفار من مرتدو ناقض عهد ونحوها ومنهم من
 يجعلها عامة في المسلم المقيم على اسلامه وفي غيره ولا علم احدا خصها بالمسلم
 المقيم على اسلامه فتخصيصها به خلاف الاجماع ثم الذين قالوا انها عامة قال
 كثير منهم قتادة وغيره قوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم هذه
 لاهل الشرك خاصة فمن اصاب من المشركين شيئا من المسلمين وهولم حرب
 فاخذ مالا او اصاب دما ثم مات من قبل ان يقدر عليه اهدر عنه ماضى
 لكن المسلم المقيم على اسلامه محاربته انما هي باليد لان لسانه موافق مسلم للمسلمين
 غير محارب اما المرئد والناقض للعهد فمحاربه تارة باليد وباللسان اخرى
 ومن زعم ان اللسان لا تقع به محاربة فالادلة المتقدمة في اول المسئلة مع

ما ذكرناه هنا تدل على انه محاربة على ان الكلام في هذا المقام انما هو بعد
 ان نقرر ان السب محاربة ونقض للعهد ❖ واعلم ❖ ان هذه الآية آية جامعة
 لانواع من المفسدين والدلالة منها هنا ظاهرة قوية لمن تأملها لا اعلم شيئاً يدفعها
 . فان قيل . مما يدل على ان المحاربة هنا باليد فقط انه قال الا الذين تابوا
 من قبل ان تقدروا عليهم وانما يكون هذا فيمن كان ممتنعاً والشاتم ليس ممتنعاً
 . قيل . الجواب من وجوه ❖ احدها ❖ ان المستثنى اذا كان ممتنعاً لم يلزم
 ان يكون المستثنى ممتنعاً لجواز ان تكون الآية تعم كل محارب يد او لسان
 ثم استثنى منهم الممتنع اذا تاب قبل القدرة فيبقى المقدور عليه مطلقاً والممتنع
 اذا تاب بعد القدرة ❖ الثاني ❖ ان كل من جاء تائباً قبل اخذه فقد تاب
 قبل القدرة عليه . سئل عطاء عن الرجل يجيء بالسرقة تائباً قال ليس
 عليه قطع وقرأ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم وكل من
 لم يؤخذ فهو ممتنع لاسيما اذا لم يوجد ولم تقم عليه حجة وذلك لان الرجل
 وان كان مقيماً فيمكنه الاستخفاء والهرب كما يمكن المصحف فليس كل من فعل
 جرم ما كان مقدوراً عليه بل قد يكون طلب المصحف اسهل من طلب المقيم
 اذا كان لا يواريه في الصحراء خمر ولا غابة بخلاف المقيم في المصر وقد يكون
 المقيم له من يمنعه من اقامة الحد عليه وكل من تاب قبل ان يؤخذ ويرفع
 الى السلطان فقد تاب قبل القدرة عليه . وايضاً فاذا تاب قبل ان يعلم به
 وثبت الحد عليه فان جاء بنفسه فقد تاب قبل القدرة عليه لان قيام البينة
 وهو في ايدينا قدرة عليه فاذا تاب قبل هذين فقد تاب قبل القدرة

عليه قطعا الثالث ان المحارب باللسان كالمحارب باليد قد يكون ممنوعا وقد يكون المحارب باليد مستضعفاين قوم كثيرين وكما ان الذي يخاطر بنفسه بقتال قوم كثيرين قليل فكذلك الذي يظهر الشتم ونحوه من الضررين قوم كثيرين قليل وان الغالب ان القاطع بسيفه انما يخرج على من يستضعفه فكذلك الذي يظهر الشتم ونحوه من الساب ونحوه انما يفعل ذلك في الغالب مستخفيا مع من لا يتمكن من اخذه ورفعته الى السلطان والشهادة عليه ومما يقرر الدلالة الاستدلال بالآية من وجهين اخرين احدهما انها قد نزلت في قوم ممن كفروا وحارب بعد سلمه باتفاق الناس فما علمنا وان كانت نزلت ايضا فيمن حارب وهو مقيم على اسلامه فالذي اذ احارب امانا بان يقطع الطريق على المسلمين او يسكره مسلمة على نفسها ونحو ذلك يصير به محاربا وعلى هذا اذا تاب بعد القدرة عليه لم يسقط عنه القتل الواجب عليه وان كان هذا قد اختلف فيه فان العمدية على الحجة فالسب للرسول اولى ولا يجوز ان يخص بمن قاتل لاخذ المالى فان الصحابة جعلوه محاربا بدون ذلك وكذلك سب النزول الذي ذكرناه ليس فيه انهم قتلوا احدا لاخذ مال ولو كانوا قتلوا احدا لم يسقط القود عن قاتله اذا تاب قبل القدرة وكانت قد قتله وله عهد كما لو قتله وهو مسلم وايضا فقطع الطريق امانا ان يكون نقضا للعهد او يقام عليه ما يقام على المسلم مع بقاء العهد فان كان الاول فلا فرق بين قطع الطريق وغيره من الامور التي تضر المسلمين وحينئذ فمن نقص العهد به لم يسقط حده

وهو القتل اذا تاب بعد القدرة . وان كان الثاني لم ينتقض عهد الذمي
 بقطع الطريق وقد تقدم الدليل على فساد . ثم ان الكلام هنا انما هو تفريع
 عليه فلا يصح المنع بعد التسليم . الثاني . ان الله سبحانه فرق بين التوبة قبل
 القدرة وبعدها لان الحدود اذا رفعت الى السلطان وجبت ولم يكن العفو
 عنها ولا الشفاعة بخلاف ما قبل الرفع ولان التوبة قبل القدرة عليه توبة
 اختيار والتوبة بعد القدرة توبة اكراه واضطرار بمنزلة توبة فرعون حين
 ادركه الغرق وتوبة الامم المكذبة لما جاءها بالبأس وتوبة من حضره الموت
 فقال اني تبت الآن فلم يعلم صحتها حتى يسقط الحد الواجب ولان قبول
 التوبة بعد القدرة لو اسقط الحد لتعطلت الحدود وانبتق سد الفساد
 فان كل مفسد يتمكن اذا اخذ ان يتوب بخلاف التوبة قبل القدرة فانها
 تقطع دابر الشر من غير فساد فهذه معان مناسبة قد شهد لها الشارع بالاعتبار
 في غير هذا الاصل فتكون اوصافاً مؤثرة او ملائمة فيطل الحكم بهلوهي
 بعينها موجودة في الساب فيجب ان يسقط القتل عنه بالتوبة بعد الاخذ لان
 اسلامه توبة منه وكذلك توبة كل كافر قال سبحانه تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة
 في مواضعين والحد قد وجب بالرفع وهذه توبة اكراه او اضطرار وفي
 قبولها تعطيل للحد ولا ينتقض هنا علينا بتوبة الحربي الاصل فانه لم يدخل في
 هذه الآية ولانه اذا تاب بعد الاسر لم يخل سبيله بل يسترق ويستعبد وهو احدى
 العقوبتين اللتين كان يعاقب بهما قبل الاسلام والساب لم يكن عليه الا عقوبة
 واحدة فلم يسقط كقاطع الطريق والمرتد المجرم لم يسع في الا رض فسادا

فلم يدخل في الآية ولا يرد نقضا من جهة المعنى لانا انما نعرضه للسيف ليعود الى الاسلام و انما نقله لمقامه على تبديل الدين فاذا اظهر الاعادة اليه حصل المقصود الذي يمكننا تحصيله و زال المحذور الذي يمكننا ازالته و انما تعطيل هذا الجد ان يترك على رده غير مرفوع الى الامام ولم يقدح كونه مكرها بحق في غرضنا لانا انما طلبنا منه ان يعود الى الاسلام طوعا او كرها كما لو قاتلناه على الصلاة او الزكاة فبذلها طوعا او كرها حصل مقصودنا و الساب و نحوه من المؤذ بين انما نقلهم لما فعلوه من الاذى و الضرر لا مجرد كفرهم فاننا قد اعطيناهم العهد على كفرهم فاذا اسلم بعد الاخذ زال الكفر الذي لم يعاقب عليه بمجردده و اما الاذى و الضرر فهو افساد في الارض قد مضى منه كالا فساد بقطع الطريق لم يزل الابتوبة اضطرار لم تطلب منه ولم يقتل ليفعل بل قوتل او لا ليبدل و احدا من الاسلام او اعطاء الجزية طوعا او كرها فبذل الجزية كرها على انه لا يضر المسلمين فضرهم فاستحق ان يقتل فاذا تاب بعد القدرة عليه و اسلم كانت توبة محارب مفسد مقدور عليه

❖ الطريقة الثانية ❖ قوله سبحانه وان نكشوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلمهم بنهبون الآيات وقد قرأ ابن عامر والحسن وعطاء والضحاك والاصمعي وغيرهم عن ابي عمرو لا ايمان لهم بكسر الهمزة وهي قراءة مشهورة وهذه الآية تدل على انه لا يعصم دم الطاعن ايمان ولا يمين ثانية اما على قراءة الاكثرين فان قوله لا ايمان لهم اي لا وفاء بالايمان ومعلوم انه انما اراد لا وفاء في المستقبل بيمين اخرى اذ عدم اليمين في الماضي قد تحقق بقوله وان نكشوا ايمانهم فافاد

❖ الطريقة الثانية ❖

هذا ان الناكث الطاعن امام في الكفر لا يعقد له عقد ثان ابدا * واما على
 قرأه ابن عامر فقد علم ان الامام في الكفر ليس له ايمان ولم يخرج هذا مخرج
 التعليل لقتالهم لان قوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اباح في انتفاء الايمان عنهم
 من قوله تعالى لا ايمان لهم وادل على ائمة الحكم ولكن يشبه والله اعلم ان يكون
 المقصود ان الناكث الطاعن امام في الكفر لا يوثق بما يظهره من الايمان
 كما لم يوثق بما كان عقده من الايمان لان قوله تعالى لا ايمان نكرة منفية
 بلا التي تنفي الجنس فتقتضي نفي الايمان عنهم مطلقا ثبت لن الناكث الطاعن
 في الدين امام في الكفر لا ايمان له من هو لا، فانه يجب قتله وان اظهر
 الايمان * يؤيد ذلك ان كل كافر فانه لا ايمان له في حال الكفر فكيف بائمة
 الكفر فتخصيص هو لا، بسلب الايمان عنهم لا بد ان يكون له موجب
 ولا موجب له الا نفيه مطلقا عنهم والمعنى ان هو لا، لا يرتجي ليمانهم فلا يستبقون
 وانهم لو اظهروا ايمانا لم يكن صحيحا وهذا كما قال النبي صلى الله عليه
 وسلم اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم (١) لان الشيخ قد عسا في
 الكفر وكما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في وصية لامراء الا جناد
 شرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان وعمر بن العاص ستلقون
 اقواما مجوفة رؤسهم فاضربوا معاقد الشيطان منها بالسيوف فلا تقاتل رجلا
 منهم احب الي من ان تقتل سبعين من غيرهم وذلك بان الله تعالى قال قاتلوا ائمة
 الكفر انهم لا ايمان لهم لعلمهم ينتهون والله اصدق القائلين فانه لا يكاد يعلم
 احدا من الناقضين للعهود الطاعنين في الدين ائمة الكفر حسن اسلامه

بخلاف من لم ينقض العهد او تقضه ولم يظعن في الدين او ظعن ولم ينقض
 عهده فان هؤلاء قد يكون لهم ايمان . بين ذلك انه قال لعلم ينتهون اي عن
 النقض والظعن كما سنقرره . ولما يحصل الا انتهاء اذا قوتلت الفئة الممنعة
 حتى تغلب او اخذ الواحد الذي ليس بممنوع فقتل لانه متى استحيى بعد القدرة
 طمع امثاله في الحياة فلا ينتهون . و مما يوضح ذلك ان هذه الآية قد قبل
 انها نزلت في اليهود الذين كانوا غدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونكثوا
 ما كانوا اعطوا من العهد والايمان على ان لا يعينوا عليه اعداءه . من المشركين
 وهموا بمعاونة الكفار والمنافقين على اخراج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة
 فاخبر انهم بدأوا بالغدر ونكث العهد فامر بقنالم . ذكر ذلك القاضي ابو يعلى
 فلي هذا يكون سبب نزول الآية مثل مسئلتنا سواه . وقد قبل . انها نزلت
 في مشركي قريش ذكره جماعة وقالت طائفة من العلماء وبراءة انما نزلت بعد
 تبوك وبعد فتح مكة ولولم يكن حينئذ بقي بمكة مشرك يقاتل فيكون المراد من
 اظهر الاسلام من الطلقاء ولم يبق قلة من الكفر اذا اظهروا النفاق . ويؤيد
 هذا قراءة مجاهد والضحاك نكثوا ايمانهم بكسر الهمزة فتكون دالة على ان
 من نكث عهده الذي عاهد عليه من الاسلام وظعن في الدين فانه يقاتل
 وانه يقاتل له قال من نصر هذه الآية قال فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا
 الزكاة فآخوانكم في الدين ثم قال وان نكثوا ايمانهم فعلم ان هذا انكث بعد هذه
 التوبة لانه قد تقدم الاخبار عن نكثهم الاول لقوله تعالى لا يرفقون في
 مؤمن الا ولا ذمة وقوله تعالى كيف وان يظهر واعليكم الآية وقد تقدم ان

الايان هي اليهود فلي هذا اتم الآية من نكث عهد الايمان ومن نكث عهد
 الايمان انه اذا طعن في الدين قوتل وانه لا ايمان له حينئذ فتكون دالة على ان
 الطاعن في الدين يسب الرسول ونحوه من المسلمين واهل الذمة لا ايمان له
 ولا يمين له فلا يجتنده به شيء بعد ذلك . فان قيل . قد قيل قوله تعالى
 لا ايمان لهم اي لا امان لهم مصدر آمنت الرجل او منه ايماناً ضد اخفته كما قال
 تعالى وآمنهم من خوف . قيل . ان كان هذا القول صحيحاً فهو حجة ايضاً
 لانه لم يقصد لا امان لهم في الحال فقط للعلم بانهم قد نقضوا العهد وانما يقصد
 لا امان لهم بحال في الزمان الحاضر والمستقبل وحينئذ فلا يجوز ان يؤمن هذا بحال
 بل يقتل بكل حال . فان قيل . انما امر في الآية بالمقاتلة لا بالقتل وقد قال بعدها
 ويتوب الله بعدها على من يشاء فعلم ان التوبة منه مقبولة قبل لما تقدم
 ذكر طائفة ممتنعة امر بالمقاتلة واخبر سبحانه انه يعذبهم بايدي المؤمنين
 وينصر المؤمنين عليهم ثم من بعد ذلك يتوب الله على من يشاء لان ناقضي
 العهد اذا كانوا ممتنعين فمن تاب منهم قبل القدرة عليه سقطت عنه الحدود
 وكذلك قال على من يشاء وانما يكون هذا في عد تتعلق المشية بنوبة بعضهم .
 بوضح ذلك انه قال ويتوب الله بالضم وهذا كلام مستأنف ليس داخل في حيز جواب
 الامر وذلك يدل على ان التوبة ليست مقصودة من قتالهم ولا هي حاصلة
 بقتالهم وانما المقصود بقتالهم انتهاؤهم عن النكث والطعن والمضمون بقتالهم
 تعذيبهم وخزيهم والنصر عليهم وفي ذلك ما يدل على ان الحد لا يسقط
 عن الطاعن الناكث باظهار التوبة لانه لم يقتل ويقاتل لاجلها . يؤيد هذا انه

قال كيف يكون للمشر كين عهد عند الله الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة
واتوا الزكاة فآخوانكم في الدين * ثم قال وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر فذكر التوبة الموجبة للاخوة قبل ان
يذكر نقض العهد والطعن في الدين وجعل للمعاهد ثلاثة احوال (الحد ها)
ان يستقيم لنا فستقيم له كما استقام فيكون مخلي سبيله لكن لبس اخافي الدين
(الحال الثانية) ان يتوب من الكفر ويقم الصلاة ويؤتي الزكاة فيصير
اخافي الدين ولهذا لم يقل هنا خلوا سبيلهم كما قال في الآية قبلها لان الكلام
هناك في توبة المحارب وتوبته توجب تخليه سبيله وهذا الكلام في توبة
المعاهد وقد كان سبيله مخلي وانما توبته توجب اخوته في الدين قال سبحانه
ونفصل الآيات لقوم يعلمون * وذلك ان المحارب اذا تاب وجب تخليه
سبيله اذا حاجته انما هي الى ذلك و جاز ان يكون قد تاب خوف السيف
فيكون مسلما لاموء منافخوته الايمانية تتوقف على ظهور دلائل الايمان كما
قال تعالى قالت الاعراب امانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والمعاهد اذا
تاب فلا ملجأ له الا التوبة ظاهر افان لم يكرهه على التوبة ولا يجوز اكراهه
فتوبته دليل على انه تاب طائعا فيكون مسلما مؤمنا والمؤمنون اخوة فيكون
اخا (الحال الثالثة) ان ينكث بيمينه بعد عهد و يطعن في ديننا فامر بقتاله
وبين انه ليس له ايمان ولا ايمان والمقصود من قتاله ان ينهي عن النقض والطعن
لا عن الكفر فقط لانه قد كان معاهدا مع الكفر ولم يكن قتاله جائزا فعلم
ان الانتهاء من مثل هذا عن الكفر ليس هو المقصود لقتاله وانما المقصود

بقتاله انتهاؤه عن ما اضر به المسلمين من نقض العهد و الطعن في الدين وذلك لا يحصل الا بقتل الواحد الممكن و قتال الطائفة الممتنعة قتالا يعذبون به و يخزون و ينصروا المؤمنين عليهم اذ تخصيص التوبة بحال دليل على انتفاءها في الحال الاخرى و ذكره سبحانه التوبة بعد ذلك جملة مستقلة بعد ان امر بما يوجب تعذيبهم و خزيهم و شفاء الصدور منهم دليل على ان توبة مثل هؤلاء لا بد معها من الانتقام منهم بما فعلوا بخلاف توبة الباقي على عهد . فلو كان توبة الماخوذ بعد الاخذ يسقط القتل لكانت توبة خالية عن الانتقام و للزم ان مثل هؤلاء لا يعذبون ولا يخزون ولا تشفى الصدور منهم و هو خلاف ما امر به في الآية و صار هؤلاء الذين نقضوا العهد و طعنوا في الدين كمن ارتد و سفك الدماء فان كان واحدا فلا بد من قتله و ان عاد الى الاسلام و ان كانوا ممتنعين قوتلوا فمن تاب بعد ذلك منهم لم يقتل والله سبحانه اعلم .

الطريقة الثالثة ✽

✽ الطريقة الثالثة ✽ قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقوله تعالى فلما راوا بأسنا قالوا آمنا بالله و حده و كفرنا بما كناهه شركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا وقوله تعالى حتى اذا ادركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل و انا من المسلمين الآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين . وقوله تعالى فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس . و قد تقدم تقرير الدلالة من هذه الآيات في قتل

المنافق . و ذكرنا الفرق بين توبة الحربي والمرند المجرد وتوبة المنافق
والمفسد من المعاهدين ونحوهما وفرقنا بين التوبة التي قد رده العذاب
والتوبة التي تنفع في المآب .

الطريقة الرابعة قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة الآيات وقد قررنا فيما مضى ان هذه الآية
تدل على قتل الموذى من المسلمين مطلقا وهي تدل على قتل من اظهر الاذى
من اهل الذمة لان اللعنة المذكورة موجبة للقتل كما في تمام الكلام وقد
تقدم تقرير هذا وقد ذكرنا ان قوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجده نصيرا . نزلت في ابن الاشرف الماطن في دين الاسلام
وقد كان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم فانتقض عهده بذلك واخبر الله
انه ليس له نصير ليبين ان لا ذمة له اذ الذمي له نصير والنفاق له قسمان
نفاق المسلم استبطان الكفر ونفاق الذمي استبطان المحاربة وتكلم المسلم
الكفر كتكلم الذمي بالمحاربة فمن عاهدنا على ان لا يؤذي الله ورسوله ثم نافق
! اذى الله ورسوله فهو من منافق المعاهدين فمن لم ينش من هؤلاء المنافقين
اغرى الله نبيه بهم فلا يجاورونه الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقبيلاً في الآية دلالتان . احدهما ان هذا ملعون والملعون هو الذي يوخذ
اين وجد ويقتل فعلم ان قتله حتم لانه لم يستثن حالا من الاحوال كما استثنى
في سائر الصور ولانه قال قتلوا وهذا وعد من الله لنبيه يتضمن نصره والله
لا يخاف الميعاد فعلم انه لا بد من تقبيلهم اذا اخذوا ولو سقط عنهم القتل باظهار

الاسلام لم يتحقق الوعد مطلقا . الثانية . انه جعل انتهاء هم النافع قبل الاخذ
والثقل كما جعل ثوبة المحاربين النافعة لهم قبل القدره عليهم فعلم انهم ان
انتهوا عن اظهار النفاق من الاذى ونحوه النفاق في العهد والنفاق في الدين
والا اغراه الله بهم حتى لا يجاورونه في البلد ملعونين يوخذون ويقتلون
وهذا الطاعن الساب لم ينته حتى اخذ فيجب قتله . وفيها دلالة ثالثة . وهو ان
الذي يوذى المؤمنين من مسلم او معاهد اذا اخذ اقيم عليه حد ذلك
الاذى ولم تد رآه عنه التوبة الآن فالذى يوذى الله ورسوله بطريق
الاولى لان الآية تدل على ان حاله اقمج في الدنيا والآخرة .

الطريقة الخامسة

الطريقة الخامسة . ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل حدا من
الحسد ودلا لجرد الكفر وكل قتل وجب حدا لا لجرد الكفر فانه
لا يسقط بالاسلام . وهذا الدليل مبني على مقدمتين . احدهما . انه
يقتل لخصوص سب رسول الله صلى الله عليه وسلم المستلزم للردة ونقض العهد
وان كان ذلك متضمنا للقتل لعموم ما تضمنه من مجرد الردة ومجرد نقض
العهد في بعض المواضع والدليل على ذلك انه قد تقدم ان النبي صلى الله
عليه وسلم اهدر دم للمرأة الذمية التي كانت تسبه صلى الله عليه وسلم عند
الاعمى الذي كان يابى اليها ولا يجوز ان يكون قتلها مجرد نقض العهد لان المرأة
لذمية اذا انتقض عهدا فانها تسترق ولا يجوز قتلها ولا يجوز قتل المرأة
للكفر الاصلى الا ان تقاتل وهذه المرأة لم تكن تقاتل ولم تكن معينة على قتال
كما تقدم ثم انها لو كانت تقاتل ثم اسرت صارت رقيقة ولم تقتل عند كثير

من الفقهاء منهم الشافعي لاسيما اذا كانت رقيقة فان قتلها يمتنع لكونها امرأة
ولكونها رقيقة لمسلم فثبت ان قتلها كان لخصوص السب للنبي صلى الله عليه
وسلم وانه جناية من الجنايات الموجبة للقتل كما لو زنت المرأة الذمية او قطعت
الطريق على المسلمين او قتلت مسلما او كما لو بدلت دين الحق عند اكثر
الفقهاء الذين يقتلون المرأة بل هذا ابلغ لانه ليس في قتل المرتدة من السنة
المأثورة الخاصة في كتب السنن المشهورة مثل الحديث الذي في قتل السابة
الذمية * يوضح ذلك ان بني قريظة نقضوا العهد ونزلوا على حكم سعد بن
معاذ فحكم فيهم بان تقتل مقاتلتهم وتسبي الذرية من النساء والصبيان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة اربعة
ثم قتل النبي صلى الله عليه وسلم الرجال واسترق النساء والذرية ولم يقتل من
النساء الا امرأة واحدة كانت قد اقلت رحي من فوق الحصن على رجل من
المسلمين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الذرية التي لم يثبت في حقهم
لا مجرد انتقاض العهد وبين الذرية الذين نقضوا العهد بايضر المسلمين وهذه المرأة
الذمية لم ينقض عهدها بانها لحقت بدار الحرب وامتنعت عن المسلمين وانما
نقضت العهد بان ضرت المسلمين واذت الله ورسوله وسعت في الارض
فسادا بالصد عن سبيل الله والطعن في دين الله كما فعلت المرأة الملقية للرحى فعلم
انها لم تقتل لمجرد انتقاض العهد وهي لم تكن مسلمة حتى يقال انها قتلت للردة
ولا هي ايضا بمنزلة امرأة قاتلت ثم اسرت حتى يقال تصير رقيقة بنفس السبي
لا تقتل او يقال يجوز قتلها كما يجوز قتل الرجل فاذا اسلمت عصم الاسلام الدم

و بقيت

وبقيت رقيقة لوجهين * احدهما * ان هذا السب الذي كانت تقوله لم تكن
للمشركين ولا لعموم المسلمين حتى يقال هو بمنزلة اعانة الكفار على القتال من
كل وجه * الثاني * انها لم تكن ممتنعة حين السب بل هي حين السب ممكنة
مقدور عليها وحالها قبله وبعده سواء فالسب وان كان حرا با لكنه لم يصدر
من ممتنعة اسرت بعد ذلك بل من امرأة ملتزمة للحكم بيننا وبينها العهد
على الذمة ومعلوم ان السب من الامور المضرة بالمسلمين وانه من اباح الفساد
في الارض لما فيه من ذل الايمان وعز الكفر واذا ثبت انها لم تقتل للكفر
ولا لنقض العهد ولا لحراب اصلي متقدم على القدرة عليها ثبت ان قتلها احد
من الحدود والقتل الواجب حد المجرد الكفر لا يسقط بالاسلام كحد الزاني
والقاطع والقاتل وغيرهم من المفسدين * ومما يقرر الامر ان السب اما ان يكون
حرا با او جناية مفسدة ليست حرا با فان كانت حرا با فهو حراب من ذمي
او من مسلم وسعى في الارض فسادا والذمي اذا حارب وسعى في الارض
فساد او جب قتله وان اسلم بعد القدرة عليه حيث يكون حرا با موجبا للقتل
وحراب هذه المرأة موجب للقتل كما جاءت به السنة وان كانت جناية
مفسدة ليست حرا با وهي موجبة للقتل قللت ايضا بعد الاخذ بطريق الاولى
كسائر الجنايات الموجبة للقتل وهذا كلام مقررو مداره على حرف واحد
وهو ان السب وان كان من اعمال اللسان فقد دلت السنة بانه بمنزلة الفساد
والمحاربة بعمل الجوارح واشد وكذلك قتلت هذه المرأة * وتام ذلك ان
قياس مذهب من يقول ان السب اذا قتل انما يقتل لانه نقض العهد ان

لا يجوز قتل هذه بل لو كانت قد قاتلت باليد واللسان ثم اخذت لم تقتل
عنده فاذا دلت السنة على فساد هذا القول علم صحة القول الآخر لا ثالث
بينهما ولا ريب عند احدا من قتل لحدث اخذ به او جب نقض عهده
ولم يقتل لمجرد ان انتقض عهده فقط فان قتله لا يسقط بالاسلام لان فساد ذلك
الحدث لا يزول بالاسلام الا ترى ان الجنايات الناقضة للعهد مثل قطع
الطريق وقتل المسلم والتجسس على الكفار والزنا بمسلمة واستكراهها على
الفجور ونحو ذلك اذا صدق من ذمى فمن قتله لنقض العهد قال متى اسلم
لم آخذه الا بما يوجب القتل اذا فعله المسلم باقيا على اسلامه مثل ان يكون قد
قتل في قطع الطريق فاقته او زنا فاحده او قتل مسلما فاقيه لانه بالاسلام
صار بمنزلة المسلمين فلا يقتل كفرا ومن قال ا قتله لمحاربة الله ورسوله وسعيه
في الارض فساد ا قتله وان اسلم وتاب بعد اخذه كما ا قتل المسلم
اذا حارب ثم تاب بعد القدرة لان الاسلام الطارئ لا يسقط الحدود
الواجبة قبله لا ذمى بحال وان منع ابتداء وجوبها كما لو قتل ذمى ذميا
او قذفه ثم اسلم فان حده لا يسقط ولو قتله او قذفه ابتداء لم يجب عليه قود
ولا حد ولا يسقط ما كان منه الله اذا تاب بعد القدرة كما لو قتل في قطع الطريق فانه
لا يسقط عنه بالاسلام وفاقا فيما اعلم وكذلك لو ذمى ثم اسلم فان حده القتل الذي
كان يجب عليه قبل الاسلام عند احمد وعند الشافعي حده حد المسلم فخذ
السب ان كان حقا لا ذمى لم يسقط بالاسلام وان كان حقا لله فليس هو حد
على الكفر الطارئ والمحاربة الاصلية كما دلت عليه السنة ولا على مجرد

الكفر الاصلي بالاتفاق فيكون حدا لله على محاربة موجبة كقتل المرأة وكل قتل وجب حدا على محاربة ذمية لم يسقط بالاسلام بعد القدرة بالاتفاق فان الذمية اذا لم تقتل في المحاربة لم يقتلها من يقول قتل الذمي المحارب انما هو لنقض العهد ومن قتلها كما دللت عليه السنة فلا فرق عنده في هذا الباب بين ان تسلم بعد القدرة اولا تسلم واعلم ان من قال ان هذه الذمية تقتل فاذا اسلمت سقط عنها القتل لم يجد هذا في الاصول نظير ان ذمية تقتل وهي في ايد يثاوي يسقط عنها القتل بالاسلام بعد الاخذ ولا اصلا يدل على المسئلة والحكم اذا لم يثبت باصل ولا نظير كان تحكما او من قال انها تقتل بكل حال فله نظير نقيس به وهو المحاربة باليد والزانية ونحوهما

الطريقة السادسة الاستدلال من قتل بنت مروان وهو كالا استدلال من هذه القصة لانا قد قد منا انها كانت من المهادنين المواد عين وانما قتلت للسب خاصة والتقرير كما تقدم

الطريقة السابعة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كعب ابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله وقد كان معاهدا قبل ذلك ثم هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله الصحابة غيلة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه قد آمنهم على دمه وماله باعتقاد بقاء العهد ولا منهم جاءوه محبي من قد آمنه ولو كان كعب بمنزلة كافر محارب فقط لم يجز قتله اذا آمنهم كما تقدم لان الحربي اذا قلت له او عملت معه ما يعتقده امان صار له امانا وكذا لك كل من يجوز امانه فعلم ان هجا النبي صلى الله عليه

الطريقة السادسة

الطريقة السابعة

وسلم و اذاه لله تعالى و رسوله لا ينعقد معه امان ولا عهد و ذلك دليل على ان قتله حرم من الحدود كقتل قاطع الطريق اذ ذلك يقتل وان اومن كما يقتل الزاني و المرتد و ان اومن و كل حد و جب على الذمي فانه لا يسقط بالاسلام وفاقا .
❖ الطريق الثامنة ❖ انه قد دل هذا الحديث على ان اذى الله و رسوله علة للانتداب الى قتل كل احد فيكون ذلك علة اخرى غير مجرد الكفر و الردة فان ذكر الوصف بعد الحكم بحرف الفاء دليل على انه علة والاذى لله و رسوله يوجب القتل و يوجب نقض العهد و يوجب الردة . يوضح ذلك ان اذى الله و رسوله لو كان انما اوجب قتله لكونه كافرا غير اذى عهد لو جب تعليل الحكم بالوصف الاعم فان الاعم اذا كان مستقلا بالحكم كان الاخص عديم التأثير فلما علل قتله بالوصف الاخص علم انه مؤثر في الامر بقتله لاسيما في كلام من اوتي جوامع الكلم و اذا كان المؤثر في قتله اذى الله و رسوله و جب قتله و ان تاب كما ذكرناه فمين سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين فان كلاهما اوجب قتله انه اذى الله و رسوله و هو مقر للمسلمين بان لا يفعل ذلك فلو كان عقوبة هذا الموزي تسقط بالتوبة سقطت عنها و لانه قال سبحانه ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و اعد لهم عذابا مهينا . و قال في خصوص هذا الموزي او لائك الذين لعنهم الله و من يلعن الله فلان تجده له نصيرا . و قد اسلفنا ان هذه اللعنة توجب القتل اذا اخذ و لانه سبحانه ذكر الذين يؤذون الله و رسوله ثم قال و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاننا و اثما مينا و لا خلاف علمنا ان الذين

يؤذون المؤمنين والمؤمنات لا تسقط عقوبتهم بالتوبة فالذين يؤذون الله
ورسوله احق واولى لان القرآن قد بين ان هؤلاء اسوأ حالا في الدنيا
والآخرة فلو اسقطنا عنهم العقوبة بالتوبة لكانوا احسن حالا وليس للمنازع
هنا الا كلمة واحدة وهو ان يقول هذا قد تغلظت عقوبته بالقتل لانه نوع
من المرتدين وناقض العهد والكافر تقبل توبته من الكفر وتسقط عنه
العقوبة بخلاف الموذى بالفسق فيقال له هذا لو كان الموجب لقتله انما
هو الكفر وقد دلت السنة على ان الموجب لقتله انما هو اذى الله ورسوله وهذا
اخص من عموم الكفر وكما ان الزنا والسرقة والشرب وقطع الطريق
اخص من عموم المعصية والشارع رتب الامر بالقتل على هذا الوصف
الاخص الذي نسبته الى سائر انواع الكفر نسبة اذى المؤمنين الى سائر انواع
المعاصي فالحاق هذا النوع بسائر الانواع جمع بين ما فرق الله ورسوله وهو
من القياس الفاسد كقياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا وانما الواجب ان يوفر
على كل نوع حظه من الحكم بحسب ما علقه به الشارع من الاسماء والصفات
المؤثرة الذي دل كلامه الحكيم على اعتبارها وتغاظ عقوبته ابتداء لا يوجب
تخفيفها انتهاء بل يوجب تغلظها مطلقا اذا كان الجرم عظيما وسائر الكفار
لم تغلظ عقوبتهم ابتداء والانهاء مثل هذا فانه يجوز اقراهم بجزية
واسترقاقهم في الجملة ويجوز الكف عنهم مع القدرة لمصلحة ترقب وهذا
بخلاف ذلك وايضا فان الموجب لقتله اذا كان هو اذى الله ورسوله
كان محاربا لله ورسوله وساعيا في الارض فسادا وقد اومى النبي صلى الله

عليه وسلم الى ذلك في حديث ابن الاشرف كما تقدم وهذا الوصف قد رتب
عليه من العقوبة ما لم يرتب على غيره من انواع الكفر وحتمت عقوبة صاحبه
الا ان يتوب قبل القدرة •

الطريقة التاسعة • انا قد قدمنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اهدر
عام الفتح دماء نسوة لاجل انهن كن يوذنه بالسنة من القينات
لابن خطل الملتان كانا تقيان بهجائه ومولاة لبني عبد المطلب كانت تؤذيه
ويتنايانا واضحا لهن لم يقتلن لاجل حراب ولا قتال وانما قتلن لمجرد السب
ويتنايان سبهن لم يجر مجرى قتال من بل كان اغلظ لان النبي صلى الله عليه
وسلم آمن عام الفتح المقاتلة كلهم الا من له جرم خاص يوجب قتله ولان
سبهن كان متقدما على الفتح ولا يجوز قتل المرأة في بعض الفزوات لاجل
قتال مقدم منها قد كفت عنه وامسكت في هذه الفزوة ويتنايانا واضحا
ان قتل هؤلاء النسوة ادل شئ على قتل المرأة السابقة من مسئلة ومعامدة وهو دليل
قوى على جواز قتل السابقة وان ثابت من وجوه • احدها • ان هذه المرأة
الكافرة لم تقتل لاجل انها مرتدة ولا لاجل انها مقاتلة كما تقدم فلم يبق ما يوجب
قتلها الا انها مفسدة في الارض محاربة لله ورسوله وهذه يجوز قتلها بعد التوبة
اذا كان قتلها جائزا قبلها بالكتاب والسنة والاجماع • الثاني • ان سب اولئك
النسوة اما ان يكون حرابا او جنائية موجبة للقتل غير الحراب اذ قتلن لمجرد الكفر
غير جائز كما تقدم فان كان حرابا فالذي اذا حارب الله ورسوله وسعى في الارض
فسادا يجب قتله بكل حال كما دل عليه القرآن وان كان جنائية اخرى

مبيحة للدم فهو أولى وأحرى وقد قد منافعها حتى ما بين أن هؤلاء النسوة
لم يقتلن لحراب كان موجودا عنهن في غزوة الفتح ولما قتلن جزاء على الجرم
لماضي نكالا عن مثله وهذا يبين أن قتلن بمنزلة قتل أصحاب الحدود من
المسلمين والمجاهدين • الثالث • أن اثنتين متين قتلوا والثالثة أخفيت حتى
استؤمن لها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأمنها لأنه كان له أن يعفو عن
سبه كما تقدم • وله أن يقتله ولم يعصم دم أحد من أهله • علم الفتح إلا لعنه
فعلم أن مجرد الإسلام لم يعصم دم هذه المرأة وإنما عصم دمه عفو • وبالجملة
فقصة قتله لا ولا تلك النسوة من أقوى ما يدل على جواز قتل الساية بكل
حال فإن المرأة الحرة لا يبيع قتلها الا قتلهما وإذا قتلت ثم تركت القتال
في غزوة أخرى واستسلمت وانقادت لم يجر قتلها في هذه المرة الثانية ومع
هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتلن وللمعد يث وجها • أحد •
أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان عاهد أهل مكة والظاهر أن عهد
انتظم الكف عن الأذى باللسان فإن في كثير من الحديث ما يدل
على ذلك • حيث أنه هؤلاء اللواتي هجونه تقضي العهد تقضا خاصا بهما
فكان للنبي صلى الله عليه وسلم قتلن بذلك وإن بين وهذا مترجمة المسئلة
• الثاني • أنه كان له أن يقتل من هجمه إذ لم يثب حتى قد ر عليه وإن كان حريا
لكن سقط هذا كما سقط بوجه العفو عن المسلم والنهي السلب ويكون قد كان
أمر الساب هو مخير فيه مطلقا لكونه أعلم بالمصلحة فإذا مات تختم قتل من التزم
أن لا يسب وكان الحربى الساب كفوره من الحربىين إذا تاب وهذا الوجه

ضعيف فانه اثبات حكم باحتمال والاول جار على القياس ومن تأمل قصة الدين
اهدرت دماؤهم عام الفتح علم انهم كلهم كانوا محاربين لله ورسوله ساعين
في الارض فسادا •

الطريقة العاشرة * انه صلى الله عليه وسلم امر في حال واحدة بقتل
جماعة ممن كان يؤذيه بالسب والهجاء مع عفوهم عن كان اشد منهم في
الكفر والمجاربة بالنفس والمال فقتل عقبة بن ابى معيط صبرا بالصفر •
وكذلك النضر بن الحارث لما كانا يؤذيانا ويفتريان عليه ويطعنان فيه
مع استبقائه عامة الاسرى وقد تقدم انه قال يا معشر قريش مالي اقل من
بينكم صبرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بكفركم واقترائكم على رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) ومعلوم ان مجرد الكفر يبيح القتل فلم ان الاقتراء على
رسول الله صلى الله عليه وسلم سب آخر اخص من عموم الكفر موجب للقتل
فحيث ما وجد وجد معه وجوب القتل واهد رعام الفتح دم الحويرث بن
تقيد ودم ابى سفيان بن الحارث ودم ابن الزبيرى واهد بعد ذلك دم
كعب بن زهير وغيرهم لانهم كانوا ايوه ذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما اهد دم من ارتد وحارب ودم من ارتد واقتري على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودم من ارتد وحارب واذى الله ورسوله مع امانه لجميع الذين حاربوا
ونقضوا عهده فعلم ان اذاه سبب منفرد باباحة القتل وراه الكفر والحرب
بالانفس والاموال كقطع الطريق وقتل النفس وقد تقدم ما كان يأمر به
ويقر عليه اذا بلغه وما كان يحرض عليه المسلمين من قتل الساب دون غيره

من الكافر بن حتى انه لا يحقن دم الساب الا عفوه بعد ذلك فعلم انه كان يلحق
 الساب بذموى الافعال الموجبة للقتل من قطع الطريق ونحوه وهذا ظاهر
 لمن تأمله فيما مضى من الاحاديث وما لم يذكره ومثل هذا يوجب قتل
 فاعله من مسلم ومعاهد وان تاب بعد القدرة واذا ضم هذا الوجه الى
 الذي قبله وعلم ان الاذى وحده سبب يوجب القتل لا لكونه من جنس
 القتال لان النبي صلى الله عليه وسلم قد آمن الذين قاتلوه بالانفس والاموال
 من الرجال فاما المرأة التي اتت بما يشبه القتال اولى لو كان جرمها من جنس
 القتال ولان المرأة اذا قاتلت في غزوة من الغزوات ثم غزا المسلمون غزوة وعلموا
 انها لم تقا تل فيها يد ولا لسان لم يجر قتلها عند احد من المسلمين علماء وهواة
 النسوة كان اذاهن متقدما على فتح مكة ولم يكن لهن في غزوة الفتح معرفة بيد
 ولا لسان بل كن مستسلمات منقادات لو علمن ان اظهار الاسلام يعصم دماءهن
 لمبادرن الى اظهاره فهل يعتقد احد ان هذه المرأة تقتل لكونها محاربة خصوصا
 عند الشافعي فان منصوصه ان قتل المرأة والصبي اذا قاتلا بمنزلة قتل الصائل
 من المسلمين يقصد به دفعها وان افضى الى قتلها فاذا انكفأ بدون القتل كاسر
 او ترك للقتال ونحو ذلك لم يجر قتلها كما لا يجوز قتل الصائل واذا كان
 صلى الله عليه وسلم يا مربي يقتل من كان يوءذيه ويهجو من النساء وقد تركن
 ذلك واستسلمن وربما كن يودن ان يظهرن الاسلام ان كان عاصما وقد
 آمن المقاتلين كلهم علم ان السب سبب مستقل موجب يجل دم كل احد وان
 تركه ذل وعجز يؤيد ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم آمن اهل مكة

الامن قاتل الا هو ولا النفر فانه امر يقتلهم قاتلوا او لم يقتلوا فليكن هو لا بالنسوة
 قتلن لاجل السب لا لاجل انهن يقتلن •
 الطريقة الحادية عشر ان عبد الله بن سعيد بن ابي سرح كان قد
 ارتد واقرى على النبي صلى الله عليه وسلم انه يلقنه للوحي ويكتب له
 ما يريد فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ونذ رجل من المسلمين ليقتله
 ثم حبسه عثمان ايا ما حتى اطلق اهل مكة ثم جاء ثائبيا ليايع النبي صلى الله
 عليه وسلم ويؤمنه فصمت النبي صلى الله عليه وسلم طويلا رجاء ان يقوم
 اليه الناذر او غيره فيقتله ويوفي بنذره فني هذا دلالة على ان المقرى
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعن عليه قد كان له ان يقتله
 وان دمه صابح وان جاء ثائبا من كفره وفريته لان قتله لو كان حراما
 لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم ما قال ولا قال للرجل هلا وفيت نذرك بقتله
 ولا خلاف بين المسلمين علمناه ان الكافر اذا جاء ثائبا من بدا للاسلام مظهرا
 لذلك لم يجز قتله لذلك ولا فرق في ذلك بين الاصل والمرتد الا ما ذكرناه
 من الخلاف الشاذ في المرتد مع ان هذا الحديث يبطل ذلك الخلاف بل
 لوجاه الكافر طالبا لان يعرض عليه الاسلام ويقرأ عليه القرآن لوجب امانه
 لذلك قال الله تعالى وان احد من المشركين استجار لك فاجر حتى يسمع
 كلام الله ثم ابلغه مأمنا به وقال تعالى في المشركين فان تابوا واقاموا الصلاة
 واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم • وعبد الله بن سعد لما جاء ثائبا ملتزما لاقامة الصلاة
 وايتاء الزكاة بل جاء بعد ان اسلم كما تقدم ذكر ذلك ثم ان النبي صلى الله

عليه وسلم بين انه كان يريد ان يقتله وقال للقوم هلا قام بعضكم اليه ليقتله وهلا
وفيت بنذر لك في قتله فعلم انه قد كان جائزا له ان يقتل من يقتري عليه
ويؤذيه من الكفار وان جاء مظهرا للاسلام والتوبة بعد القردة عليه وفي
ذلك دلالة ظاهرة على ان الاقتراء عليه واذا يجوز له قتل فاعله وان
اظهر الاسلام والتوبة ومما يشبه هذا اعراضه عن ابي سفيان بن الحارث وابن
ابي امية وقد جاء امهاجر بن يريد ان الاسلام او قد اسلموا على ذلك بانها
كانا يؤذيانه ويقعان في عرضه مع انه لا خلاف علمناه ان الحربي اذا جاء
يريد الاسلام وجب المسارعة الي قبوله منه وكان الاستثناء به حراما وقد
عده بعض الناس كفرا وقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في المسارعة
الي قبول الاسلام من كل من اظهره وتاليف الناس عليه بالاموال وغيرها
اشهر من ان يوصف فلما ابطأ عن هذين واراد ان لا يلتفت اليها البتة علم انه
كان له ان يعاقب من كان يؤذيه ويسبه وان اسلم وهاجروا ان لا يقبل منه
من الاسلام والتوبة ما يقبل من الكافر الذي لم يكن يؤذيه وفي هذا دلالة
على ان السب وحده موجب للعقوبة * يوضح ذلك ما ذكره اهل المغازي ان
علي بن ابي طالب قال لابي سفيان بن الحارث انت رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف ثا لله لقد
آثر لك الله علينا وان كنا لحاطئين فانه لا يرضى ان يكون احدا حسن قولاً منه
ففعّل ذلك ابو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثرّب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين * ففي هذا دلالة على ان ما ناله من

عرضه كان له ان يعاقب عليه وان يعفو كما كان ليوسف صلى الله عليه وسلم
 ان يعاقب اخوته على ما فعلوا به من الالقاء في الحب وبيعه للسيارة ولكن لكرمه
 عفا صلى الله عليه وسلم ولو كان الاسلام يسقط حقه بالكلية كما يسقط حقوق الله
 لم يتوجه شيء من هذا وقد تقدم تقرير هذا الوجه في اول الكتاب وبيننا
 انه نص في جواز قتل المرتد الساب بعد اسلامه فلذلك قتل الساب المعاهد
 لان المأخذ واحد ومما يوضحه ان المسلمين قد كان استقر عند هم ان الكافر
 الحربي اذا اظهر الاسلام حرم عليهم قتله لا سيما عند السابقين الاولين
 مثل عثمان بن عفان ونحوه وقد علموا قوله تعالى ولا تقولوا لمن اتى اليكم
 السلام لست مؤمنا * وقصة اسامة بن زيد وحديث المقداد فلما كان
 اولئك الذين اهدى النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم منهم من قتل
 ومنهم من اخفى حتى اطمان اهل مكة وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم
 ان يبايعه دل على ان عثمان رضى الله عنه وغيره من المسلمين علموا ان اظهار
 عيب الله بن سعد بن ابي سرح ونحوه الاسلام لا يحقن دماءهم دون
 ان يؤمنهم النبي صلى الله عليه وسلم والا فقد كان يمكنهم ان يأمروهم باظهار
 الاسلام والخروج من اول يوم والظاهر والله اعلم انهم قد كانوا اسلموا
 وانما تأخرت بيعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام حتى يؤمنهم النبي
 صلى الله عليه وسلم وذلك دليل على انه قد كان للنبي صلى الله عليه وسلم
 قتلهم لاجل سبه مع اظهار التوبة وقد روى عن عكرمة ابن ابي سرح
 رجع الى الاسلام قبل فتح مكة وكذلك ذكر آخرون ان ابن ابي سرح

و جمع الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران
وهذا الذي ذكره نص في المسئلة وهو شبه بالحق فان النبي صلى الله
عليه وسلم لما نزل بمر الظهران شعرت به قريش حينئذ و ابن ابي سرح قد
علم ذنبه فيكون قد اسلم حينئذ ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اهدر
دمه تغيب حتى استؤمن له والحديث لمن تأمله دليل على ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان له ان يقتله وان يؤمنه وان الاسلام وحده لم يعصم دمه
حتى عفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
طويلا واعرض عنه مرة بعد مرة وكان عثمان يأتيه من كل جهة وهو يعرض
عنه وجاء ان يقوم بعضهم فيقتله وعثمان في ذلك يكب على النبي صلى الله
عليه وسلم يقبل رأسه ويطلب منه ان يبايعه ويذكر ان لأمته عليه حقوقا
حتى استحيى النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان فقضى حاجته ببيعته مع انه
كان هوذا ان لا يفعل فعلم ان قتله كان حقا له ان يعفو عنه ويقبل فيه شفاعته
شافع وله ان لا يفعل ولو كان ممن يعصم الاسلام دمه لم يحتج الى شافع
ولم يجز رد الشفاعته ومنها ان عثمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم انه يفر
منك قال الم ابايعه واومنه قال بلى ولكنه يتذكر عظيم جرمه فقال الاسلام
يجب ما قبله في هذا بيان لان خوفه من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتله ازال
بامانه ويبيعه لا لجرد الاسلام فعلم ان الاسلام يحصوا ثم السب واما سقوط القتل
فلا يحصل بمجرد الاسلام لان النبي صلى الله عليه وسلم ازال خوفه من القتل

بالامان و ازال خوفه من الذنب بالاسلام و مما يدل على ان الانبياء لهم ان
 يعاقبوا من آذاهم بالهلاك و ان اظهر التوبة و الندم ما رواه حماد بن سلمة عن
 علي بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ان قارون كان
 يؤذي موسى و كان ابن عمه فبلغ من اذاه اياه ان قال لامرأة بني اذا اجتمع
 الناس عندى غدا فتعالى و قولى انى موسى راودنى عن نفسى فلما كان الغد
 واجتمع الناس جاءت فسارت قارون ثم قالت للناس ان قارون قال لي كذا و كذا
 و ان موسى لم يقل لي شيئا من هذا فبلغ ذلك موسى عليه الصلاة و السلام
 و هو قائم يصلي في المحراب فخر مساجدا فقال اى رب ان قارون قد آذاني
 و فعل و فعل و بلغ من اذاه اياى ان قال ما قال فاوحى الله الى موسى ان
 يا موسى انى قد امرت الارض ان تطيعك و كان لقارون غرفة قد ضرب
 عليها صفائح الذهب فاثاء موسى و معه جلساؤه فقال لقارون قد بلغ من
 اذك ان قلت كذا او كذا ايا ارض خذهم فاخذتهم الارض الى كهبيم
 فهتفوا يا موسى ادع لنا ربك ان ينجينامنا نحن فيه فنؤمن بك و نتبعك و نطيعك
 فقال خذهم فاخذتهم الى انصاف سوقهم فهتفوا و قالوا يا موسى ادع لنا
 ربك ان ينجينامنا نحن فيه فنؤمن بك و نتبعك و نطيعك فقال يا ارض خذهم
 الى ركبهم فلم يزل يقول يا ارض خذهم حتى تطابقت عليهم و هم يهتفون
 فاوحى الله اليه يا موسى ما افظك ما انهم لو كانوا اياى دعوا لخلصتهم و رواه
 عبد الرزاق قال ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن زيد بن جدعان فذكره
 ايسر من هذا و فيه ان المرأة قالت ان قارون بعث الي فقال هل لك

الى ان امولك واعطيك واخلطك بنسائي على ان تاتيني والملا من
 بني اسرائيل عندي تقولين يا قارون الا تنهى موسى عن اذاي (١)
 واني لم اجد اليوم توبة افضل من ان اكذب عدو الله وابري
 رسول الله قال فنكس قارون رأسه وعرف انه قد هلك وفشا
 الحديث في الناس حتى بلغ موسى صلى الله عليه وسلم وكان موسى صلى الله
 عليه وسلم شديد الغضب فلما بلغه ذلك ترضاً فسجد وبكى وقال يا رب عدوك
 قارون كان لي مؤذياً فذكر اشيائه ثم لم يتناه حتى اراد فضيحتي يا رب فسلطني
 عليه فاوحى الله اليه ان مر الارض بما شئت تطعك قال فجاء موسى يمشي الى
 قارون فلما رآه قارون عرف الغضب في وجهه فقال يا موسى ارحمني فقال
 موسى يا ارض خذيهم فاضطربت داره وخسف به وباصحابه الى ركبهم
 وساخت داره على قدر ذلك وجعل يقول يا موسى ارحمني ويقول موسى
 يا ارض خذيهم وذكر القصة فهذه القصة مع ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لا بن مسعود لما بلغه قول القائل ان هذه لقسمه ما اريد بها وجه الله دعنا
 منك لقد اوذى موسى باكثر من هذا فصبر فهذا مع ما ذكرناه من احوال
 النبي صلى الله عليه وسلم دليل على ان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه لهم
 ان يعاقبوا من آذاهم وان تابوا ولم ان يعفوا عنه كما ذلك لغيرهم من البشر لكن
 (١) هكذا في الاصل ولعله بقي هنا بعض القصة كما مر سابقاً من ان المرأة
 جاءت فسارت قارون ثم قالت للناس ان قارون قال لي كذا وكذا وان
 موسى لم يقل لي شيئاً من هذا الى آخره ١٢٠ المصحح

لهم ان يعاقبوا من يؤذيهم بالقتل والاهلاك وليس لغيرهم ان يعاقبه بمثل ذلك * وذلك دليل على ان عقوبة مؤذيهم حد من الحدود ولا مجرد الكفر فان عقوبة الكافر تسقط بالتوبة بل لا ريب وقارون قد كان تاب في وقت نفع فيه التوبة ولهذا في الحديث اما انهم لو كانوا اياي دعوا لخلصتهم وفي لفظ لرحمتهم وانما كان يرحمهم سبحانه والله اعلم بان يستطيب نفس موسى من اذاهم كما يستوهب المظالم من رحمه من عباد ممن هي له وبعوضه منها * الطريقة الثانية عشر * ما تقدم حديث انس بن زعيم الذي ذكر عنه انه هجا النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاءه وانشده قصيدة تضمن اسلامه وبراءته مما قيل عنه وكان معاهدا فتوقف النبي صلى الله عليه وسلم فيه وجعل يسأل العفو عنه حتى عفا عنه فلم تكن العقوبة بعد الاسلام على السب من المعاهد جائزة لما توقف النبي صلى الله عليه وسلم في حقن دمه ولا احتاج الى العفو عنه ولولا ان للرسول صلى الله عليه وسلم حقما ملك استيفاه بعد الاسلام لما عفا عنه كما لم يكن يعفو عن اسلم ولا تبعه عليه وحديثه لمن تأمله دليل واضح على جواز قتل من هجا النبي صلى الله عليه وسلم من المعاهدين ثم اسلم كما ان حديث ابن ابي سريج دليل واضح على جواز قتل من سبه مرتدا ثم اسلم وذلك انه لما بلغه انه هجاه وقد كان مهادنا موادعا وكان العهد الذي بينهم يتضمن الكف عن اظهار اذاه وكان على ما قبل عنه قد هجاه قبل ان يقتل بنو بكر خزاعة قبل ان ينقضوا العهد فلذلك ند ر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ثم انشده قصيدة تضمن انه مسلم

الطريقة الثانية عشر

يقول فيها تعلم رسول الله و هبني رسول الله و ينكر فيها ان يكون هجاء
و يدعو على نفسه بذهاب البدان كان هجاء و ينسب الذين شهدوا عليه
الى الكذب و بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته و اعتذاره
قبل ان يحني اليه و شفع له كبير قبيلته نوفل بن معاوية و كان نوفل هذا
هو الذي قبض العهد و قال يا رسول الله انت اولى الناس بالعفو و من منا
لم يعادك و يوذك و نحن في جاهلية لا ندرى ما نأخذ ولا ندع حتى هدانا الله
بك و اتقذنا بك عن الهلك و قد كذب عليه الركب و كثروا عندك فقال
دع الركب عنك فاننا لم نجد بتهامة احدا من ذي رحم قريب ولا بعيد
كان ابر من خراطة فاسكت نوفل بن معاوية فلما سكنت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنه قال نوفل قد ايك ابني وامي فلو كان
الاسلام المتقدم قد عصم دمه لم يحتج الى العفو كما لم يحتج اليه من اسلم
ولا حد عليه و لكن قال الاسلام يجب ما قبله كما قاله لغيره من الحريين
كما يقول له من يقول لا تقتل هذا بعد اسلامه فيقول الاسلام يجب ما قبله
و من اوجب الشريعة بين ان ما اسقط قتله عفوه و ذلك ان قوله عفوت
عنه اما ان يكون لقاده سقوط ما كان هدره من دمه او لم يفده ذلك
فان لم يفده فلا معنى لقوله عفوت عنه و ان كان قد افاده سقط ذلك
الا مدار يقبل ذلك لوقته بعض المسلمين بعد ان اسلم و قبل ان عفا عنه النبي
صلى الله عليه وسلم لكان جائزا لانه متبع لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتله امرا مطلقا الى حين عفا عنه كما ان امره بقتل ابن ابي سرح كان

باقيا حكمه الى ان عفا عنه وكذ لك عنهم اذ لم يقتلوه قبل عفوهم وهذا بين
هذه الاحاديث بيانا واضحا ولو كان عند المسلمين ان من هجاه من معاهد
ثم اسلم عصمه لكان ثوفل وغيره من المسلمين علموا ذلك وقالوا له كما قالوا لكعب بن
زهير ونحوه ممن هجاه وهو حربي انه لا يقتل من جاءه مسلما الا ترى انهم لم يظهروه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عفا عنه كما لم يظهروا ابن ابي سرح حتى
عفا عنه بخلاف كعب بن زهير وابن الزبير فانها جاءها بانفسها اثقتها بانه
لا يمكن قتل الحربي اذا جاء مسلما او مكان ان يقتل الذمي الساب والمترد
الساب وان جاء امسليين وان كانا قد اسلما ثم انه في قصيدته قال *

فاني لا عرضا خرفت ولا دما • هرقت ففكر عالم الحق واقصد

فجمع بين خرق العرض وسفك الدم فعلم انه مما يوجب به وان اسلم ولولا ان
قتله كان ممكنا بعد اسلامه لم يحتج الى هذا الانكار والاعذار • يؤيد ذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يتدردم واحد بعينه من بني بكر الناقضي العهد
الا هذا مع انهم فعلوا تلك الافا عيل فلم ان خرق عرضه كان اعظم من
نقض العهد بالمقاتلة والمخاربة باليد وقد تقدم الحديث بدلالته وانما فيها
عليه هنا احالة على ماضى •

الطريقة الثالثة عشر

الطريقة الثالثة عشر * انه قد تقدم انه كان له صلى الله عليه وسلم ان
يقتل من اغاظ له وآذاه وكان له ان يعفو عنه فلو كان المودى له انما يقتل
للردة لم يجز العفو عنه قبل التوبة واذا كان هذا حقا له فلا فرق فيه بين
المسلم والذمي فانه قد اهدردم من آذاه من اهل الذمة وقد تقدم ان

ذلك لم يكن لمجرد نقض العهد فعلم انه كان لآذاه و اذا كان له ان يقتل من آذاه وسبه من مسلم و معاهد وله ان يعفو عنه علم انه بمنزلة القصاص و حد القذف و تعزير السب كغير الانبياء من البشر و اذا كان كذلك لم يسقط عن مسلم و لا معاهد بالتوبة كما لا تسقط هذه الحدود بالتوبة و هذه طريقة قوية و ذلك انه اذا كان صلى الله عليه وسلم قد اباح الله له ان يعفو عنه كان المقلب في هذا الحد حقه بمنزلة سب غيره من البشر الا ان حد سابه القتل و حد سابه غيره الجلد و اذا كان المقلب حقه و كان الامر في حياته مفوضا الى اختياره لينال بالعفو على الدرجات تارة و يقيم بالعقوبة من الحدود ما ينال به ايضا على الدرجات فانه صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة و نبي المحبة و هو الضمير للقتال و الذي قد عاهد على ان لا يخرق عرضه و هو لو اصاب لواحد من المسلمين او المعاهد ين حقان دم او مال او عرض ثم اسلم لم يسقط عنه فاو الى ان لا يسقط عنه هذا و اذ قد قد منا ان قتله لم يكن لمجرد نقض العهد و انما كان لخصوص السب و اذا كان يجوز له ان يقتل هذا الساب بعد مجيئه مسلما وله ان يعفو عنه فبعد موته تعذر العفو عنه و تحضت العقوبة حقا لله سبحانه فوجب استيفاؤها على ما لا يخفى اذا القول بجواز عفو احد عن هذا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضي الى ان يكون الامام مخيرا بين قتل هذا و استبقائه و هو قول لم نعلم له قائلا ثم انه خلاف قوا عد الشريعة و اصولها و قد تقدم فيما مضى الفرق بين حال حياته و حال مماته ❖

❖ الطريقة الرابعة عشر ❖ انه قد تقدم الحديث المرفوع ان كان ثابتا من

سب نبي قتل ومن سب أصحابه جلد فاجر بالقتل مطلقا كما امر بالجلد مطلقا
فعلم ان السب للنبي صلى الله عليه وسلم متوجب بنفسه للقتل كما ان سب غيره
متوجب للجلد وان ذلك عقوبة شرعية على السب وكما لا يستقط هذا الجلد
بالتوبة بعد القدرة فكذلك لا يستقط هذا القتل

الطريقة الخامسة عشر في اقوال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقوالهم فمن ذلك ان ابا بكر رضى الله عنه كتب الى المهاجر بن ابي ربيعة
في المرأة التي غنت بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما سبقتني فيها لامرئت
بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحد ودفن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد
او معاهد فهو محارب غادر فاخبره ابو بكر انه لولا القوت لاحرقه بقتلها من
غير استتابة ولا استيناء حال توبة مع ان غالب من تقدم ليقتل على مثل هذا
يبادر الى التوبة او الاسلام اذا علم انه يدراه عنه القتل ولم يستفصله الصديق
عن الساب هل هي مسلمة او ذمية بل ذكر ان القتل حد من سب الانبياء
وان حد هم ليس كحد غيرهم مع انه فصل في المرأة التي غنت بهجاء المسلمين
بين ان تكون مسلمة او ذمية وهذا ظاهر في ان عقوبة الساب حد للنسبي
واجب عليه له ان يعفو عنها في بعض الاحوال وان يستوفى فيها في بعض الاحوال
كما ان عقوبة ساب غيره حد له واجب على الساب وقوله فمن تعاطى ذلك
من مسلم فهو مرتد ليس فيه دلالة على قبول ثوبته لان الردة جنس تحتها
انواع منها ما تقبل فيه التوبة ومنها ما لا تقبل كما تقدم التنبيه على هذا ولعله
ان تكون لنا اليه عودة وانما غرضه ان يبين الاصل الذي يبيع دم هذا

الطريقة الخامسة عشر

و كذلك قوله فهو محارب غادر فان المحارب الغادر جنس يباح دمه ثم منهم من يقتل وان اسلم كالمحارب بقطع الطريق او باستكراه مسلمة على الزنا ونحو ذلك قال تعالى التماجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا الآية ثم انه لم يرفع العقوبة الا اذا تابوا قبل القدرة عليهم وقد قدمنا ان هذا محارب مفسد فدخل في هذا الآية وهو عن مجاهد قال اتى عمر برجل يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقتله ثم قال عمر من سب الله او سب احد امن الانبياء فاقتلوه وهذا مع ان سيرته في المرتد انه يستتاب ثلاثا ويطعم كل يوم رغيفا لعله يتوب فاذا امر بقتل هذا من غير استتابة علم ان جرمه اخلاط عنده من جرم المرتد المجرد فيكون جرم سابه من اهل العهد اخلاط من جرم من اقتصر على نقض العهد لاسيما وقدام بقتله مطلقا من غير ثنيا وكذلك المرأة التي سبت النبي صلى الله عليه وسلم فقتلها خاله بن الوليد ولم يستتبها دليل على انها ليست كالمرتدة المجردة وكذلك حديث محمد بن مسلمة لما حلف ليقتل ابن يامين لما ذكر ان قتل ابن الاشرف كان غدارا وطلبه لقتله بعد ذلك مدة طويلة ولم ينكر المسلمون ذلك عليه مع انه لو قتلته لمجرد الردة لكان قد عاد الى الاسلام بما اتى به بعد ذلك من الشهادتين والصلوات ولم يقتل حتى يستتاب وكذلك قول ابن عباس في الذي يرمى امهات المؤمنين انه لا توبة له نص في هذا المعنى وهذه القضايا قد اشتهرت ولم يبلغنا ان احدا انكر شيئا من ذلك كما انكر عمر رضي الله عنه قتل المرتد الذي لم يستتب وكما انكر ابن عباس رضي الله عنهما

الطريقة السادة عشر

✽ اوجب الله لنيه على اسم حقوز الله على القلب واللسان والجوارح ✽

تحرىق الزنادقة و اخبر ان حد هم القتل فعلم انه كان مستفيضاً بينهم ان حد
الساب ان يقتل الاماروي عن ابن عباس من سب نبياً من الانبياء فقد كذب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب فان تاب و الا قتل وهذا
في سب يتضمن جحد نبوة نبي من الانبياء فانه يتضمن تكذيب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا ريب ان من قال عن بعض الانبياء انه ليس نبي
وسبه بناء على انه ليس نبي فهذا ردة محضة ويتعين حمل حديث ابن عباس
على هذا او نحوه ان كان محفوظاً عنه لانه اخبر ان قاذف امهات المؤمنين
لا ثوبة له فكيف تكون حرمة نبي لاجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعظم من حرمة نبي معروف مذکور في القرآن .

✽ الطريقة السادسة عشر ✽ ان الله سبحانه وتعالى اوجب لنبينا صلى الله عليه وسلم على القلب واللسان والجوارح حقوقا زائدة على مجرد التصديق بنبوته كما اوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح امورا زائدة على مجرد التصديق به سبحانه وحرم سبحانه لحرمة رسوله مما يباح ان يفعل مع غيره امورا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته * فمن ذلك * انه امر بالصلاة عليه والتسليم بعد ان اخبر ان الله وملائكته يصلون عليه والصلاة تتضمن ثناء الله عليه ودعاء الخير له وقربته منه ورحمته له والسلام عليه يتضمن سلامته من كل آفة فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات ثم انه يصلي سبحانه عشرا على من يصلي عليه مرة واحدة حضاً للناس على الصلاة عليه ليسعدوا بذلك ولا يرحمهم الله بها * ومن ذلك * انه اخبر انه

اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن حقه ان يحب ان يورثه العطشان بالماء والجائع
بالطعام وانه يجب ان يوقى بالانفس والا موال كما قال سبحانه ما كان
لاهل المدينة و من حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه * فعلم ان رغبة الانسان بنفسه ان يصيبه
ما يصيب النبي صلى الله عليه وسلم من المشقة معه حرام وقال تعالى مخاطبا
للمؤمنين فيما اصابهم من مشقات الحصر والجهاد لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * ومن
حقه ان يكون احب الى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دل
على ذلك قوله سبحانه قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واهواؤكم وازواجكم
وعشيرتكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية مع الاحاديث
الصحيحة المشهورة كما في الصحيح من قول عمر يا رسول الله لانت احب الي
من كل شئ الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك قال
فانت والله يا رسول الله احب الي من نفسي قال للآن يا عمر وقال صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين متفق عليه * ومن ذلك * ان الله امر بتعزيره وتوقيره
فقال وتعزروه وتوقروه * والتعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من
كل مايؤذيه والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمانينة من الاجلال
والاكرام وان يعامل من التشریف والتكريم والتعظيم بما يصوته عن كل
ما يخرج به عن حد الوقار * ومن ذلك * انه خصه في مخاطبة بما يليق به

فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا • فنهى ان يقولوا
يا محمد او يا احمد او يا ابا القاسم ولكن يقولوا يا رسول الله يا نبي الله وكيف
لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالى اكرمهم في مخاطبته اياه بما لم يكرم به
احدا من الانبياء فلم يدعه باسمه في القرآن قط بل يقول يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها • يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين • يا ايها النبي انا حملناك ازواجك • يا ايها النبي اتق الله •
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • يا ايها النبي اذ اطلقت النساء •
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك • يا ايها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك •
يا ايها المزمع الليل • يا ايها المدثر قم فأنذر • يا ايها النبي حسبك الله • مع
انه سبحانه قد قال • وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة • يا آدم انبشرو
باسمائهم • يانوح انه ليس من اهلك • يا ابراهيم اعرض عن هذا • ياموسى اني
اصطفيتك على الناس • يا داود انا جعلناك خليفة في الارض • ياعيسى ابن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك • ومن ذلك • انه حرم التقدم بين يديه
بالكلام حتى يأذن • وحرم رفع الصوت فوق صوته • وان يحمله بالكلام
كما يحمله الرجل للرجل • واخبر ان ذلك سبب حبوط العمل فهذا يدل على
انه يقتضى الكفر لان العمل لا يحبط الا به • واخبر ان الذين يفضون اصواتهم
عند • هم الذين امتحن قلوبهم للتقوى وان الله يغفر لهم ويرحمهم • واخبر ان
الذين ينادونه وهو في منزله لا يعقلون لكونهم رفعوا اصواتهم عليه ولكونهم
لم يصبروا حتى يخرج ولكن ازعموه الى الخروج • ومن ذلك • انه حرم على

الامة ان يؤذوه بما هو مباح ان يعامل به بعضهم بعضا تميزا له مثل نكاح ازواجه
من بعد فقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما . و اوجب على الامة لاجله
احترام ازواجه وجعلهن امهات في التحريم والاحترام فقال تعالى النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم . واما ما اوجبه من
طاعته والانتقاد لامره والتأسي بفعله فهذا باب واسع لكن ذاك قد يقال هو
من لوازم الرسالة واما الغرض هنا ان تنبه على بعض ما اوجبه الله له من
الحقوق الواجبة والمحرمات مما يزيد على لوازم الرسالة بحيث يجوز ان يمتثل الله
رسولا ولا يوجب له هذه الحقوق . ومن كرامته المتعلقة بالقول انه يفرق
بين اذاه واذي المؤمنين فقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا عظيمنا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا . وقد تقدم ان في هذه الآية
ما يدل على ان حدمن سبه القتل كما ان حدمن سب غيره الجلد . ومن ذلك
ان الله رفع له ذكره فلا يذكر الله سبحانه الا ذكر معه . ولا تصح للامة خطبة
ولا تشهد حتى يشهدوا انه عبده ورسوله و اوجب ذكره في كل خطبة .
وفي الشهادتين اللتين هما اساس الاسلام . وفي الاذان الذي هو شعار
الاسلام . وفي الصلاة التي هي عماد الدين الى غير ذلك من المواضع
هذا الى خصائص له اخر يطول تعدادها و اذا كان كذلك فمعلوم ان سابه
و منقصه قد ناقض الايمان به و ناقض تعزير مو توقيره . و ناقض رفع ذكره

و ناقض الصلاة عليه والتسليم وناقض تشریفه في الدعاء والخطاب بل قابل
افضل الخلق بما لا يقابل به اشر الخلق . و يوضح ذلك ان مجرد اعراضه عن
الايان به يبيح الدم مع عدم العهد واعراضه عن هذه الحقوق الواجبة يبيح
العقوبة فهذا بمجرد سكوته عن تشریفه وتكريمه وتعظيمه فاذا اتى بضد ذلك
من الذم والسب والانتقاص والاستخفاف فلا بد ان يوجب ذلك
زيادة على الدم والعقاب فان مقادير العقوبات على مقادير الجرائم
الا ترى ان الرجل لو قتل رجلا اعتباطا لكان عقوبته القود
وهو التسليم الى ولى المقتول فان انضم الى ذلك قتله لاختل المال مجاهرة
صارت العقوبة تحتم القتل فان انضم الى ذلك اخذ المال عوقب مع
ذلك بالصلب وعوقب عند بعض العلماء ايضا بقطع اليد والرجل حتما
مع ان اخذ المال سرقة لا يوجب الا قطع اليد فقط وكذلك لو قذف
عبدا او ذميا او فاجرا لم يجب عليه الا التعزير فلو قذف حرا مسلما عفيفا
لوجب عليه الحد التام فلو قيل انه لا يجب عليه مع ذلك الا ما يجب
على من ترك الايمان به او ترك العهد الذي يتنا وينه لسوى بين
الساکت عن ذمه وسبه والمبالغ في ذلك وهذا غير جائز كما انه غير جائز
التسوية بين الساکت عن مدحه والصلاة عليه والمبالغ في ذلك ولزم
في ذلك ان لا يكون لخصوص سبه وذمه واذا عقوبة مع انه من اعظم
الجرائم وهذا باطل قطعوا معلوم ان لا عقوبة فوق القتل ثم سوى
الزيادة على ذلك الاتيين قتله وتحتمه تاب او لم ينب كحد قاطع للطريق

اذ لا يعلم احد اوجب ان يجلد لخصوص السب ثم يقتل للكفر اذا كانت
المقوبة لخصوص السب كانت حدا من الحدود وهذه مناسبة ظاهرة قد دل
على صحتها لالات النصوص السالفة من كون السب موجبا للقتل والعلة
اذا ثبت بالنص او بالاياء لم يحتج الى اصل يقاس عليه الفرع وبهذا يظهر
انا لم نجعل خصوص السب موجبا للقتل الا بما دل عليه من الكتاب والسنة
والاثر لا بمجرد الاستحسان والاستصلاح كما زعمه من لم يحظ بما آخذ الاحكام
على ان الاصل الذي يقاس به هذا الفرع ثابت وهو

الطريقة السابعة عشر * وذلك انا وجدنا الاصول التي دل عليها
الكتاب او السنة او اجماع الامة حكمت في المرتد وناقض العهد حكمين
فمن لم يصد ريمنه الامجد الردة او مجرد نقض العهد ثم عاد الى الاسلام عصم
دمه كما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم
ذكر بعض ما يدل على ذلك في المرتد وهو في نقض العهد ايضا موجود بقوله
في بعض من نقض العهد ويثوب الله من بعد ذلك على من يشاء * وبان
النبي صلى الله عليه وسلم قبل اسلام من اسلم من بني بكر وكانوا قد نقضوا
العهد وعدوا على خراعة فقتلواهم وقبل اسلام قريش الذين اعلنواهم على
قتال المسلمين حتى انتقض عهدهم بذلك ودلت سنته على ان مجرد اسلامهم
كان عاصا لما همم وكذلك في حصرة لقريظة والنضير مذكور انهم
لو اسلموا لكف عنهم وقد جاء نفر منهم مسلمين فعصموا دماءهم واموالهم
منهم ثعلبة بن سعية واسد بن سعية واسد بن عبيد اسلموا في الليلة التي

الطريقة السابعة عشر

نزل فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبره
 مشهور ومن تغلظت ردة او تقضه بما يضر المسلمين اذا عاد الى الاسلام
 لم تسقط عنه العقوبة مطلقا بل يقتل اذا كان جنس ما فعله موجبا للقتل
 او يعاقب بما دونه ان لم يكن كذا لك كما دل عليه قوله تعالى انما جزاء الذين
 يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الآية وكما دلت عليه سنة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة ابن ابي سرح وابن زعيم وفي قصة
 ابن خطل وقصة مقيس بن صباغة وقصة المرنيين وغيرهم وكما دل عليه
 الاصول المقررة فان الرجل اذا اقترن برده قطع طريق او قتل مسلم
 او زنا او غير ذلك ثم رجع الى الاسلام اخذت منه الحدود وكذلك
 لو اقترن بنقض عهد الاضرار بالمسلمين من قطع الطريق او قتل مسلم او زنا
 بمسلمة فان الحدود تستوفي منه بعد الاسلام اما الحد الذي يجب على المسلم
 لو فعل ذلك او الحد الذي كان واجبا قبل الاسلام وهذا الرجل الساب
 قد وجد منه قدر زائد على مجرد نقض العهد كما قدمنا في الاضرار بالمسلمين
 الذي صار به اغاظ جرما من مجرد نقض العهد او فعل ما هو اعظم من اكثر
 الامور المضرة كما تقدم فصار بمنزلة من قرن بنقض عهد اذى المسلمين
 في دم او مال او عرض واشد واذا كان كذلك فاسلامه لا يزيل عنه عقوبة
 هذا الاضرار كما دلت عليه الاصول في مثله وعقوبة هذا الاضرار قد ثبتت
 انه القتل بالنهي والاسلام الطارئ لا يمنع ابتداء هذه العقوبة فان المسلم
 لو ابتداء بمثل هذا قتل قتلا لا يسقط بالتوبة كما تقدم واذا لم يمنع الاسلام

ابتداء هافان لا يمنع بقاء هاودو اماه اولى واحرى لان الدوام والبقاء اقوى
 من الابداء والحدوث في الحسيات والعقلبات والحكميات. الا ترى ان
 العدة والاحرام والردة تمنع ابتداء النكاح ولا تمنع دوامه والاسلام
 يمنع ابتداء الرق ولا يمنع دوامه ويمنع ابتداء وجوب القود وخذ القذف على
 المسلم اذا قتل او قذف ذميا ولا يمنع دوامه عليه اذا اسلم بعد القتل والقذف
 ولو فرض ان الاسلام يمنع ابتداء قتل هذا فلا يجب ان يسقط القتل باسلامه
 لان الدوام اقوى من الابداء وجاز ان يكون بمنزلة القود وخذ القذف
 فان الاسلام يمنع ابتداء هدون دوامه لاسيما والسب فيه حق لآدمي
 ميت وفيه جناية متعلقة بعموم المسلمين فهو مثل القتل في المحاربة ليس حقما لعين
 واذا كان كذلك وجب استيفاؤه كغيره من المحاربين المفسدين يحقق
 ذلك ان الذمي اذا قطع الطريق وقتل مسلما فهو يعتقد في دينه جواز قتل
 المسلم واخذ ماله وانما حرمة عليه العهد الذي يبتنا وبينه كما انه يعتقد جواز
 السب في دينه وانما حرمة عليه العهد وقطع الطريق قد يفعل استحلالا وقد
 يفعل استخفافا بالحرمة لغرض كما ان سب الرسول قد يفعل استخفافا بالحرمة
 لغرض فهو مثله من كل وجه الا ان مفسدة ذلك في الدنيا ومفسدة
 هذا في الدين وهي اعظم من مفسدة الدنيا عند المؤمنين بالله العالمين به
 وبامرهم فاذا اسلم قاطع الطريق فقد تجدد منه اظهار اعتقاد تحريم دم المسلم وماله
 مع جواز ان لا يفي بموجب هذا الاعتقاد وكذلك اذا اسلم الساب فقد
 تجدد اظهار اعتقاد تحريم عرض الرسول مع جواز ان لا يفي بموجب هذا

الا اعتقاد فاذا كان هناك يجب قتله بعد اسلامه فكذلك يجب قتله
 هنا بعد اسلامه ويجب ان يقال اذا كان ذلك لا يسقط حده بالتوبة
 بعد القدرة فكذلك هذا لا يسقط حده بالتوبة بعد القدرة ومن امن
 النظر لم يسترب في ان هذا محارب مفسد كما ان قاطع الطريق محارب
 مفسد ولا يرد على هذا سب الله تعالى لان احدا من البشر لا يسبه اعتقادا
 الا بما يراه تعظيما واجلا لا كزعم اهل التثليث ان له صاحبة وولدا فانهم
 يعتقدون ان هذا من تعظيمه والتقرب اليه ومن سبه لا على هذا الوجه
 فالقول فيه كالقول فيمن سب الرسول على احد القولين وهو المختار كما
 سنقرره ومن فرق قال انه تعالى لا تلحقه غصاضة ولا انتقاص بذلك
 ولا يكاد احد يفعل ذلك اصلا الا ان يكون وقت غضب ونحو ذلك بخلاف
 سب الرسول فانه يسبه انتقاصا له واستخفافا به سبا يصدر عن اعتقاد وقصدا هانا
 وهو من جنس تلحقه الغصاضة ويقصد بذلك وقد يسب تشفيا وغيظا
 وربما حل منه في النفوس خبائل ونفر عنه بذلك خلائق ولا تزول
 نقرتهم عنه باظهار التوبة كما لا تزول مفسدة الزنا وقطع الطريق ونحو
 ذلك باظهار التوبة وكما لا يزول العار الذي يلحق بالمقذوف باظهار
 القاذف التوبة فكانت عقوبة الكفر ينسدرج فيها ما يتبعه من سب الله
 سبحانه بخلاف سب الرسول فان قيل قد تكون زيادة العقوبة على
 مجرد الناقض للعهد تحتم قتله مادام كافرا بخلاف غيره من الكافرين فان
 عقد الامان والهدنة والذمة واسترقاقهم والمن عليهم والمفاداة بهم جائز في الجملة

فاذا اتى مع حل دمه لنقض العهد ولو لعدمه بالسب تعين قتله كما قررتموه
وهكذا الجواب عن المواضع التي قتل النبي صلى الله عليه وسلم فيها من
حسبه او امر بقتله او امر اصحابه بذلك فانه لا بد على ان الساب يقتل وان
لم يقتل من هو مثله من الكافرين وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليهود في قصة ابن الاشراف انه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رايه
ما اغتيل ولكنه نال مناوهمنا بالشعرو لم يفعل هذا احد منكم الا كان
السيف واذا كان كذلك فيكون القتل وجب لامر ين للكفر ولتغايظه
بالسب كما يجب قتل المرتد للكفر ولتغايظه بترك الدين الحق والخروج منه
فمتى زال الكفر زال الموجب للدم فلم يستقل بقاء اثر السب باحلال الدم
وتبع الكفر في الزوال كما تبعه في الحصول فانه فرع للكفر وتوع منه فاذا
زال الاصل زالت جميع فروعه وانواعه وهذا السؤال قد يمكن تقريره
في سب من يدعي الاسلام بناء على ان السب فرع للردة ونوع منها وقد
لا يمكن لانه يتجدد من هذا بعد السب ما لم يكن موجودا حال السب
بخلاف الكافر قلنا وهذا ايضا دليل على ان قتل الساب حد من الحدود
فانه قد تقدم انه يجب قتله ان كان معاهدا ولا يجوز استبقاؤه بعد السب
بامان ولا استرقاق ولو كان انما يقتل لكونه كافرا محاربا لجاز امانه واسترقاقه
والمفاد به فلما كان جزاؤه القتل علم ان قتله حد من الحدود وليس بمنزلة قتل
سائر الكفار ومن تأمل الادلة الشرعية تصورها ومقاييسها مما ذكرناه ومما لم نذكره
ثم ظن بعد هذا ان قتل الساب لمجرد كونه كافرا غير معاهد كقتل الاسير

فليس على بصيرة من امره ولا ثقة من رأيه وليس هذا من المسالك
المحتملة بل من مسالك القطع فان من ثامل دالات الكتاب والسنة
وما كان عليه سلف الامة وما توجبه الاصول الشرعية علم قطعا ان السب
تأثيرا في سفح الدم زائدا على تأثير مجرد الكفر الخالي عن عهد نعم قد يقال
هو مقتول بمجموع الامرين بناء على ان كفر الساب نوع مغلظ لا يحتمل
الاستبقاء ككفر المرتد فيكون مقتولا لكفره وسبه ويكون القتل حدا
بمعنى انه يجب اقامته ثم يزول موجه بالتوبة كقتل المرتد فهذا ليس
بمساغ لكن في ما تقدم ما يضعف هذا الوجه ومع هذا فانه لا يقدح في كون
قتل الساب حدا من الحدود وجب لما في خصوص ظهور سب الرسول من المفسدة
وانما يبقى ان يقال هذا الحد هل يسقط بالاسلام ام لا فنقول جميع ما ذكرناه
من الدالات وان دلت على وجوب قتله بعد اظهار التوبة فهي دالة على
ان قتله حد من الحدود وليس بمجرد الكفر وهي دالة على هذا بطريق القطع
لما ذكرناه من تفريق الكتاب والسنة والاجماع بين من اقنصر على الكفر
الاصلي او الطارى او نقض العهد وبين من سب الرسول من هوه لاء واذا
لم يكن القتل لمجرد الكفر لم يبق الا ان يكون حدا واذا ثبت انه يقتل لخصوص
السب لكونه حدا من الحدود لا لعموم كونه كافرا غير ذي عهد او لعموم
كونه مرتدا فيجب ان لا يسقط بالتوبة والاسلام لان الاسلام والتوبة
لا يسقطان شيئا من الحد والواجبة قبل ذلك اذا كانت التوبة بعد الثبوت
والرفع الى الامام بالاتفاق وقد دل القرآن على ان حد قاطع الطريق

والزاني والسارق والقاذف لا يسقط بالتوبة بعد التمكن من اقامة الحد
ودلت السنة على مثل ذلك في الزاني وغيره ولم يختلف المسلمون فيما علمناه
ان المسلم اذا زنى او سرق او قطع الطريق او شرب الخمر فرفع الى السلطان
وثبت عليه الحد بينة ثم تاب من ذلك انه يجب اقامة الحد عليه الا ان
يظن احد في ذلك خلافا شاذ لا يعتد به فهذه حدود الله وكذلك
لو وجب عليه قصاص او حدا وقذف او عقوبة سب لمسلم او معاهد ثم تاب
من ذلك لم تسقط عنه العقوبة وكذلك ايضا لم يختلفوا فيما علمناه ان
الذمي لو وجب عليه حد قطع الطريق او حد السرقة او قصاص او حد
قذف او تعزير ثم اسلم وتاب من ذلك لم تسقط عنه عقوبة ذلك وكذلك
ايضا لو زنى فانه اذا وجب عليه حد الزنا ثم اسلم لم يسقط عنه بل يقام عليه
حد الزنا عند من يقول بوجوبه قبل الاسلام ويقتل حتما عند الامام احمد
ان كان زنا انقض عهده هذا مع ان الاسلام يجب ما قبله والتوبة يجب
ما قبلها فيغفر للتائب ذنبه مع اقامة الحد عليه تطهيرا له وتنكيلا للناس عن
مثل تلك الجريمة فتحصل باقامة الحد المصلحة العامة وهي زجر الملتزمين
للاسلام او الصغار عن مثل ذلك الفساد فانه لو لم يقم الحد عند اظهار التوبة
لم يأت اقامة حد في الغالب فانه لا يشاء المفسد في الارض اذا اخذ ان يظهر
التوبة الا اظهرها و اوشك كل من هم بعظيمة من العظائم من الاقوال والافعال
ان يرتكبها ثم اذا احيط به قال اني تائب ومعلوم ان ذلك لودره الحد الواجب
لتعطلت الحدود وظهر الفساد في البر والبحر ولم يكن في شرع العقوبات

والحدود كثير مصلحة وهذا ظاهر لا خفاء به . ثم الجاني لو تاب توبة
نصوحاً فتلك نافعة فيما بينه وبين الله يغفر له ماسلف ويكون الحد تطهيراً
وتكفير السيئة وهو من تمام التوبة كما قال ما عزم مالك للنبي صلى الله عليه
وسلم طهرني وقد جاء تائباً وقال تعالى لما ذكر كفارة قتل الخطاء فمن
لم يستطع فاطعم ستين مسكيناً توبة من الله وكان الله عليهما حكيماً . وقال تعالى
في كفارة الظهار ذلکم توعظون به . فيشتمل الحد مع التوبة على مصلحتين
عظمتين مصلحة زجر النفوس عن مثل تلك الجريمة وهي اهم المصلحتين فان
الدنيا في الحقيقة ليست دار كمال الجزاء وانما كمال الجزاء في الآخرة
وانما الغالب في العقوبات الشرعية الزجر والنكال وان كان
فيها مقاصد اخر كما ان غالب مقصود العدة برآة الرحم وان كان فيها
مقاصد اخر ولهذا كانت هذه المصلحة مقصودة في كل عقوبة مشروعة
والمصلحة الثانية تطهير الجاني وتكفير خطيئته ان كان له عند الله خير او عقوبة
والانتقام منه ان لم يكن كذلك وقد يكون زيادة في ثوابه ورفعته في درجاته
ونظير ذلك المصائب المقدرة في النفس والاهل والمال فانها تارة تكون
كفارة وطهوراً وتارة تكون زيادة في الثواب وعلو في الدرجات
وتارة تكون عقاباً وانتقاماً لكن اذا تاب الانسان سرافان الله يقبل توبته
سراً ويغفر له من غير احواج له الى ان يظهر ذنبه حتى يقام حده عليه
اما اذا اعلن الفساد بحيث يراه الناس ويسمعونه حتى يشهدوا به
عند السلطان او اعترف به هو عند السلطان فانه لا يظهره مع التوبة

بعد القدرة الاقامته منه عليه الا ان في التوبة اذا كان الحد لله وثبت
 باقراره خلافاً سند كره ان شاء الله تعالى و لهذا قال صلى الله عليه وسلم تغافوا
 الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 لما شفع اليه في السارقة تطهر خير لها وقال من حالت شفاعته دون حد من
 حد ود الله فقد ضاد الله في امره وقال من ابتلى من هذه القاذورات بشيء
 فليستربس تر الله فانه من يبدلنا (١) صفحته نغم عليه كتاب الله * اذا تبين ذلك
 فنقول هذا الذي اظهر سب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسلم
 ومعاهد قد اتى بهذه المفسدة التي تضمنت مع الكفر وتقص العهد اذى الله
 ورسوله وانتهاك تلك الحرمة التي هي افضل حرمة المخلوقين والوقعة في
 عرض لا تساوي غيره من الاعراض والطعن في صفات الله وفعاله وفي
 دين الله وكتابه وجميع انبيائه والمؤمنين من عباده فان الطعن في واحد
 من الانبياء طعن في جميع الانبياء كما قال سبحانه وتعالى اولئك هم الكافرون
 حقوا طعن في من آمن بنبينا من الانبياء والمؤمنين المتقدمين والمتأخرين
 وقد تقدم تقرير هذا ثم هذه العظيمة صدرت ممن التزم بعقد ايمانه وامانه
 انه لا يفعل ذلك فاذا اوجبت عقوبته على تلك الجريمة لخصوصها كما تقدم
 امسح ان يسقط بما يظهره من التوبة كما تقدم ايضاً ثم هنا مسلكان *
 ✽ المسلك الاول ✽ وهو مسلك طائفة من اصحابنا وغيرهم ان يقتل حد الله
 كما يقتل لقطع الطريق ولردة وللکفر لان السب للرسول صلى الله عليه وسلم
 قد تعلق به حق الله وحق كل مؤمن من فان اذاه ليس مقصوراً على رسول الله

(١) من يبدلنا صفحته اي من يظهر لنا فعله الذي يخفيه ١٢ مجمع

فقط كمن يسب واحدا من عرض الناس بل هو اذى لكل مؤمن كان
ويكون بل هو عند هم من ابلغ انواع الاذى ويود كل مؤمن منهم ان
يفتدى هذا العرض بنفسه واهله وعرضه وماله كما تقدم ذكره عن الصحابة
من انهم كانوا يبذلون دماءهم في صون عرضه وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يمدح من فعل ذلك سواء قتل او غلب ويسميه ناصرا لله ورسوله
ولو لم يكن السب اعظم من قتل بعض المسلمين لما جاز بذل الدم في دمه كما
لا يجوز بذل الدم في صون عرض واحد من الناس وقد قال خسان بن
ثابت يخاطب ابا سفيان بن الحارث *

هجوت محمد اقا جيت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

فان ابي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وذلك انه انتهك للحرمة التي نالوا بها سعادة الدنيا والآخرة وبها يتألفها
كل واحد سواهم وبها يقام دين الله ويرضى الله عن عباد هو يحصل ما يحبه ويتقنى
ما يبغضه كما ان قاطع الطريق وان قتل واحدا فان مفسدة قطع الطريق
نعم جميع الناس فلم يفوض الامر فيه الى ولى المقتول نعم كان الامر
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفوضا اليه فمين سبه ان احب عفا عنه
وان احب عاقبه وان كان في سبه حق لله ولجميع المؤمنين لان الله سبحانه
يجعل حقه في العقوبة تبعا لحق العبد كما ذكرناه في القصاص وحقوق
الآدميين تابعة لحق الرسول فانه اولى بهم من انفسهم ولان في ذلك
تمكينه صلى الله عليه وسلم من اخذ العفو والامر بالعرف والاعراض عن

الجاهلين الذي امره الله تعالى به في كتابه ❦ وتمكينه من العفو والاصلاح الذي يستحق به ان يكون اجره على الله ❦ وتمكينه من ان يدفع بالتى هي احسن السيئة كما امره الله ❦ وتمكينه من استعطاف النفوس وتاليف القلوب على الايمان واجتماع الخلق عليه ❦ وتمكينه من ترك الضغينة عن الايمان وما يحصل بذلك من المصلحة يعمر ما يحصل باستبقاء الحساب من المصلحة كما دل عليه قوله تعالى ولو كنت نَفْظًا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفرهم وشاورهم في الامر ❦ وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم نفس هذه الحكمة حيث قال اكره ان يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ❦ وقال فيما عاين به ابن ابي من الكرامة رجوت ان يؤمن بذلك الف من قومه فحقق الله رجاءه ولو عاقب كل من آذاه بالقتل لحاصر المقلوب عقدا او وسوسة ان ذلك لما في النفس من حب الشرف والله من باب غضب الملوكة وقتلهم على ذلك ولو لم يبح له عقوبته لانتهاك العرض واستبيحت الحرمات وانخل رباط الدين وضعفت العقيدة في حرمة النبوة فحصل الله له الامرين فلما انقلب الى رضوان الله وكرامته ولم يبق واحد مخصوص من الخلق اليه استيفاء هذه العقوبة والعفو عنها والحق فيها ثابت لله سبحانه ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين وعلم كل ذي عقل ان المسلمين انما يقتلونه لحفظ الدين وحفظ حرم الرسول وقاية عرضه فقط كما يقتلون قاطع الطريق لامن الطرقات من المفسدين وكما يقطعون السارق لحفظ الاموال وكما يقتلون المرائد صونا للداخلين في الدين من الخروج عنه

ولم يبق هنا نهم مقصود جزوئى كما قد كان يتوهم في زمانه ان قتل الساب كذلك
وتقرير ذلك بالساب له من المسلمين فانه قد كان له ان يعفو عنه مع انه لا يحل
للأمة الا اراقة دمه فحاصله انه في حياته قد غلب في هذه الجناية حقه لئتمكن
من الاستيفاء والعفو وبعد موته فهي جناية على الدين مطلقا ليس لها من
يمكنه العفو عنها فوجب استيفاؤها وهذا مسلك خير لمن يدبر غوره ثم هنا
تقرر ان . احدهما . ان يقال الساب من جنس المحارب المفسد وقد تقدم
في ذلك زيادة بيان ومما يؤيده انه سبحانه وتعالى قال من قتل نفسا
بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا . فعلم ان كل ما اوجب القتل
حقا لله كان فسادا في الارض والا لم يبح وهذا السب قد اباح الدم فهو فساد
في الارض وهو ايضا محاربة لله ورسوله على ما لا يخفى لان المحاربة هنا والله اعلم
انما عني بها المحاربة بعد المسائلة لان المحاربة الاصلية لم يدخل حكمها في هذه
الاية وسبب نزولها انما كان فعل مرئى وناقض عهد فعلم انهما جميعا دخلا
فيها وهذا قد حارب بعد المسائلة وافسد في الارض فتعين اقامة الحد عليه
• الثاني • ان يكون السب جناية من الجنايات الموجبة للقتل كالزنا وان
لم يكن حرا ابا كحرا ب قاطع الطريق فان من الفساد ما يوجب القتل وان لم يكن
حرا ابا وهذا فساد قد اوجب القتل فلا يسقط بالتوبة كغيره من انواع
الفساد اذ لا يستثنى من ذلك الا القتل للكفر الاصل او الطارى وقد قد منا
ان هذا القتل ليس هو كقتل سائر الكفار . فان قيل . فاذا كان السب حدا لله
فيجب ان يسقط بالاسلام كما يسقط حد المرتد بالاسلام وكما يسقط قتل

الكافر بالاسلام وذلك ان مجرد تسميته حدا لا يمنع سقوطه بالتوبة او بالاسلام
 فان قتل المرتد حد فان الفقهاء يقولون باب حد المرتد ثم انه يسقط بالاسلام
 ثم ان هذا امر لفظي لا تناط به الاحكام واتما تناط بالمعاني وكل عقوبة لمجرم
 فهي حد من حيث تزجره وتمنعه من تلك الجريمة وان لم تسم حدا لم يكن
 لا ريب انه انما يقتل للكفر والسب والسب لا يمكن تجريد هـ عن الكفر
 والمخاربة حتى يفرض سابع قد وجب قتله وهو مؤمن او معاهد باق على
 عهده كما يفرض مثل ذلك في الزاني والسارق والقاذف فان اولئك
 وجبت عقوباتهم لتلك الجرائم وهي قبل الاسلام وبعده سواء وهذا
 لما وجب عقوبته بمجرم هو من فروع الكفر وانواعه فاذا زال الاصل تبعته
 وفروعه فيكون الموجب للقتل انه كافر محارب وانه موذن لله ورسوله
 كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعقبة بن ابي معيط لما قال مالي اقتل من بينكم
 صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفراك ولقترائك على رسول الله
 والعلة اذا كانت ذات وصفين زال الحكم بزوال احد هما ونحن قد نعلم
 انه يتحتم قتله اذا كان ذميا كما يتحتم قتل المرتد لتغلظ كفره باذى الله ورسوله
 كتغلظ كفر المرتد بترك الدين لكن الاسلام يسقط كل حد يتعلق بالكفر
 كما يسقط حد المرتد فلم الحتم هذا الحد بقاطع الطريق والزاني والسارق
 ولم تلحقوه بالمرتد فهذه انكته هذا الموضع فنقول لا يسقط شيء من الحدود
 بالاسلام ولا فرق بين المرتد وغيره في المعنى بل كل عقوبة وجبت لسبب
 ماض او حاضر فانها تجب لوجود سببها وتعدم لعدمه فالكافر الاصل والمرتد

لم يقتل لاجل ماضى من كفره فقط واما يقتل للكفر الذى هو الآن موجود
اذا اصاب بقاؤه على ما كان عليه فاذا تلبس بالالكفر فزال المبيع للدم لان الدم
لا يباح بالكفر الاحال وجود الكفر اذا المقصود بقتله ان يكون كلمة الله
هى العليا وان يكون الدين كله لله فاذا انتقاد لكلمة الله ودان بدین الله حصل
مقصود القتال ومطلوب الجهاد وكذلك المرتد انما يقتل لانه تترك الدين بمبدل له
فاذا هو عاد لم يبق مبدلا ولا تاركا وبذلك يحصل حفظ الدين فانه لا يترك مبدلا له
اما الزانى والسيارقي وقاطع الطريق فانه سواء كان مسلما او معاهدا لم يقتل لقوامه على
الزنا والسب وقطع الطريق فلان هذا غير ممكن ولم يقتل لجور اعتقاد محل ذلك
ما ارادته له فان الذمى لا يباح دمه بهذا الاعتقاد ولا يباح دم مسلم ولا ذمى بجور
الارادة فعلم ان ذلك وجب جزاء على ماضى وزجرا عما يستقبل منه ومن
غيره فمن اظهر سب الرسول من اهل الذمة او من المسلمين ثم ترك
السب واتمى عنه فليس هو مستدعى للسب كما يستدعى الكافر المرتد وغيره على كفره
بل افسد في الارض كما افسد غيره من الزناة وقاطع الطريق ونحن نخاف ان
تكرر مثل هذا القصد منه ومن غيره كما تخاف مثل ذلك في الزانى وقاطع الطريق
لان الداعى له الى ما فعله من السب ممكن منه ومن غيره من الناس فوجب
ان يعاقب جزاء بما كسب نكالا من الله لئلا يغتر به وهذا فرق ظاهر بين
قتل المرتد والكافر الاصل وبين قتل السلب والمقاطع والزانى وبيانه ان السب
من جنس الجريمة لماضية لا من جنس الجريمة الدائمة لكن مبناه على ان
يوجب الحد لخصوصه لا لمكروهه كفر او قد تقدم بيان ذلك يوضح ذلك ان

قتل المرتد والكافر الاصل الا ان يتوب يزال مقسدة الكفر لان الهام
بالردة متى علم انه لا يتوب حتى يقتل او يتوب لم ياتها لانه ليس له غرض في
ان يرتد ثم يعود الى الاسلام وانما غرضه في بقاءه على الكفر واستدامته
فاما السب من المسلمين والمجاهدين فان غرضه من السب يحصل باظهاره
وينكأ المسلمين بذلك كما يحصل غرض القاطع من القتل والزاني من الزنا وسقط
حرمة الدين والرسول بذلك كما يسقط حرمة النفوس والاموال قطع
الطريق والسرقه ويؤذي عموم المسلمين اذ يفضي ضرره كما يؤذيهم
مثل ذلك من فعل القاطع والسارق ونحوهما ثم انه اذا اخذ فقد يظاهر
الاسلام والتوقيف مع استبطانه العود الى مثل ذلك عند انقذرة كما يظهر
القاطع والسارق والزاني العود الى مثل هذه الجرائم عند امكان الفرصة
بل ربما يتمكن من هذا السب بعد اظهار الاسلام عند شياطينه ما لم يتمكن قبل
ذلك ويتنوع في انواع التقص والطعن غيظا على ما فعل به من القهر
والضغط حتى اظهر الاسلام بخلاف من لم يظهر شيئا من ذلك حتى اسلم
فانه لا مقسدة ظهرت لنامته وبخلاف المجارب الاصل اذا قتل وقتل الاقارب فانه
لم يكن قد التزم الايمان على انه لا يفعل شيئا من ذلك وهذا قد كان التزم لنا
بعقد الذمة ان لا يؤذينا بشئ من ذلك ثم لم يف بعهد فلابد من اليان
يلتزم بعقد الايمان ان لا يؤذينا بذلك ولا يفتي بعهد وذلك لانه واجب
عليه في دينه ان يتي بالله فلا يظهر الطعن علينا في ديننا وهو عالم ان ذلك من
التزام الامور التي تعاها على ان لا يؤذينا بها وهو خائف من سيف

الا سلام ان خالف كما انه واجب عليه في دين الاسلام ان لا يتعرض
 للرسول بسوء وهو خائف من سيف الاسلام ان هو خالف فلم يتجدد له
 باظهار الاسلام جنس العاصم الزاجر بخلاف الحربى في ذلك وان كان
 في ضمن ذلك زجر لغيره من الناس عن الردة الا ترى انه لا يشرع الستر
 عليه ولا يستحب التعريض للشهود بترك الشهادة عليه وتجب اقامة
 الشهادة عليه عند الحاكم ولا يستحب العفو عنه قبل الرفع الى الحاكم
 وان كان قد ارتد سرا لانه متى رفع الى الحاكم استتابه فيجاء من
 النار وان لم يثبت قبله فقصر عليه مدة الكفر فكان رفعه مصلحة له محضة
 بخلاف من استسر لقاذروا من القاذورات فانه لا ينبغي التعرض اليه لانه اذا رفع
 يقتل حتما وقد يتوب اذا لم يرفع فلم يكن الرفع له مصلحة محضة وانما المصلحة
 للناس فاذا لم تظهر الفاحشة لم تضرمهم ومن سب الرسول فانما يقتله لا ذاه لله ورسوله
 وللمؤمنين ولطعنه في دينهم فكان بمنزلة من اظهر قطع الطريق والزنا ونحوه
 الغلب فيه جانب الردع والزجر وان تضمن مصلحة الجاني وكان قتله
 لانه اظهر الفساد في الارض وكذلك لو سب الذمي سرا لم يتعرض له
 وكذلك لا ينبغي الستر عليه لان من اظهر الفساد لا يستر عليه بحال وقوله السب
 مستلزم للكفر والجواب بخلاف تلك الجرائم قلنا ليس لنا سب خال عن الكفر
 حتى تجرد العقوبة له بل العقوبة على مجموع الامر به وهذه الملازمة لا توهم
 لغير السب فان كونه مستلزما للكفر يوجب تغاظ عقوبته فاذا انفصل الكفر
 عنه فيما بعد لم يلزم ان لا يكون موجبا للعقوبة اذا كان هو في نفسه يتضمن من

المفسدة ما يوجب العقوبة والزجر كما دل عليه الكتاب والسنة والاثار والقياس ثم نقول أقصى ما يقال انه حد على كفر مغلظ فيه ضرر على المسلمين صد ر عن مسلم او معاينة فمن ابن لهم ان مثل هذا تقبل منه التوبة بعد القدرة فانا قد قد منا ان التوبة انما شرعت في حق من تجردت ردة او تجردت نقضه للعهد فاما من تغلظت ردة او نقضه بكونه مضرا بالمسلمين فلا بد من عقوبته بعد التوبة وقولهم ان السب من فروع الكفر وانواعه فان عتوا ان الكفر يوجب ذلك فليس بصحيح وان عتوا ان الكفر يبيع ذلك فنقول لكن عقد الذمة حرم عليه في دينة اظهار ذلك كما حرم قتل المسلمين وسرقة اموالهم وقطع طريقهم واقتراش نساءهم وكما حرم قتالهم وان كان دينهم يبيع له ذلك كله فاذا هو آذى المسلمين بما يقتضيه الكفر المجرد عن عهد فانه يعاقب على ذلك وان زال الكفر الموجب لذلك فيقتل ويقطع ويعاقب كذلك هنا يعاقب على ما آذى به الله ورسوله والمؤمنين مما يخالف عهد وان كان دينه يبيعه وقولهم ان الزاني والسارق وقاطع الطريق قبل الاسلام وبعد سواء قلناه هو مثل الساب لانه قبل الاسلام يعتقد استحلال دماء المسلمين و اموالهم واعراضهم لولا العهد الذي بينهم وبينه وبعد الاسلام انما يعتقد تحريمها لاجل الدين وكذلك انتهاكه لعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد حله لولا العهد الذي بيننا وبينه وبعد الدين انما يمنعه منه الدين ولا فرق بين ان يضر المسلمين في دينهم او دنياهم واما قولهم انما يجب قتله لاجل الامر بن فيسقط بزوال احد هما فنقول بل اجتمع فيه سببان كل

منها يوجب نوعا من القتل مخالف النوع الآخر وان كان احدهما يستلزم الآخر فالكفر يوجب القتل للكفر الاصلى او للكفر الارتدادى وله احكام معروفة والسب يوجب القتل لخصوصه حتى يندرج فيه قتل الكفر و قتل الردة وهذا القتل هو المذهب في حق مثل هذا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم له القتل والعفو وله القتل مع امتناع القتل بالكفر والردة وله القتل بعد سقوط القتل بالكفر والردة كما قد مبين الله لائل على ذلك اثباتا ونظرا وينا ان في خصوص السب ما يقتضى القتل لو فرض تجرده عن الكفر والردة فاذل ان فصل عنه في اثناء الحال فسقط موجب الكفر والردة لم تسقط موجب السب وقد قد منا في المسئلة الثانية دلائل على ذلك ثم نقول بانه واجب لاجل الامرين فالقتل الواجب لكفر متعاط بالآخر ار اذا زال لا تسقط عقوبة فاحله فوجب ان لا تسقط عقوبة فاعل هذا والعقوبة التى استحقها هى القتل وايضا فان الاسلام الطارىء لا يمنع ما وجب من العقوبة وان كان الاسلام يمنع وجوبها ابتداء كالتقتل قودا وكحد القذف فانه انما يجب بشرط كون الفاعل ذميا ولا يسقط باسلامه بعد ذلك اذا كان المقتول والمقتذوف ذميا وايضا فان الاسلام لا يمنع قتل الساب ابتداء فان لا يمنع قتله واما بطريق الاولى فقوله اجتمع سببان فنزال احدهما ممنوع بل الموجب لقتل هذا الميزل *

المسلك الثانى ان يقتل حد النبي صلى الله عليه وسلم كما يقتل قودا وكما يجلد القاذف والساب لغيره من المؤمنين وقد تقدمت الدلالة على ان عقوبة

شاتم النبي صلى الله عليه وسلم القتل كما ان عقوبة شاتم غيره الجلد وهذا اصلك
 كثير من اصحابنا وغيرهم ومن المعلوم الذي لا ريب فيه ان الرجل لو سب
 واحدا من المؤمنين اوسب واحدا من اعيان الامة وهو ميت او غائب
 لوجب على من حضره من المسلمين ان يتصروا له واذا بلغ الامر
 الى السلطان فانه يعاقب هذا الجري بما يزرعه عن اذى المؤمنين ثم ان كان
 حيا وعلم فله ان يعفو عن سابه واما ان تعذر علم موته او غيبته لم يجوز
 للمسلمين الامساك عن عقوبة هذا واذا رفع الى السلطان عاقبه وان اظهر
 التوبة لان هذا من المعاصي والذنوب المتعلقة بحق آدمي لا يمكن قيامه بطلب
 هذا الحد وكل ما كان كذلك لم تحتج العقوبة عليه الى طلب احد ولا تسقط
 بالتوبة اذ ارفع الى السلطان ولهذا قلنا ان من سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فانه يجب ان يعزروا ويؤدبوا ويقتلوا وان لم يطالب بمقتلهم معين لان نصر المسلمين
 واجب على كل مسلم يده ولسانه فكيف على ولي الامر وعلى هذا التقدير فنقول
 ان سب النبي صلى الله عليه وسلم كان موجبا للقتل في حياته كما تقدم تقريره
 وكان اذا علم بذلك ثولى هذا الحق فان احب استوفى وان احب عفا
 فاذا تعذر اعلامه لتعيته او موته وجب على المسلمين القيام بطلب حقه ولم يجوز
 العفو عنه لاحد من الخلق كما لا يجوز العفو عن من سب غيره من الاموات
 والغيبات وقد قدمنا الدلائل على ان القتل لخصوص سبه وان التغلب عليه
 حقه حتى كان له ان يقتل من سبه او يعفو عنه كما للرجل ان يعاقب سابه
 وان يعفو عنه فان قيل هذا يبتنى على مقدمتين احدهما ان قذف

الميت موجب للحد وهو قد ذهب أبو بكر بن جعفر صاحب الخلال الى انه لا حد
لقذف ميت لان الحي وارثه لم يقذف وانما قذف الميت وحد القذف
لا يستوفى الا بعد المطالبة وقد تعذرت منه والحد لا يورث الا بمطالبة
الميت وهي منتفية والاكثر من يشنون الحد لقذف الميت لكن من الفقهاء
من يقول انما ثبت اذا تضمن القدر في نسب الحي وهو قول الحنفية وبعض
اصحابنا وقيل عن الحنفية لا يأخذ به الا الوالد والولد ومن الفقهاء من يقول
يثبت مطلقا هل يرثه جميع الورثة او من سوى الزوجين لبقاء سبب
الارث او العصبية فقط لمشاركتهم له في عمود نسبه فيه ثلاثة اقوال في
مذهب الشافعي واحمد الثانية ان حد قذف الميت لا يستوفى الا بطلب
الورثة وذلك انهم لا يختلفون انه لا يستوفى الا بمطالبة الورثة او بعضهم
ومتى عفوا سقط عند الاكثرين فلي هذا ينبغي ان يسقط الحد لقذف النبي صلى الله
عليه وسلم لانه لا يورث ويكون كقذف من لا وارث له وهذا ليس فيه
حد قذف عند اكثر الفقهاء او يقال لا يستوفى حتى يطالب بعض الهاشميين
وبعض القرشيين فنقول الجواب من ثلاثة اوجه احدها اننا لم نجعل
سب النبي صلى الله عليه وسلم وقذفه من حد القذف الذي لا يستوفى
حتى يطلبه المستحق فان ذاك انما هو اذا علم به وانما هو من باب السب والشتم
الذي يعلم انه حرام باطل وقد تعذر علم المسبوب به كما لو رمى رجل
بعض اعيان الامة بالكفر والكذب او شهادة الزور او سبه سباصريما فانا
لا نعلم مخالفا في ان هذا الرجل يعاقب على ذلك كما يعاقب على ما ينتهكه من

سب عليه السلام سب جميع المسلمين و طعن في دينهم

المحارم انتصار الذ لك الرجل الكريم في الامة وزجر اعن معصية الله كمن
يسب الصحابة او العلماء او الصالحين . الوجه الثاني . ان سبه سب لجميع امته
وطعن في دينهم و هو سب لثقتهم به غضاظة و عار بخلاف سب الجماعة
الكثيرة بالزنا فانه يعلم كذب قاعله وهذا يوقع في بعض النفوس ربا و اذا
كان قد آذى جميع المؤمنين اذى يوجب القتل وهو حق تجب عليهم المطالبة
به من حيث وجب عليهم اقامة الدين فيكون شبهة بقذف الميت الذي فيه
قدح في سب الحى اذا طالب به و ذاك يعمين اقامته و بهذا يظهر الفرق بينه
و بين غيره من الاموات على قول ابى بكر فان ذ لك الميت لا يتعدى ضرر
قذفه في الاصل الى غيره فاذا تعدت مطالبته امكن ان يقال لا يستوفى
حد قذفه و هنا ضرر السب في الحقيقة انما يعود الى الامة بفساد دينها و ذل
عصمتها و اهانة مستسكها و الا فالرسول صلوات الله عليه و سلامه في نفسه
لا يتضرر بذلك و بهذا يظهر الفرق بينه و بين غيره في ان حد قذف الغير انما
ثبت لورثته او لبعضهم و ذلك لان العار هناك انما يلحق الميت او ورثته و هنا
العار يلحق جميع الامة لا فرق في ذلك بين الهاشميين وغيرهم بل اى الامة كان
اقوى حباله و رسوله و اشد اتباعا له و تعزيرا و توقيرا كان حظه من هذا الاذى و الضرر
اعظم و هذا ظاهر لا خفاء به و اذا كان هذا اثبا لجميع الامة فانه مما يجب عليهم القيام
به و لا يجوز لهم العفو عنه بوجه من الوجوه لانه وجب لحق دينهم لا لحق دنياهم
بخلاف حد قذف غريبهم فانه وجب لحظ نفوسهم و دنياهم فلهما ان يتركوه
و هذا يتعلق بدنياهم فالعفو عنه عفو عن حدود الله و عن انتهاك حرمانه فظهر

الجواب عن المقدمتين المذكورتين الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث فلا يصح ان يقال ان حق عرضه يختص به اهل بيته دون غيرهم كما ان ماله لا يختص به اهل بيته دون غيرهم بل اولى لان تعلق حق الامة بعرضه اعظم من تعلق حقهم بماله وحينئذ فيجب المطالبة باستيفاء حقه على كل مسلم لان ذلك من تعزيره ونصره وذلك فرض على كل مسلم وتظير ذلك ان يقتل مسلم او معاهد نبياً من الانبياء فان قتل ذلك الرجل متعين على الامة ولا يجوز ان يجعل حق دمه الى من يكون وارثه لو كان يورث ان احب قتل ولن احب عفا على الدية او مجاناً ولا يجوز تقاعد الامة عن قتل قاتله فان ذلك اعظم من جميع انواع الفساد ولا يجوز ان يسقط حق دمه بتوبة القاتل او اسلامه فلن المسلم او المعاهد لو ارتد او تقضى العهد وقتل مسلماً لوجب عليه القود ولا يكون ماضيه الى القتل من الردة وتقضى العهد مخففاً لعقوبته وما ظن احداً يخالف في مثل هذا مع ان مجرد قتل النبي ردة وتقضى للعهد باتفاق العلماء وعرضه كدمه فان عقوبته القتل كما ان عقوبة دمه وعرضه ممنوع من المسلم باسلامه ومن المعاهد بعهد فاذا انتهكا حرمة وجبت عليها العقوبة لذلك

الطريقة الثامنة عشر وهي طريقة القاضي ابي يلى ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يتعلق به حق الله وحق لآدمي فاما حق الله فهو ظاهر وهو القدح في رسالته وكتابه ودينه واما حق الآدمي فظاهر ايضاً فانه ادخل المعرة على النبي صلى الله عليه وسلم بهذا السب وانه بذلك غضاضة

الطريقة الثامنة عشر

وعارو العقوبة اذا تعلق فيها حق الله وحق لآدمي لم تسقط بالتوبة كالحد
في المحاربة فانه يتحتم قتله ثم لو تاب قبل القدرة عليه سقط حق الله من
انحطام القتل والصلب لم يسقط حق لآدمي من القود كذلك هناك فان قيل
المغلب هنا حق الله ولهذا الوعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك لم يسقط
بغفوه قلنا وقد قال القاضي ابو يعلى في ذلك نظر على انه انما لم يسقط بغفوه
لتعلق حق الله به فهو كالعادة اذا سقط الزوج حقه منها لم يسقط لتعلق
حق الله بها ولم يدل هذا على انه لاحق لآدمي فيها كذلك هنا فقد تردد
القاضي ابو يعلى في جواز عفو النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع وقطع
في موضع آخر انه كان له ان يسقط حق سبه لانه حق له وذكر في قول
الانصاري للنبي صلى الله عليه وسلم ان كان ابن عمك وقد عرض للنبي
صلى الله عليه وسلم بما يستحق العقوبة ولم يغاقبه لانه حمل قول النبي صلى الله
عليه وسلم للزبير بانه قضى له على الانصاري للقراءة وفي الرجل الذي اغلظ
لابي بكر ولم يعزره فقال القاضي التميز هنا وجب لحق آدمي وهو اقترأؤه على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وله ان يعفو عنه وكذلك ذكر ابن
عقيل عنه ان الحق كان للنبي صلى الله عليه وسلم وله تركه وقال ابن عقيل
قد عرض هذا للنبي صلى الله عليه وسلم بما يقتضي العقوبة والتهجم على النبي
صلى الله عليه وسلم فوجب التميز لحق الشرع دون ان يختصه في نفسه قال وقد
عززه النبي صلى الله عليه وسلم بحبس الماء عن زرعه وهو نوع ضرر وكسر
لعرضه وتأخير لحقه وعندنا ان العقوبات بالمال باقية غير منسوخة وليس

يختص التعزير بالضرب في حق كل احد وقول ابن عقيل هذا تضمن ثلاثة اشياء . احدها . ان هذا القول انما كان يوجب التعزير لا القتل . والثاني . ان ذلك واجب لحق الشرع ليس له ان يعفو عنه . الثالث . انه عزره . بحبس الماء والثلاثة ضعيفة جدا والصواب المقطوع به انه كان له العفو كما دل عليه الاحاديث السابقة لما ذكرناه من المعنى فيه . وحينئذ فيكون ذلك مؤبدا لهذه الطريقة وقد دل على ذلك ما ذكرناه من ان النبي صلى الله عليه وسلم عاقب من سبه واذاه في الموضع الذي سقطت فيه حقوق الله نعم صار سب النبي صلى الله عليه وسلم سبالميت وذلك لا يسقط بالتوبة البتة وعلى هذه الطريقة فالفرق بين سب الله وسب رسوله ظاهر فان هناك الحق لله خاصة كالزنا والسرقة وشرب الخمر وهنا الحق لله فلا يسقط حق الآدمي بالتوبة كالقتل في المحاربة .

* الطريقة التاسعة عشر * اتفقنا ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد من المسلمين قتل ابن ابي سرح وقد جاء مسلما تائباً وندردم انس بن زعيم الى ان عفا عنه بعد الشفاعة واعرض عن ابي سفيان بن الحارث وعبد الله بن ابي امية وقد جاءا مسلمين مهاجرين وازاقد ماء من سبه من النساء من غير قتال وهن متقادات مستسلمات وقد كان هؤلاء حريين لم يلتزموا ترك سبه ولا عاقداً ولا على ذلك فالذي عقد الايمان او الامان على ترك سبه اذا جاء تائباً يريد الاسلام ويرغب فيه اما ان يجب قبول الاسلام منه والكف عنه او لا يجب فان قيل يجب فهو خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الطريقة التاسعة عشر

وان قيل لا يجب فهو دليل على انه اذا جاء ليتوب ويسلم جاز قتله وكل من
 جاز قتله وقد جاء مسلماً تاباً مع علمنا بانه قد جاء كذلك جاز قتله وان اظهر
 الاسلام والتوبة لانعلم بينهما فراعند احد من الفقهاء في جواز القتل فان
 اظهار ارادة الاسلام هي اول الدخول فيه كما ان التكلم بالشهادتين هو اول
 الالتزام له ولا يعصم الاسلام الاדם من يجب قبوله منه فاذا اظهر انه يريد
 فقد بذل ما يجب قبوله فيجب قبوله كما لو آذاه ❦ وهنا كتبت حسنة ❦ وهي ان
 ابن ابي امية و اياسفان لم يزا الا كافرين وليس في القصة بيان انه اراد قتلها
 بعد مجيئها وانما فيها الاعراض عنهما وذلك عقوبة من النبي صلى الله عليه وسلم
 واما حديث ابن ابي سرح فهو نص في اباحة دمه بعد مجيئه لطلب البيعة وذلك
 لان ابن ابي سرح كان مسلماً فارتد واقرى على النبي صلى الله عليه وسلم
 وانه كان يتم له القرآن ويلقنه ما يكتبه من الوحي فهو ممن ارتد بسبب النبي
 صلى الله عليه وسلم ومن ارتد بسببه فقد كان له ان يقتله من غير استئابة
 وكان له ان يعفو عنه وبعد موته تعين قتله ❦ وحديث ابن زعيم فانه اسلم قبل ان
 يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع بقاء دمه مندوراً مباحاً الى ان عفا عنه
 النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان روجع في ذلك وكذلك النسوة اللاتي
 امر بقتلن انما وجهه والله اعلم انهن كن قد سبينه بعد المعاهدة فانتقض
 عهدهن فقتلت اثنتان والثالثة لم يعصم دما حتى استؤ من لها بعد ايام ولو كان
 دما معصوماً بالاسلام لم يحتج الى الامان وهذه الطريقة مبناها على ان من
 جاز قتله بعد ان اظهر انه جاء ليسلم جاز قتله بعد ان اسلم فان لم يعصم

دنه الاغفو و امان لم يكن الاسلام هو القاصم له و ان كان قد تقدم ذكر هذا لكن ذكرناه لخصوص هذا المأخذ

الطريقة الموقية العشرين ان الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مطلقه بقتل سابه لم يؤثر فيها بالاستتابة و لم يستثن فيها من اسلم كما هي مطلقه عنهم في قتل الزاني المحصن ولو كان يستثنى منها حال دون حال لوجب بيان ذلك فان سب النبي صلى الله عليه وسلم قد وقع منه وهو الذي علق القتل عليه و لم يبلغنا حديث ولا اثر يعارض ذلك وهذا بخلاف قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه فان المبدل للدين هو المستمر على التبدل دون من عاد و كذلك قوله التارك له منه المفارق للجماعة فان من عاد فيه لم يجز ان يقال هو تارك له فيه ولا مفارق للجماعة وهذا المسلم او المعاهد اذا سب الرسول ثم تاب لم يمكن ان يقال ليس بساب للرسول او لم يسب الرسول فان هذا الوصف واقع عليه تاب او لم يتب كما يقع على الزاني والسارق والقاذف وغيرهم

الطريقة الحادية والعشرون انا قد قررنا ان المسلم اذا سب الرسول يقتل وان تاب بما ذكرناه من النص والنظر والذم كذلك فان اكثر ما يفرق به اما كون المسلم تبين بذلك انه متناق او انه مرئد وقد وجب عليه حد من الحدود يستوفي منه ونحو ذلك وهذا المعنى موجود في الذم فان اظهاره للاسلام بمنزلة اظهاره للذمة فاذا لم يكن صادقا في عهده و امانه لم يعلم انه صادق في اسلامه و ايمانه وهو معاهد قد وجب عليه حد من

الطريقة الموقية العشرين

الطريقة الحادية والعشرون

الحدود فيستوفي منه كسائر الحدود وقول من يقول قتل المسلم اولى
بعارضه قول من يقول قتل الذمي اولى وذلك ان الذمي دمه اخف حرمة
والقتل اذا وجب عليه في حال الذمة لسب لم يسقط عنه بالاسلام . بين
ذلك انه لا يبيح دمه الاظهار السب و صريحه بخلاف المسلم فان دمه محقون
وقد يجوز انه غلط بالسب فاذا حقق الاسلام والثوبة من السب ثبت العاصم
مع ضعف المبيح والذمي المبيح محقق والعاصم لا يرفع ما وجب فيكون
اقوى من هذا الوجه الا ترى ان المسلم لو كان منافقاً لم يقتصر على السب فقط
بل لا بد ان يظهر منه كلمات مكفرة غير ذلك بخلاف الذمي فانه لا يطلب
على كفره دليل وانما يطلب على محاربه و افساده والسب من اظهر
الادلة على ذلك كما تقدم .

✽ الطريقة الثانية والمثرون ✽ انه سب لمخلوق لم يعلم عفو فلا يسقط
بالاسلام كسب سائر المؤمنين واولى فان الذمي لو سب مسلماً او معاهدا
ثم اسلم لعوقب على ذلك بما كان يعاقب به قبل ان يسلم فكذلك اذا سب
الرسول واولى وكذلك يقال في المسلم اذا سبه بتحقيق ذلك ان القاذف والشاتم
اذا قذف اساناً فرفعه الى السلطان فتأب كان له ان يستوفي منه الحد وهذا
الحد انما وجب لما الحق به من العار والغضاضة فان الزنا امر يستخفى منه فقذف
المرء به يوجب تصديق كثير من الناس به وهو من الكبائر التي لا يساويها
غيرها في العار والمنقصة اذا تحقق ولا يشبهه غيره في حقوق العار اذا لم يتحقق
فانه اذا قذفه بقتل كان الحق لا ولياء المقتول ولا يكاد يخلو غالباً من ظهور

الطريقة الثانية والمثرون ✽

كذب الرامى به او براءة المرمى به من الحق ببراءة اهل الحق او بالصالح
او بغير ذلك على وجه لا يبقى عليه عار وكذا الرمى بالكفر فان ما يظهره
من الاسلام يكذب هذا الرامى به فلا يضر الا صاحبه ورمى الرسول صلى الله
عليه وسلم بالعظائم يوجب الحاق العار به والغضاضة لانه باي شيء رماه من
السب كان متضمنا للظعن في النبوة وهي وصف خفي فقد يورث كلامه اثر في
بعض النفوس فتوبته بعد اخذه قد يقال انما صدرت عن خوف وثقة
فلا يرتفع العار والغضاضة الذي الحق كما لا يرتفع العار الذي يلحق
بالمقذوف باظهار القاذف التوبة ولذا كانت توبته توجب زوال الفسق عنه
وفاقا وتوجب قبول شهادته عند اكثر الفقهاء ولا يسقط الحد الذي
للمقذوف فكذلك شاتم الرسول فان قيل ما اظهره الله لنبيه من الآيات
والبراهين المحققة لصدقه في نبوته تزيل عار هذا السب وتبين انه مبرأ
بخلاف المقذوف بالزنا قيل فيجب على هذا ان لو قذفه احد بالزنا
في حياته ان لا يجب عليه حد قذف وهذا ساقط وكان يجب على هذا ان
لا يعاين يسبه ويهجو بل يكون من يخرج عن الدين والعهد بهذا ويغيره
على حد واحد وهو خلاف الكتاب والسنة وما كان عليه السابقون ويجب
اذا قذف رجل سفيه معروف بالسفه والفرية من هو مشهور عند الخاصة
والعامة بالعفة مشهور له بذلك ان لا يحد وهذا كله فاسد وذلك لان مثل
هذا السب والقذف لا يخاف من تأثيره في قلوب اولى الالباب وانما يخاف من
تأثيره في عقول ضعيفة وقلوب مرخصة ثم سمع العالم بكذبه له من غير

نكير يصغر الحرمة عند هـ ورجما طريق له شبهة وشك فاقن القلوب سريعة
التقلب وكما ان حد القذف شرع صون للعرض من التلطيخ بهذه القاذورات
وستر الفاحشة وكما لها فشرع ما يصون عرض الرسول من التلطيخ بما قد ثبت
انه برئ منه اولى وستر الكلمات التي اوذى بها في تيل منه فيها اولى لما في
ذكرها من تسهيل الاجتراء عليه الا ان حد هذا السب والقذف القتل لعظم
موقعه وقبح تأثيره فانه لو لم يؤثر الاتحقير الحرمة او فساد قلب واحد او القاء
شبهة في قلب كان بعض ذلك يوجب القتل بخلاف عرض الواحد من
الناس فانه لا يخاف منه مثل هذا وسيجيء الجواب عما يتوهم فرقا بين سب
النبي صلى الله عليه وسلم وسب غيره في سقوط حده بالتوبة دون حد غيره
* الطريقة الثالثة والعشرون * ان قتل الذمي اذا سب اما ان يكون جائزا
غير واجب او يكون واجبا والاول باطل بما قد منه من الدلائل في المسئلة
الثانية وينا انه قتل واجب واذا كان واجبا فكل قتل يجب على الذمي بل كل
عقوبة وجبت على الذمي بقدر رزائه على الكفر فاتها لا تسقط بالا سلام
اصلا جامعا وخياسا جليا فانه يجب قتله بالزنا والقتل في قطع الطريق و بقتل
المسلم او الذمي ولا يسقط الاسلام قتلا واجبا وبهذا يظهر الفرق بين قتله
وقتل الحربى الاصل او الناقض المحض فان القتل هناك ليس واجبا عينا
وبه يظهر الفرق بين هذا وبين سقوط الجزية عنه بالا سلام عند اكثر
الفقهاء غير الشافعى فان الجزية عند بعضهم عقوبة للقيام على الكفر وعند
بعضهم عوض عن حقن الدماء وقد يقال اجرة سكنى الدار من لا يملك السكنى

الطريقة الثالثة والعشرون

فليست عقوبة وجبت بقدر زائد على الكفر .

الطريقة الرابعة والعشرون * انه قتل لسبب ماض فلم يسقط بالتوبة والا سلام كالقتل للزنا وقطع الطريق وعكسه القتل لسبب حاضر وهو القتل لكفر قد نيم باق او محدث جديد باق اعني الكفر الاصل والطارى وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكعب بن الاشرف فانه قد اذى الله ورسوله فامر بقتله لا ذى ماض ولم يقل فانه يؤذى الله ورسوله وكذلك ما تقدم من الآثار فيها دلالة على ان السب او جب القتل والسب كلام لا يدوم ويبقى بل هو كالأفعال المتصرمة من القتل والزنا وما كان هكذا فالحكم فيه عقوبة فاعله مطلقا بخلاف القتل للردة او للكفر الاصل فانه انما يقتل لانه حاضر موجود حين القتل لان الكفر اعتقاد والاعتقاد يبقى في القلب وانما يظهر انه اعتقاد مما يظهر من قول ونحوه فاذا ظهر فالاصل بقاؤه فيكون هذا الاعتقاد حاصل في القلب وقت القتل وهذا وجه محقق ومبناء على ان قتل الساب ليس لمجرد الردة ونقض العهد فقط كغيره ممن جرد الردة وجرد نقض العهد بل بقدر زائد على ذلك وهو ما جاء به من الاذى والاضرار وهذا اصل قد تمهد على وجه لا يستريب فيه لبيب .

الطريقة الخامسة والعشرون * ان هذا قتل تعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يسقط باسلام الساب كما لو قتل نيا وذلك ان المسلم او المعاهد اذا قتل نيا ثم اسلم بعد ذلك لم يسقط عنه القتل فانه لو قتل بعض الامة لم يسقط عنه القتل باسلامه فكيف يسقط عنه اذا قتل النبي ولا يجوز ان

يتخير فيه خليفة بعد الاسلام بين القتل والعفو عن الديّة او اكثر منها كما يتخير في قتل قاتل من لا ورث له لان قتل النبي اعظم انواع المحاربة والسعى في الارض فسادا فان هذا حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا بلا ريب واذا كان من قاتل على خلاف امره محاربا له ساعيا في الارض فسادا فمن قاتله او قتله فهو اعظم محاربة واشد سعيّا في الارض فسادا وهو من اكبر انواع الكفر ونقض العهد وان زعم انه لم يقتله مستحلا كما ذكره اسحاق بن راهويه من ان هذا اجماع من المسلمين وهو ظاهر واذا وجب قتله عينا وان اسلم وجب قتل سابه ايضا وان اسلم لان كلاهما اذى له يوجب القتل لا مجرد كونه ردة او نقض عهد ولا تمثيلا له بقتل غيره اوسبه فان سب غيره لا يوجب القتل وقتل غيره انما فيه القود الذي يتخير فيه الوارث او السلطان بين القتل او اخذ الديّة وللوارث ان يعفو عنه مطلقا بل لكون هذا محاربة لله ورسوله وسعيّا في الارض فسادا ولا يعلم شيء اكثر منه فان اعظم الذنوب الكفر وبعده قتل النفس وهذا اقبح الكفر وقتل اعظم النفوس قد راو من قال ان حد سبه يسقط بالا سلام لزمه ان يقول ان قاتله اذا اسلم يصير بمنزلة قاتل من لا وارث له من المسلمين لان القتل بالردة ونقض العهد سقط ولم يبق الا مجرد القود كما قال بعضهم ان قاذفه اذا اسلم جلد ثمانين او ان يقول يسقط عنه القود بالكلية كما اسقط حد قذفه وسبه بالكلية وقال انهم حد السب في موجب الكفر لا سيما على رأيه ان كان السب من كافر ذي يستحل قتله وعداوته ثم اسلم بعد ذلك واقبح بهذا من قول ما انكره

وابشعه وانه ليقشع منه الجلد الا يظل دماء الانبياء في موضع تتأردماء غيرهم
وقد جعل الله عامة ما اصاب بني اسرائيل من الذلة والمسكنة والغضب
حتى سفك منهم من الدماء ماشاء الله ونهبت الاموال وزال الملك عنهم
وسبيت الذرية وصاروا تحت ايدي غيرهم الى يوم القيامة انما هو بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق وكل من قتل نبيا فهذا حاله
وانما هذا بقوله وان تكثروا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم عطف
خاص على علم واذا كان هذا باطلا فنظيره باطل مثله فان اذى النبي امان
يندرج في عموم المكفر والنقض اويسوي بينه وبين اذى غيره فيما سوى
ذلك او يوجب القتل لخصوصه فاذا بطل القياس الاولان تعين الثالث
ومتى اوجب لخصوصه فلا ريب انه يوجب مطلقا واعلم ان منشأ الشبهة في هذه
المسئلة القياس الفا سد وهو التسوية في الجنس بين المتباينين ثانيا لا يكاد
يجمعها جامع وهو التسوية بين النبي وغيره في الدم او في العرض اذا فرض
عود المنتهك الى الاسلام وهو مما يعلم بطلانه ضرورة ويقشع الجلد من التقوه به فان
من قتله الردة او للنقض فقط ولم يجعل لخصوص كونه اذى له اثر او انما المؤثر
عنده عموم وحذف الكفر لما ان يهدر لخصوص الاذى اويسوي فيه بينه
وبين غيره زعماء منه ان جملة كفرا ونقضا هو غاية التعظيم وهذا كلام
من لم ير للرسول حقا يزيد على مجرد تصديقه في الرسالة وسوى بينه وبين
سائر المؤمنين فيما سوى هذا الحق وهذا كلام خبيث يصدر عن قلة فقه ثم يخرج
الى شعبة نفاق ثم يخاف ان يخرج الى النفاق الا كبروا انه خلقي به ومن

قال هذا القول من الفقهاء لا يرتضى ان يلتزم مثل هذا المحذور ولا يفوه به فان الرسول اعظم في صدورهم من ان يقولوا فيه مثل هذا لكن هذا لازم قولهم لنومالا محيد عنه وكفى بقول فسادا ان يكون هذا حقيقة بعد تحريره والافمن تصور ان له حقوقا كثيرة عظيمة مضافة الى الايمان به وهي زيادة في الايمان به كيف يجوز ان يهد رآذاه اذا فرض عريا عن الكفر او يسوى بينه وبين غيره ارايت لو ان رجلا سب اباة وآذاه كانت عقوبته المشروعة مثل عقوبة من سب غير ابيه ام يكون اشد لما قابل الحقوق بالمعقوق وقد قال سبحانه وتعالى فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة الآية • وفي مراسيل ابي داود عن ابن المسيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضرب اباة فاقتلوه • وبالجملة فلا يخفى على لبيب ان حقوق الوالدين لما كانت اعظم كان النكال على اذاها باللسان وغيره اشد مع انه ليس كفر اذ كان قد اوجب له من الحقوق ما يزيد على التصديق وحرم من انواع آذاه ما لا يستلزم التكذيب فلا بد لتلك الخصائص من عقوبات على الفعل والترك ومما هو كالاجماع من المحققين امتناع ان يسوى بينه وبين غيره في العقوبة على خصوص آذاه وهو ظاهر لم يبق الا ان يكون القتل جزاء ما فوبل به من حقوقه بالمعقوق جزاء وفاقا وانه لقليل له ولعذاب الآخرة اشد وقد لعن الله مؤذيه في الدنيا والآخرة واعد له عذابا مهينا •

الطريقة السادسة والعشرون

الطريقة السادسة والعشرون ✽ انا قد قدمنا من السنة واقوال الصحابة

ما ذل على قتل من آذاه بالتزويج بنسائه والتعرض بهذا الباب لحرمة في حياته أو بعد موته وان قتله لم يكن حسد الزنا من وطى ذوات المحارم وغيرهن بل لما في ذلك من آذاه فاما ان يجعل هذا الفعل كفرا أو لا يجعل فان لم يجعل كفرا فقد ثبت قتل من آذاه مع تجرده عن الكفر وهو المقصود فالأذى بالسب ونحوه اغلظ وان جعل كفرا فلو فرض انه تاب منه لم يجز ان يقال يسقط القتل عنه لانه يستلزم ان يكون من الافعال ما يوجب القتل ويسقط بالتوبة بعد القدرة وثبوته عند الامام وهذا لا عهد لنا به في الشريعة ولا يجوز اثبات ما لا نظير له الا بنص وهو لعمرى سمح فان اظهر التوبة باللسان من فعل تشبيه النفوس سهل على ذى الغرض اذا اخذ فيسقط مثل هذا الحد بهذا او اذا لم يسقط القتل الذى اوجبه هذا الاذى عنه فكذلك القتل الذى اوجبه اذى اللسان واولى لان القرآن قد غلظ هذا على ذلك والتقدير ان كلاهما كفر فاذا لم يسقط قتل من اتى بالادنى فان لا يسقط قتل من اتى بالاعلى اولى.

الطريقة السابعة والعشرون

الطريقة السابعة والعشرون انه سبحانه تعالى قال ان شئت لك هو الابتر. فاخبر سبحانه ان شائمه هو الابتر والبر القطع يقال بتر بتر بتر وسبب تار اذا كان قاطعا ماضيا ومنه في الاشتقاق الاكبر تبره بئيرا اذا اهلكه والتبار الهلاك والحسران وبين سبحانه انه هو الابتر بصفة الحضرة والتوكيد لانهم قالوا ان محمد اينقطع ذكره لانه لا ولد له فبين الله ان الذى يشناه هو الابتر لاهو والشئان منه ما هو باطن في القلب لم يظهر ومنه ما يظهر على

اللسان وهو اعظم الشنآن واشده وكل جرم استحق فاعله عقوبة من الله
 اذا اظهر ذلك الجرم عندنا وجب ان نعاقبه وتقيم عليه حد الله فيجب
 ان نبتز من اظهر شنآه وابدى عداوته واذا كان ذلك واجبا وجب
 قتله وان اظهر التوبة بعد القدرة والالما ابتز له شأى بايد بنا في غالب الامر
 لانه لا يشاء شأى ان يظهر شنآه ثم يظهر المتاب بعد روية السيف الا فعل
 فان ذلك سهل على من يخاف السيف وتحقق ذلك انه سبحانه رتب الانتار
 على شنآه والاسم المشتق المناسب اذا علق به حكم كان ذلك دليلا على ان
 المشتق منه علة لذلك الحكم فيجب ان يكون شنآه هو الموجب لانتباره وذلك
 اخص مما تضمنه الشنآن من الكفر المحض او نقض العهد والانتار يقتضى
 وجوب قتله بل يقتضى اتقطاع العين والاثر فلو جاز استحياءه بعد اظهار
 الشنآن لكان في ذلك ابقاء لعينه واثره واذا اقتضى الشنآن قطع عينه واثره
 كان كسائر الاسباب الموجبة لقتل الشخص وليس شيء يوجب قتل الذمى
 الا وهو موجب لقتله بعد الاسلام اذا الكفر المحض مجوز للقتل لا موجب له
 على الاطلاق وهذا لان الله سبحانه لما رفع ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
 فلا يذكر الا ذكر معه ورفع ذكر من اتبعه الى يوم القيامة حتى انه يبق
 ذكر من بلغ عنه ولو محدثا وان كان غير قبيح قطع اثر من شنآه من
 المنافقين واخوانهم من اهل الكتاب وغيرهم فلا يبق له ذكر حميد وان بقيت
 اعيانهم وقتلوا اذا لم يظهر الشنآن فاذا اظهره محقت اعيانهم واثارهم
 تقدروا او تشرعوا فلو استبقى من اظهر شنآه بوجه ما لم يكن مبتورا اذا البتر

يقتضى قطعه و محقه من جميع الجوانب والجهات فلو كان له وجه الى البقاء
 لم يكن مبتورا * يوضح ذلك ان العقوبات التي شرعها الله نكالا مثل قطع
 السارق ونحوه لا تسقط باظهار التوبة اذا النكال لا يحصل بذلك فما شرع
 اقطع صاحبه وبتره و محقه كيف يسقط بعد الاخذ فان هذا اللفظ يشعر
 بان المقصود اصطلام صاحبه واستيصاله واجتياحه وقطع شأنه وما كان
 بهذه المثابة كان عما يسقط عقوبته ابعد من كل احدى هذا بين لمن تأمله
 والله اعلم * والجواب عن حججه * اما قولهم هو مرتد فيستتاب كسائر
 المرتدين * فالجواب ان هذا مرتد بمعنى انه تكلم بكلمة صار بها كافرا حلالا
 الدم مع جواز ان يكون مصداقا للرسول معترفا له بنبوته لكن موجب
 التصديق توقيفه في الكلام فاذا انتقصه في كلامه ارتفع حكم التصديق
 وصار بمنزلة اعتراف ابليس لله بالربوبية فانه موجب للخضوع له فلما استكبر
 عن امره بطل حكم ذلك الاعتراف فالإيمان بالله وبرسوله قول وعمل
 اعني بالعمل ما ينبعث عن القول والاعتقاد من التعظيم والاجلال فاذا عمل
 ضد ذلك من الاستكبار والاستخفاف صار كافرا وكذا كان قتل النبي
 كفرا باتفاق العلماء فالمرتد كل من اتى بعد الاسلام من القول او العمل بما يناقض
 الاسلام بحيث لا يجتمع معه واذا كان كذلك فليس كل من وقع عليه
 اسم المرتد يحقن دمه بالاسلام فان ذلك لم يثبت بلفظ عام عن النبي صلى الله
 عليه وسلم ولا عن اصحابه وانما جاء عنه وعن اصحابه في ناس مخصوصين انهم
 استتابوهم او امروا باستتابتهم ثم انهم امروا بقتل السباب وقتلوه من غير استتابة *

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قتل العرنيين من غير استتابة وأنه
 بعد رد م ابن خطل ومقيس بن حنابة وابن أبي سرح من غير استتابة
 فقتل منهم اثنان و اراد من اصحابه ان يقتلوا الثالث بعد ان جاء نائباه فذه
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشد ين وسائر الصحابة
 تبين لك ان من المرتدين من يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته
 ومنهم من يستتاب وتقبل توبته فمن لم يوجد منه الا مجرد تبدل الدين
 وتركه وهو مظهر لذلك فاذا تاب قبلت توبته كالحارث بن سويد واصحابه
 والمدين ارتدوا في عهد الصديق رضي الله عنه ومن كان مع رده قد اصاب
 ما يبيع الدم من قتل مسلم وقطع الطريق وسب الرسول والافتراء عليه وشو ذلك
 وهو في دار الاسلام غير ممتنع بفئة فانه اذا اسلم يؤخذ بذلك الموجب
 للدم فيقتل للسب وقطع الطريق مع قبول اسلامه هذه طريقة من يقتله
 لخصوص السب وكونه حدا من الحدود او حقا للرسول فانه يقول الردة
 نوعان ردة مجردة و ردة مغلظة والتوبة اتماع مشروعة في الردة المجردة
 فقط وان الردة المغلظة وهذه ردة مغلظة وقد تقدم تقرير ذلك في
 الاذلة ثم الكلمة الوجيزة في الجواب ان يقال جعل الردة جنسوا احدا تقبل
 توبة اصحابه ممنوع فلا بد له من دليل ولا نص في المسئلة والقياس متعذر
 لوجود الفرق ومن يقتله لدلالة السب على الزندقة فانه يقول هذا الميثب
 لاذل دليل يدل على صحة التوبة كما تقدم بهذا حصل الجواب عن احتجاجهم
 بقول الصديق وتقدم الجواب عن قول ابن عباس واما استتابة الاعمي

أم ولد • فانه لم يكن سلطانا ولم تكن إقامة الحدود واجبة عليه وإنما النظر
 في جواز اقامته للحدومثل هذا لا ريب انه يجوز له ان ينهى الساب ويستتبه
 فانه ليس عليه ان يقيم الحد ولا يمكنه ان يشهد به عند السلطان وحد • فانه
 لا ينفع ونظيره في ذلك من كان يسمع من المسلمين كلمات من المناققين توجب
 الكفر فتارة ينقلها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتارة ينهى صاحبها ويخوفه
 ويستتبه وهو بمثابة من ينهى من يعلم منه الزنا او السرقة او قطع الطريق
 عن فعله لعله يتوب قبل ان يرفع إلى سلطان ولو رفع قبل التوبة لم يسقط
 حد • بالتوبة بعد ذلك • وأما الجبة الثانية • فالجواب عنها من وجوه
 • احدها انه مقتول بالكفر بعد الاسلام • وقولهم كل من كفر بعد اسلامه
 فان توبته تقبل • قلنا • هذا ممنوع والآية انما دلت على قبول توبة من كفر بعد
 ايمانه اذا لم يزد كفره ايا من كفر وزاد على الكفر فلم تدل الآية على قبول
 توبته بل قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا • قد يتمسك به من
 خالف ذلك على انه انما استثنى من تاب واصبح وهذا لا يكون فيمن تاب بعد
 اخذه • وانما استفدنا سقوط القتل عن التائب بمجرد توبته من السنة وهي انما
 دلت على من جرد الردة مثل الحارث بن سويد ودلت على ان من غلظها
 كابن ابي سرح يجوز قتله بعد التوبة والاسلام • الوجه الثاني • انه
 مقتول لكونه كفر بعد اسلامه وللخصوص السب كما تقدم تقريره فاندرج
 في عموم الحديث مع كون السب مغلظا لجرمه ومؤكدا لقتله • الوجه الثالث •
 انه عام وانه قد خص منه تارك الصلاة وغيرها من القرائض عند من يقتله

ولا يكفره وخص منه قتل الباغي و قتل الصائل باللسنة و الاجماع فلو قيل
ان السب موجب للقتل بالادلة التي ذكرناها وهي اخص من هذا الحديث
اكان كلاما صحيحا واما من يحتج بهذا الحديث في الذمي اذا سب ثم اسلم
فيقال له هذا واجب قتله قبل الاسلام و النبي صلى الله عليه وسلم انما يريد
اباحة الدم بعد حقه بالاسلام ولم يتعرض لمن وجب قتله ثم اسلم اي شيء
حكمه ولا يجوز ان يحمل الحديث عليه فانه اذا حمل على حل الدم
بالاسباب الموجودة قبل الاسلام و بعده لم يرد من ذلك ان يكون
الحربي اذا قتل او زني ثم شهد شهادتي الحق ان يقتل بذلك القتل
والتزنا الشمول الحديث على هذا التقدير له وهو باطل قطعا ولا يجوز ان
يحمل على ان كل من اسلم لا يحمل دمه الا باحدى الثلاث ان صدر عنه بعد
ذلك لانه يلزمه ان لا يقتل الذمي بقتل او زنا صدر عنه قبل الاسلام فعلم
ان المراد ان المسلم الذي تكلم بالشهادتين يعصم دمه لا يبيحه بعد هذا الاحدى
الثلاث ثم لو اندرج هذا في العموم لكان مخصوصا بما ذكرناه من ان قتله حد
من الحدود و ذلك ان كل من اسلم فان الاسلام يعصم دمه فلا يباح بعد
ذلك الا باحدى الثلاث وقد يتخلف الحكم عن هذا المقضى لما منع من
ثبوت حد قصاص او زنا او تقض عهد فيه ضرر و غير ذلك و مثل هذا
كثير في العمومات واما الآية على الوجهين الاولين فنقول - انما يدل على
من كفر بعد ايمانه ثم تاب واصلح فان الله مغفور رحيم - ونحن نقول بموجب ذلك
اما من ضم الى الكفر انتهاك عرض الرسول و الافتراء عليه او قتله او قتل

واحد من المسلمين او انتهك عرضه فلا تدل الآية على سقوط العقوبة عن هذا على ذلك والدليل على ذلك قوله سبحانه الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا . فان التوبة عائدة الى الذنب المذكور والذنب المذكور هو الكفر بعد الايمان وهذا اتى بزيادة على الكفر نوجب عقوبة بخصوصها كما تقدم والآية لم تعرض للتوبة من غير الكفر ومن قال هو زنديق قال انا لا اعلم ان هذا تاب ثم ان الآية انما امتثلى فيها من ثلب واصلح وهذا الذي رفع الي لم يصلح وانا لا اؤخر العقوبة الواجبة عليه الا ان يظهر صلاحه . نعم الآية قد نعم من فعل ذلك ثم تاب واصلح قبل ان يرفع الى الامام وهذا قد يقول كثير من الفقهاء بسقوط العقوبة على ان الآية التي بعد ها قد تشرب بان المرتد قسمان قسم تقبل توبته وهو من كفر فقط وقسم لا تقبل توبته وهو من كفر ثم ازداد كفرا . قال الله سبحانه وتعالى ان للذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم . وهذه الآية وان كان قد تابوا لها اقوام على من ازداد كفرا الى ان عاين الموت فقد يستدل بمعمها على هذه المسئلة فقال من كفر بعد ايمانه وازداد كفرا بسبب الرسول ونحوه لم تقبل توبته خصوصا من استمر به ازدياد الكفر الى ان ثبت عليه الحد و اراد السلطان قتله فهذا قد يقال انه ازداد كفرا الى ان رأى اسباب الموت وقد يقال فيه فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولما قوله سبحانه وتعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . فانه يغفر لهم ما قد سلف من الآثام وامان الحد ود الواجبة على مسلم مرتد

او معاهد فانه يجب استيفاؤها بلا تردد على ان سياق الكلام يدل انها في الحربي
ثم نقول الانتهاء انما هو الترك قبل القدرة كما في قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض الى قوله اينما تقفوا اخذوا وقتلوا تقيلاً فمن
لم يتب حتى اخذ فلم ينته ويقال ايضا انما تدل الآية على انه يغفر له وهذا
مسلم وليس كل من غفر له سقطت العقوبة عنه في الدنيا فان الزاني والسارق لو تاب
توبة نصوحا غفر الله له ولا بد من اقامة الحدود عليه وقوله عليه السلام الاسلام
يجب ما قبله كقوله التوبة تجب ما قبلها ومعلوم ان التوبة بعد القدرة لا تسقط
الحكم كما دل عليه القرآن وذلك ان الحديث خرج جوابا لعمر بن العاص
لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ابايعك على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي فقال يا عمرو
اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان التوبة تهدم ما كان قبلها وان الهجرة
تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله فعلم انه عني بذلك انه
يهدم الآثام والذنوب التي سأل عمرو مغفرتها ولم يجز للحدود ذكر وهي لا تسقط
بهذه الاشياء بالاتفاق وقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث ابن ابي سرح
ان ذنبه سقط بالاسلام وان القتل انما سقط عنه بعفو النبي صلى الله
عليه وسلم كما تقدم ولو فرض انه عام فلا خلاف ان الحدود لا تسقط
عن الذمي باسلامه وهذا منها كما تقدم واما قوله سبحانه وتعالى ان نعف عن
طائفة منكم نعذب طائفة الجواب عنها من وجوه احدها انه ليس في الآية
دليل على ان هذه الآية نزلت فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم وشتمه وانما فيها
انها نزلت في المنافقين وليس كل منافق يسهه ونشتهه فان الذي يشتمه من

اعظم المنافقين و افهم نفاقا و قد ينافق الرجل بان لا يعتقد التبو تو هو
لا يشتمه كحال كثير من الكفار و لو ان كل منافق بمنزلة من شتمه
لكان كل مرتد شاتما و لا استحال هذه المسئلة و ليس الامر كذلك فان الشتم
قد رزأ الله على النفاق و الكفر على ما لا يغنى و قد كان من هو كافر من يحبه و يوده
و يصطنع اليه المعروف خلق كثير و كان ممن يكف عنه اذا من الكفار خلق كثير
اكثر من اولئك و كان ممن يحاربه و لا يشتمه خلق آخرون بل الآية تدل على انها
نزلت في منافقين غير الذين يؤذونه فانه سبحانه و تعالى قال و منهم الذين
يؤذون النبي الى قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في
قلوبهم قل استهزؤا ان الله يخرج ما تحذرون . و لئن سألهم ليقولن
انما كنا نخوض و نلعب قل ابا الله و آياته و رسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
فلبس في هذا ذكر سب و انما فيه ذكر استهزاء بالدين مالا يتضمن سبا
ولا شتما للرسول . و في هذا الوجه نظر كما تقدم في سب نزلها الا ان يقال
تلك الكلمات ليست من السب المختلف فيه و هذا ليس بجيد . الوجه الثاني .
انهم قد ذكروا ان المعفو عنه هو الذي استمع اذاهم و لم يتكلم و هو مخشى بن
حمير هو الذي تيب عليه و اما الذين تكلموا بالاذى فلم يعف عن احد منهم
يحقق هذا ان العفو المطلق انما هو ترك المواخظة بالذنب و ان لم يتب صاحبه
كقوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استزلم الشيطان
بعض ما كسبوا و لقد عفا الله عنهم . و الكفر لا يعفى عنه . فلم . ان الطائفة

المعفو عنها كانت عاصبة لا كافرة اما بسماع الكفر دون انكاره والجلوس مع الذين يخوضون في آيات الله او بكلام هو ذنب وليس هو كفر او غير ذلك وعلى هذا فتكون الآية دالة على انه لا بد من تعذيب اولئك المستهزئين وهو دليل على انه لا توبة لهم لانه من اخبر الله بانه يعذب وهو معين امتنع ان يتوب توبة تمنع العذاب فيصلح ان يجعل هذا دليلا في المسئلة الوجه الثالث انه سبحانه وتعالى اخبر انه لا بد ان تعذب طائفة من هؤلاء ان عني عن طائفة وهذا يدل على ان العذاب واقع بهم لا محالة وليس فيه ما يدل على وقوع العفو لان العفو معلق بحرف الشرط فهو محتمل واما العذاب فهو واقع بتقدير وقوع العفو وهو بتقدير عدمه اوقع فعلم انه لا بد من التعذيب اما عاما او خاصا لهم ولو كانت توبتهم كلهم مرجوة صحيحة لم يكن كذلك لانهم اذا تابوا لم يعذبوا واذا ثبت انهم لا بد ان يعذب بهم الله لم يحز القول بجواز قبول التوبة منهم وانه يحرم تعذيبهم اذا اظهروها وسواء اراد بالتعذيب عذاب من عنده او بايدي المؤمنين لانه سبحانه وتعالى امر نبيه فيما بعد بجهاد الكفار والمنافقين فكان من اظهروه عذب بايدي المؤمنين ومن كتبه عذبه الله بعذاب من عنده وفي الجملة فليس في الآية دليل على ان العفو واقع وهذا كاف هنا . الوجه الرابع انه ان كان في هذه الآية دليل على قبول توبتهم فهو حق وتكون هذه التوبة اذا تابوا قبل ان يثبت النفاق عند السلطان كما بين ذلك قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الايتين فانها دليل على ان من لم ينته حتى اخذ فانه يقتل وعلى هذا فعله والله اعلم عني ان يعف

عن طائفة منكم وهم الذين اسروا النفاق حتى تابوا منه ثم ذاب طائفة وهم
الذين اظهروه حتى اخذوا فتكون دالة على وجوب تعذيب من اظهروه
الوجه الخامس * ان هذه الآية تضمنت ان العفو عن المنافق اذا اظهر النفاق
وتاب او لم يتب فذلك منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين كما
اسلفناه وبيناه ويؤيده انه قال ان يعف ولم يتوب وسبب النزول يؤيد ان
النفاق ثبت عليهم ولم يعاقبهم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك كان في غزوة
تبوك قبل ان تنزل براءة وفي عقبها نزات سورة براءة فامر فيها بنذر اليهود
الى المشركين وجهاد الكفار والمنافقين فالجواب عما احتج به منهم من وجوه
* احدها * انه سبحانه وتعالى انما ذكر انهم قالوا كلمة الكفر وهموا بالميثاق
وليس في هذا ذكر للسب والكفر اعم من السب ولا يلزم من ثبوت الاعم
ثبوت الاخص لكن فيما ذكر من سبب نزولها ما يدل على انها نزلت فبين سبب
فيبطل هذا * الوجه الثاني * انه سبحانه وتعالى انما عرض التوبة على الذين
يخلفون بالله ما قالوا وهذا حال من انكر ان يكون تكلم بكفر وحلف على
انكاره فاعلم الله نيه انه كاذب في يمينه وهذا كان شان كثير ممن بايع
النبي صلى الله عليه وسلم عنه الكلمة من النفاق ولا تقوم عليه بهينة ومثل
هذا لا يقام عليه حد اذ لم يثبت عليه في الظاهر شيء والنبي صلى الله عليه وسلم
انما يحكم في الحدود ونحوها بالظاهر والذي ذكره في سبب نزولها من الوقائع كلها انما
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بما قالوه بنجر واحد ما حذيفة او عامر بن قيس
او زيد بن ارقم او غيره هؤلاء اوا نه اوحى اليه بما لم يروى في بعض التفاسير ان المحكي عنه

هذه الكلمة الجلاس بن سويد اعترف بانه قالها وتاب من ذلك من غير بينة قامت عليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه • وهذا كله دلالة واضحة على ان التوبة من مثل هذا مقبولة وهو توبة من ثبت عليه تفاهق وهذا لا خلاف فيه اذا تاب فيما بينه وبين الله سرا كما نافق سرا انه تقبل توبته ولو جاء مظهرا لنفاقه المتقدم ولتوبته منه من غير ان تقوم عليه بينة بالنفاق قبلت توبته ايضا على القول المختار كما تقبل توبة من جاء مظهرا للتوبة من زنا او سرقة ولم يثبت عليه على الصحيح واولى من ذلك وامان ثبت تفاهقه بالبينة فليس في الآية ولا فيما ذكر من سبب نزولها ما يدل على قبول توبته بل وليس في نفس الآية ما يدل على ظهور التوبة بل يجوز ان يحمل على توبته فيما بينه وبين الله فان ذلك نافع وفاقا وان اقيم عليه الحد كما قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله - وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا - وقال تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده • وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب • الى غير ذلك من الآيات مع ان هذا لا يوجب ان يسقط الحد الواجب بالبينة عن اتى بفاحشة موجبة للحد او ظلم نفسه بشرب او سرقة فلو قال من لم يسقط الحد عن المنافق سواء ثبت تفاهقه بينة او اقرار ليس في الآية ما يدل على سقوط الحد عنه لكان لقوله مساع • الوجه الثالث • انه قال سبحانه وتعالى

جاهد الكفار والمنافقين و اغلظ عليهم الى قوله يحلفون بالله ما قالوا الاية
وهذا تقرير للجهاد هم و بيان لحكمته و اظهار لحالهم المقتضى للجهاد هم فان ذكر
الوصف المناسب بعد الحكم يدل على انه علة له و قوله يحلفون بالله ما قالوا
وصف لهم و هو مناسب للجهاد هم فان كونهم يكذبون في ايمانهم و يظهرون
الايمان و يبطنون الكفر موجب للاغلاظ عليهم بحيث لا يقبل منهم
ولا يصدقون فيما يظهرونه من الايمان بل ينشرون و يرد ذلك عليهم
وهذا كله دليل على انه لا يقبل ما يظهروه من التوبة بعد اخذه اذ لا فرق
بين كذبه فيما يخبره عن الماضي انه لم يكفر و فيما يخبره من الحاضر انه
ليس بكافر فاذا بين سبحانه و تعالى من حالهم ما يوجب ان لا يصدقون و يجب
ان لا يصدق في اخباره انه ليس بكافر بعد ثبوت كفره بل يجري عليه حكم
قوله تعالى و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون . لكن بشرط ان يظهر كذبه
فيها فاما بدون ذلك فاننا لم نؤمن ان ثقب عن قلوب الناس و لا نشق بطونهم و على
هذا فقوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم . اى قبل ظهور النفاق و قيام البينة به عند
الحاكم حتى يكون للجهاد موضع و للتوبة و الاقبال التوبة الظاهرة في كل وقت
يمنع الجهاد لهم بالكلية . الوجه الرابع . انه سبحانه و تعالى قال بعد ذلك و ان يتولوا
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا و الآخرة . و فسر ذلك في قوله تعالى و نحن
نترصدكم ان يصيبكم الله بعد اب من عنده او بايد بنا . وهذا يدل على ان
هذه التوبة قبل ان تتمكن من تعذبهم بايد بنا لان من تولى عن التوبة حتى
اظهر النفاق و شهد عليه به و اخذ فقد تولى عن التوبة التي عرضها الله عليه فيجب ان

يعذبه عذابا اليما في الدنيا والقتل عذاب اليم فيصالح ان يعذب به لان المتولى ابعد
احواله ان يكون ترك التوبة الى ان لا يتركه الناس لانه لو كان المراد به تركها الى الموت
لم يعذب في الدنيا لان عذاب الدنيا قد فات فلا بد ان يكون التولى ترك التوبة وبينه
وبين الموت مهل يعذب به الله فيه كما ذكره سبحانه فمن تاب بعد الاخذ ليعذب
فهو ممن لم يتب قبل ذلك بل تولى فيستحق ان يعذب به الله عذابا اليما في الدنيا
والآخرة ومن تأمل هذه الآية والتي قبلها وجد هاد التين على ان التوبة
بعد اخذه لا ترفع عذاب الله عنه * واما كون هذه التوبة مقبولة فيما
بينه وبين الله وان تضمنت التوبة من عرض الرسول * فنقول او لا وان
كان حق هذا الجواب ان يؤخر الى المقدمة الثانية * هذا القدر لا يمنع اقامة
الحمد عليه اذ ارفع اليثام اظهر التوبة بعد ذلك كما ان الزاني والشارب وقاطع
الطريق اذا تاب فيما بينه وبين الله قبل ان يرفع اليثام قبل الله توبته واذا
اطلعا عليه ثم تاب فلا بد من اقامة الحمد عليه ويكون ذلك من تمام توبته
وجميع الجرائم من هذا الباب * وقد يقال ان المنتهك لا عراض الناس اذا استغفر
لهم ودعاهم قبل ان يعلموا بذلك رجي ان يغفر الله له على ما في ذلك من الخلاف
المشهور ولو ثبت ذلك عند السلطان ثم اظهر التوبة لم تسقط عقوبته وذلك
ان الله سبحانه لا بد ان يجعل للذنوب طريقا الى التوبة فاذا كان عليه تبعات
للخلق فعليه ان يخرج منها جهده ويعوضهم عنها ما يمكنه ورحمة الله من وراءه
ذلك * ثم ذلك لا يمنع ان نقيم عليه الحمد اذا ظهرنا عليه ونحن انما نتكلم في التوبة
المسقط للحمد والعقوبة لافي التوبة الماحية للذنوب ثم نقول ثانيا ان كان ما اتاه

من السب قد صدر عن اعتقاد بوجبه فهو بمنزلة ما يصد من سائر المرتدين
و ناقض العهد من سفك دماء المسلمين و اخذ اموالهم و انتهاك اعراضهم
فانهم يعتقدون في المسلمين اعتقادا يوجب اباحة ذلك ثم اذا تابوا توبة نصوحا
من ذلك الاعتقاد غفر لهم موجهه المعلق بحق الله و حق العباد كما يغفر للكافر
الحربي موجب اعتقاده اذا تاب منه مع ان المرتد او الناقض متى فعل شيئا
من ذلك قبل الامتناع اقيم عليه حده و ان عاد الى الاسلام سواء كان الله
اولا دمي فيجد على الزنا و الشرب و قطع الطريق و ان كان في زمن الردة
و نقض العهد يعتقد حل ذلك الفرج لكونه و طئه بملك اليمين اذا قهر مسئلة
على نفسها و يعتقد حل دماء المسلمين و اموالهم كما يؤخذ منه القود و حد
القذف و ان كان يعتقد حلها و يضمن ما تلفه من الاموال و ان اعتقد حلها
و الحربي الاصل لا يؤخذ بشيء من ذلك بعد الاسلام فكان الفرق ان ذاك
كان ملتزما بليمانه و امانه ان لا يفعل شيئا من ذلك فاذا فعله لم يعذر بفعله بخلاف
الحربي الاصل و لان في اقامة هذه الحدود عليه زجره عن فعل هذه
الموبقات كما فيها زجر للمسلم المقيم على اسلامه بخلاف الحربي الاصل فان
ذلك لا يزجره بل هو منفر له عن الاسلام و لان الحربي الاصل ممتنع و هذان
ممكنان و كذلك قد نص الامام احمد على ان الحربي اذا زني بعد الاسرا قيم
عليه الحد لانه صار في ايدينا كما ان الصحيح عنه و عن اكثر اهل العلم ان المرتد
اذا امتنع لم تقم عليه الحدود لانه صار بمنزلة الحربي اذا امتنع بفعل هذه الاشياء
باعتماد وقوة من غير زاجر له في اقامة الحدود عليهم بعد التوبة تنفير و اغلاق

لباب التوبة عليهم وهو بمنزلة تضحين اهل الحرب سواء وليس هذا موضع استقصاء هذا وانما نبينا عليه واذا كان هذا هنا هكذا افالم ترد والناقض اذا آذ يائى ورسوله ثم تابا من ذلك بعد القدرة توبة نصوحا كما تنزلتها اذا حارب باليد في قطع الطريق او زنا او تابا بعد اخذها وثبت الحد عليها ولا فرق بينهما ذلك لان الناقض للعهد قد كان عهدا يحرم عليه هذه الامور في دينه وان كان دينه المجرد عن عهد يبيحها له وكذلك المرتد قد كان يعتقد ان هذه الامور محرمة فاعتقدها باحتمالها لم يتصل به قوة ومنعة ليس عذرا له في ان يفعلها لما كان ملتزما له من الدين الحق ولما هو به من الضعف ولما في سقوط الحد عنه من الفساد وان كان السب صادرا عن غير اعتقاد بل سبه مع اعتقاد نبوته او سبه باكبر مما يوجب اعتقاده او بغير ما يوجب اعتقاده فهذا من اعظم الناس كفرا بمنزلة ابليس وهو من نوع العناد او السفه وهو بمنزلة من شتم بعض المسلمين او قتلهم وهو يعتقد ان دماءهم واعراضهم حرام وقد اختلف الناس في سقوط حد المشتوم بتوبة الشاتم قبل العلم به سواء كان نبيا او غيره فمن اعتقد ان التوبة لا تسقط حق الادمى له ان يمنع هنا ان توبة الشاتم في الباطن صحيحة على الاطلاق وله ان يقول ان للنبي صلى الله عليه وسلم ان يطالب هذا بشتمه مع علمه بانه حرام كسائر المؤمنين لهم ان يطالبوا شاتمهم وسابهم بل ذلك اولى وهذا القول قوي في القياس وكثير من الظواهر يدل عليه ومن قال هذا من باب السب والغيبة ونحوهما مما يتعلق باعراض الناس وقد فات الاستحلال

فليات للمشتوم من الدعاء والاستغفار بما يزن حق عرضه ليكون ما يأخذه
المظلوم من حسنات هذا بقدر ما دعاله واستغفر فيسلم له سائر عمله فكذلك
من صدرت منه كلمة سب أو شتم فليكثر من الصلاة والتسليم ويقابلها بضدها
فمن قال ان ذلك يوجب قبول التوبة ظاهرا وباطنا ادخله في قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات * واتبع السيئة الحسنة تمحها * ومن قال لا بد من
القصاص قال قد اعد له من الحسنات ما يقوم بالقصاص وليس لنا غرض
في تقرير واحد من القواين هنا وانما الغرض ان الحد لا يسقط بالتوبة لانه
ان كان عن اعتقاد فالتوبة منه صحيحة مسقطه لحق الرسول في الآخرة
وهي لا تسقط الحد عنه في الدنيا كما تقدم وان كانت عن غير اعتقاد ففي
مقووط حق الرسول بالتوبة خلاف فان قيل * لا يسقط فلا كلام * وان
قيل * يسقط الحق ولم يسقط الحد كتوبة الاول واولى فحاصله ان الكلام
في مقامين * احدهما * ان هذه التوبة اذا كانت صحيحة نصوحا فيما بينه
وبين الله هل يسقط معها حق المخلوق وفيه تفصيل وخلاف * فان قيل
لم يسقط فلا كلام * وان قيل يسقط فسقوط حقه بالتوبة كسقوط حق الله
بالتوبة فتكون كالتوبة من سائر انواع الفساد وتلك التوبة اذا كانت
بعد القدرة لم تسقط شيئا من الحدود وان كانت تجب الاثم في الباطن
وحقيقة هذا الكلام ان قتل الساب ليس لمجرد الردة ومجرد عدم
العهد حتى تقبل توبته كغيره بل لردة مغلظة ونقض مغلظ بالضرر
ومثله لا يسقط موجهه بالتوبة لانه من محاربة الله ورسوله والسعي في الارض

فساد او هو من جنس الزنا والسرقة او هو من جنس القتل والقذف فهذا حقيقة
 الجواب وبه يتبين الخلل فيما ذكر من الحجة ثم نبينه مفصلاً فنقول اما قولهم
 ان ما جاء به من الايمان به ما ح لما اتى به من هتك عرضه فنقول ان كان
 السب مجرد موجب اعتقاد فالتوبة من الاعتقاد توبة من موجهه واما من زاد
 على موجب الاعتقاد اوتى بضده وهم اكثر السايين فقد لا يسلم ان ما ياتي به
 من التوبة ما ح الا بعد عفو بل يقال له المطالبة وان سلم ذلك فهو كالقسم
 الاول وهذا القدر لا يسقط الحد كما تقدم غير مرة واما قولهم حقوق
 الانبياء من حيث النبوة تابعة لحق الله في الوجوب فتبعته في السقوط
 فنقول هذا مسلم ان كان السب موجب اعتقاد والا ففيه الخلاف واما
 حقوق الله فلا فرق في باب التوبة بين ما موجهه اعتقاد او غير اعتقاد فان
 القائب من اعتقاد الكفر وموجبائه والثائب من الزنا سواء ومن لم يسو بينهما
 قال ليست اعظم من حق الله اذا لم يسقط في الباطن بسقوطه ولكن
 الامر الى مستحقها ان شاء جزى وان شاء عفا ولم يعلم بعد ما يختاره الله سبحانه
 وقد علمنا انه يفر لكل من تاب وايضافان مستحقها من جنس تلحقهم المصرة
 والمرة بهذا ويتألمون به ففعل الامر اليهم والله سبحانه وتعالى انما حقه
 راجع الى مصلحة المكلف خاصة فانه لا ينتفع بالطاعة ولا يستضر بالمعصية
 فاذا عاود المكلف الخير فقد حصل ما اراده ربه منه فلما كان الانبياء
 عليهم السلام نعمت البشر ولهم نعمت النبوة صار حقهم له نعمت حق الله
 ونعمت حق سائر العباد والمهايكون حقهم مندرجا في حق الله اذا صد رعن

اعتقاد فانهم لما وجب الايمان بنبوتهم صار كالايان بوحداية الله فاذا لم يعتقد معتقد نبوتهم كان كافرا كما اذا لم يقر بوحداية الله وصار الكفر بذلك كفرا برسالات الله ودنه وغير ذلك فاذا كان السب موجبا بهذا الاعتقاد فقط مثل نفي الرسالة او النبوة او نحو ذلك وتاب منه توبة نصوحا قبلت توبته كتوبة المثلث واذا زاد على ذلك مثل قدح في نسب او وصف بمساوي اخلاق او فاحشة او غير ذلك مما يعلم هو انه باطل او لا يعتقد صحته او كان مخالفا للاعتقاد مثل ان يحسد او يتكبر او يغضب لغوات غرض او حصول مكروه مع اعتقاد النبوة فيسب فيها اذا تاب لم يتجدد له اعتقاد ازال موجب السب انما غيريته وقصده وهو قد آذاه فهذا السب اذا لم يتألم به البشر ولم يكن معذورا بعدم اعتقاد النبوة فهو لحق الله من حيث جنى على النبوة التي هي السب الذي بين الله وبين خلقه فوجب قتله وهو كحق البشر من حيث انه آذى آدميا يعتقد انه لا يحصل اذاه فلذلك كان له ان يطالبه بحق اذاه وان ياخذ من حسناته بقدر اذاه وليست له حسنة تزن ذلك الا ما يضاد السب من الصلاة والتسليم ونحوهما وبهذا يظهر ان التوبة من سب صدر من غير اعتقاد من الحقوق التي تجب للبشر ثم هو حق يتعلق بالنبوة لا محالة فهذا قول هذا القائل وان كنا لم نرجع واحدا من القوانين ثم اذا كانت حقوقهم تابعة لحق الله فمن الذي يقول ان حقوق الله تسقط عن المرتد وناقض العهد بالتوبة فاننا قد بينا ان هو لا تقام عليهم حدود الله بعد التوبة وانما تسقط بالتوبة عقوبة الردة المجردة والنقض المجرد

وهذا

وهذا ليس كذلك واما قوله ان الرسول يدعو الناس الى الايمان به وينبهرم
ان الايمان بمحو الكفر فيكون قد عفا لمن كفر عن حقه . فنقول . هذا جيد اذا
كان السب موجب الاعتقاد فقط لانه هو الذي اقتضاه ودعاه الى الايمان به فانه
من لزال اعتقاد الكفر به باعتقاد الايمان به زال موجب امانه زاد على ذلك
وسبه بعد ان آمن به لو عاهده فلم يلتزم ان يعفو عنه وقد كان له ان يعفو
وله ان لا يعفو والتقدير المذكور في السؤال انما يدل على سب اوجبه الاعتقاد
ثم زال باعتقاد الايمان لانه هو الذي كان يدعو اليه الكفر وقد زال بالايمان
والعلم اسوى ذلك فلا فرق بينه وبين سب سائر الناس من هذه الجهة وذلك
ان الساب ان كان حريا فلا فرق بين سبه للرسول او لواحد من الناس
من هذه الجهة وان كان مسلما او ذميا فاذا سب الرسول سبلا يوجب اعتقاده
فهو كالسب غيره من الناس فان تجدد الاسلام منه كتجدد التوبة منه بزرعه
عن هذا القتل وينهاه عنه وان لم يرفع موجب امانه فان سبه لم يكن
الكفر به اذ كلامنا في سب لا يوجب الكفر به مثل فريه عليه يعلم انه فارية
ونحو ذلك لكن اذا اسلم الساب فقد عظم في قلبه عظمة تمنعه ان يفترى
عليه كما انه اذا تاب من سب المسلم عظم الذنب في قلبه عظمة تمنعه من موافقته
وجاز ان لا يكون هذا الاسلام وازع لكون موجب السب كان شيئا غير
الكفر وقد يضعف هذا الاسلام عن دفعه كما يضعف هذه التوبة عن موجب
الاذى و فرق بين ارتفاع الامر بارتفاع سبه او بوجوه دضده فان
ما اوجبه الاعتقاد اذا زال الاعتقاد زال سبه فلم ينخش عوده الا بعد السب

و ما لم يوجبه الاعتقاد من الفرية ونحوها على النبي صلى الله عليه وسلم
 وغيره يرفعها الاسلام والتوبة رفع البضد للبضد اذ قبح هذا الامر وسوء
 عاقبته والعزم الجازم على فعل ضده وتركه بنا في وقوعه لكن لو ضعف
 هذا الدافع عن مقاومة السب المقتضي عمل عمله فهذا يبين انه لا فرق
 في الحقيقة بين ان يتوب من سب يوجبه مجرد الكفر بالايمان به الموجب
 لعدم ذلك السب وبين ان يتوب من سب مسلم بالتوبة الموجهة لعدم ذلك
 السب واعتبر هذا برجل له غرض في امر فزجر عنه وقيل له هذا قد حرمه
 النبي صلى الله عليه وسلم فلا سبيل اليه فحمله فرض الشهوة وقوة الغضب
 لقوايت المطلوب على ايم لعن وقبح فيما بينه وبين الله مع انه لا يشك في
 النبوة ثم انه جدد اسلامه وتاب وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
 ولم يزل باكيا من كلمته ورجل اراد ان ياخذ مال مسلم بغير حق فنصبه
 منه فلعن وقبح سرائم انه تاب من هذا واستغفر لك الرجل ولم يزل
 جائعا من كلمته اليست توبة هذا من كلمته كتوبة هذا من كلمته وان كانت
 توبة هذا يجب ان تكون اعظم لعظم كلمته لكن نسبة هذا مالي هذه كنسبة
 هذه الى هذه بخلاف من انما يلعن ويقبح من يعتقد كذا باثم تبين
 له انه كان ضالا في ذلك الاعتقاد وكان في مهواة التلف فتاب ورجع
 من ذلك الاعتقاد توبة مثله فانيه يندرج فيه جميع ما اوجبه وما يقرر
 هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ابلغه سب مرتد او مجاهد
 مثل ان يعفوه عنه بعد الاسلام ودلت سيرته على جواز قتله بعد اسلامه

و توبته ولو كان مجرد التوبة يغفر لم يها مافي ضمنها مغفرة تسقط الحد لم يجر ذلك فعلم انه كان يملك العقوبة على من سبه بعد التوبة كما يملكها غيره من المؤمنين فهذا الكلام في كون توبة الساب فيما بينه وبين الله هل تسقط حق الرسول ام لا وبكل حال سواء استقطبت ام لم تسقط لا يقتضي ذلك ان اظهارها مسقط للحد الا ان يقال هو مقتول لحض الردة او محض نقض العهد فان توبة المرئد مقبولة واسلام من مجرد نقض العهد مقبول مسقط للقتل وقد قد منافي ما مضى بالادلة القاطعة ان هذا مقتول لردة مغلفة ونقض مغاظ بمنزلة من حارب وسعى في الارض فسادا ثم من قال يقتل حقا لآدمي قال العقوبة اذا تعلق بها حقان حق الله وحق لآدمي ثم تاب سقط حق الله وبقى حق الآدمي من القود وهذا النائب اذا تاب سقط حق الله وبقى حق الآدمي ومن قال يقتل حد الله قال هو بمنزلة المحارب وقد يسوي بين من سب الله وبين من سب الرسول على ما سيأتي ان شاء الله تعالى وقولهم في المقدمة الثانية اذا ظهر التوبة وجب ان تقبلها منه قلنا هذا مبني على ان هذه التوبة مقبولة مطلقا وقد تقدم الكلام فيه ثم الجواب هنا من وجهين احدهما القول بموجب ذلك فانا نقبل منه هذه التوبة ونحكم بصحة اسلامه كما نقبل توبة القاذف ونحكم بعد التوبة وتقبل توبة السارق وغيرهم لكن الكلام في سقوط القتل عنه ومن تاب بعد القدرة لم يسقط عنه شيء من الحد والواجبة بقدر زائد على الردة او النقض ومن تاب قبلها لم تسقط عنه حقوق العباد اذ قبلنا توبته ان يظهر باقامة الحد عليه كسائر هؤلاء وذلك اننا نحن لا نتازع

في صحة توبته و مغفرة الله له مطلقا فان ذلك الى الله و انما الكلام في هل هذه
التوبة مسقطه للحد عنه و ليس في الحديث ما يدل على ذلك فاننا قد قبل
اسلامه و توبته و نقيم عليه الحد تطهيرا له و هذا جواب من يقتله حدا محضا
مع الحكم بصحة اسلامه الثاني * ان هذا الحديث في قبول الظاهر اذا لم يثبت
خلافه بطريق شرعي و هنا قد ثبت خلافه و هذا جواب من يقتله لزندقته
و قد يجب به من يقتل الذمي ايضا بناء على انه زنديق في حال العهد
فلا يوثق باسلامه و اما اسلام الحربي و المرند و نحوهما عند معاينة القتل
فانما جاز لاننا نقاتلهم لان يسلموا ولا طريق الى الاسلام الا ما يقولونه
السنتهم فوجب قبول ذلك منهم و ان كانوا في الباطن كاذبين و الا لوجب
قتل كل كافر اسلم او لم يسلم و لا تكون المقاتلة حتى يسلموا بل يكون القتال
دائما و هذا باطل ثم انه قد يسلم الآن كارها ثم ان الله يجب اليه الايمان
و يزيه في قلبه كذلك اكثر من يسلم كرهته في المال و نحوه او لرهته
من السيف و نحوه و لا دليل يدل على فساد الاسلام الا كونه مكرها عليه بحق
و هذا لا يلتفت اليه و اما هنا فانما نقتله لما مضى من جرمه من السب كما تقتل
الذمي لقتله النفس او لزنائه بمسلة و كما تقتل المرند لقتله مسلما لقطعه الطريق
كما تقدم تقريره فليس مقصودنا بارادة قتله ان يسلم ولا تجب مقاتلته على
ان يسلم بل نحن نقتله جزاء له على ما اذنا و نكال لا مثاله عن مثل هذه الجريمة
فاذا اسلم فان صححنا اسلامه لم يمنع ذلك وجوب قتله كالحارب المرتد
او الناقض اذا اسلم بعد القدرة و قد قتل فانه يقتل و فاقا فيما علمناه و ان حكم

بصحة اسلامه وان لم يصح اسلامه فالفرق بينه وبين الحربي والمرتد من وجهين ❁ احدهما ان الحربي والمرتد لم يتقدم منه ما دل على ان باطنه بخلاف ظاهره بل اظهره للردة لما ارتد دليلا على ان ما يظهره من الاسلام صحيح وهذا ما زال مظهر الاسلام وقد اظهر ما دل على فساد عقده فلم يوثق بما يظهره من الاسلام بعد ذلك وكذلك ناقض العهد قد عاهدنا على ان لا يسب وقد سب فثبتت جنايته وغدره فاذا اظهر الاسلام بعد ان اخذ ليقتل كان اولي ان يحون ويغدر فانه كان ممنوعا من اظهار السب فقط وهو لم يف بذلك فكيف اذا اصبح ممنوعا من اظهاره واسراره ولم يكن له عذر فيما فعله من السب بل كل من حرم ما عليه في دينه فاذا لم يف به صار من المنافقين في العهد الثاني ❁ ان الحربي او المرتد نحن نطلب منه ان يسلم فاذا اعطانا ما اردناه بحسب قدرته وجب قبوله منه والحكم بصحته والسب لا يطلب منه الا القتل عينه فاذا اسلم ظهر انما اسلم ليدرا عن نفسه القتل الواجب عليه كما اذا تاب المحارب بعد القدره عليه او اسلم او تاب سائر الحياة بعد اخذهم فلا يكون الظاهر صحة هذا الاسلام فلا يسقط ما وجب من الحد قبله وحقيقة الامر ان الحربي او المرتد يقتل لكفره حاضر ويقاتل لاسلمه فلا يمكن ان يظهر وهو مقاتل او ما خوذ الاسلام الا مكرها فوجب قبوله منه اذ لا يمكن بذله الا هكذا وهذا السب والناقض لم يقتل لمقامه على الكفر او كونه بمنزلة سائر الكفار غير المعاهدين لما ذكرناه من الادلة الدالة على ان السب موثر في قتله ويكون قد بذل التوبة التي لم تطلب منه في حال

الآخذ للعقوبة فلا تقبل منه وعلى هذا بنى المأخذ بنى بنى الحكم بصحة
 اسلام هذا الساب في هذه الحال مع القول بوجوب قتله احد هاهنا لا يحكم
 بصحة اسلامه وهو مقتضى قول ابن القاسم وغيره من المالكية والثاني
 يحكم بصحة اسلامه وعليه يدل كلام الامام احمد واصحابه في الذي مع
 اوجوب اقامة الحد واما المسلم اذا سب ثم قتل بعد ان اعلم من قال يقتل
 عقوبة على السب لكونه حق ادمي او حدا من خصال الله قال بصحة هذا الاسلام وقبله
 وهذا قول كثير من اصحابنا وغيرهم وقول من قال يقتل من اصحاب الشافعي
 وكذلك من قال يقتل من سب الله ومن قال يقتل لزندقة اجري عليه
 اذا قتل بعد اظهار الاسلام احكام الزنادقة وهو قول كثير من المالكية
 وعليه يدل كلام بعض اصحابنا وعلى ذلك يبنى الجواب عما احتج به من قبول
 النبي صلى الله عليه وسلم ظاهر الاسلام من المنافقين فان الحججة اما ان تكون
 في قبول ظاهر الاسلام منهم في الجملة فهذا الاشجة فيه من اربعة اوجه قد
 تقدم ذكرها احدى هاهنا ان الاسلام انما قبل منهم حيث لم يثبت عندهم خلافه
 وكانوا ينكرون انهم تكلموا بخلافه فاما ان البينة تقوم عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على كفر رجل بعينه فيكف عنه فهذا لم يقع قط الا ان يكون
 في مبادئ الامر والثاني انه كان في اول الامر مأمورا في مبادئ الامر
 ان يدع اذ هم ويصبر عليهم لمصلحة التاليف وخشية التنفير الى ان نسخ ذلك
 بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم (الثالث) انا نقول بموجبه
 فنقبل من هذا الاسلام ونقيم عليه حد السب كما لو اثنى حدا غيره وهذا

جواب من يصحح اسلامه ويقتله حد الفساد السب (الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستتب احد منهم ويعرضه على السيف ليتوب من مقالة صدرت منه مع ان هذا مجمع على وجوبه فان الرجل منهم اذا شهد عليه بالكفر والزندقه فاما ان يقتل عينا او يستتاب فان لم يتب والاقتل واما الاكتفاء منه بمجرد الجحود فما اعلم به قائل بل اقل ما قيل فيه انه يكتفى منهم بالنطق بالشهادتين والبرقي من تلك المقالة فاذا لم تكن السيرة في المناقنين كانت هكذا علم ان ترك هذا الحكم لقوات شرطه وهو اما ثبوت النفاق او العجز عن اقامة الحد او مصلحة التاليف في حال الضعف حتى قوى الدين فنسخ ذلك وان كان الاحتجاج بقبول ظاهر الاسلام ممن سب فعنه جواب خامس وهو انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يعفو عن شتمه في حياته وليس هذا العفو لاحد من الناس بعده واما تسمية الصحابة الساب غادرا محاربا فهو بيان لحل دمه وليس كل من نقض العهد وحارب سقط القتل عنه باسلامه بدليل ما لو قتل مسلما او قطع الطريق عليه او زنا بمسلمة بل تسميته محاربا مع كون السب فسادا يوجب دخوله في حكم الآية كما تقدم واما الذين هجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه ثم عفا عنهم فالجواب عن ذلك كله قد تقدم في المسئلة الاولى لما ذكرنا قصصهم وينا ان السب غلب فيه حق الرسول اذا علم فله ان يعفو وان ينتقم (٧) هؤلاء ما يدل على ان العقوبة انما سقطت عنهم مع عفوهم وصفحهم لمن تأمل احوالهم معه والتفريق بينهم وبين من لم يهجه ولم يسبه وايضا فهو لاء كانوا محاربين والحربي لا يؤخذ بما اصابه من المسلمين

من دم او مال او عرض و المسلم و المعاهد يوخذ بذلك و قولهم الذمي يعتقد
حل السب كما يعتقد الحرابي و ان لم يعتقد حل الدم و المال غلط فان عقد
الذمة منعهم من الطعن في ديننا و اوجب عليهم الكف عن ان يسبوا نبينا كما
منعهم دماءنا و اموالنا و ابلغ فهو ان لم يعتقد تحريمه للدين فهو يعتقد تحريمه
للعهد كاعتقادنا نحن في دماءهم و اموالهم و اعراضهم و نحن لم نعاهدهم على
ان نكف عن سب دينهم الباطل و اظهار معائبهم بل عاهدناهم على ان يظهر في
دارنا ما شئنا و ان يلتزموا اجرنا و احكامنا عليهم و الا فابن الصغار و اما قولهم
الذمي اذا سب فاما ان يقتل لكفره و حرابه كما يقتل الحرابي الساب او يقتل
حد من الحدود قلنا هذا تقسيم منتشر بل يقتل لكفره و حرابه بعد
الذمة و ليس من حارب بعد الذمة بمنزلة الحرابي الاصل فان الذمي اذا
قتل مسلما اجتمع عليه انه نقض العهد و انه وجب عليه القود فلو عفا ولي الدم
قتل لنقض العهد بهذا الفساد و كذلك سائر الامور المضرة بالمسلمين يقتل بها
الذمي اذا فعلها و ليس حكمه فيها حكم الحرابي الاصل اجماعا و اذا قتل حرابه
و فساد به بعد العهد فهو حد من الحد و دفلا تنافي بين الوصفين حتى يجعل احدهما
قسما للآخر و قد بينا بالا دلة الواضحة ان قتله ليس لمجرد كونه كافرا غير
ذمي عهد بل حد او عقوبة على سب نبينا الذي اوجبت عليه الذمة تركه
و الامساك عنه مع ان السب مستلزم لنقض العهد العاصم لدمه و انه يصير
بالسب محاربا غادرا و ليس هو كحد الزنا و نحوه مما لا مضرة علينا فيه و انما
اشبه الحدود به حد المخاربة و اما قولهم ليس في السب اكثر من انتهاك العرض و هذا

القدر لا يوجب الا الجلد في الكلام عنه ثلاثة اجوبة * احدها ان هذا كلام
في رأس المسئلة فانه اذا لم يوجب الا الجلد والامور الموجبة للجلد لا تنقض
العهد لم ينتقض العهد به كسب بعض المسلمين وقد قدمنا الدلائل التي لا تحل
مخالفتها على وجوب قتل الذمي اذا فعل ذلك وانه لا عهد له يعصم دمه مع ذلك
وبينا ان انتهاك عرض عموم المسلمين يوجب الجلد واما انتهاك عرض الرسول
فانه يوجب القتل وقد صولح على الامساك على العرضين فمتى انتهك عرض
الرسول فقد اتى بما يوجب القتل مع التزامه ان لا يفعله فوجب ان يقتل
كما لو قطع الطريق او زنى والتسوية بين عرض الرسول وعرض غيره في مقدار
العقوبة من افساد القياس والكلام في الفرق بينهما بعد تكلفا فانه
عرض قد اوجب الله على جميع الخلق ان يقابلوه من الصلاة والسلام والثناء
والمدح والمحبة والتعظيم والتعزير والتوقير والتواضع في الكلام والطاعة
للامر ورعاية الحرمه في اهل البيت والاصحاب بالاخفاء به على احد من علماء
المؤمنين * عرض به قامدين الله وكتابه وعباده المؤمنين * به وجبت الجنة
لقوم والنار لآخرين * به كانت هذه الامة خیرامة اخرجت للناس * عرض
قرن الله ذكره بذكر مو جمع بينه وبينه في كتابة واحد وجعل يعشه ببعثه له
وطاعته طاعة له واذا اذى له الى خصائص لا تحصى ولا يقدر قدرها فيلحق لو لم يكن
سبه كفر ان تجعل عقوبة منتهك هذا العرض كعقوبة منتهك عرض غيره
* ولو فرضنا * ان الله نبيا بعثه الى امة ولم يوجب على امة اخرى ان يؤمنوا
به عموم ما ولا خصوصا فسيبه رجل ولعنه عالما بنبوته الى اولئك افيجوز ان

يقال ان عقوبته و عقوبة من سبوا احد امن الموء منين سواء هذا افيد من
قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا قولهم الذي يعتقد حل ذلك قلنا .
لانسلم فان العهد الذي يتناوينه حرم عليه في دينه السب كما حرم عليه
دماءنا و اموالنا و اعراضنا فهو اذا اظهر السب يدري انه قد فعل عظمة من
العظام التي لم نصلحها عليها ثم ان كان يعلم ان عقوبة ذلك عندنا القتل فيها والا
فلا يجب لان مرتكب الحدود يكفيه العلم بالتحريم كمن زني او سرق او شرب
او قذف او قطع الطريق فانه اذا علم تحريم ذلك عوقب بالعقوبة المشروعة
وان كان يظن ان لا عقوبة على ذلك وان عقوبته دون ما هو مشروع وايضا
فان دينهم لا يبيح لهم السب و اللعنة للنبي وان كان ديننا باطلا اكثر ما يعتقدون
انه ليس بنبي او ليس عليهم اتباعه اما ان يعتقدون ان لعنته و سبه جائزة
فكثير منهم او اكثرهم لا يعتقدون ذلك على ان السب نوعان احدهما
ما كفروا به و اعتقدوه . والثاني ما لم يكفروا به فهذا الثاني لا ريب
انهم لا يعتقدون حله و اما قولهم صولح على ترك ذلك فاذا فعله انتقض
العهد فانه اذا فعله انتقض عهده و عوقب على نفس تلك الجريمة والا كان
يستوي حال من ترك العهد و لحق به دار الحرب من غير اذى لنا و حال من
قتل و سرق و قطع الطريق و شتم الرسول مع نقض العهد و هذا لا يجوز
و اما قولهم كون القتل حدا حكم شرعي يفتقر الى دليل شرعي فصحيح
و قد تقدمت الادلة الشرعية من الكتاب و السنة و الاثر و النظر
الدالة على ان نفس السب من حيث خصوصيته موجب للقتل و لم يثبت

ذلك استحيانا صرفا واستصلاحا محضاً بل اثبتناه بالنصوص وآثار الصحابة وما دل عليه ائمة الشارع وتبيينه وبما دل عليه الكتاب والسنة واجماع الامة من الخصوصية لهذا السب والحرمة لهذا العرض التي هو يجب ان لا يصونه الا القتل لاسباب اقوى الداعي على انتهاكه وخفة حرمة بخفة عقابه وصغر في القلوب مقدار من هو اعظم العالمين قدرا اذا ساوى في قدر العرض زيد او عمرا وتضمن بذكره اعداء الدين من كافر غادر ومنافق ما كرهه لئلا يستريب من قلب الشريعة ظهرا لبطن ان محاسنها توجب حفظ هذه الحرمة التي هي اعظم حرمان المخلوقين وحرمتها متعلقة بحرمة رب العالمين بسفك دم واحد من الناس مع قطع النظر عن الكفر والارتداد فانها مفسدتان اتحادهما في معنى التعداد وليسنا الآن نتكلم في المصالح المرسلة فاننا لم نحتاج اليها في هذه المسئلة لما فيها من الادلة الخاصة الشرعية وانما ننبه على عظم المصلحة في ذلك بيانا لحكمة الشرع لان القلوب الى ما فهمت حكمته اسرع انقيادا والنفوس الى ما تطالع على مصلحته اعطش اكبادا ثم لو لم يكن في المسئلة نص ولا اثر لكان اجتهاد الراي يقضى بان يجعل القتل عقوبة هذا الجرم لخصوصه لا لعموم كونه كفرا او ردة حتى لو فرض تجرده عن ذلك لكان موجبا للقتل اخذاه من قاعدة العقوبات في الشرع فانه يجعل اعلى العقوبات في مقابلة ارفع الجنايات و اوسطها في مقابلة اوسطها و ادناها في مقابلة ادناها فهذه الجناية اذا انفردت تمتنع ان تجعل في مقابلة الاذى فتقابل بالجلد لو الحبس تسوية بينها وبين الجناية على عرض

زيد وعمر وفانه لا يخفى على من له ادنى نظر باسباب الشرع ان ههنا من افسد
 انواع الاجتهاد ومثله في الفساد خلوها عن عقوبة تخصصها واما جعله في الاوسط
 كما اعتقده المهاجر بن ابي امية حتى قطع يد الجارية السابة وقلع ثبتهما باطل
 ايضا كما انكره عليه ابو بكر الصديق رضى الله عنه لان الجناية جنابة على
 اشرف الحرمات ولانه لا مناسبة بينها وبين اوسط العقوبات من قطع
 عضو من الاعضاء فتعين ان تقابل باعلى العقوبات وهو القتل ولو نزلت بنا نازلة
 السب وليس معناتها اثر يتبع ثم استتراب مستريب في ان الواجب الخاقها باعلى
 الجنايات لما عدم من بصراء الفقهاء ومثل هذه المصلحة ليست مرسله بحيث ان لا يشهد
 لها الشرع بالا اعتبار فاذا فرض انه ليس لها اصل خاص تلحق به ولا بد من الحكم فيها
 فيجب ان يحكم فيها بما هو اشبه بالاصول الكلية واذا لم يعمل بالمصلحة لزم العمل
 بالمفسدة والله لا يحب الفساد ولا شك ان العلماء في الجملة من اصحابنا وغيرهم
 قد يختلفون في هذا الضرب من المصالح اذا لم يكن فيها اثر ولا قبا من
 خاص والامام احمد قد يتوقف في بعض افرادها مثل قتل الجاسوس المسلم
 ونحوه ان جعلت من افرادها وربما عمل بها وربما تركها اذا لم يكن معه فيها
 اثر او قياس خاص ومن تأمل تصارييف الفقهاء علم انهم يضطرون الى
 رعايتها اذا لم يخالف اصلا من الاصول ولم يخالف في اعتبارها المظوائف
 من اهل الجدل والكلام من اصحابنا وغيرهم ولو انهم خاضوا مخاض
 الفقهاء لعلوا انه لا بد من اعتبارها وذوق الفقه من ليج فيه شيء والكلام
 على حواشيه من غير معرفة اعيان المسائل شيء آخر واهل الكلام والجدل

انما يتكلمون في القسم الثاني فيلزمون غيرهم ما لا يقدرون على التزامه
 ويتكلمون في الفقه كلام من لا يعرف الا امور اكلية وعمومات احاطية
 وللتفصيل خصوص نظرو دلائل يدر كها من عرف اعيان المسائل
 واثبتناه ايضا بالقياس الخاص وهو القياس على كل من ارتد ونقض
 العهد على وجه يضر المسلمين مضره فيها العقوبة بالقتل وبيننا ان هذا اخص من
 مجرد الردة ومجرد نقض العهد وان الاصول فرقت بينهما واثبتناه ايضا
 بالنافي لحقن دمه وبيننا ان هذا حل دمه بما فعله والادلة العاصمة لمن اسلم
 من مرتد وناقض لا تناوله لفظا ولا معنى وقولهم القياس في الاسباب
 لا يصح خلاف ما عليه الفقهاء وهو قول باطل قطعا لكن ليس هذا موضع
 الاستقصاء في ذلك وقولهم معرفة نوع الحكمة وقد رها متعذر قلنا
 لانسلم هذا على الاطلاق بل قد يمكن وقد ينعذر بل ربما علم قطعا لان
 الفرع مشتمل على الحكمة الموجودة في الاصل وزيادة قولهم هو يخرج
 السبب عن ان يكون سببا ليس كذلك فاني سبب السبب لا يمنع ان يكون
 سببا والاضافة الى السبب لا يقدح في الاضافة الى سبب السبب والعلم
 به ضروري واما قولهم ليس في الجنايات الموجبة للقتل حدا ما يجوز
 الحاق السبب بها قلنا بل هو يلحق بالردة المقترنة بما يغلظها والنقض
 المقترن بما يغلظه وان الفساد الحاصل في السبب ابلغ من الفساد الحاصل بتلك
 الامور المغلظة كما تقدم بيانه بشواهد من الاصول الشرعية على ان هذا
 الحكم مستغن عن اصل يقاس به بل هو اصل في نفسه كما تقدم ثم ان هذا

الكلام مقابل بما هو انور منه ياتوا بهر منه برهانا وذلك ان القول بوجوب الكف عن هذا الساب بعد الاتفاق على حل دمه قول لا دليل عليه الا قياس له على بعض المرتدين وناقضي العهد مع ظهور الفرق بينهما من قاس الشيء على ما يخالفه ويفارقه كان قياسه فاسدا فان جعل هذا سببا عاصيا قياسا لسبب على سبب مع تباينهما في نوع الحكمة وقدرها ثم انه اخلاء للسبب الذي هو اعظم الجناية على الاعراض من العقوبات ولا عهد لنا بهذا في الشرع فهو اثبات حكم خارج عن القياس وجعل لكونه موجبا للقتل موجبا لكونه اهون من اعراض الناس في باب السقوط وهذا تعليق على العلة ضد مقتضاها وخروج عن موجب الاصول فان العقوبات لا يكون تغلظا في الوجوب سببا لتحقيقها في السقوط قط لكن ان كان جنسها مما يسقط سقطت خفيفة كانت او غليظة كحقوق الله في بعض المواضع ولم تسقط خفيفة كانت او غليظة كحقوق العباد ثم ان القول باستثابة الساب قول يخالف كتاب الله ويخالف صريح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه واصحابه والقول بان لاحق للرسول على الساب اذا اسلم الذمي او المسلم ولا عقوبة له عليه قول يخالف المعروف من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخالف اصول الشريعة ويثبت حكم ليس له اصل ولا نظير الا ان يلحق بماليس مثاله الجواب الثاني اننا لم ندع مجرد السبب موجب للقتل وانما بينا ان كل سبب فهو محاربة ونقض للعهد بما يضر المسلمين فيقتل بمجموع الامرين السبب ونقض العهد ولا يجوز ان يقال خصوص السبب عدم التأثير فان فساد

هذا معلوم قطعا بما ذكرناه من الادلة القاطعة على تأثيره و اذا كان كذلك لم تثبت سببا خارجا عن الاسباب المعهودة وانما هو مغالط السبب المعروف وهو الكفر كما ان قتل النفوس موجب لحل دمه ثم ان كان قد قتل في المحاربة تغاظ بحتم القتل والابقى الامر فيه الى الاولياء ومعلوم ان المقتول من قطاع الطريق لا يقال فيه قتل قودا ولا قصاصا حتى يرتب عليه احكام من يجب عليه القود وانما يضاف القتل الى خصوص جنايته وهو القتل في المحاربة كذلك هنا الموجب هو خصوص المحاربة • وقولهم • الادلة مترددة بين كون القتل لمجرد المحاربة او لخصوص السب • قلناه هي نصوص في ان السب مؤثر تاثيرا زائدا على مطلق تاثير الكفر الخالي عن عهد فلا يجوز اهمال خصوصه بعد اعتبار الشرع له وان يقال انما المؤثر مجرد ما في ضمنه وطيه من زوال العهد ولذلك وجب قتل صاحبه عينا من غير تخيير كما قررنا دلالة فيما مضى و اذا كان كذلك فليس مع المخالف ما يدل على ان القتل المباح يسقط بالاسلام وان كان هذا من فروع الكفر كما ان الذمي اذا استحل دماء المسلمين واموالهم واغراضهم فانتهمها لاعتقاده انهم كفار وان ذلك حلال لهم منهم ثم اسلم فانه يعاقب على ذلك اما بالقتل ان كان فيها ما يوجب القتل او بغيره ولذلك لو استحل ذلك ذمي من ذمي مثل ان يقتل نصراني يهوديا او ياخذ ماله لاعتقاده ان ذلك حلال له او يقذفه او يسبه فانه يعاقب على ذلك عقوبة مثله وان اسلم وكذلك لو قطع الطريق على قافلة فيهم مسلمون ومعاهدون فقتل بعض اولئك المسلمين او المعاهد بن قتل لاجل ذلك حتما

وانتقض عهده وان اسلم بعد ذلك وان كان هذا من فروع الكفر فهذا
رجل انتقض عهده بامر يعتقد حله قبل العهد ولو فعله مسلم لم يقتل عند كثير
من الفقهاء اذا كان المقتول ذميا وكل واحد من الكفر ومن القتل مؤثر في قتله
وان كان عهده انما زال بهذا القتل فهذا نظير السب ثم لو اسلم هذا لم يسقط
عنه القتل بل يقتل اما حدا او قصاصا سواء كان ذلك القتل مما يقتل به المسلم
بان يكون المقتول مسلما ولا يقتل به بان يكون المقتول ذميا وعلى التقديرين
يقتل هذا الرجل بعد اسلامه لقطعه الطريق مثلا وقتله ذلك المعاهد من
غير اهل دينه وان كان انما فعل هذا مستحلا له لكفره وهو قد تاب من
ذلك الكفر فنكون التوبة منه توبة من فروع الكفر وذلك لان هذا الفرع
ليس من لوازم الكفر بل هو محرم عليه في دينه لاجل الذمة كما ان تلك الدماء
والاموال محرمة عليه لاجل الذمة ومنشأ الغلط في هذه المسئلة اعتقاد
ان الذمي يستبيح هذا السب فان هذا غلط اذ لا فرق بالنسبة اليه بين اظهار
الطعن في دين المسلمين وبين سفك دماهم واخذ اموالهم اذ الجميع انما حرمة
عليهم العهد لا الدين المجرد فكيف لم يندرج اخذه لعرض بعض الامة
او لعرض واحد من غير اهل دينه من اهل الذمة في ضمن التوبة من كفره مع
انه فرعه واندرج اخذه لعرض نبينا صلى الله عليه وسلم في ضمن التوبة من
كفره. (الجواب الثالث) انه هب انما يقتل للكفر والحرب فقوله الاسلام
يسقط القتل الثابت للكفر والحرب بالاتفاق غلط وذلك انا اتفقنا على
انه يسقط القتل الثابت للكفر والحرب الاصل فان ذلك اذا اسلم لم يؤخذ

اصاب في الجاهلية من دم او مال او عرض للمسلمين اما الحراب الطارى
 فمن الذى وافق على ان القتل الثابت بجميع انواعه يسقط بالاسلام نعم نوافق
 على ما اذا نقض العهد بالاضرار على المسلمين فيه ثم اسلم اما اذا اسلم ثم حارب
 وافسد بقطع طريق اوزنا بمسامة او قتل مسلم او طعن في الدين فهذا يقتل بكل حال
 كما دل عليه الكتاب والسنة وهو يقتل في مواضع بالاجماع كما اذا قتل في المحاربة
 وحيث لم يكن مجمعا عليه فهو كحمل النزاع والقرآن يدل على انه يقتل لانه
 انما استثنى من تاب قبل القدرة في الجملة فهذه المقدمة ممنوعة والتميز بين انواع
 الحراب يكشف اللبس واما ما ذكره من ان الكافر والمسلم اذا سب فيما
 بينه وبين الله وقذف الانبياء ثم تاب قبل الله توبته ولم يطالبه النبي بموجب
 قذفه في الدنيا ولا في الآخرة وان الاسلام يجب قذف اليهود لمريم وابنها
 وقولهم في الانبياء والرسل فهو كما قالوا ولا ينبغي ان يستراب في مثل هذا
 وقد صرح بعض اصحابنا وغيرهم وقالوا انما الخلاف في سقوط القتل عنه اما توبته
 واسلامه فيما بينه وبين الله فمقبولة فان الله يقبل التوبة عن عباده من الذنوب
 كلها وعموم الحكم في توبة المسلم والذى فاما توبة المسلم فقد تقدم القول
 فيها اوماتوبة الذى من ذلك فان كان ذلك السب ليس ناقضا للعهد بان
 يقوله سرا فتوبته منه كتوبة الحربي من جميع ما يقوله ويفعله وتوبة الذى
 من جميع ما يقر عليه من الكفر فان هذا لم يكن ممنوعا بعقد الذمة وليس كلامنا
 فيه وبه يخرج الجواب عما ذكره فان السب الذى قامت الادلة على مغفرته
 بالاسلام ليس هو السب الذى ينتقض به عهد الذى اذا فعله وانما فرق

في الذي بين الجهر بالسب والاسرار به بخلاف المسلم لان ما يسره من
السب لا يمنعه منه ايمان ولا امان الا ترى انه لو قذف واحد من المسلمين سرا
مستحلا لك ثم اسلم كان كما لو قذفه وهو حربي ثم اسلم ومعلوم ان الكافر
الذي لا عهد معه بمنعه من شيء متى اسلم سقط عنه جميع الذنوب تبعا للكفر
نعم لو اتى من السب بما يعتقد حراما في دينه ثم اسلم في سقوط حق المسبوب
هنا نظر ونظيره ان يسب الانبياء بما يعتقد محرما في دينه واما ان كان السب
ناقضا للعهد فاظهاره له مستحلا في الاصل وغير مستحل كقتله المسلم مستحلا
او غير مستحل فالتوبة هنا تسقط حق الله في الباطن واما اسقاطها لحق الآدمي
ففيه نظر والذي يقتضيه القياس انه كنبوة المسلم ان كان قد بلغ المشتوم
فلا بد من استحلاله وان لم يبلغه ففيه خلاف مشهور وذلك لانه حق
آدمي يعتقد محرما عليه وقد انتهكه فهو كما لو قتل المعاهد مسلما سرا ثم اسلم
وتاب او اخذ له مالا سرا ثم اسلم فان اسلامه لا يسقط عنه حق الآدمي
الذي كان يعتقد محرما بالعهد لا ظاهرا ولا باطنا وهذا معنى قول من قال
من اصحابنا ان توبته فيما بينه وبين الله مقبولة فان الله يقبل التوبة من الذنوب
كلها وان الله يقبل التوبة من حقوقه مطلقا اما من حقوق العباد فان التوبة لا تبطل
حقوقهم بل اما ان يستوفيا صاحبهما من ظلمه او يعوضه الله عنها من فضله العظيم
وجماع هذا الامر ان التوبة من كل شيء كان يستحله في كفره تسقط حقوق الله
وحقوق العباد ظاهرا وباطنا لكن السب الذي نتكلم فيه هو السب الذي
يظهره الذي وليس هذا مما كان يستحله كما لم يكن يستحل دماءنا واموالنا وان

كان ذلك مما يستحله لولا العهد وقد تقدم ذكر هذا وبيننا العهد
يحرم عليه في دينه كثيرا مما كان يعتقد حلالا لولا العهد ونظيرهذا
ثوبة المرتد من السب الذي يعتقد صحته . واما ما لم يكن يستحله وهو
اظهار السب فحقا حق لله وحق للآدمي فتوبته تسقط فيما
بينه وبين الله حقه لكن لا يلزم ان تسقط حق الآدمي في الباطن فهذا
الكلام على قبول التوبة فيما بينه وبين الله . وحينئذ فالجواب من
وجوه (احدها) ان الموضع الذي ثبت فيه قبول توبته فيما بينه وبين الله
من حق الله وحق عباده ليس هو الموضع الذي ينتقض فيه عهده . ويقتل
وان تاب فان ادعى انه يسقط حق العباد في جميع الصور فهذا محل منع
لما فيه من الخلاف فلا بد من اقامة الدلالة على ذلك والادلة المذكورة
لم تتناول السب الظاهر الذي ينتقض به العهد (الوجه الثاني) ان صحة
التوبة فيما بينه وبين الله لا تسقط حقوق العباد من العقوبة المشروعة
في الدنيا فان تاب من قتل او قذف او قطع طريق او غير ذلك فيما
بينه وبين الله فان ذلك لا يسقط حقوق العباد من القود وحق القذف
وضمان المال وهذا السب فيه حق لآدمي فان كانت التوبة يغفرله بها ذنبه
المتعلق بحق الله وحق عباده فان ذلك لا يوجب سقوط حقوق العباد
من العقوبة (الوجه الثالث) ان من يقول بقبول التوبة من ذلك
في الباطن بكل حال يقول ان ثوبة العبد فيما بينه وبين الله ممكنة من جميع
الذنوب حتى انه لو سب ميراثا من الناس موقى ثم تاب واستغفر لهم

بدل سبهم لرجي ان يغفر الله له ولا يكلف الله نفسا الا وسعها فكذلك سب
الانبياء والرسل لو لم تقبل توبته وتغفر لته لانسد باب التوبة وقطع طريق
المغفرة والرحمة . وقد قال تعالى لمنهي عن الغيبة يجب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا فكرهوه واتقوا الله ان الله تواب رحيم . فلم . ان المغتاب
له سبيل الى التوبة بكل حال وان كان الذي اغتیب ميتا او غائبا بل اصح
الروايتين ليس عليه ان يستحله في الدنيا اذا لم يكن علم فان فساد ذلك
اكثر من صلاحه وفي الاثر كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبه . وقد قال
تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات . اما . اذا كان الرسول حيا وقد بلغه
السب فقد يقول هنا ان التوبة لا تصح حتي يستحل الرسول ويعفو الرسول
عنه كما فعل انس بن زعيم وابوسفیان بن الحارث وعبد الله بن
ابي امية وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وابن الزبيري واحمد بن
القينتين وكعب بن زهير وغيرهم كما دلت عليه السيرة لمن تدبرها
وقد قال كعب بن زهير .

نبئت ان رسول الله اوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول
وانما يطلب العفو في شيء يجوز فيه العفو والانتقام وانما يقال اوعده اذا كان حكم
الايعاد باقيا بعد الاسلام والافلو كان الايعاد معلقا بقاءه على الكفر لم يبق ايعاد
اذا تقرر هذا فصحة التوبة فيما بينه وبين الله وسقوط حق الرسول بما ابد له
من الايمان به الموجب لحقوقه لا يمنع ان يقيم عليه حد الرسول اذا ثبت عند
السلطان وان اظهر التوبة بعد ذلك كالتوبة من جميع الكبائر الموجبة للعقوبات

المشروعة سواء كانت حقاً لله او حقاً لآدمي فان توبة العبد فيما بينه وبين الله
بحسب الامكان صحيحة مع انه اذا ظهر عليه اقيم عليه الحد وقد اسلفنا ان حق
الرسول فيه حق لله وحق لآدمي وانه من كلا الوجهين يجب استيفاؤه
اذا رفع الى السلطان وان اظهر الجاني التوبة بعد الشهادة . واما ما ذكره
من كون سب الرسول ليس باعظم من سب الله وان ما فيه من الشرف فلا جله
ففي الجواب عنه طريقان (احدهما) انه لا فرق بين البابين فان سب الله
ايضاً يقتل ولا تسقط التوبة القتل عنه اما لكونه دليلاً على الزندقة في الايمان
والامان او لكونه ليس مجرد ردة ونقض وانما هو من باب الاستخفاف بالله
والاستهانة ومثل هذا لا يسقط القتل عنه اذا تاب بعد الشهادة عليه كما لا يسقط
القتل عنه اذا انتهك محارمه فان انتهك حرمة اعظم من انتهاك محارمه
وسياتي ان شاء الله تعالى بيان ذلك . ومن قاله من اصحابنا وغيرهم ومن
اجاب بهذا لم يورد عليه صحة اسلام النصراني ونحوه وقبول توبتهم لانه
لا خلاف في قبول التوبة فيما بينه وبين الله وفي قبول التوبة مطلقاً اذا لم يظهروا
السب وانما الخلاف فيما اذا ظهر النصراني ما هو سب وطمع ودعاوهم الى التوبة
لا يمنع اقامة الحد ودعليهم اذا كانوا معاهدين كقوله سبحانه تعالى ان الذين
فثنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا . وكانت فتنتهم انهم القوهم في النار حتى
كفروا او لو فعل هذا معاهد بمسلم فانه يقتل وان اسلم بالاتفاق وان كانت
توبته فيما بينه وبين الله مقبولة . وايضاً . فان مقالات الكفار التي يعتقدونها
ليست من السب المذكور فانهم يعتقدون هذا تعظيماً لله ودينه وانما الكلام

في السب الذي هو سب عند الساب وغيره من الناس و فرق بين من يتكلم في حقه بكلام يعتقد تعظيمه وبين من يتكلم بكلام يعلم انه اسهزاء به واستخفاف به ولهذا فرق في القتل والزنا والسرقة والشرب والقذف ونحوهن بين المستحل لذلك المعذور وبين من يعلم التحريم وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر . وقوله فيما يروى عن ربه عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر يمدى الامر اقلب الليل والنهار . فان من سب الدهر من الخلق لم يقصد سب الله سبحانه واما قصد ان يسب من فعل به ذلك الفعل مضيفا له الى الدهر فيقع السب على الله لانه هو الفاعل في الحقيقة وسواء قلنا ان الدهر اسم من اسماء الله تعالى كما قال نعيم بن حماد او قلنا انه ليس باسم واما قوله انا الدهر اى انا الذى افعل ما ينسبونه الى الدهر ويوقعون السب عليه كما قاله ابو عبيدة والا كثرون ولهذا لم يكفر من سب الدهر ولا يقتل لكن يؤذى ويعزر لسوء منطقه والسب المذكور في قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . قد قيل ان المسلمين كانوا اذا سبوا آلهة الكفار رشب الكفار من يامرهم بذلك والهمم الذين يعبدونه معرضين عن كونه ربههم والهمم فيقع سبهم على الله لانه الهنا ومعبودنا فيكونوا سايين لموصوف وهو الله سبحانه ولهذا قال سبحانه عدوا بغير علم وهو شبهه بسب الدهر من بعض الوجوه . وقيل كانوا يصرحون بسب الله عدوا وغلوا في الكفر قال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فيسبوا الكفار الله بغير علم فانزل الله ولا تسبوا الذين

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . وقال ايضا كان المسلمون يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله تعالى ان يستسبوا الربهم قوما جهلة لا علم لهم بالله وذلك انه في اللجاجة ان يسب الجاهل من يعظمه صراغمة لعدوه اذا كان يعظمه . ايضا كما قال بعض الحكماء

سبوا عليا كما سبوا عتيقكم . كفرا بكفروا بما نأبأ بيمان

وكما يقول بعض الجهال مقابلة الفاسد بمثله وكما قد تحمل بعض جهال المسلمين الحمية على ان يسب عيسى اذا جاهره المحاربون بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من الموجبات للقتل .

✽ الطريقة الثانية ✽ طريقة من فرق بين سب الله وسب رسوله . وذلك من وجوه (احدها) ان سب الله حق محض لله وذلك يسقط بالتوبة كالزنا والسرقة وشرب الخمر وسب النبي صلى الله عليه وسلم فيه حقان لله وللعبد ولا يسقط حق الآدمي بالتوبة كالقتل في المحاربة هذا فرق القاضي ابي بعل في خلافه (الوجه الثاني) ان النبي صلى الله عليه وسلم تلحقه المعرة بالسب لانه مخلوق وهو من جنس الآدميين الذين تلحقهم المعرة والغضاضة بالسب والشتم وكذلك يثابون على سبهم ويعطيهم الله من حسنات الشاتم او من عنده عوضا على ما اصابهم من المصيبة بالشتم فمن سبه فقد انتقص حرمة الخالق سبحانه لا تلحقه معرة ولا غضاضة بذلك فانه منزّه عن حقوق المنافع والمضار كما قال سبحانه فيما يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم يا عبادي انكم لن تباغوا ضري فتضروني ولن تباغوا

نفى فتنفوني • وإذا كان سب النبي صلى الله عليه وسلم قد يؤثر انتقاصه
 في النفوس وتلحقه بذلك معرة وضمير وربما كان سببا للتفكير عنه وقلة
 هيئته وسقوط حرمة شرعت العقوبة على خصوص الفساد الحاصل بسبه
 فلا تسقط بالتوبة كالعقوبة على جميع الجرائم • وأما • سب الله سبحانه
 فإنه يضر نفسه بمنزلة الكافر المرتد فتب زال ضرر نفسه فلا يقتل وهذا
 الفرق ذكره طوائف من المالكية والشافعية والحنبلية • منهم القاضي
 عبد الوهاب بن نصر • والقاضي أبو يعلى في المجرى • وأبو علي بن البناء •
 وابن عقيل وغيرهم وهو يتوجه مع قولنا أن سب النبي صلى الله عليه وسلم
 حد لله كالزنا والسرقة يؤخذ ذلك أن القذف بالكفر أعظم من القذف
 بالزنا ثم لم يشرع عليه حد مقدركما شرع على الرمي بالزنا وذلك لأن
 المقذوف بالكفر لا يلحقه العار الذي يلحقه بالرمي بالزنا لأنه بما يظهر من
 الإيمان يعلم كذب القاذف وبما يظهر من التوبة تزول عنه تلك المعرة
 بخلاف الزنا فإنه يستسربه ولا يمكنه إظهار البراءة منه ولا تزول معرته
 في عرف الناس عند إظهار التوبة فكذلك سب الرسول يلحق بالدين
 وأهله من المعرة ما لا يلحقهم إذا سب الله لكون المنافي لسب الله ظاهرا
 • علوما لكل أحد يشترك فيه كل الناس (الوجه الثالث) أن النبي
 صلى الله عليه وسلم إنما يسب على وجه الاستخفاف به والاستهانة وللنفوس
 الكافرة والمنافقة إلى ذلك داع من جهة الحسد على ما آتاه الله من فضله
 ومن جهة المخالفة في دينه ومن جهة الاتقار تحت حكم دينه وشرعه

ومن

ومن جهة المراجعة لامته وكل مفسدة يكون اليها داع فلا بد من شرع العقوبة عليها حدا وكل ما شرعت العقوبة عليه لم يسقط بالتوبة كسائر الجرائم واما سب الله سبحانه فانه لا يقع في الغالب استخفافا واستهانة وانما يقع تدبيرا واعتقادا وليس للنفس في الغالب داع الى القاء السب الا عن اعتقاد برونه تعظيما وتمجيده او اذا كان كذلك لم يحتج خصوص السب الى شرع زاجر بل هو نوع من الكفر فيقتل الانسان عليه كرده وكفره الا ان يتوب وهذا الوجه من نمط الذي قبله والفرق بينهما ان ذلك يان لان مفسدة السب لا تزول باظهار التوبة بخلاف مفسدة سب الله تعالى . والثاني . يان لان سب الرسول اليه داع طبعي فيشرع الزجر عليه لخصوصه كشرب الخمر وسب الله تعالى ليس اليه داع طبعي فلا يحتاج لخصوصه الى زجر آخر كشرب البول واكل الميتة والدم (الوجه الرابع) ان سب النبي صلى الله عليه وسلم حد وجب لسب آدمي ميت لم يعلم انه عفا عنه وذلك لا يسقط بالتوبة بخلاف سب الله تعالى فانه قد علم انه قد عفا عنه . وبه اذا تاب وذلك ان سب الرسول متردد في سقوط حده بالتوبة بين سب الله وسب سائر الادميين فيجب الحاقه باشبه الاصلين به ومعلوم ان سب الادمي انما لا تسقط عقوبته بالتوبة لان حقوق الادميين لا تسقط بالتوبة لانهم ينتفعون باستيفاء حقوقهم ولا ينتفعون بتوبة التائب فاذا تاب من اللادمي عليه حق قصاص او قذف فان له ان ياخذ منه لينتفع به تشفيا ودرئ ثار وصيانة عرض وحق الله قد علم سقوطه بالتوبة لانه سبحانه انما

اوجب الحقوق لينتفع بها العباد فاذا رجعوا الى ما ينفعهم حصل مقصود الايجاب
 وحينئذ فلا ريب ان حرمة الرسول الحقت بحرمة الله من جهة التغليظ لان
 الطعن فيه طعن في دين الله وكتابه وهو من الخلق الذين لا تسقط حقوقهم
 بالتوبة لانهم ينتفعون باستيفاء الحقوق ممن هي عليه وقد ذكرنا ما دل على
 ذلك من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له ان يعاقب من آذاه وان
 جاءه نائبا وهو صلى الله عليه وسلم كما انه بلغ الرسالة لينتفع بها العباد فاذا
 تابوا ورجعوا الى ما امرهم به فقد حصل مقصوده فهو ايضا تألم باذا هم له فله
 ان يعاقب من آذاه تحصيلا لمصلحة نفسه كما انه يأكل ويشرب فان تمكين البشر
 من استيفاء حقه ممن بغى عليه من جملة مصالح الانسان ولولا ذلك لما انت النفوس غما
 ثم اليه الخيرة في العفو والانتقام فقد ترجح عنده مصلحة الانتقام فيكون
 فاعلا لامر مباح وحظ جائز كما انه ان يتزوج النساء وقد ترجح العفو والانياء
 عليهم السلام منهم من كان قد يرجح عنده احيانا الانتقام ويشدد الله
 قلوبهم فيه حتى تكون اشد من الصخر كنوح وموسى ومنهم من كان
 يرجح عنده العفو فيلين الله قلوبهم فيه حتى تكون الين من اللين كما براهيم
 وعيسى فاذا تعذر عفوهم عن حقه تعين استيفاؤه والالزام اهدا رحمة
 بالكلية قولهم اذا سقط المتبوع بالاسلام فالتابع اولى قلنا هو تابع من
 حيث تغلظت عقوبته لا من حيث ان له حقافي الاستيفاء لا يجبر بالتوبة
 قولهم سباب الواحد من الناس لا يختلف حاله بين ما قبل الاسلام وبعده
 بخلاف سباب الرسول عنه جوابان (احدهما) المنع فان سب الذي للمسلم

جائز عنده لانه يعتقد كفره وضلاله وانما يحرمه عنده العهد الذي يبتنا وبينه
فلا فرق بينهما وان فرض الكلام في سب خارج عن الدين مثل الرمي بالزنا
والاقتراء عليه ونحو ذلك فلا فرق في ذلك بين سب الرسول وسب الواحد
من اهل الذمة ولا ريب ان الكافر اذا اسلم صار اخا للمسلمين يؤذيه ما يؤذيهم
وصار معتقدا لحرمة اعراضهم وزال المييح لانتهاك اعراضهم ومع ذلك لا يسقط
حق المشتوم باسلامه وقد تقدم هذا الوجه غير مرة (الثاني) ان شاتم الواحد
من الناس لو تاب واظهر براءة المشتوم واتى عليه ودعاه له بعد رفعه الى
السلطان كان له ان يستوفي حده مع ذلك فلا فرق بينه وبين شاتم الرسول
اذا اظهر اعتقاد رسالته وعلو منزلته وسب ذلك ان اظهر مثل هذه التوبة
لا يزال مالحق المشتوم من الغضاضة والمرة بل قد يحمل ذلك على خوف
العقوبة ويبقى آثار السب الاول جارية فان لم يمكن المشتوم من اخذ
حقه بكل حال لم يندمل جرحه فقولهم القتل حق الرسالة واما البشرية فانما
لها حقوق البشرية والتوبة تقطع حق الرسالة قلنا لانسلم ذلك بل هو من
حيث هو بشر مفضل في بشريته على الآدميين تفضيلا يوجب قتل سابه
ولو كان القتل انما وجب لكونه قد حافى النبوة لكان مثل غيره من انواع
الكفر ولم يكن خصوص السب موجبا للقتل وقد قد من امن الابدلة ما يدل
على ان خصوص السب موجب للقتل وانه ليس بمنزلة سائر انواع الكفر ومن
سوى بين الساب للرسول وبين المعرض عن تصديقه فقط في العقوبة فقد
خالف الكتاب والسنة الظاهرة والاجماع الماضي وخالف المعقول وسوى

بين الشينين المتبائنين وكون القاذف له لم يجب عليه مع القتل جلد ثمانين
او ضح دليل على ان القتل عقوبة لخصوص السب والا كان قد اجتمع حقان
لله وهو تكذيب رسوله فيوجب القتل وحق لرسوله وهو سبه فيوجب الجلد
على هذا الرأي فكان ينبغي قبل التوبة على هذا ان يجتمع عليه الحدان
كما لو ارتد وقذف مسلما وبعد التوبة يستوفي منه حد القذف فكان انما للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعاقب من سبه وجاء ثابيا بالجلد فقط كما انه
ليس للامام ان يعاقب قاطع الطريق اذا جاء ثابيا بالقود ونحوه مما هو خالص
حق الآدمى ولو سلمنا ان القتل حق الرسالة فقط فهو ردة مغلظة بما فيه ضرر
او نقض مغلظ بما فيه ضرر كما لو اقترن بالنقض حراب وفساد بالفعل من قطع
طريق وزنا بمسلمة وغير ذلك فان القتل هنا حق لله ومع هذا لم يسقط بالتوبة
والاسلام وهذا المأخذ متحقق سواء قلنا ان سباب الله يقتل بعد التوبة
او لا يقتل كما تقدم تقريره وقولهم اذا اسلم سقط القتل المتعلق بالرسالة
قلنا هذا ممنوع اما اذا سوينايينه وبين سب الله فظاهر وان فرقنا فان هذا
شبه من باب فعل المحارب لله ورسوله الساعى في الارض فسادا والحاجة
داعية الى رد امثاله كما تقدم وان سلمنا سقوط الحق المتعلق بالكفر بالرسالة
لكن لم يسقط الحق المتعلق بشتم الرسول وسبه فان هذه جناية زائدة على
نفس الرسول مع التزام تركها فان الذمى يلتزم لنا ان لا يظهر السب وليس
ملتزما لنا ان لا يكفر به فكيف يجعل ما التزم تركه من جنس ما اقر ونام عليه
وجماع الامر ان هذه الجناية على الرسالة له نقض يتضمن حرابا وفسادا

اوردة تضمنت فسادا وحرابا وسقوط القتل عن مثل هذا ممنوع كما تقدم
 قولهم . حق البشرية انعم في حق الرسالة وحق الآدمي انعم في حق
 الله . قلنا . هذه دعوى محضة ولو كان كذلك لما جاز للنبي صلى الله عليه
 وسلم العفو عن سبه ولا جاز عقوبته بعد مجته تائبوا ولا احتيج خصوص السب
 ان يفرد بذكر العقوبة لعلم كل احد ان سب الرسول افلط من الكفر به
 فلما جاءت الاحاديث والآثار في خصوص سب الرسول بالقتل علم ان ذلك
 خاصة في السب وان اندرج في عموم الكفر . وايضا فحق العبد لا ينعم في
 حق الله قط نعم العكس . وجود كما تدرج عقوبة القاتل والقاذف على عصيانه
 لله في القود وحق القذف اما ان يندرج حق العبد في حق الله فباطل فان من
 جنى جناية واحدة تعلق بها حقان لله ولا آدمي ثم سقط حق الله لم يسقط حق
 الآدمي سواء كان من جنس او جنسين كما لو جنى جنایات متفرقة من قتل في قطع
 الطريق فانه اذا سقط عنه تعتم القتل لم يسقط عنه القتل ولو سرق - رقة ثم سقط عنه
 القطع لم يسقط عنه الغرم باجماع المسلمين حتى عند من قال ان القطع وانعم
 لا يجتمعان نعم اذا جنى جناية واحدة فيها حقان لله ولا آدمي فان كان موجب
 الحقتين من جنس واحد تداخلا وان كانا من جنسين ففي التداخل خلاف
 معروف . مثال الاول قتل المحارب فانه يوجب القتل حق الله وللآدمي
 والقتل لا يتعدد فتي قتل لم يبق للآدمي حق في تركته من الدية وان كان له
 ان ياخذ الدية اذا قتل عدة مقتولين فيقتل بعضهم عند الشافعي واحمد
 وغيرها اما ان قلنا ان موجب العمد القود عينا فظاهر وان قلنا ان موجب

اخذ شيئين فانما ذاك حيث يمكن العفو وهنا لا يمكن العفو و صار موجب العفو
 عينا وولي استيفائه الامام لان ولايته اعم * ومثال الثاني اخذ مال سرقة
 واتلافه فانه موجب للقطع حد الله و موجب الغرم حقا لآدمي ولهذا قال
 الكوفيون ان حق الآدمي يدخل في القطع فلا يجب * وقال الاكثرون
 بل يغرم للآدمي ماله وان قطعت يده واما اذا جنى جنایات متفرقة لكل
 جناية حد ان كانت لله وهي من جنس واحد تدخلت بالاتفاق وان
 كانت من اجناس وفيها القتل تدخلت عند الجمهور ولم تدخل عند الشافعي
 وان كانت لآدمي لم تدخل عند الجمهور وعند مالك تدخل في القتل
 الاخذ القذف فهنا هذا الشاتم الساب لا ريب انه يتعلق بسبه حق لله وحق
 لآدمي ونحن نقول ان موجب كل منهما القتل ومن ينازعنا اما ان يقول
 انه رج حق لآدمي في حق الله او موجب الجلد فاذا قتل فلا كلام الا عند من
 يقول ان موجب الجلد فانه يجب ان يخرج على الخلاف واما اذا سقط
 حق الله بالتوبة فكيف يسقط حق العبد فانا لانحفظ لهذا نظيرا بل النظائر
 تخالفه كما ذكرناه والسنة تدل على خلافه واثبت حكم بلا اصل ولا نظير
 غير جائز بل مخالفته للاصول دليل على بطلانه * وايضا فهب ان هذا حد
 محض لله لكن لم يقال انه يسقط بالتوبة وقد قدمنا ان الردة وتقض العهد نوعان
 مجرد ومغلظ فماتغلظ منه بما يضر المسلمين يجب قتل صاحبه بكل حال وان
 تاب وبيننا ان السب من هذا النوع * وايضا فاقصى ما يقال ان يلحق هذا
 السب بسب الله وفيه من الخلاف ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى واما ما ذكر

من الفرق بين سب المسلم وسب الكافر فهو وان كان له توجه كالتسوية بينهما في السقوط توجه ايضا فانه معارض بما يدل على ان الكافر اولى بالقتل بكل حال من المسلم وذلك ان الكافر قد ثبت المييع لدمه وهو الكفر وانما عصمه العهد و اظهاره السب لا ريب انه محاربة لله ورسوله و افساد في الارض ونكابة في المسلمين فقد تحقق الفساد من جهته و اظهاره التوبة بعد القدرة عليه لا يوثق بها كتوبة غيره من المحاربين لله ورسوله الساعين في الارض فسادا بخلاف من علم منه الاسلام و صدرت منه الكلمة من السب مع امكان انها لم تصدر عن اعتقاد بل خرجت سفها او غلطا فاذا عاد الى الاسلام مع انه لم ينزل يتدين به لم يعلم منه خلافه كان اولى لقبول توبته لان ذنبه اصغر و توبته اقرب الى الصحة ثم انه يجاب عنه بان اظهار المسلم تجديدا لاسلام بمنزلة اظهار الذي الاسلام لان الذي كان يزعه عن اظهار سبه ما اظهره من الامان كما يزعم المسلم ما اظهره من عقد الايمان فاذا كان المسلم الآن انما يظهر عقد ايمان قد ظهر ما يدل على فساد فكذا الذي انما يظهر عقد ايمان قد ظهر ما يدل على فساد فان من يتهم في امانه يتهم في ايمانه ويكون منافقا في الايمان كما كان منافقا في الايمان بل ربما كان حال هذا الذي تاب بعد معاينة السيف اشد على المسلمين من حاله قبل التوبة فانه كان في ذلة الكفر والآث فانه قد يشرك المسلمين في ظاهري العزم ما ظهر من ثقاه وخبثه الذي لم يظهر ما يدل على زواله على ان في تعليل سبه بالزندقة نظرا فان السب امر ظاهري اظهره ولم يظهر منه ما يدل

على استبطانه اياه قبل ذلك و من الجائز ان يكون قد حدث له ماوجب
الردة نعم ان كان ممن تكرر ذلك منه اوله دالات على سوء العقيدة
فهنا الزندقة ظاهرة لكن يقال نحن نقتله للامرين لكونه زنديقا و لكونه
سابا كما يقتل الذمي لكونه كافرا غير ذي عهد و لكونه سابا فان الفرق بين
المسلم و الذمي في الزندقة لا يمنع اجتماعهما في علة اخرى تقتضي كون السب
موجبا للقتل و ان احدث الساب اعتقادا صحيحا بعد ذلك بل قد يقال ان السب
اذا كان موجبا للقتل قتل صاحبه و ان كان صحيح الاعتقاد في الباطن في حال سبه
كسبه الله تعالى و كالتقذف في ايجابه للجلد و كسب جميع البشر و اما الفرق الثاني
الذي مبناه على ان السب يوجب قتل المسلم حد الان مفسدته لا تزول بسقوطه
بتجديد الاسلام بخلاف سب الكافر فمضمونه ان لا يرضى لاهل الذمة في اظهار
السب اذا اظهر و ابعد الاسلام و ان ذن لهم ان يشتموا ثم بعد ذلك يسلمون و ما هذا
الا بمثابة ان يقال علم الذمي بانه اذا زني بمسلمة او قطع الطريق اخذ قتل
الا ان يسلم يزعه عن هذه المفاسد الا ان يكون ممن يريد الاسلام و اذا
اسلم فالاسلام يجب ما كان قبله و معلوم ان معنى هذا ان الذمي يحتمل منه
ما يقوله و يفعله من انواع المحاربة و الفساد اذا قصد ان يسلم بعده و اسلم و معلوم
ان هذا غير جائز فان الكلمة الواحدة من سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تحتمل باسلام الوف من الكفار و لان يظهر دين الله ظهورا يمنع
احدا ان ينطق فيه بطعن احب الى الله و رسوله من ان يدخل فيه اقوام
و هو منتك مستهان و كثير ممن يسب الانبياء من اهل الذمة قد يكون زنديقا

لا يبالى الى اي دين انتسب فلا يبالى ان ينال غرضه من السب ثم يظهر الاسلام كالمناقض سواء ثم هذا يوجب الطمع منهم في غرضه فانه مادام العدو يرجو ان يستبقى ولو بوجه لم يزعه ذلك عن اظهار مقصوده في وقت ما ثم ان ثبت ذلك عليه ورفع الى السلطان وامر بقتله اظهر الاسلام والا فقد حصل غرضه وكل فساد قصد ازاله بالكلية لم يجعل لفاعله سبيل الى استبقائه بعد الاخذ كالزنا والسرقة وقطع الطريق فان كان مقصود الشارع من تطهير الدار من ظهور كلمة الكفر والطعن في الدين ابلغ من مقصوده من تطهيرها من وجود هذه القبائح ابتغى ان يكون تحتم عقوبة من فعل ذلك ابلغ من تحتم عقوبة هؤلاء ❦ وفاقه هذا الجواب ان تعلم ان ظهور الطعن في الدين من سب الرسول ونحوه فساد عريض وراء مجرد الكفر فلا يكون حصول الاسلام ما حيا لذلك الفساد ❦ واما الفرق الثالث قولهم ان الكافر لم يلتزم تحريم السب ❦ فباطل فانه لا فرق بين اظهاره لسب النبي صلى الله عليه وسلم وبين اظهاره لسب احاد من المسلمين وبين سفك دمائهم واخذ اموالهم فانه لولا العهد لم يكن فرق عنده بين سائر من يخالفه في دينه من المخاريين ومعلوم انه يستحل ذلك كله منهم ثم انه بالعهد صار ذلك محرما عليه في دينه من اجل العهد فاذا فعل شيئا من ذلك اقيم عليه حده وان اسلم سواء انتقض عهده بما يفعله او لم ينتقض فتارة يجب عليه الحد مع بقاء العهد كما لو سرق او قذف مسلما وتارة ينتقض عهده ولا حد عليه فيصير بمنزلة المخاريين وتارة يجب عليه الحد وينتقض عهده كما اذا سب الرسول

او زنى بمسلمة او قطع الطريق على المسلمين فهذا يقتل وان اسلم وعقوبة هذا النوع من الجنايات القتل حتما كعقوبة القاتل في المحاربة من المسلمين جزاء له على ما فعل من الفساد الذى التزم بعقد الايمان ان لا يفعله مع كون مثل ذلك الفساد موجبا للقتل ونكالا لامثاله عن فعل مثل هذا اذا علموا انه لا يترك صاحبه حتى يقتل فهذا هو الجواب عما ذكر من الحجج للمخالف مع ان فيما تقدم من كلامنا ما يغني عن الجواب لمن ثبت له المآخذ والله سبحانه وتعالى اعلم *

فصل

في مواضع التوبة وذلك مبنى على التوبة من سائر الجرائم فنقول لا خلاف علمنا ان قاطع الطريق اذا تاب قبل القدرة عليه سقط عنه ما كان حد الله من نحتم القتل والصلب والنفي وقطع الرجل وكذلك قطع اليد عند عامة العلماء الا في وجه لاصحاب الشافعي وقد نص الله على ذلك بقوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدر واعليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ومعنى القدرة عليهم امكان الحد عليهم لثبوته بالبينه او بالاقرار وكونهم في قبضة المسلمين فاذا تابوا قبل ان يؤخذوا سقط ذلك عنهم واما من لم يوجد منه الا مجرد الردة وقد اظهر هافد لك ايضا قبل توبته عند العامة الا ما يروى عن الحسن ومن قيل انه وافقه واما القاتل والقاذف فلا اعلم مخالفا ان ثوبتهم لا تسقط عنهم حتى الآدمي بمعنى انه اذا اطلب بالقود وحد القذف فله ذلك وان كانوا قد تابوا قبل ذلك واما الزاني والسارق والشارب فقد اطلق بعض

فصل في مواضع التوبة المقبولة او غيرها

اصحابنا اذا تاب قبل ان يقام عليه الحد فهل يسقط عنه الحد على روايتين
 اصحهما . انه يسقط عنه الحد بمجرد التوبة ولا يعتبر مع ذلك اصلاح العمل .
 والثانية . لا يسقط ويكون من توبته تطهيره بالحد . وقيد بعضهم اذا تاب
 قبل ثبوت حده . عند الامام وليس بين الكلايين خلاف في المعنى فانه
 لا خلاف انه لا يسقط في الموضع الذي لا يسقط حد المحارب بتوبته وان
 اختلفت عباراتهم هل ذلك لعدم الحكم بصحة التوبة او لافضاء منقوط
 الحد الى المفسدة . فقال القاضي ابو بطل و غيره . هو ممن اطلق الروايتين
 التوبة غير محكوم بصحتها بعد قدرة الامام عليه لجواز ان يكون اظهرها
 تقية من الامام والخوف من عقوبته . قال . ولهذا نقول في توبة الزاني
 والسارق والشارب لا يحكم بصحتها بعد علم الامام بحدهم وثبوته عنده .
 وانما يحكم بصحتها قبل ذلك قال وقد ذكره ابو بكر في (الشافي) فقال اذا تاب
 يعني الزاني بعد ان قد ر عليه فمن توبته ان يطهر بالرجم او الجلد . واذا تاب
 قبل ان يقدر عليه قبلت توبته فماخذ القاضي ان نفس التوبة المحكوم بصحتها
 مستقط للحد في كل موضع فلم يخرج الى التقييد هو ومن سلك طريقته من
 اصحابه مثل الشريف ابى جعفر و ابى الخطاب و ماخذ ابى بكر وغيره الفرق
 بين ما قبل القدرة و بعد ها في الجميع مع صحة التوبة بعد القدرة ويكون
 الحد من تمام التوبة فلها قيد و افلا فرق في الحكم بين القولين والتقييد
 بذلك موجود في كلام الامام احمد نقل عنه ابو الحارث في سارق جاء ثابا
 ومعه السرقة فردها قبل ان يقدر عليه قال لم يقطع وقال قال الشعبي ليس على

نائب قطع وكذلك نقل حنبل ومهنا في السارق اذا جاء الى الامام تاباً
 يد راعنه القطع * ونقل عنه الميوني في الرجل اذا اعترف بالزنا اربع
 مرات ثم تاب قبل ان يقام عليه الحد انه تقبل توبته فلا يقام
 عليه الحد وذكر قصة ما عزا لوجود مس الحجر فهرب قال النبي صلى الله
 عليه وسلم فهلا تركتموه * قال الميوني وناظرته في مجلس آخر * قال اذا
 رجع عما اقربه لم يرجع قلت فان تاب قال من توبته ان يطهر بالرجم قال وداريني
 وبينه الكلام غير مرة انه اذا رجع لم يقم عليه وان تاب فمن توبته ان يطهر
 بالجلد * قال القاضي والمذهب الصحيح انه يسقط بالتوبة كما نقل ابو الحارث
 وحنبل ومهنا فيلخص من هذا انه اذا ظهر التوبة بعد ان ثبت عليه الحد عند
 الامام بالبينه لم يسقط عنه الحد * واما ان تاب قبل ان يقدر عليه بان يتوب
 قبل اخذه وبعد اقراره الذي له ان يرجع عنه ففيه روايتان * وقد صرح
 بذلك غير واحد من ائمة المذهب منهم الشيخ ابو عبد الله بن حامد قال فاما
 الزنا فانه لا خلاف انه فيما بينه وبين الله نصح توبته منه * فاما اذا تاب الزاني
 وقد رفع الى الامام فقول واحد لا يسقط الحد * فاما ان تاب بحضرة
 الامام فانه ينظر فان كان باقراره ففيه روايتان وان كان ذلك بينه فقول
 واحد لا يسقط لانه اذا قامت البينة عليه بالزنا فقد وجب القضاء بالبينه والاقرار
 بخلاف البينة لانه اذا رجع عن اقراره قبل منه * وقال * في السرقة لا خلاف
 ان الحق الذي لله يسقط بالتوبة سواء تاب قبل القطع او بعده ولنا الخلاف
 فحين تاب قبل اقامة الحد فان كان ذلك قبل ان يرفع الى الامام سقط الحد

سواء رفع الى الامام او لم يرفع . واما اذا تاب بعد ان رفع الى الامام فلا يسقط الحد عنه لانه حق يتعلق بالامام فلا يجوز تركه . قال وكذا لك المحارب اذا تاب من حق الله وقد قدمنا اننا اذا قلنا يسقط الحد عن غير قطاع الطريق بالتوبة فانه يكفي مجرد التوبة وهذا هو المشهور من المذهب كما يكفي ذلك في قطاع الطريق . وفيه وجه ثان انه لا بد من اصلاح العمل مع التوبة وعلى هذا فقد قيل يعتبر مضي مدة يعتبر بها صدق توبته وصلاح نيته وليست مقدرة بمدة معلومة لان التوقيت يفتقر الى توقيف ويتخرج ان يعتبر مضي سنة كما نص عليه الامام احمد في توبة الداعي الى البدعة انه يتعين فيه مضي سنة اتباعا لما امر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قضية ضبيع بن عسل فانه تاب عنده ثم تقاه الى البصرة و امر المسلمين بهجره فلما حال الحول ولم يظهر منه الا خيرا امر المسلمين بكلامه . وهذه قضية مشهورة بين الصحابة . هذه طريقة اكثر اصحابنا و ظاهر طريقة ابي بكر انه يفرق بين التوبة قبل ان يقربان يحمي تائبيا وبين ان يقر ثم يتوب لان احمد رضي الله عنه انما اسقط الحد عن جاء تائبيا فاما اذا قر ثم تاب فقد رجع احمد عن القول بسقوط الحد وللشافعي ايضا في سقوط سائر الحدود غير حد المحارب بالتوبة قولان اصحها انه يسقط لكن حد المحارب يسقط باظهار التوبة قبل القدرة و حد غيره لا يسقط بالتوبة حتى يقترب بها الاصلاح في زمن يوثق بتوبته وقبل مدة ذلك سنة . هكذا ذكر العراقيون من اصحابه . و ذكر بعض الخراسانيين ان في توبة المحارب وغيره بعد الظفر قولين اذا اقترن بها الاصلاح

تائب قطع وكذلك نقل حنبل ومهنا في السارق اذا جاء الى الامام تائباً
يدرا عنه القطع * ونقل عنه الميوني في الرجل اذا اعترف بالزنا اربع
مرات ثم تاب قبل ان يقام عليه الحد انه تقبل توبته فلا يقام
عليه الحد وذكر قصة ما عزا لوجود مس الحجر فهرب قال النبي صلى الله
عليه وسلم فهلا تركتموه * قال الميوني وناظرته في مجلس آخر * قال اذا
رجع عما اقربه لم يرجم قلت فان تاب قال من توبته ان يطهر بالرجم قال وداريني
وبينه الكلام غير مرة انه اذا رجع لم يقم عليه وان تاب فمن توبته ان يطهر
بالجلد * قال القاضي والمذهب الصحيح انه يسقط بالتوبة كما نقل ابو الحارث
وحنبل ومهنا فيلخص من هذا انه اذا اظهر التوبة بعد ان ثبت عليه الحد عند
الامام بالبينه لم يسقط عنه الحد * واما ان تاب قبل ان يقدر عليه بان يتوب
قبل اخذه وبعد اقراره الذي له ان يرجع عنه ففيه روايتان * وقد صرح
بذلك غير واحد من ائمة المذهب منهم الشيخ ابو عبد الله بن حامد قال فاما
الزنا فانه لا خلاف انه فيما بينه وبين الله نصح توبته منه * فاما اذا تاب الزاني
وقد رفع الى الامام فقول واحد لا يسقط الحد * فاما ان تاب بحضرة
الامام فانه ينظر فان كان باقراره ففيه روايتان وان كان ذلك بينه فقول
واحد لا يسقط لانه اذا قامت البينة عليه بالزنا فقد وجب القضاء بالبينه والاقرار
بخلاف البينة لانه اذا رجع عن اقراره قبل منه * وقال * في السرقة لا خلاف
ان الحق الذي لله يسقط بالتوبة سواء تاب قبل القطع او بعده وانما الخلاف
فمن تاب قبل اقامة الحد فان كان ذلك قبل ان يرفع الى الامام سقط الحد

سواء رفع الى الامام او لم يرفع . واما اذا تاب بعد ان رفع الى الامام فلا يسقط الحد عنه لانه حق يتعلق بالامام فلا يجوز تركه . قال وكذا لك المحارب اذا تاب من حق الله وقد قدمنا اذا قلنا يسقط الحد عن غير قطاع الطريق بالتوبة فانه يكفي مجرد التوبة وهذا هو المشهور من المذهب كما يكفي ذلك في قطاع الطريق . وفيه وجه ثان انه لا بد من اصلاح العمل مع التوبة وعلى هذا فقد قيل يعتبر مضي مدة يعتبر بها صدق توبته وصلاح نيته وليست مقدرة بمدة معلومة لان التوقيت يفترق الى توقيف ويتخرج ان يعتبر مضي سنة كما نص عليه الامام احمد في توبة الداعي الى البدعة انه يتعين فيه مضي سنة اتباعا لما امر به عمر بن الخطاب رضى الله عنه في قضية ضبيع بن عسل فانه تاب عنده ثم تقاه الى البصرة وامر المسلمين بهجره فلما حال الحول ولم يظهر منه الا خيرا امر المسلمين بكلامه . وهذه قضية مشهورة بين الصحابة . هذه طريقة اكثر اصحابنا وظاهر طريقة ابي بكر انه يفرق بين التوبة قبل ان يقربان يحمي تائبين وبين ان يقر ثم يتوب لان احمد رضى الله عنه انما اسقط الحد عن تائب فاما اذا قر ثم تاب فقد رجع احمد عن القول بسقوط الحد وللشافعي ايضا في سقوط سائر الحدود غير حد المحارب بالتوبة قولان اصحهما انه يسقط لكن حد المحارب يسقط باظهار التوبة قبل القدرة وحد غيره لا يسقط بالتوبة حتى يقترب بها الاصلاح في زمن يوثق بتوبته وقبل مدة ذلك سنة . هكذا ذكر العراقيون من اصحابه . وذكر بعض الخراسانيين ان في توبة المحارب وغيره بعد الظفر قولين اذا اقترن بها الاصلاح

واستشكلوا ذلك فيما اذا انشأ التوبة حيث اخذ لا قامة الحدفانه لا يؤخر
حتى يصلح العمل * ومذهب ابي حنيفة ومالك انه لا يسقط بالتوبة * وذكر
بعضهم ان ذلك اجماعا وانما هو اجماع في التوبة بعد ثبوت الحد

فصل

فصل

اذ اتلخص ذلك فمن سب الرسول صلى الله عليه وسلم ورفع الى السلطان
وثبت ذلك عليه يالينة ثم اظهر التوبة لم يسقط عنه الحد عند من يقول
انه يقتل حدا سواء تاب قبل اداء البينة او بعد اداء البينة لان هذه توبة
بعد اخذه والقدرة عليه فهو كما لو تاب قاطع الطريق والزاني والسارق في
هذه الحال وكذا لو تاب بعد ان اريد رفعه الى السلطان والبينة بذلك
ممكنة وهذا لا ريب فيه والذي في ذلك كالملي اذا قيل انه يقتل حدا كما
قررناه وامان اقر بالسب ثم تاب او جاء تائباً منه فذهب المالكية انه يقتل
ايضاً لانه حد من الحد ود لا يسقط عند هم بالتوبة قبل القدرة ولا بعدها
ولهم في الزنديق اذا جاء تائباً قولان لكن قال القاضي عياض مسئلته اقوى
لا يتصور فيها الخلاف لانه حق يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا منه بسببه
لا يسقط بالتوبة كسائر حقوق الآدميين وكذا لك بقول من يرى انه يقتله
حدا كما يقوله الجمهور ويرى ان التوبة لا تسقط الحد بحال كاحد قولي الشافعي
واحدي الروايتين عن احمد واما على المشهور في المذهبين من ان التوبة
قبل القدرة تسقط الحد فقد ذكرنا انما ذك في حد ود الله فاما حد ود الآدميين
من القود وحد القذف فلا تسقط بالتوبة فلي هذا لا يسقط القتل عنه وان

تاب قبل القدرة كما لا يسقط القتل قودا عن قاطع الطريق اذا تاب قبل
القدرة لانه حق آدمي ميت فاشبه القود و حد القذف وهذا قول
القاضي ابي يعلى وغيره وهو مبني على ان قتله حق لآدمي وانه لم يعف عنه
ولا يسقط الا بالعفو وهو قول من يفرق بين من سب الله ومن سب
رسوله واما من سوى بين من سب الله ومن سب رسوله وقال ان الحدود
تسقط بالتوبة قبل القدرة فانه يسقط القتل هنا لانه حد من الحدود الواجبة
لله تعالى تاب صاحبه قبل القدرة عليه وهذا موجب قول من قال ان ثوبته تنفعه
فيما بينه وبين الله ويسقط عنه حق الرسول في الآخرة وبه صرح
غير واحد من اصحابنا وغيرهم لان التوبة المسقطه لحق الله وحق العبد
وجدت قبل اخذه لاقامة الحد عليه وذلك ان هذا الحد ليس له عاف
عنه فان لم تكن التوبة مسقطه له لزم ان يكون من الحسد ودالا تسقطه
توبة قبل القدرة ولا عفوا وليس لهذا نظير نعم لو كان الرسول صلى الله عليه
وسلم حيا لتوجه ان يقال لا يسقط الحد الا عفوه بكل حال واما ان اخذ
وثبت السب باقراره ثم تاب او جاء فاقرب بالسب غير مظهر للتوبة ثم تاب
فذلك مبني على جواز رجوعه عن هذا الاقرار فاذا لم يقبل رجوعه اقيم
عليه الحد بلا تردد وان قبل رجوعه واسقط الحد عمن جاء تائبا فني
سقوطه عن هذا الوجه ان المتقدمان وان اقيم الحد على من جاء تائبا فعلى
هذا اولى والقول في الذمي اذا جاء مسلما معترفا او اسلم بعد اقراره كذلك
فهذا ما يتعلق بالتوبة من السب ذكرناه صاحبنا ذكره كما يسره الله

المسئلة الرابعة في بيان السب المذكور والفرق بينه وبين مجرد الكفر وان الساب كافر سواء استحلله ام لا

سبحانه وتعالى وقد حان ان نذكر المسئلة الرابعة فنقول .
 المسئلة الرابعة في بيان السب المذكور والفرق بينه وبين مجرد الكفر .
 وقبل ذلك لابد من تقديم مقدمة وقد كان يلىق ان نذكر في اول المسئلة
 الاولى وذكرها هنا مناسبا ايضا لينكشف سر المسئلة وذلك ان نقول
 ان سب الله او سب رسوله كفر ظاهر او باطنا سواء كان الساب يعتقد
 ان ذلك محرم او كان مستحلا له او كان ذاهلا عن اعتقاده . هذا مذهب
 الفقهاء وسائر اهل السنة اتقائلين بان الايمان قول وعمل . وقد قال
 الامام ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم الجنظلي المعروف بابن راهويه
 وهو احد الائمة يعدل بالشافعي واحمد قد اجمع المسلمون ان من سب الله
 او سب رسوله صلى الله عليه وسلم او دفع شيئا مما انزل الله او قتل نبيا من
 انبياء الله انه كافر ذلك وان كان مقرا بما انزل الله وكذلك قال محمد بن
 سحنون وهو احد الائمة من اصحاب مالك وزمنه قريب من هذه الطبقة
 اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه
 بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر
 وقد نص على مثل هذا غير واحد من الائمة قال احمد في رواية عبد الله
 في رجل قال لرجل يا ابن كذا وكذا اعنى انت ومن خلقت هذا امر تد
 عن الاسلام تضرب عنقه . وقال في رواية عبد الله وابي طالب من شتم النبي
 صلى الله عليه وسلم قتل وذلك انه اذا شتم فقد ارتد عن الاسلام ولا
 يشتم مسلم النبي صلى الله عليه وسلم فبين ان عذا امر تد وان المسلم لا يتصور

ان يشتم وهو مسلم وكذلك نقل عن الشافعي انه مثل عمن هزل بشي من آيات الله تعالى انه قال هو كافر واستدل بقول الله تعالى ابا لله وآبائه ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا وقد كفرتم بعد ايمانكم ✽ وكذلك قال اصحابنا وغيرهم من سب الله كفر سواء كان مازحا او جادا لهذه الآية وهذا هو الصواب المقطوع به ✽ وقال القاضي ابو يعلى في المعتمد من سب الله او سب رسوله فانه يكفر سواء استحل سبه او لم يستحله فان قال لم يستحل ذلك لم يقبل منه في ظاهر الحكم رواية واحدة وكان مرتدا لان الظاهر خلاف ما خبر لانه لا غرض له في سب الله وسب رسوله الا انه غير معتقد لعبادته خير مصدق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويفارق الشارب والقاتل والسارق اذا قال انا غير مستحل لذلك انه يصدق في حكمه لان له غرض في فعل هذه الاشياء مع اعتقاد تحريمها وهو ما يشغل عن اللذة قلل واذا حكمنا بكفره فلانما نحكم به في ظاهر من الحكم فاما في الباطن فان كلن صاد قافيا قال فهو مسلم قلنا ✽ في الزنديق لا تقبل توبته في ظاهر الحكم ✽ وذكر القاضي عن الفقهاء ان سباب النبي صلى الله عليه وسلم ان كان مستحلا كفر وان لم يكن مستحلا فسق ولم يكفر كساب الصحابة وهذا نظير ما يحكى ان بعض الفقهاء من اهل العراق افتى هارون امير المؤمنين فمين سب النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلد حتى انكر ذلك مالك ورد هذه الفتيا مالك وهو نظير ما حكاه ابو محمد بن حزم ان بعض الناس لم يكفر المستخف به ✽ وقد ذكر القاضي عياض بعد ان رد هذه الحكاية عن بعض فقهاء العراق والخلاف الذي ذكره ابن

في الزنديق الحكم

حزم بما نقله من الاجماع عن غير واحد وحمل الحكاية على ان اولئك لم يكونوا
 ممن يوثق بفتواه لئلا يلهي الهوى به او ان الفتوى كانت في كلمة اختلفت في كونها
 سبا او كانت فمين تاب و ذكر ان الساب اذا اقر بالسب ولم يتب منه قتل كفرا
 لان قوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او هو من كلمات الاستهزاء والذم
 فاعترافه بها وترك توبته منها دليل على استحلاله لذلك وهو كفر ايضا قال
 فهذا كافر بلا خلاف وقال في موضع آخر ان من قتله بلا استتابة فهو
 لم يبره ردة وانما يوجب القتل فيه حد او انما نقول ذلك مع انكاره ما شهد عليه
 به او اظهره الا قلاعه عنه والتوبة ونقله حدا كالزندق اذا تاب قال ونحن
 وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا يقطع عليه بذلك لاقرار به بالتوحيد
 وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه ذهولا ومعصية وانه
 مقام عن ذلك نادى عليه قال وامامنا علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
 في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره
 ونحوه فهذا اما لا اشكال فيه وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد
 به وصمم عليه فهو كافر بقوله واستحلاله حرمته الله او حرمة نبيه وهذا
 ايضا تثبت منه بان السب يكفر به لاجل استحلاله لانه اذا لم يكن في نفسه تكذبا
 صريحا وهذا موضع لا بد من تحريره ويجب ان يعلم ان القول بان كفر الساب
 في نفس الامر انما هو لاستحلاله السب زلة منكورة وهفوة عظيمة وبرحم الله
 القاضي ابا علي قد ذكر في غير موضع ما يناقض ما قاله هنا وانما وقع من وقع
 في هذه المهواة بما نقلوه من كلام طائفة من متأخري المتكلمين وهم الجهمية

الاناث الذ بن ذهبوا مذهب الجهمية الاولى في ان الايمان هو مجرد التصديق
الذي في القلب وان لم يقترن به قول اللسان ولم يقتض عملا في القلب
ولا في الجوارح . وصرح القاضي ابو يعلى هنا قال عقب ان ذكر ما حكيناه
عنه وعلى هذا لو قال الكافر انا معتقد بقلبي معرفة الله وتوحيده لكني
لا آتي بالشهادتين كمالا آتي غيرهما من العبادات كسلا لم يحكم باسلامه في
الظاهر ويحكم به باطنا . قال هو قول الامام احمد من قال ان المعرفة تنفع
في القلب من غير ان يتلفظ بها فهو جهمي محمول على احد وجهين
احدهما انه جهمي في ظاهر الحكم . والثاني . على انه يمتنع من الشهادتين
عناد الا انه احتج احمد في ذلك بان ابليس عرف ربه بقلبه ولم يكن مؤمنا
ومعلوم ان ابليس اعتقد انه لا يلزم امثال امره تعالى لا دم . وقد ذكر
القاضي في غير موضع انه لا يكون مؤمنا حتى يصدق بلسانه مع القدرة
وبقلبه وان الايمان قول وعمل كما هو مذهب الائمة كلهم مالك وسفيان
والاوزاعي والليث والشافعي واحمد واسحاق ومن قبلهم وبعدهم من اعيان
الامة وليس الغرض هنا استيفاء الكلام في الاصل وانما الغرض البينة على
ما يختص هذه المسئلة وذلك من وجوه (احدها) ان الحكاية المذكورة
عن الفقهاء انه ان كان مستحلا كفر والا فلا ليس لها اصل وانما نقلها القاضي
من كتاب بعض المتكلمين الذين نقلوها عن الفقهاء وهو لا نقلوا قول
الفقهاء بما ظنوه جارا على اصولهم او بما قد سمعوه من بعض المنتسبين الى
الفقه ممن لا يعد قوله قولاً وقد حكينا نصوص ائمة الفقهاء وحكاية اجماعهم

ممن هو من اعلم الناس بمذاهبهم فلا يظن ظان ان في المسئلة خلافا يجعل
 المسئلة من مسائل الخلاف والاجتهاد وانما ذلك غلط لا يستطيع احد ان
 يحكي عن واحد من الفقهاء ائمة الفتوى هذا التفصيل البتة (الوجه الثاني)
 ان الكفر اذا كان هو الاستحلال فانما معناه اعتقاد ان السب حلال فانه
 لما اعتقد ان ما حرمه الله تعالى حلال كفر ولا ريب ان من اعتقد في المحرمات
 المعلوم تحريمها انها حلال كفر لكن لا فرق في ذلك بين سب النبي وبين
 قذف المؤمنين والكذب عليهم والغيبة لهم الى غير ذلك من الاقوال
 التي علم ان الله حرمها فانه من فعل شيئا من ذلك مستحلا كفر مع انه
 لا يجوز ان يقال من قذف مسلما او اغتابه كفر ويعني بذلك اذا استحله
 (الوجه الثالث) ان اعتقاد حل السب كفر سواء اقترن به وجود السب او
 لم يقرن فاذا لا اثر للسب في التكفير وجودا وعدما وانما المؤثر هو الاعتقاد وهو
 خلاف ما اجمع عليه العلماء (الوجه الرابع) انه اذا كان المكفر هو اعتقاد
 الحل فليس في السب ما يدل على ان الساب مستحل فيجب ان لا يكفر
 لا سيما اذا قال انا اعتقد ان هذا حرام وانما اقول غيظا وسفها وعبثا
 او لعبا كما قال المنافقون انما كنا نخوض ونلعب وكما اذا قال انما قذفت هذا
 وكذبت عليه لعبا وعبثا فان قيل لا يكونون كفارا فهو خلاف
 نص القرآن وان قيل يكونون كفارا فهو تكفير بغير موجب اذا
 لم يجعل نفس السب مكفرا وقول القائل انا لا اصدقه في هذا لا يستقيم فان
 التكفير لا يكون بامر محتمل فاذا كان قد قال انا اعتقد ان ذلك ذنب

ومعصية وانما فعله فكيف يكفر ان لم يكن ذلك كفرا ولهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم . ولم يقل قد كذبت في قولكم انما كنا نخوض ونلعب فلم يكذبهم في هذا العذر كما كذبهم في سائر ما اظهروه من العذر الذي يوجب براءتهم من الكفر لو كانوا صادقين بل بين انهم كفروا بعد ايمانهم بهذا الخوض واللعب واثبت ان مذهب سلف الامة ومن اتبعهم من الخلف ان هذه المقالة في نفسها كفر استحلها صاحبها ولم يستحلها قال ليل على ذلك جميع ما قد مناه في المسئلة الاولى من الدليل على كفر الساب مثل قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وقوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وما ذكرناه من الاحاديث والآثار فمناهو ادلة بينة في ان نفس اذى الله ورسوله كفر مع قطع النظر عن اعتقاد التحريم وجوبها وعدمها فلا حاجة الى ان نعيد الكلام هنا بل في الحقيقة كمال على ان الساب كافرا وانه حلال الدم لكفره فقد دل على هذه المسئلة اذ لو كان الكفر المبيع هو اعتقاد ان السب حلال لم يجوز تكفيره وقتله حتى يظهر هذا الاعتقاد ظهورا ثبت بمثله الاعتقادات المبيحة للدماء . ومنشأ هذه الشبهة التي اوجبت هذا الزعم من المتكلمين ومن هذا حظوهم من الفقهاء انهم رأوا ان الايمان هو تصديق الرسول فيما اخبر به ورأوا ان اعتقاد صدقه لا ينافي السب والشتم بالذات كما ان اعتقاد ايجاب طاعته لا ينافي معصيته فان الانسان قد يهين من يعتقد وجوب اكرامه كما يترك ما يعتقد وجوب فعله ويفعل ما يعتقد

الاجاب
على الله عليه وسلم لازم
التعظيم والتعظيم للرسول

وجوب تركه ثم رأوا ان الامة قد كفرت الساب فقالوا انما كفر لان
سبه دليل على انه لم يعتقد انه حرام واعتقاد حله تكذيب للرسول فكفر
بهذا التكذيب لا بتلك الالهاته وانما الالهاته دليل على التكذيب فاذا
فرض انه في نفس الامر ليس بمكذب كان في نفس الامر مؤمنا وان
كان حكم الظاهر انما يجري عليه بما اظهره فهذا ماخذ المرجئة ومعتضد بهم
وهم الذين يقولون الايمان هو الاعتقاد والقول وغلاتهم وهم الكرامية
الذين يقولون مجرد القول وان عرى عن الاعتقاد واما الجهمية الذين
يقولون هو مجرد المعرفة والتصديق بالقلب فقط وان لم يتكلم بلسانه
فلهذا ماخذ آخر وهو انه قد يقول بلسانه ما ليس في قلبه فاذا كان في قلبه
التعظيم والتوقير للرسول لم يقدح اظهار خلاف ذلك بلسانه في الباطن
كما لا ينفع المنافق اظهار خلاف ما في قلبه في الباطن * وجواب الشبهة
الاولى من وجوه (احدها) ان الايمان وان كان اصله تصديق القلب
فذلك التصديق لا بد ان يوجب حالا في القلب وعملا له وهو تعظيم
الرسول واجلاله ومحبته وذلك امر لازم كالتالم والنعيم عند الاحساس
بالمول والمنعم وكالنفرة والشهوة عند الشعور بالملائم والمنافي فاذا لم تحصل
هذه الحال والعمل في القلب لم ينفع ذلك التصديق ولم يغن شيئا
وانما يمنع حصوله اذا عارضه معارض من حسد الرسول والتكبر عليه
او الاهمال له واعتراض القلب عنه ونحو ذلك كما ان ادراك الملائم والمنافي
يوجب اللذة والالم الا ان يعارضه معارض ومثي حصل المعارض كان وجود

ذلك التصديق كعدمه كما يكون وجود ذلك كعدمه بل يكون ذلك
 المعارض موجبا لعدم الملول الذي هو حال في القلب وبتوسط عدمه
 يزول التصديق الذي هو العلة فينقاع الايمان بالكلية من القلب وهذا هو
 الموجب لكفر من حسد الانبياء او تكبر عليهم او كره فراق الالف والعادة
 مع علمه بانهم صادقون وكفرهم اغلظ من كفر الجاهل • الثاني • ان الايمان
 وان كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق وانما هو الاقرار والطمانية
 وذلك لان التصديق انما يعرض للخبر فقط فاما الامر فليس فيه تصديق من
 حيث هو امر وكلام الله خبر و امر فالخبر يستوجب تصديق الخبر والامر
 يستوجب الاتقياد له والاستسلام وهو عمل في القلب جماعه الخضوع
 والاتقياد للامر وان لم يفعل المأمور به فاذا قوبل الخبر بالتصديق والامر
 بالاتقياد فقد حصل اصل الايمان في القلب وهو الطمانية والقرار فان اشتقاقه
 من الامن الذي هو القرار والطمانية وذلك انما يحصل اذا استقر في القلب
 التصديق والاتقياد واذا كان كذلك فالسبب اهانة واستخفاف والاتقياد للامر
 اكرام واعزاز ومحال ان يهين القلب من قد انقاد له وخضع واستسلم او
 يستخف به فاذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع ان يكون فيه
 اتقياد واستسلام فلا يكون فيه ايمان وهذا هو بعينه كفر ابليس فانه سمع
 امر الله فلم يكذب رسولا ولكن لم ينقاد للامر ولم يخضع له واستكبر عن
 الطاعة فصار كافرا وهذا موضع زاع فيه خلق من الخلف تخيل لهم ان
 الايمان ليس في الاصل الا التصديق ثم يرون مثل ابليس وفرعون ممن لم يصدر

الاستخفاف من الطمع محال ✽

عنه تكذيب او صد ر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من اغلظ الكفر
 فتجبرون ولو انهم هدوا لما هدى اليه السلف الصالح العلماء ان الايمان قول وعمل
 اعني في الاصل قولاً في القلب وعمل في القلب فان الايمان بحسب كلام الله ورسالة
 وكلام الله ورسالة يتضمن اخباره واوامره فيصدق القلب اخباره تصديقاً يوجب
 حالاً في القلب بحسب المصدق به والتصديق هو من نوع العلم والقول وينقاد لامره
 ويمتثل له وهذا الاتقياد والاستسلام هو من نوع الارادة والعمل ولا يكون
 موافقاً الا بجموع الامرين فمتى ترك الاتقياد كان مستكبراً فصار من الكافرين
 وان كان مصداقاً للكفر اعم من التكذيب يكون تكذيباً وجهلاً ويكون
 استكباراً وظلماً لهذا لم يوصف ابليس الا بالكفر والاستكبار دون التكذيب
 ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر ابليس وكان
 كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالاً وهو الجهل . الا ترى ان نفراً من
 اليهود جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن اشياء فاخبرهم فقالوا
 نشهد انك نبي ولم يتبعوه وكذلك هرقل وغيره فلم ينفعهم هذا العلم وهذا
 التصديق الا ترى ان من صدق الرسول بان ما جاء به هو رسالة الله وقد
 تضمنت خبراً وامراً فانه يحتاج الى مقام ثان وهو تصديقه خبر الله واتقياده
 لامر الله فاذا قال اشهد ان لا اله الا الله فهذا الشهادۃ تتضمن تصديق خبره
 والاتقياد لامره واشهد ان محمداً رسول الله تضمنت تصديق الرسول فيما جاء
 به من عند الله فبجموع هذه الشهادات يتم الاقرار فلما كان التصديق لا بد
 منه في كلا الشهادات وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول ظن من ظن انه

اصل لجميع الايمان وغفل عن ان الاصل الآخر لا بد منه وهو الاتقياد والا
فقد يصدق الرسول ظاهرا وباطنا ثم يمتنع من الاتقياد للامر اذ غايته في
تصدق الرسول ان يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه وتعالى
كالبليس وهذا مما يبين لك ان الاستهزاء بالله او برسوله ينافي الاتقياد له
لانه قد بلغ عن الله انه امر بطاعته فصار الاتقياد له من تصديقه في خبره فمن
لم ينقد لامره فهو اما كذاب له او ممتنع عن الاتقياد لربه وكلاهما كفر صريح
ومن استخف به واستهزا بقلبه امتنع ان يكون منقاد الامر فان الاتقياد
اجلال واكرام والاستخفاف اهانته واذلال وهذا ان فتن حصل في
القلب احدهما اتنى الآخر فعلم ان الاستخفاف والاستهانة به ينافي الايمان
منافاة الضد للضد (الوجه الثالث) ان العبد اذا فعل الذنب مع اعتقاد ان
الله حرمه عليه واعتقاد اتقياده لله فيها حرمه واوجبه فهذا ليس بكافر فاما
ان اعتقد ان الله لم يحرمه او انه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم
واي ان يذ عن الله وينقاد فهو اما جاحد او معاند ولهذا قالوا من عصي الله
مستكبرا كالبليس كفر بالاتفاق ومن عصي مشتبها لم يكفر عند اهل السنة
والجماعة وانما يكفره الخوارج فان العاصي المستكبر وان كان مصداق ايمان الله
ربه فان معانده له ومحادته تنا في هذا التصديق وبيان هذا ان من فعل
المحارم مستحلا لها فهو كافر بالاتفاق فانه ما آمن بالقرآن من استحلال محارمه وكذلك
لو استحلتها من غير فعل والاستحلال اعتقاد ان الله لم يحرمها وتارة بعدم
اعتقاد ان الله حرمها وهذا يكون لحلل في الايمان بالربوبية والحلل في

❦ بين الايمان والاستخفاف منافاة ❦

الايان بالرسالة ويكون جحدا محضا غير مبني على مقدمة وتارة
يعلم ان الله حرمها ويعلم ان الرسول انما حرم ما حرمه الله ثم يمتنع
عن التزام هذا التحريم ويعاند المحرم فهذا اشد كفرا من قبله وقد يكون
هذا مع علمه ان من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه ثم ان هذا
الامتناع والاباء اما لخلل في اعتقاد حكمة الامر وقد رته فيعود هذا الى عدم
التصديق بصفة من صفاته وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به
تمردا او اتباعا لغرض النفس وحقيقته كفر هذا لانه يعترف لله ورسوله
بكل ما اخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك
ويغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشيته ويقول انا لا اقر بذلك
ولا التزمه وانبض هذا الحق وانفر عنه فهذا نوع غير النوع الاول وتكفير
هذا معلوم بالا اضطراب من دين الاسلام والقرآن مملو من تكفير مثل
هذا النوع بل عقوبته اشد وفي مثله قيل اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم
لم ينفعه الله بعلمه وهو ابليس ومن سلك سبيله وبهذا يظهر الفرق بين
الماضي فانه يعتقد وجوب ذلك الفعل عليه ويجب انه يفعله لكن
الشهوة والنفرة منعه من الموافقة فقد اتى من الايمان بالتصديق والخضوع
والانقياد وذلك قول وقول لكن لم يكمل العمل واما اهانة الرجل من
يعتقد وجوب كرامته كالوالدين ونحوهما فلانه لم يهن من كان الانقياد له
والا كرام شرط في ايمانه وانما اهان من اكرامه شرط في بزه وطاعته
وتقواه وجانب الله والرسول انما كفر فيه لانه لا يكون مؤمنا حتي يصدق

تصد يقاتيقتضي الخضوع والانتقياد فحيث لم يقبضه لم يكن ذلك التصديق
 ايمانا بل كان وجوده شر من عدمه فان من خلق له حياة وادراك ولم يرزق
 الا العذاب كان فقد تلك الحياة والادراك احب اليه من حياة ليس فيها
 الا الالم واذا كان التصديق ثمرته صلاح حاله وحصول النعم له واللذة في
 الدنيا والآخرة فلم يحصل معه الا فساد حاله والبؤس والالم في الدنيا والآخرة
 كان ان لا يوجد احب اليه من ان يوجد ههنا كلام طويل في تفصيل هذه
 الامور ومن حكم الكتاب والسنة على نفسه قولوا فعلا ونور الله قلبه تبين له
 ضلال كثير من الناس ممن يتكلم برأيه في سعادة النفوس بعد الموت
 ويشقونها جريا على منهاج الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسل الله به
 رسله ونبذوا الكتاب وراء ظهورهم واتبعوا ما ملأ الشياطين
 هواما الشبهة الثانية فجوابها من ثلاثة اوجه • احدها • ان من تكلم بالنكذيب
 والجحد وسائر انواع الكفر من غير اكرام على ذلك فانه يجوز ان يكون مع
 ذلك في نفس الامر مؤمنا ومن جوز هذا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
 • الثاني • ان الذي عليه الجماعة ان من لم يتكلم بالايمان بلسانه من غير عذر
 لم ينفعه ما في قلبه من المعرفة وان القول من القادر عليه شرط في صحة
 الايمان حتى اختلفوا في تكفير من قال ان المعرفة تنفع من غير
 عمل الجوارح وليس هذا موضع تقرير هذا وما ذكره القاضي رحمه الله
 من التاويل لكلام الامام احمد فقد ذكر هو وغيره خلاف ذلك
 في غير موضع وكذلك ما دل عليه كلام القاضي عياض فان ما لكا وسائر

الفقهاء من التابعين ومن بعدهم الا من ينسب الى بدعة قالوا الايمان قول وعمل وبسط هذه مكان غير هذا الثالث ان من قال ان الايمان مجرد معرفة القلب من غير احتياج الى المنطق باللسان يقول لا يعتقر الايمان في نفس الامر الى القول الذي يوافق باللسان لا يقول ان القول الذي ينافي الايمان لا يبطله فان القول قولان قول يوافق تلك المعرفة وقول يناقضها فب ان القول الموافق لا يشترط لكن القول المخالف يناقضها فمن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامدا لما علم بانها كلمة كفر فانه يكفر بذلك ظاهرا وباطنا ولا تانجز ان يقال انه في الباطن يجوز ان يكون مؤمنا ومن قال ذلك فقد حرق من الاسلام قال سبحانه من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فطعنهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ومعلوم انه لم يرد بالكفر هنا اعتقاد القلب فقط لان ذلك لا يكره الرجل عليه وهو قد استثنى من اكره ولم يرد من قال واعتقد لانه استثنى المكره وهو لا يكره على العقد والقول وانما يكره على القول فقط فلم انه اراد من تكلم بكلمة الكفر فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم وانه كافر بذلك الا من اكره وهو مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا من المكرهين فانه كافر ايضا فصار من تكلم بالكفر كافر الا من اكره فقال بلسانه كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وقال تعالى في حق المستهزئين لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فبين انهم كفار بالقول مع انهم لم يعتقدوا وصحته وهذا باب واسع والفقهاء فيه ما تقدم من

الصديق بوجوب المحبة والتعظيم وينبغي اراده فعل فيه استهانة

فصل

في بيان كيفية استهانة

ان التصديق بالقلب يمنع ارادة التكلم و ارادة فعل فيه استهانة واستخفاف كما انه يوجب المحبة والتعظيم واقتضاه وجود هذا وعدم هذا امر جرت به سنة الله في مخلوقاته كاقضاء ادراك الموافق للذة وادراك المخالف للالم فاذا عدم المعلول كانت مستلزما لعدم العلة واذا وجد الضد كان مستلزما لعدم الضد الآخر فالكلام والفعل المنضم للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع ولعدم الاتقياد والاستسلام فلذلك كان كفره واعلم ان الايمان وان قيل هو التصديق فالقلب يصدق بالحق والقول يصدق في القلب والعمل يصدق في القول والتكذيب بالقول مستلزم للتكذيب بالقلب ورافع للتصديق الذي كان في القلب اذا عمل الجوارح يؤثر في القلب كما ان اعمال القلب يؤثر في الجوارح فانما قام به كفر تعدى حكمه الى الآخر والكلام في هذا واسع وانما نبهنا على هذه المقدمة

☆ فصل ☆

ثم نعود الى مقصود المسئلة فنقول قد ثبت ان كل سب و شتم يبيح الدم فهو كفر وان لم يكن كل كفر سباً ونحن نذكر عبارات العلماء في هذه المسئلة قال الامام احمد كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم او تنقصه مسلماً كان او كافراً فعليه القتل و ارى ان يقتل ولا يستتاب . وقال في موضع آخر كل من ذكر شيئاً يعرض بذكر الرب سبحانه وتعالى فعليه القتل مسلماً كانت او كافراً وهذا مذهب اهل المدينة . وقال اصحابنا التعريض بسب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم ردة وهو موجب للقتل كالنصر

ولا يختلف اصحابنا ان قذف ام النبي صلى الله عليه وسلم من جملة سببه
الموجب للقتل واغلاظ لان ذلك يفضي الى القدح في نسبه وفي عبارة
بعضهم اطلاق القول بان من سب ام النبي صلى الله عليه وسلم يقتل
مسما كان او كافرا ويتبعى ان يكون من اذ هم بالسب هنا القذف كما صرح
به الجمهور لما فيه من سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال القاضي
عياض جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا
في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به شبهة بشي على
طريق السب له والازراء عليه او البغض منه والعيب له فهو سائب له
والحكم فيه حكم الساب يقتل ولا تستثن فصلا من فصول هذا الباب عن
هذا المقصد ولا تترفيه تصريحاً كان او تلويحاً وكذا لك من لعنه او ثني
مضرة له اودع عليه او نسب اليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم او عيبه
في جهة العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او غيره
بشي مما يجري من البلاء والمحنة عليه او غمضه ببعض العوارض البشرية
الجائزة والمعهود لديه قال وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من
لدن اصحابه هلم جراه وقال ابن القاسم عن مالك من سب النبي صلى الله
عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القاسم او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل
كأنه ينفق وقد فرض الله توقيره وكذا لك قال مالك في رواية المدنين
عنه من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلماً
كان او كافراً ولا يستتاب وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رد آء

يقتل من قال ان رده صلى الله عليه وسلم وسخ و اراد به عيبه ☆

النبى صلى الله عليه وسلم و روى برده و سخ و اراد به عيبه قتل و روى
بعض المالكية اجماع العلماء على ان من د عا على نبى من الانبياء بالويل او بشى من
المكروه انه يقتل بلا استتابة و ذكر القاضى عياض اجوبة جماعة من فقهاء المالكية
المشاهير بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة افتى في كل قضية بعضهم (منها)
رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبى صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل
فبيح الوجه والهيئة فقال تريدون تعرفون صفته هذا المار في خلقه ولحيته
(ومنها) رجل قال النبى (صلى الله عليه وسلم) اسود (ومنها) رجل قيل له
لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا ثم قيل له مات قول
ياعدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقب
قالوا لان ادعاء التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موفر له فوجبت اباحة دمه (ومنها)
عشار قال ادوا شك الى النبى او قال ان سالت او جهلت فقد سأل النبى وجهل
(ومنها) متفق عليه كان يستخف بالنبى صلى الله عليه وسلم ويسميه في اثناء مناظرته اليتم
وختن حيدره و يزعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لا كلها واشباه
هذا قال فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا و نقصا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدمهم ومتأخرهم وان اختلفوا في سبب حكم قتله وكذلك قال ابو حنيفة
واصحابه فبين تنقصه او برئ منه او كذب به انه مرتد وكذلك قال اصحاب
الشافعى كل من تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيه استهانة فهو كالسب
الصريح فان الاستهانة بالنبى كره و هل يتحتم قتله او يسقط بالتوبة على الوجهين

وقد نص الشافعي على هذا المعنى فقد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على ان التنقص له كفر مبيح للدم وهم في استنباطه على ما تقدم من الخلاف ولا فرق في ذلك بين ان يقصد عيبه لكن المقصود شيء آخر حصل السب تبعاله او لا يقصد شيئا من ذلك بل يهزل ويمزح او يفعل غير ذلك فهذا كله يشترك في هذا الحكم اذا كان القول نفسه سبافان الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت يهوى بها في النار ابعد مما بين المشرق والمغرب ومن قال ما هو سب وتنقص له فقد آذى الله ورسوله وهو ماخوذ بما هو ذى به الناس من القول الذى هو فى نفسه اذى وان لم يقصد اذاهم لم تسمع الى الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب فقال الله تعالى ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * وهذا مثل من يغضب فيذكر له حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم او حكم من حكمه او يدعى الى سنته فيلعن ويقبح ونحو ذلك وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فاقسم سبحانه بنفسه انهم لا يؤمنون حتى يحكموه ثم لا يجدوا في نفوسهم حرجا من حكمه فمن شاجر غيره في حكم وحرج لذكر رسول الله صلى الله وسلم حتى الخش في منطقته فهو كافر بنص التنزيل ولا يعذر بان مقصوده رد الخصم فان الرجل لا يؤمن حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وحتى يكون الرسول احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين * ومن هذا الباب قول القائل ان هذه لقسمة ما ارى بها وجه الله وقول

الاخر اعدل فانك لم تعدل وقول ذلك الانصاري ان كان ابن عمك فان
 هذا كفر محض حيث زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم انما حكم للزيرلانه
 ابن عمه ولذلك انزل الله تعالى هذه الآية واقسم انهم لا يؤمنون حتى
 لا يجدوا في انفسهم حرجا من حكمه وانما عفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم
 كما عفا عن الذي قال ان هذه لقسمة ما يريد بها وجه الله . وعن الذي قال
 اعدل فانك لم تعدل . وقد ذكرنا عن عمر رضى الله عنه انه قتل رجلا
 لم يرض بحكم النبي صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن بموافقته فكيف بمن طعن في
 حكمه . وقد ذكر طائفة من الفقهاء منهم ابن عقيل وبعض اصحاب الشافعي ان هذا
 كان عقوبته التعزير . ثم منهم من قال لم يعزره النبي صلى الله عليه وسلم لان التعزير
 واجب . ومنهم من قال عفا عنه لان الحق له . ومنهم من قال عاقبه بان
 امر الزير ان يسقى ثم يحبس الماء حتى يرجع الى الجدر وهذه اقوال ردية
 ولا يستريب من تأمل في ان هذا كان يستحق القتل بعد نص القرآن ان من
 هو بمثل حاله ليس بمؤمن . فان قيل . ففي رواية صحيحة انه كان من اهل بدر
 وفي الصحيحين عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وما يدريك لعل الله
 اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . ولو كان هذا القول
 كفرا للزم ان يغفر الكفر والكفر لا يغفر ولا يقال عن بدرى انه كفر
 فيقال هذه الزيادة ذكرها ابو اليمان عن شعيب ولم يذكرها اكثر الرواة
 فيمكن انها وهم كما وقع في حديث كعب وهلال بن امية انها لم يشهدا بدر
 وكذلك لم يذكره ابن اسحاق في روايته عن الزهري لكن الظاهر صحتها

فنقول ليس في الحديث ان هذه القصة كانت بعد بد وفعلها كانت قبل بد وسمى الرجل بد ريان عبد الله بن الزير حدث بالقصة بعد ان صار الرجل بد ريان عبد الله بن الزير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاض في شراخ الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فاني عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزير اسق يا زير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمك فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال للزير اسق يا زير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزير والله لا فاني احسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم متفق عليه وفي رواية للبخاري من حديث عروة قال فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزير برأى اراد فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ (١) الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزير حقه في صريح الحكم وهذا يقوى ان القصة متقدمة قبل بد ريان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في سبل مهزوران الا على يسقى ثم يحبس حتى يبلغ الماء الى الكمينه فلو كانت قصة الزير بعد هذا القضاء لكان قد علم وجه الحكم فيه وهذا القضاء الظاهر انه متقدم من حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم لان الحاجة الى الحكم فيه من حين

(١) اجفظ بمعنى اغضب وفي مجمع البحار مهزور وادي بني قريظة وهو راي فزاي ١٢

قدم ولعل قصة الزبير او جبت هذا القضاء ✽ وايضا فان هوءاء الآيات
قد ذكر غير واحد ان اولها نزل لما اراد بعض المنافقين ان يحاكم يهوديا
الى ابن الاشرف وهذا انما كان قبل بدر لان ابن الاشرف ذهب عقب
بدر الى مكة فلما رجع قتل فلم يستقر بعد بدر بالمدينة استقر ارا يتحاكم اليه فيه
وان كانت القصة بعد بدر فان القائل لهذه الكلمة يكون قد تاب واستغفر
وقد عفا له النبي صلى الله عليه وسلم عن حقه فغفر له والمضمون لاهل
بدر انما هو المغفرة اما بان يستغفروا ان كان الذنب مما لا يغفر الا
بالاستغفار او لم يكن كذلك واما بدون ان يستغفروا الا ترى
ان قدامة بن مظعون وكان بدريا ثاول في خلافة عمر ماتا اول في
استحلال الحرم من قوله تعالى لبس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا الا يتحتى اجمع رأى عمر واهل الشورى ان يستتاب هو واصحابه
فان اقرروا بالتحريم جلدوا وان لم يقرروا به كفروا ثم انه ثاب وكاد يشس لعظم
ذنبه في نفسه حتى ارسل اليه عمر رضى الله عنه باول غافر فعلم ان
المضمون للبدر بين ان خاتمهم حسنة وانهم مغفور لهم وان جاز ان يصد ر
عنهم قبل ذلك ما عسى ان يصد ر فان التوبة تجب ما قبلها واذ اثبت ان كل
سب تصريح او تعريض موجب للقتل فالذى يجب ان يعتنى به الفرق بين
السب الذى لا تقبل منه التوبة والكفر الذى تقبل منه التوبة ✽ فنقول ✽
هذا الحكم قد نيط في الكتاب والسنة باسم اذى الله ورسوله وفي بعض
الاحاديث ذكر الشتم والسب وكذلك جاء في الفاظ الصحابة والفقهاء

السب ما بعد في العرف سباً

فصل في التفريق بين مجرد كفر الذي وبين سبه

ذكر السب والشتم والاسم اذا لم يكن له حد في اللغة كاسم الارض والسما
والبحر والشمس والقمر ولا في الشرع كاسم الصلاة والزكاة والحج
والايمان والكفر فانه يرجع في حده الى العرف كالقبض والحرز والبيع
والرهن والكرى ونحوها فيجب ان يرجع في الاذى والسب والشتم الى
العرف فاعده اهل العرف سبوا انتقاصا لوعيا او طعنا ونحو ذلك فهو من
السب وما لم يكن كذلك فهو كفر به فيكون كفرا ليس بسب حكم
صاحبه حكم المرتد ان كان مظهرا له والا فهو زندقه والمعتبر ان يكون
سبوا اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن سبوا اذى لغيره فعلى هذا
كل ما لوقيل لغير النبي صلى الله عليه وسلم اوجب تعزيرا او حدا ابوجه من الوجوه
فانه من باب سب النبي صلى الله عليه وسلم كالقذف واللعن وغيرها من
الصور التي تقدم التنبيه عليها ولما ما يختص بالقدح في النبوة فان لم ينضم
الامر لعدم التصديق بنبوته فهو كفر محض وان كان فيه استخفاف واستهانة
مع عدم التصديق فهو من السب وهنا مسائل اجتهدية يتردد الفقهاء هل
هي من السب او من الردة المحضة ثم ما ثبت انه ليس بسب فان استسره به
صاحبه فهو زنديق حكمه حكم الزنديق والافهومي ند محض واستقصاء
الانواع والفرق بينها ليس هذا لموضعه .

فصل

فاما الذي فيجب التفريق بين مجرد كفره به وبين سبه فان كفره به
لا ينقض العهد ولا يبيح دم المعاهد بالاتفاق لان اصل الحنأهم على هذا ولما سبه له فانه

ينقض العهد ويوجب القتل كما تقدم قال القاضي ابو يعلى عقد الامان يوجب اقرارهم على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لا على شتمهم وسبهم له وقد تقدم ان هذا الفرق ايضا معتبر في المسلم حيث قتلناه بخصوص السب وكونه موجبا للقتل حدامن الحدود بحيث لا يسقط بالتوبة وان صحت واما حيث قتلناه لدلالة على الزندقة او لمجرد كونه مرتد افلا فرق حينئذ بين مجرد الكفر وبين ما يضمنه من الانواع فنقول الآثار عن الصحابة والتابعين والفقهاء مثل مالك واحمد وسائر الفقهاء القائلين بذلك كلها مطلقة في شتم النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او معاهد فانه يقتل ولم يفصلوا بين شتم وشتم ولا بين ان يكرر الشتم اولا يكرره او يظهره اولا يظهره واعنى بقولى لا يظهره ان لا يتكلم به في ملائمة المسلمين والا فالحد لا يقام عليه حتى يشهد مسلمان انها سمعاه يشتمه او حتى يقر بالشتم وكونه يشتمه بحيث يسمعه المسلمون اظهار له اللهم الا ان يرض انه شتمه في بيته خاليا فسمعه جيرانه المسلمون او من استرق السمع منهم قال مالك واحمد كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم او تنقصه مسلما كان او كافرا فانه يقتل ولا يستتاب فنصاعلى ان الكافر يجب قتله بتنقصه له كما يقتل بشتمه وكما يقتل المسلم بذلك وكذا لك اطلاق سائر اصحابنا ان سب النبي صلى الله عليه وسلم من الذمى يوجب القتل وذكر القاضي وابن عقيل وغيرهما ان ما يبطل الايمان فانه يبطل الامان اذا اظهره فان الاسلام او كد من عقد الذمة فاذا كان من الكلام ما يبطل حقن الاسلام فان يبطل حقن الذمة اولى مع الفرق بينهما من وجه آخر فان المسلم اذا سب

الرسول ذل على سوء اعتقاده في رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلذلك كفر والذمي قد علم ان اعتقاده ذلك واقربنا على اعتقاده
وانما اخذ عليه كتمه وان لا يظهره فبقي تفاوت ما بين الاظهار والاضمار
قال ابن عقيل فكما اخذ على المسلم ان لا يعتقد ذلك اخذ على الذمي
ان لا يظهره فاظهار هذا كما ضار ذلك واضماره لا ضرر على
الاسلام ولا اضرار فيه وفي اظهاره ضرر وازراء على الاسلام ولهذا
ما بطن من الجرائم لا يتبعها في حق المسلم ولو اظهرها فمنا عليهم حد الله وطرد
القاضي وابن عقيل هذا القياس في كل ما ينقص الايمان من الكلام مثل
التثنية والتثليث كقول النصارى ان الله ثالث ثلاثة ونحو ذلك ان الذمي
متى اظهر ما يعلمه من دينه من الشرك نقض العهد كما انه ان اظهر ما يعلمه بقوله
في نبينا صلى الله عليه وسلم نقض العهد قال القاضي وقد نص احمد على ذلك فقال
في رواية حنبل كل من ذكر شيئا يعرض به الرب فعلبه القتل مسلما كان كافرا
وهذا مذاهب اهل المدينة وقال جعفر بن محمد سمعت ابا عبد الله يسأل
عن يهودى مر بموذن وهو يوءذن فقال له كذبت فقال يقتل لانه شتم
فقد نص على قتل من كذب الموذن في كلمات الاذان وهي قول الله اكبر
او اشهد ان لا اله الا الله او اشهد ان محمدا رسول الله وقد ذكرها الخلال والقاضي
في سب الله بناء على انه كذب به فيما يتعلق بذكر الرب سبحانه والاشبه انه
عام في تكذيبه فيما يتعلق بذكر الرب وذكر الرسول بل هو في هذا الاولى
لان اليهودى لا يكذب من قال لا اله الا الله ولا من قال الله اكبر وانما

يكذب من قال ان محمدا رسول الله وهذا قول جمهور المالكين قالوا انه يقتل
بكل سب سواء كانوا يستحلونه او لا يستحلونه لانهم وان استحلوه فانالم نعظمهم
العهد على اظهاره وكما لا يحسن الاسلام من سبه كذا لك لا تحسن منه الذمة
وهو قول ابي مصعب وطائفة من المدنيين ✽ قال ابو مصعب في نصراني قال
والذي اصطفى عيسى على محمد اختلف العلماء فيه فضرته حتى قتله او عاش
يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب
✽ وقال ابو مصعب في نصراني قال عيسى خلق محمد ا قال يقتل وافتى
سلف الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفى الربوية وبنوة عيسى لله
وقال ابن القاسم فيمن سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه
قرآن وانما هوشى يقوله ونحو هذا فيقتل وان قال ان محمدا لم يرسل
الينا وانما ارسل اليكم وانما نينا موسى او عيسى ونحو هذا لاشي عليهم لان الله
اقرهم على مثله ✽ قال ابن القاسم واذا قال النصراني دينا خير من دينكم انما
دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهدان محمدا
رسول الله فقال كذا لك يعظمكم الله في هذا الادب الموجه والسجن الطويل
وهذا قول محمد بن سحنون وذكره عن ابيه ولم قول آخر فيما اذا سبه
بالوجه الذي به كفروا انه لا يقتل ✽ قال سحنون عن ابن القاسم من شتم
الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا
ان يسلم ✽ وقال سحنون في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت بعاقب
العقوبة الموجهة مع السجن الطويل . وقد تقدم نص الامام احمد في مثل

هذه الصورة على القتل لانه شتم • وكذلك اختلف اصحاب الشافعي في السب الذي ينتقض به عهد الذمي ويقتل به اذا قلنا بذلك على وجهين • احدهما • ينتقض بمطلق السب لئبناو القدح في ديننا اذا اظهره وان كانوا يعتقدون ذلك ديننا وهذا قول اكثرهم • والثاني • انهم ان ذكروه بما يعتقدونه فيه دينامن انه ليس برسول والقرآن ليس بكلام الله فهو كاظهارهم قولهم في المسيح ومعتقدهم في التثليث قالوا وهذا لا ينتقض العهد بل ان رد بل يعزرون على اظهاره • واما ما ذكروه بما لا يعتقدونه ديننا كالطعن في نسبه فهو الذي قيل فيه ينتقض العهد وهذا اختيار الصيدلاني وابي المعالي وغيرهما • وحجة من فرق بين ما يعتقدونه فيه ديننا وما لا يعتقدونه كما اختاره بعض المالكية وبعض الشافعية انهم قد اقرؤا على دينهم الذي يعتقدونه لكن منعوا من اظهاره فاذا اظهره كان كما لو اظهروا سائر المناكير التي هي من دينهم كالخمر والخنزير والصليب ورفع الصوت بكتابهم ونحو ذلك وهذا انما يستحقون عليه العقوبة والنكال بمادون القتل • يؤيد ذلك ان اظهار معتقدهم في الرسول ليس باعظم من اظهار معتقدهم في الله وقد علم هو • لاء ان اظهار معتقدهم لا يوجب القتل واستبعدوا ان ينتقض عهدهم باظهار معتقدهم اذا لم يكن مذكورا في الشرط وهذا بخلاف ما اذا سبوه بما لا يعتقدونه دينافانالم نقرهم على ذلك ظاهرا ولا باطنا وليس هو من دينهم فصار بمنزلة الزنا والسرقة وقطع الطريق وهذا القول مقارب لقول الكوفيين وقد ظن من سلكه انه خاص بذلك من سوء الهم وليس الامر كما اعتقده

فان الادلة التي ذكرناها من الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار كلها تدل على السب بما يعتقد فيه ديناً وما لا يعتقد فيه ديناً وان مطلق السب موجب للقتل ومن تأمل كل دليل بانفراده لم يخف عليه انها جميعاً تدل على السب المعتقد ديناً كما تدل على السب الذي لا يعتقد ديناً ومنها ما هو نص في السب الذي يعتقد ديناً بل اكثرها كذلك فان الذين كانوا يهجونهم من الكفار الذين اهدروا دماءهم لم يكونوا يهجونهم الا بما يعتقدونه ديناً مثل نسبته الى الكذب والسحر ودم دينه ومن اتبعه وتغير الناس عنه الى غير ذلك من الامور . فاما الطعن في نسبه او خلقه او خلقه او امانه او وفائه او صدقه في غير دعوى الرسالة فلم يكن احد يتعرض لذلك في غالب الامور ولا يتمكن من ذلك ولا يصدق احد في ذلك لا مسلم ولا كافر لظهور كذبه وقد تقدم ذلك فلا حاجة الى اعادة * ثم نقول * هنا الفرق متناهية من وجوه (احدها) ان الذي لو اظهر لعنة الرسول او تقييده او اداء عليه بالسخط وجهنم والعذاب ونحو ذلك . فان قيل . ليس من السب الذي ينتقض العهد كان هذا قولاً مردوداً سبحانه من لعن شخصاً وقبحه لم يبق من سبه غاية . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن المؤمن كقتله * ومعلوم ان هذا اشد من الطعن في خلقه و امانته او وفائه وان قيل هو سب له فقد علم ان من الكفار من يعتقد ذلك ديناً ويرى انه من قربانه كتقرب المسلم بلعن مسيلة والاسود العنسي . (الوجه الثاني) انه على القول بالفرق المذكور اذا سبه

بيان الطعن في نسبه او خلقه او خلقه او امانته او وفائه او صدقه صلى الله عليه وسلم

بما لا يعتقد هـ ديناً مثل الطعن في نسبه او خلقه او خلقه ونحو ذلك فمن اين
ينتقض عهده ويحل دمه ومعلوم انه قد اقر على ما هو اعظم من ذلك من
الطعن في دينه الذي هو اعظم من الطعن في نسبه ومن الكفر بربه الذي
هو اعظم الذنوب ومن سب الله بقوله ان له صاحبة وولداً وانه ثالث
ثلاثة فانه لا ضرر يلحق الامة في دينها باظهار ما لا يعتقد صحته من السب الا و يلحقهم
باظهار ما كفر به اعظم من ذلك فاذا اقر على اعظم السيئ ضرراً فاقرار هـ
على اذناها ضرراً اولي . نعم بينهما من الفرق انه اذا طعن في نسبه او خلقه
فانه يقر لنا بانه كاذب او اهل دينه يعتقدون انه كاذب آثم بخلاف السب
الذي يعتقد هـ ديناً فانه واهل دينه متفقون على انه ليس بكاذب فيه ولا آثم
فيعود الامر الى انه قال كلمة آثم بها عندهم وعندنا لكن في حق من لا حرمة له
عنده بل مثاله عنده ان يقذف الرجل مسيلة او العنسى او ينسبه الى انه كان
اسود او انه كان دعياً او كان يسوقى او كان قومه يستخفون به ونحو ذلك
من الواقعة في عرضه بغير حق ومعلوم ان هذا لا يوجب القتل ولا يوجب
الجلد ايضاً فان العرض يتبع الدم فمن لم يعصم دمه لم يعصن عرضه فلو لم يجب
قتل الذمي اذا سب الرسول لكونه قد قدح في ديننا لم يجب قتله بشئ من
السب ايضاً فان خطب ذلك يسير . يبين ذلك ان المسلم انما قتل اذا
سبه بالقذف ونحوه لان القدح في نسبه قدح في نبوته فاذا كنا باظهار
القدح في النبوة لا تقتل الذمي فان لا تقتله باظهار القدح مما يقدح
في النبوة اولي اذا لو سائل اضعف من المقاصد وهذا البحث اذا حقق اضطر

المنازع الى احد الامرين امامو افقة من قال من اهل للرأى ان العهد لا ينقض
من السب و امامو افقة الله هافى ان العهد يتنقض بكل سب و اما الفرق بين
سب و سب فى انتقاض العهد واستحلال الله م فتهافت ثم انه اذا فرق لم يمكنه
ايجاب القتل و لا تنقض العهد بذلك اصلا و من ادعى وجوب القتل بذلك
و حده لم يمكنه ان يقيم عليه دليلا الثالث ما اذا لم تقتلهم باظهار ما يعتقدونه
د ينالم يمكن ان تقتلهم باظهار شيء من السب فانه ما من احد منهم يظهر شيئا
من ذلك الا و يمكنه ان يقول انى معتقد لذك متدين به و ان كان طعنا
فى النسب كما يتدينون بالقدح فى عيسى و امه عليهما السلام و يقولون على
مر يم بهتانا عظيما ثم انهم فيما بينهم قد يختلفون فى اشياء من انواع السب هل
هى صحيحة عند هم او باطلة و هم قوم بهت ضالون فلا يشاءون ان يأتوا بهتان
و نوع من الضلال الذى لارا د للقلوب منه ثم يقولون هو معتقدنا الا فطوه
فحينئذ لا يقتلون حتى يثبت انهم لا يعتقدونه دينا و هذا القدر هو محل
اختلاف و بعضه لا يعلم الا من جهنهم و قول بعضهم فى بعض غير مقبول
و نحن و ان كنا نعرف اكثر عقائد هم فما تخفى صدورهم اكبر و تجد الكفر
و البدع منهم غير مستنكر فهذا الفرق مفضاة الى حتم القتل بسب الرسول
و هو لعمري قول اهل الرأى و مستند هم ما ابداه هو لا و قد قد منا الجواب
عن ذلك و بينا انما اقررناهم على اخفاء دينهم لا على اظهار باطل قولهم و المجاهرة
بالطعن فى ديننا و ان كانوا يستحلون ذلك فان المعاهدة على تركه صيرته
حراما فى دينهم كالمعاهدة على الكف عن دما و اموا لنا و بينا ان المجاهرة

بكلمة الكفر في دار الاسلام كالمجاهرة بضرب السيف بل اشد على ان الكفر
 اعم من السب فقد يكون الرجل كافرا ولا يسب وهذا هو سر المسئلة فلا بد من
 بسطه . فنقول التكلم في تمثيل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
 صفته ذلك مما يثقل على القلب واللسان ونحن نتعاضد ان تتفوه بذلك ذاكرين
 لكن للاحتياج الى الكلام في حكم ذلك نحن نفرض الكلام في انواع السب
 مطلقا من غير تعيين والفقهاء باخذ حظه من ذلك . فنقول السب نوعان .
 دعاء وخبر . اما الدعاء فمثل ان يقول القائل لغيره لعنه الله او قبحه الله
 او اخزاه الله او لا رحمه الله او لا رضى الله عنه او قطع الله دابره فهذا
 وامثاله سب للانياء ولغيرهم وكذلك لو قال عن نبي لا صلى الله عليه
 او لا سلم او لا رفع الله ذكره او محال الله اسمه ونحو ذلك من الدعاء عليه بما
 فيه ضرر عليه في الدنيا او في الدين او في الآخرة فهذا كله اذا صدر من
 مسلم او معاهد فهو سب فاما المسلم فيقتل به بكل حال . واما الذي يقتل
 بذلك اذا اظهره فاما ان اظهر الدعاء للنبي واطعن الدعاء عليه ابطانا
 يعرف من لحن القول يفهمه بعض الناس دون البعض مثل قوله السلام
 عليكم اذا اخرجه مخرج التحية واظهر انه يقول السلام فبفيه قولان . احدهما
 انه من السب الذي يقتل به وانما كان عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن اليهود
 الذين حيوه بذلك حال ضعف الاسلام بالبقاء عليه لما كان مأمورا بالعفو
 عنهم والصبر على اذاهم وهذا قول طائفة من المالكية والشافعية والحنبلية
 مثل القاضي عبد الوهاب والقاضي ابي يعلى وابي امحاق الشيرازي

وابى الوفاء ابن عقيل وغيرهم ومن ذهب الى ان هذا سب من قال لم يعلم
ان هؤلاء كانوا اهل عهده وهذا قول ساقط لانا قد بينا فيما تقدم ان اليهود
الذين بالمدينة كانوا معاهد بنى وقيل آخرون كان الحق له وله ان يعفو عنهم
فاما بعده فلا عفو والقول الثانى انه ليس من السب الذى ينقض العهد
لانهم لم يظهروا السب ولم يجهروا به وانما اظهروا التحية والسلام لفظا وحالا
وحذفوا اللام جذفا خفا يفتن له بعض السامعين وقد لا يفتن له
الا كثرون ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اذا سلموا فانما يقول احدهم
السام عليكم فقولوا وعليكم فجعل هذا شرعا باقيا في حياته وبعد موته حتى صارت
السنة ان يقال للذى اذا سلم وعليكم او عليكم وكذلك لما سلم عليهم اليهودي
قال اتدرون ما قال انما قال السام عليكم ولو كان هذا من السب الذى
هو سب لوجب ان يشرع عقوبة اليهودي اذا سمع منه ذلك ولو بالجلد فلما
لم يشرع ذلك علم انه لا يجوز ما خذتهم بذلك وقد اخبر الله عنهم
بقوله تعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم
لولا يهدى بنا الله بما نقول حسبه جهنم يصلونها فبئس المصير فجعل عذاب
الآخرة حسبه بدل على انه لم يشرع على ذلك عذابا في الدنيا وهذا
لو انهم قد قرروا على ذلك لقالوا انما قلنا السلام وانما السمع يخطى وانتم
تقولون علينا فكانوا في هذا مثل المناقبين الذين يظهرون الاسلام
ويعرفون في لحن القول ويعرفون بسيماهم فانه لا يمكن عقوبتهم باللحن
والسيما فان موجبات العقوبات لا بد ان تكون ظاهرة الظهور الذى يشترك

فيه الناس وهذا القدر وان كان كفرا من المسلم فانما يكون نقضا للعهد اذا
 اظهره الذمي واتباعه به على هذا الوجه غاية ما يكون من الكتمان والاختفاء
 ونحن لا نناقشهم على ما يسيرونه ويخفونه من السب وغيره وهذا قول
 جماعات من العلماء من المتقدمين ومن اصحابنا والمالكين وغيرهم . ومن
 اجاز هذا القول ممن زعم ان هذا دعاء بالسام وهو الموت على اصح القولين
 او دعاء بالسامة وملال الذين قالوا ان الموت محتوم على الخليفة قالوا وهذا
 تعريض بالاذى لا بالسب وهذا القول ضعيف فان الدعاء على الرسول
 والمؤمنين بالموت وترك الدين من ابلاغ السب كما ان الدعاء بالحياة والعافية
 والصحة والثبات على الدين من ابلاغ الكرامة . النوع الثاني . الخبر فكما
 عد . الناس شتما او سبوا او نقصا فانه يجب به القتل كما تقدم فان الكفر ليس
 مستلزما للسب وقد يكون الرجل كافرا ليس بساب والناس يعلمون علماء ما
 ان الرجل قد يبغض الرجل ويعتقد فيه العقيدة القبيحة ولا يسبه وقد
 يضمر الى ذلك مسبة وان كانت المسبة مطابقة للمعتقد فليس كما يحتمل عقدا
 محتمل قولوا ولا ما يحتمل ان يقال سرا يحتمل ان يقال جهرا والكلمة الواحدة
 تكون في حال مباو في حال ليست بسب فعلم ان هذا يختلف باختلاف الاقوال
 والاعمال واذا لم يكن للسب حد معروف في اللغة ولا في الشرع فالمرجع
 فيه الى عرف الناس فما كان في العرف سبا للنبي فهو الذي يجب ان تنزل
 عليه كلام الصحابة والعلماء وما لا فلا ونحن نذكر من ذلك اقساما فنقول .
 لاشك ان اظهار التنقص والاستهانة عند المسلمين سب كالتسمية باسم

الجمار او الكلب او وصفه بالمسكنة والخزى والمهانة او الاخبار بانه في العذاب
وان عليه آثام الخلايق ونحو ذلك وكذلك اظهار التكذيب على وجه
الطعن في المكذب مثل وصفه بانه ساحر خادع محتال وانه يضر من اتبعه
وان ما جاء به كله زور وباطل ونحو ذلك فان نظم ذلك شعرا كان
ابلاغ في الشتم فان الشعر يحفظ ويروى وهو الهجاء وربما يؤثر في نفوس
كثيرة مع العلم بطلانه اكثر من تأثير البراهين فان غني به بين ملا من
الناس فهو الذي قد تفاقم امره وامام من اخبر عن معتقده بغير طعن فيه مثل ان
يقول انما لست متبعه او لست مصدقه او لا احبه او لا ارضي دينه ونحو ذلك
فانما اخبر عن اعتقاد او ارادة لم يتضمن انتقاصا لان عدم التصديق والمحبة
قد يصدر عن الجهل والعناد والحسد والكبر وتقليد الاسلاف والاف الدين
اكثر مما يصدر عن العلم بصفات النبي خلاف ما اذا قال من كان ومن هو
راى كذا وكذا ونحو ذلك واذا قال لم يكن رسولا ولا نبيا ولم ينزل عليه شئ ونحو
ذلك فهو تكذيب صريح وكل تكذيب فقد تضمن نسبته الى الكذب ووصفه
بانه كذاب لكن بين قوله ليس بنبي وقوله هو كذاب فرق من حيث ان
هذا انما تضمن التكذيب بواسطة علمنا انه كان يقول اني رسول الله وليس
من نفي عن غيره بعض صفاته نفيا مجردا كمن نفاها عنه ناسبا له الكذب
في دعواها والمعنى الواحد قد يؤدى بعبارات بعضها يعد سبوا بعضها لا يعد
سببا وقد ذكرنا ان الامام احمد نص على ان من قال للمؤمن كذبت فهو شاتم
وذلك لان ابتداءه بذلك للمؤمن معلنا بذلك بحيث يسمعه المسلمون طاعنا

في دينهم مكذب باللامه في تصديقها بالوحدانية والرسالة لا ريب انه شتم * فان قيل *
 ففي الحديث الصحيح الذي يرويه الرسول عن الله تبارك وتعالى انه
 قال شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما
 شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما تكذبه اياي فقوله لن يعبدني
 كما بدأني * فقد فرق بين التكذيب والشتم فيقال قوله لن يعبدني كما بدأني
 يفارق قول اليهودي للوذن كذبت من وجهين * احدهما انه لم يصرح
 بنسبته الى الكذب ونحن لم نقل ان كل تكذيب شتم اذ لو قيل ذلك لكان
 كل كافر شاتما وانما قيل ان الاعلان بمقابلة داعي الحق بقوله كذبت سب للامة
 وشتم لها في اعتقاد النبوة وهو سب للنبوة كما ان الذين هجوا من اتباع النبي صلى الله عليه
 وسلم على اتباعهم اياه كانوا سايين للنبي صلى الله عليه وسلم مثل شعربنت مروان وشعر
 كعب بن زهير وغيرهما * واما قول الكافر ان يعيدني كما بدأني فانه تنقي لمضمون خبر الله
 بمنزلة سائر انواع الكفر * الثاني * ان الكافر المكذب بالبعث لا يقول ان الله
 اخبرانه سيعيدني ولا يقول ان هذا الكلام تكذيب لله وان كان تكذيبا
 بخلاف القائل للرسول او لمن صدق الرسول كذبت فانه مقربان هذا طعن
 على المكذب وعيب له وانتقاص به وهذا ظاهر وكل كلام تقدم ذكره في
 المسئلة الاولى من نظم ونحوه وعد النبي صلى الله عليه وسلم سباحتي رتب
 على قائله حكم الساب فانه سب ايضا وكذا ما كان في معناه وقد تقدم ذكر
 ذلك والكلام على اعيان الكلمات لا ينحصر وان جماع ذلك ان ما يعرف الناس
 انه سب فهو سب وقد يختلف ذلك باختلاف الاحوال والاصطلاحات

والعادات وكيفية الكلام ونحو ذلك وما اشبه فيه الامر الحق بنظيره
وشبهه والله سبحانه اعلم ✽

✽ فصل ✽

وكل ما كان من الذمي سبا ينقض عهده و يوجب قتله فان ثبوته منه لا تقبل على
ما تقدم هذا هو الذي عليه عامة اهل العلم من اصحابنا وغيرهم ✽ وقد تقدم
عن الشيخ ابي محمد المقدسي رضي الله عنه انه قال ان الذمي اذا سب النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اسلم سقط عنه القتل وانه اذا قذفه ثم اسلم ففي سقوط القتل
عنه روايتان وينبغي ان يبنى كلامه على انه ان سبه بما يعتقد فيه ديناً سقط عنه
القتل باسلامه كاللعن والتبجيل ونحوه وان سبه بما لا يعتقد فيه كالقذف
لم يسقط عنه لان ما يعتقد فيه كفر محض سقط حده بالاسلام باطنا فيجب
ان يسقط ظاهراً ايضالاً ان سقوط الاصل الذي هو الاعتقاد يستتبع سقوط
فروعه واما ما لا يعتقد فهو فرية يعلم هو انها فرية فهي بمنزلة سائر حقوق
الآدميين وان حمل الكلام على ظاهره في انه يستثنى القذف فقط من
بين سائر انواع السب فيمكن ان يوجه بان قذف غيره لما نغلظ بان جعل
على صاحبه الحد الموقت وهو ثمانون بخلاف غيره من انواع السب فان
عقوبته التعزير المفوض الى اجتهاد ذي السلطان كذلك يفرق في حقه
بين القذف وغيره فيجعل على قاذفه الحد مطلقاً وهو القتل وان اسلم ويده
عن الساب الحد اذا تاب لكن هذا الفرق ليس بمرضى فان قذفه انما
اوجب القتل ونقض العهد لما قدح في نسبه وكان ذلك قدحاً في نبوته

✽ فصل كل ما كان من الذمي سبا ينقض عهده و يوجب قتله ✽

في دينهم مكذب باللامه في تصديقهم بالوحدانية والرسالة لا ريب انه شتمهم فان قيل
 في الحديث الصحيح الذي يرويه الرسول عن الله تبارك وتعالى انه
 قال شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما
 شتمه اياي فقله اني اتخذت ولدا واما تكذبه اياي فقله لن يعبدني
 كما بدأني فقد فرق بين التكذيب والشتم فيقال قوله لن يعبدني كما بدأني
 يفارق قول اليهودي للوذن كذبت من وجهين احدهما انه لم يصرح
 بنسبته الى الكذب ونحن لم نقل ان كل تكذيب شتم اذ لو قيل ذلك لكان
 كل كافر شاتما وانما قيل ان الاعلان بمقابلة داعي الحق بقوله كذبت سب للامة
 وشتم لها في اعتقاد النبوة وهو سب للنبوة كما ان الذين هجوا من اتباع النبي صلى الله عليه
 وسلم على اتباعهم اياه كانوا سابين للنبي صلى الله عليه وسلم مثل شعربنت مروان وشعر
 كعب بن زهير وغيرهما واما قول الكافر ان يعبدني كما بدأني فانه نفي لمضمون خبر الله
 بمنزلة سائر انواع الكفر الثاني ان الكافر المكذب بالبعث لا يقول ان الله
 اخبرانه سيعيدني ولا يقول ان هذا الكلام تكذيب لله وان كان تكذيبا
 بخلاف القائل للرسول او لمن صدق الرسول كذبت فانه مقربان هذا طعن
 على المكذب وعيب له وانتقاص به وهذا ظاهر وكل كلام تقدم ذكره في
 المسئلة الاولى من نظم ونحوه وعد النبي صلى الله عليه وسلم سباحتي رتب
 على قائله حكم الساب فانه سب ايضا وكذا ما كان في معناه وقد تقدم ذكر
 ذلك والكلام على اعيان الكلمات لا ينحصر وان جماع ذلك ان ما يعرف الناس
 انه سب فهو سب وقد يختلف ذلك باختلاف الاحوال والاصطلاحات

والعادات وكيفية الكلام ونحو ذلك وما اشبه فيه الامر الحق بنظيره
وشبهه والله سبحانه اعلم ✽

✽ فصل ✽

وكل ما كان من الذمي سبا ينقض عهده و يوجب قتله فان ثبوته منه لا تقبل على
ما تقدم هذا هو الذي عليه عامة اهل العلم من اصحابنا وغيرهم ✽ وقد تقدم
عن الشيخ ابي محمد المقدسي رضي الله عنه انه قال ان الذمي اذا سب النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اسلم سقط عنه القتل وانه اذا قذفه ثم اسلم ففي سقوط القتل
عنه روايتان وينبغي ان يبنى كلامه على انه ان سبه بما يعتقد فيه ديناً سقط عنه
القتل باسلامه كاللعن والتبجيل ونحوه وان سبه بما لا يعتقد فيه كالقذف
لم يسقط عنه لان ما يعتقد فيه كفر محض سقط حده بالاسلام باطنا فيجب
ان يسقط ظاهراً ايضالاً ان سقوط الاصل الذي هو الاعتقاد يستتبع سقوط
فروعه واما ما لا يعتقد فهو فرية يعلم هو انها فرية فهي بمنزلة سائر حقوق
الآدميين وان حمل الكلام على ظاهره في انه يستثنى القذف فقط من
بين سائر انواع السب فيمكن ان يوجه بان قذف غيره لما نغلظ بان جعل
على صاحبه الحد الموقت وهو ثمانون بخلاف غيره من انواع السب فان
عقوبته التعزير المفوض الى اجتهاد ذي السلطان كذلك يفرق في حقه
بين القذف وغيره فيجعل على قاذفه الحد مطلقاً وهو القتل وان اسلم ويده
عن الساب الحد اذا تاب لكن هذا الفرق ليس بمرضي فان قذفه انما
اوجب القتل ونقض العهد لما قدح في نسبه وكان ذلك قدحاً في نبوته

✽ فصل كل ما كان من الذمي سبا ينقض عهده و يوجب قتله ✽

وهذا معنى يستوى فيه السب بالقذف وبغيره من انواع الاكاذيب بل قد يوصف من الافعال او الاقوال المنكرة بما يلحق بالوصف شيئا وغضاضة اعظم من هذا وانما فرق في حق غيره بين القذف وغيره لانه لا يمكن تكذيب القاذف به كما يمكن تكذيب غيره فصار العار به اشد . وهنا كلمات السب القادحة في النبوة سواء في العلم بطلانها ظهورا وخفاء فان العلم بكذب القاذف كالعلم بكذب الناس له الى منكر من القول وزور لا فرق بينهما وبالجملة فالنصوص عن الامام احمد وعامة اصحابه وسائر اهل العلم انه لا فرق في هذا الباب بين السب بالقذف وغيره بل من قال انه ينقض عهد موثقه قتله لم يفرق بين القذف وغيره ومن قال يسقط عنه القتل باسلامه لم يفرق بين القذف وغيره ومن فرق من الفقهاء بين ما يعتقد وما لا يعتقد فانما فرق في انتقاض العهد لا في سقوط القتل عنه بالاسلام لكن هو يصلح ان يكون معاضد القول الشيخ ابي محمد لانه فرق بين التوطين في الجملة واما الامام احمد وسائر العلماء المتقدمين فانما خلا فعه في السب مطلقا وليس في شيء من كلام الامام احمد رضي الله عنه تعرض للقذف لخصوصه وانما ذكره اصحابه في القذف لانهم تكلموا في احكام القذف مطلقا فذكروا هذا النوع من القذف انه موجب للقتل وانه لا يسقط القتل بالتوبة لنص الامام على ان السب الذي هو اعم من القذف موجب للقتل لا يستتاب صاحبه ثم منهم من ذكر المسئلة بلفظ السب كما هي في لفظ احمد وغيره ومنهم من ذكرها بلفظ القذف لان

الباب باب القذف فكان ذكرها بالاسم الخاص اظهر تأثيرا في الفرق بين هذا القذف وغيره ثم علل الجميع وادلتهم تعم انواع السب بل هي في غير القذف انص منها في القذف وانما تدل على القذف بطريق العموم او بطريق القياس والدليل هو افاق ما ذكره الجمهور من التسوية كما تقدم ذكره نفيا واثباتا ولا حاجة الى الاطناب هنا فان من سلم ان جميع انواع السب من القذف وغيره ينقض العهد ووجب القتل ثم فرق بين بعضها وبعض في السقوط بالاسلام فقد ابعد جدا لان السب لو كان بمنزلة الكفر عنده لم ينقض العهد ولو جب قتل الذمي واذا لم يكن بمنزلة الكفر فاسلامه امان يسقط الكفر فقط او يسقط الكفر وغيره من الجناية على عرض الرسول فاما اسقاطه لبعض الجنائيات دون بعض مع استوائها في مقدار العقوبة فلا يشين له وجه محقق ❖ والاحتجاج بان الاسلام يسقط عقوبة من سب الله فاسقاطه عقوبة من سب النبي اولى ان صح فانما يدل على ان الاسلام يسقط عقوبة الساب مطلقا قذفا كان السب او غير قذف ونحن في هذا المقام لا نتكلم الا في التسوية بين انواع السب لا في صحة هذه الحجة وفسادها اذ قد تقدم التنبيه على ضعفها وذلك لان سب النبي ان جعل بمنزلة سب الله مطلقا وقيل بالسقوط في الاصل فيجب ان يقال بالسقوط في الفرع وان جعل بمنزلة سب الخلق او جعل موجبا للقتل حد الله او سوى بين السبين في عدم السقوط ونحو ذلك من المآخذ التي تقدم ذكرها فلا فرق في هذا الباب بين القذف وغيره في السقوط بالاسلام فان الذمي لو قذف مسلما

او ذميا او شتمه بغير القذف ثم اسلم لم يسقط عنه التعزير المستحق بالسب كما
لا يسقط الحد المستحق بالقذف فعلم انها سواء في الثبوت والسقوط وانما
يختلفان في مقدار العقوبة بالنسبة الى غير النبي اما بالنسبة الى النبي فعقوبتهما
سواء فلا فرق بينهما بالنسبة اليه البتة واذ قد ذكرنا حكم الساب للرسول صلى الله
عليه وسلم فنردفه بما هو من جنسه بما قد تقدم في الادلة المذكورة باصل حكمه
فان ذلك من تمام الكلام في هذه المسئلة على ما لا يخفى وتفصله فصولا

☆ فصل ☆

فيمين سب الله تعالى فان كان مسلما وجب قتله بالاجماع لانه بذلك كافر مرتد
واسوا من الكافر فان الكافر يعظم الرب ويعتقد ان ما هو عليه من الدين
الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له ثم اختلف اصحابنا وغيرهم في قبول
توبته بمعنى انه هل يستتاب كالمرتد ويسقط عنه القتل اذا اظهر التوبة من
ذلك بعد رفعه الى السلطان وثبوت الحد عليه على قولين * احدهما انه
بمنزلة ساب الرسول فيه الروايتان في ساب الرسول هذه طريقة ابي
الخطاب واكثر من احتذى حذوه من المتأخرين وهو الذي يدل
عليه كلام الامام احمد حيث قال كل من ذكر شيئا يعرض بذلك للرب
تبارك وتعالى فعليه القتل مسلما كان او كافرا وهذا مذهب اهل المدينة
فاطلق وجوب القتل عليه ولم يذكر استتابته وذكر انه قول اهل المدينة
ومن وجب عليه القتل يسقط بالتوبة وقول اهل المدينة المشهور انه
لا يسقط القتل بتوبته ولو لم يرد هذا لم يخصه باهل المدينة فان الناس

فصل في سب الله تعالى

مجمعون على ان من سب الله تعالى من المسلمين يقتل وانما اختلفوا في توبته
فلما اخذ بقول اهل المدينة في المسلم كما اخذ بقوله في الذي علم انه قصد
محل الخلاف باظهار التوبة بعد القدرة عليه كما ذكرناه في سب الرسول
واما الرواية الثانية فان عبد الله قال سئل ابي عن رجل قال يا ابن
كذ او كذا انت ومن خلقك قال ابي هذا امر تدينه عن الاسلام . قلت .
لا بى تضرب عنقه قال نعم تضرب عنقه فجعله من المرتدين . والرواية الاولى
قول الليث بن سعد وقول مالك وروى ابن القاسم عنه قال من سب الله
تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده
الى دين دانه واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وهذا قول
ابن القاسم ومطرف وعبد الملك وجاهير المالكية والثاني انه يستتاب
وتقبل توبته بمنزلة المرتد المحض وهذا قول القاضي ابي يعلى والشريف
ابي جعفر وابي علي بن البناء وابن عقيل مع قولهم ان من سب الرسول
لا يستتاب وهذا قول طائفة من المدنين منهم محمد بن مسلمة والمخزومي
وابن ابي حازم قالوا لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذا لك اليهودي
والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة
وذلك كله كالردة وهو الذي ذكره العراقيون من المالكية وكذلك
ذكر اصحاب الشافعي رضي الله عنه قالوا سب الله ردة فاذا تاب قبلت
توبته وفرقوا بينه وبين سب الرسول على احد الوجهين وهذا مذهب الامام
ابي حنيفة ايضاً . واما من استتاب الساب لله ولرسوله فما خذه ان ذلك

من انواع الردة ومن فرق بين سب الله وسب الرسول قالوا سب الله تعالى كفر محض وهو حق لله وتوبة من لم يصدر منه الا مجرد الكفر الاصلى او الطارئ مقبولة مسقط للقتل بالاجماع ويدل على ذلك ان النصارى يسبون الله بقولهم هو ثالث ثلاثة ويقولهم ان له ولدا كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فاما شتمه اياى فقوله ان لى ولدا وانا الاحد الصمد وقال سبحانه لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الى قوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه وهو سبحانه قد علم منه انه يسقط حقه عن التائب فان الرجل لو اتى من الكفر والمعاصى بملا الارض ثم تاب تاب الله عليه وهو سبحانه لا تلحقه بالسب غضاضة ولا مفرة وانما يعود ضرر السب على قائله وحرمة في قلوب العباد اعظم من ان يهتكها جرأة الساب وبهذا يظهر الفرق بينه وبين الرسول فان السب هناك قد نعلق به حق آدمى والعقوبة الواجبة لآدمى لا تسقط بالتوبة والرسول تلحقه المعرة والغضاضة بالسب فلا يقوم حرمة ولا تثبت في القلوب مكانته الا باضطلام ما به لما ان هجومه وشتمه ينقص من حرمة عند كثير من الناس ويقدر في مكانه في قلوب كثيرة فان لم يحفظ هذا الحمى بعقوبة المنتهك والا افضى الامر الى الفساد وهذا الفرق يتوجه بالنظر الى ان حد سب الرسول حق لآدمى كما يذكره كثير من الاصحاب والنظر الى انه حق لله ايضا فان ما انتهكه من حرمة الله لا ينبغي الا باقامة الحد فاشبه الزاني

الفرق بين سب الله تعالى وسب النبي صلى الله عليه وسلم

والسارق والشارب اذا تابوا بعد القدرة عليهم وايضاً فان سب الله ليس له داع عقلي في الغالب واكثر ما هو سب في نفس الامر انما يصدر عن اعتقاد وتدين يراد به التعظيم لا السب ولا يقصد الساب حقيقة الاهانة لعلمه ان ذلك لا يؤثر بخلاف سب الرسول فانه في الغالب انما يقصد به الاهانة والاستخفاف والدواعي الى ذلك متوفرة من كل كافر ومنافق فصار من جنس الجرائم التي تدعو اليها الطباع فان حدودها لا تسقط بالتوبة بخلاف الجرائم التي لا داعي اليها ونكتة هذا الفرق ان خصوص سب الله تعالى ليس اليه داع غالب الاوقات فيندرج في عموم الكفر بخلاف سب الرسول فان لخصوصه دواعي متوفرة فناسب ان يشرع لخصوصه حد والحد المشروع لخصوصه لا يسقط بالتوبة كسائر الحدود فلما شتم سب الرسول على خصائص من جهة توفر الدواعي اليه وحرص اعداء الله عليه وان الحرمة تنتهك به انتهك الحرمات بانتهاكها وان فيه حقاً لمخلوق تحتست عقوبته لانه اغلظ اثماً من سب الله بل لان مفسدته لا تنحسم الا بتحتم القتل الا ترى انه لا ريب ان الكفر والردة اعظم اثماً من الزنا والسرقة وقطع الطريق وشرب الخمر ثم الكافر والمرئد اذا تابا بعد القدرة عليها سقطت عقوبتهما ولو تاب اولئك الفساق بعد القدرة لم تسقط عقوبتهم مع ان الكفر اعظم من الفسق ولم يدل ذلك على ان الفاسق اعظم اثماً من الكافر فمن اخذ بتحتم العقوبة وسقوطها من كبر الذنب وصغره فقد نأى عن مسالك الفقه والحكمة ويوضح ذلك اننا نقرر الكفار بالذمة على اعظم الذنوب ولا نفر واحد منهم

ولا من غيرهم على زنا ولا سرقة ولا كبير من المعاصي الموجبة للحدود
وقد عاقب الله قوم لو طمن العقوبة بما لم يعاقبه بشرا في زمنهم لاجل الفاحشة
والارض مملوءة من المشركين وهم في عافية وقد دفن رجل قتل رجلا على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرات والارض تلفظه في كل ذلك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله اراكم
هذا لتعبروا ولهذا يعاقب الفاسق الملى من المجر والاعراض والجلد وغير
ذلك بما لا يعاقب به الكافر الذي مع ان ذلك احسن حالا عند الله وعندنا
من الكافر فقد رأيت العقوبات المقدورة المشروعة تتحم حيث تؤخر
عقوبة ما هو اشد منها وسبب ذلك ان الدنيا في الاصل ليست دار الجزاء
وانما الجزاء يوم الدين يحجزى الله العباد باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر لكن
ينزل الله سبحانه من العقاب ويشرع من الحدود بمقدار ما يزر النورس
عمافيه فساد عام لا يخص فاعله او ما يطر الفاعل من خطيئته او لتغلظ الجرم
او لما يشاء سبحانه فالخطيئة اذا خيف ان يتعدى ضررها فاعلها لم تحسم مادتها
الا بعقوبة فاعلها فلما كان الكفر والردة اذا قبلت التوبة منه بعد القدرة
لم تترتب على ذلك مفسدة تتعدى التائب وجب قبول التوبة لان احدا
لا يريد ان يكفر او يرتد ثم اذا اخذ اظهر التوبة لعله ان ذلك لا يحصل مقصوده
بخلاف اهل الفسوق فانه اذا سقطت العقوبة عنهم بالتوبة كان ذلك فتحا لباب
الفسوق فان الرجل يعمل ما يشتهي ثم اذا اخذ قال اني تائب وقد حصل مقصوده
من الشهوة التي اقتضاها فكذلك سب الله هو اعظم من سب الرسول لكن

لا يخاف ان النفوس تتسرع الى ذلك اذا استتيب فاعله و عرض على السيف
فانه لا يصدر غالبا الا عن اعتقاد وليس للخلق اعتقاد يبعثهم على اظهار السب
لله تعالى واكثر ما يكون ضجرا او برما وسفها وروعة السيف والاستتابة
تكف عن ذلك بخلاف اظهار سب الرسول فان هناك دواع متعددة
تبعث عليه متى علم صاحبها انه اذا اظهر التوبة كف عنه لم يزع ذلك عن
مقصوده • وما يدل على الفرق من جهة السنة ان المشركين كانوا يسبون الله
بانواع السب ثم لم يتوقف النبي صلى الله عليه وسلم في قبول اسلام احد منهم
ولا عهد بقتل واحد منهم بعينه وقد توقف في قبول توبة من سببه مثل
ابي سفيان وابن ابي امية وعهد بقتل من كان يسبه من الرجال والنساء مثل
الحويرث بن ثعلبة والقينتين وجارية لبنى عبد المطلب ومثل الرجال والنساء
الذين امر بقتلهم بعد الهجرة وقد تقدم الكلام على تحقيق الفرق عند من
يقول به بما هو ايسر من هذا في المسئلة الثالثة • وامامنا قال لا تقبل توبة من
سب الله سبحانه وتعالى كما لا تقبل توبة من سب الرسول فوجه ما تقدم
عن عمر رضي الله تعالى عنه من التسوية بين سب الله وسب الانبياء في ايجاب القتل
ولم يامر بالاستتابة مع شهرة مذهبه في استتابة المرتد لكن قد ذكرنا عن ابن
عباس رضي الله عنه انه لا يستتاب لانه كذب النبي صلى الله عليه وسلم فيحمل
ذلك على السب الذي يتدين به • وايضا فان السب ذنب منفرد عن الكفر
الذي يطابق الاعتقاد فان الكافر يتدين بكفره ويقول انه حق ويدعو
اليه وله عليه موافقون وليس من الكفار من يتدين بما يعتقد استغفا

واستهزاء وسب الله وان كان في الحقيقة سبا كما انهم لا يقولون انهم ضلال
 جهال معذبون اعداء الله وان كانوا كذ لك واما الساب فانه مظهر للتنقيص
 والاستخفاف والاستهانة بالله متيكر لجرمته انتها كما يعلم هو من نفسه انه متيكر
 مستخف مسهزئ ويعلم من نفسه انه قد قال عظيما وان السموات والارض
 تكاد تنفطر من مقالته وتخر الجبال وان ذلك اعظم من كل كفر وهو يعلم
 ان ذلك كذ لك ولو قال بلسانه اني كنت لا اعتقد وجود الصانع ولا عظمته
 والآن قد رجعت عن ذلك علما انه كاذب فالب فطرة الخلاق كلها
 مجبولة على الاعتراف بوجود الصانع وتعظيمه فلا شبهة تدعو الى هذا
 السب ولا شهوة له في ذلك بل هو مجرد سخرية واستهزاء واستهانة وتمرد
 على رب العالمين ثبثت عن نفس شيطانية ممتلئة من الغضب او من سفيه
 لا وفار الله عنده كصدور قطع الطريق والزنا عن الغضب والشهوة واذا
 كان كذ لك وجب ان يكون للسب عقوبة تخصه جدا من الحدود وحينئذ
 فلا تسقط تلك العقوبة بظهور التوبة كسائر الحدود واما وعمايين ان السب
 قد رزأ على الكفر قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
 فيسبوا الله عدوا بغير علم ومن المعلوم انهم كانوا مشركين مكذبين
 معادين لرسوله ثم نهى المسلمون ان يفعلوا ما يكون ذريعة الى سبهم الله
 فعلم ان سب الله اعظم عنده من ان يشرك به ويكذب رسوله ويعداي
 فلا بد له من عقوبة تخصه لما انتهكه من حرمة الله كسائر الحرمات
 التي تنهكها بالفعل واولي فلا يجوز ان يعاقب على ذلك بدون القتل

لان ذلك اعظم الجرائم فلا يقابل الا بابلغ العقوبات ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الى آخرها فانها تدل على قتل من يؤذي الله كما تدل على قتل من يؤذي رسوله والا ذى المطلق انما هو باللسان وقد تقدم تقرير هذا • وايضاً فان اسقاط القتل عنه باظهار التوبة لا يرفع مفسدة السب لله تعالى فانه لا يشاء شأى ان يفعل ذلك ثم اذا اخذ اظهر التوبة الافعل كما في سائر الجرائم الفعلية • وايضاً فانه لم ينتقل الى دين يريد المقام حتى يكون الانتقال عنه تركاً له وانما فعل جريمة لا تستدام بل هي مثل الافعال الموجبة للعقوبات فتكون العقوبة على نفس تلك الجريمة الماضية ومثل هذا لا يستتاب عند من عاقب على ذنب مستمر من كفر او ردة • وايضاً فان استتابة هذا توجب ان لا يقام حد على سب الله فاننا نعلم ان ليس احد من الناس مصر اعلى السب لله الذي يرى انه سب فان ذلك لا يدعوا اليه عقل ولا طبع وكل ما افضى الى تعطيل الحدود بالكلية كان باطلاً ولما كان استتابة الفساق بالافعال يفضى الى تعطيل الحدود لم يشرع مع ان احد هم قد لا يتوب من ذلك لما يدعوه اليه طبعه وكذلك المستتاب من سب الرسول قد لا يتوب لما يستحله من سبه فاستتابة الساب لله الذي يسارع الى اظهار التوبة منه كل احد اولى ان لا يشرع اذا تضمن تعطيل الحد ووجب ان تفيض الافواه بهتك حرمة اسم الله والاستهزاء به وهذا كلام فقيه لكن يعارضه ان ما كان بهذه المثابة لا يحتاج الى تحقيق اقامة الحد ويكفى تعريض قائله للقتل حتى يتوب ولمن ينصر الا ولى ان

يقول تحقيق اقامة الحد على الساب في ليس لمجرد زجر الطباع عما نهوا به بل
تعظيماً لله واجلالاً لذكروا اعلاء لكرمه وضبطاً للنفوس ان تتسرع الى
الاستهانة بجناية وتقييد اللسان ان تنفوه بالاثخاص لحقه وايضاً
فان حد سب المخلوق وقذفه لا يسقط باظهار التوبة فحد سب الخالق اولى
وايضاً فحد الافعال الموجبة للعقوبة لا تسقط باظهار التوبة فكذلك حد
الاقوال بل شان الاقوال و تأثيرها اعظم وجماع الامر ان كل عقوبة وجبت
جزاء وتكالاً على فعل او قول ماض فانها لا تسقط اذا اظهرت التوبة بعد
الرفع الى السلطان فسب الله اولى بذلك ولا ينتقض هذا بنوبة الكافر والمرتد
لان للعقوبة هنا انما هي على الاعتقاد الحاضر في الحال المستصحب من الماضي
فلا يحصل نقضاً لو جهين احدهما ان عقوبة الساب لله ليست كذنب
استصحبه واستدامه فانه بعد انقضاء السب لم يستصعبه ولم يستدامه وعقوبة
الكافر والمرتد انما هي الكفر الذي هو مصر عليه مقيم على اعتقاده الثاني
ان الكافر انما يعاقب على اعتقاده هو الآن في قلبه وقوله وعمله دليل على ذلك
الاعتقاد حتى لو فرض انا علمنا ان كلمة الكفر التي قالها خرجت من غير اعتقاد
لموجبها لم تكفره بان يكون جاهلاً بمعناها ومخطئاً قد غلط وسبق لسانه اليها
مع قصد خلافها ونحو ذلك والساب انما يعاقب على انتهاكه لحرمة الله واستخفافه
بحقه فيقتل وان علمنا انه لا يستحسن السب لله ولا يعتقد به دينا اذ ليس احد من
البشر يدعي بذلك ولا ينتقض هذا ايضا بتارك الصلاة والزكاة ونحوهما فانهم
انما يعاقبون على دواهم التارك لهذه الفرائض فاذا فعلوها زال التارك وان شئت

ان نقول اه الكافر المرتد وتاركوا الفرائض يعاقبون على عدم الايمان
والفرائض اعني على دوام هذا العدم فاذا وجد الايمان والفرائض
امتنعت العقوبة لا تقطاع العدم وهو لاء يعاقبون على وجود الاقوال
والافعال الكثيرة لا على دوام وجودها فاذا وجدت مرة لم يرتفع ذلك
بالترك بعد ذلك وبالجمله فهذا القول له ثوجه وقوة وقد تقدم ان الردة
نوعان مجردة ومغلظة وبسطنا هذا القول فيما تقدم في المسئلة الثالثة
ولا خلاف في قبول التوبة فيما بينه وبين الله سبحانه وسقوط الاثم بالتوبة
النصوح و من الناس من سلك في سباب الله تعالى مسلكا آخر وهو انه جعله
من باب الزنديق كاحد المسلكين الذين ذكرناهما في سباب الرسول لان
وجود السب منه مع اظهاره للاسلام دليل على خبث سريرته لكن هذا
ضعيف فان الكلام هنا انما هو في سب لا يتدين به فاما السب الذي يتدين به
كالتثليث ودعوى الصاحبة والولد فحكمه حكم انواع الكفر وكذلك
المقالات المكفرة مثل مقالة الجهمية والقدرية وغيرهم من صنوف البدع
واذا قبلنا توبة من سب الله سبحانه فانه يؤدب اذ باوجيها حتى يردعه
عن العود الى مثل ذلك هكذا ذكره بعض اصحابنا وهو قول اصحاب
مالك في كل مرتد .

فصل

وان كان الساب لله ذميا فهو كما لو سب الرسول وقد تقدم نص الامام
احمد على ان من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب سبحانه فانه يقتل سواء كان

فصل في بيان الساب لله اذا كان ذميا

مسلم او كافرا وكذ لك اصحابنا قالوا من ذكر الله او كتابه او دينه او رسوله
بسوء فجعلوا الحكم فيه واحدا وقالوا الخلاف في ذكر الله وفي ذكر النبي
سواء وكذ لك مذهب مالك واصحابه وكذ لك اصحاب الشافعي ذكروا لمن
سب الله او رسوله او كتابه من اهل الذمة حكما واحدا لكن هنا مسئلتان احدهما
ان سب الله تعالى على قسمين (احدهما) ان يشبه بما لا يتدين به مما هو استهانة
عند المتكلم وغيره مثل اللعن والتقييع ونحوه فهذا هو السب الذي لا ريب
فيه (والثاني) ان يكون مما يتدين به ويعتقده تعظيما ولا يراه سبا
ولا انتقاصا مثل قول النصراني ان له ولدا او صاحبة ونحوه فهذا مما اختلف
فيه اذا اظهره الله في فقال القاضي وابن عقيل من اصحابنا ينتقض به العهد
كما ينتقض اذا اظهروا اعتقادهم في النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقتضى
ما ذكره الشريف ابو جعفر وابو الخطاب وغيرهما فانهم ذكروا ان ما ينتقض
الايمان ينتقض الذمة ويحكي هذا عن طائفة من المالكية ووجه ذلك
اننا عهدناهم على ان لا يظهروا شيئا من الكفر وان كانوا يعتقدونه فمتى اظهروا
مثل ذلك فقد آذوا الله ورسوله والمؤمنين بذلك وخالفوا العهد
فينتقض العهد بذلك كسب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم عن عمر
رضي الله عنه انه قال للنصراني الذي كذب بالقدر لان عدت الى مثل
ذلك لا ضربن عنقك وقد تقدم ما تقر بذلك وهو المنصوص عن مالك ان
من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به قتل
ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم تطوعا فلم يجعل ما يتدين به الذي

سبا وهذا قول عامة المالكية وهو مذهب الشافعي ذكره أصحابه وهو
منصوصه قال في (الام) في تحديد الامام ما يأخذه من اهل الذمة وعلى
ان لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بما هو اهل ولا يطنوا
في دين الاسلام ولا يعيبوا من حكمه شيئا فان فعلوه فلا ذمة لهم ويأخذ
عليهم ان لا يسموا المسلمين شركهم وقولهم في عزير وعيسى فان وجدوهم
فعلوا بعد التقدم في عزير وعيسى اليهم عاقبهم على ذلك عقوبة لا يبلغ بها
حد لانهم قد اذن باقرارهم على دينهم مع علم ما يقولون وهذا ظاهر
كلام الامام احمد لانه سئل عن يهودي مر بموذن فقال له كذبت فقال
يقتل لانه شتم فعل قتل بانه شتم فعلم ان ما يظهره من دينه الذي ليس
بشتم ليس كذ لك قال رضي الله عنه من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب
تعالى فعليه القتل مسلما كان او كافرا وهذا مذهب اهل المدينة وانما
مذهب اهل المدينة فيما هو سب عند القائل وذلك ان هذا القسم ليس
من باب السب والشتم الذي يلحق بسب الله وسب النبي صلى الله عليه
وسلم لان الكافر لا يقول هذا طعنوا ولا عيبوا انما يعتقد تعظيما واجلا لا
وليس هو ولا احد من الخلق يتدين بسب الله تعالى بخلاف ما يقال في حق
النبي صلى الله عليه وسلم من السوء فانه لا يقال الا طعنوا وعيبوا ذلك ان
الكافر يتدين بكثير من تعظيم الله وليس يتدين بشيء من تعظيم الرسول
الا ترى انه اذا قال محمد (صلى الله عليه وسلم) ساحرا وشاعرا فهو
يقول ان هذا نقص وعيب واذا قال ان المسيح او عزير ابن الله فليس

يقول ان هذا عيب ونقص وان كان هذا عيباً ونقصاً في الحقيقة و الفرق بين قول يقصد به قائله العيب والنقص وقول لا يقصد به ذلك ولا يجوز ان يجعل قولهم في الله كقولهم في الرسول بحيث يجعل الجميع نقضاً للعهد اذ يفرق في الجميع بين ما يعتقدونه وبين ما لا يعتقدونه لان قولهم في الرسول كله طعن في الدين وغضاضة على الاسلام واظهار لعداوة المسلمين يقصدون به عيب الرسول ونقصه وليس مجرد قولهم الذي يعتقدونه في الله مما يقصدون به عيب الله ونقصه . الا ترى ان قرشاً كانت تقار النبي صلى الله عليه وسلم على ما كان يقوله من التوحيد وعبادة الله وحده ولا يقارونه على عيب الهتهم والظعن في دينهم و ذم آباؤهم وقد نهى الله المسلمين ان يسبوا الاوثان لئلا يسبوا المشركون الله مع كونهم لم يزالوا على الشرك فعلم ان محذور سب الله اغلظ من محذور الكفر به فلا يجعل حكمهما واحداً . المسئلة الثانية (١) في استتابة هذا الذمي من هذا وقبول توبته اما القاضي وجمهور اصحابه مثل الشريف وابن البناء وابن عقيل ومن تبعهم فانهم يقبلون توبته ويسقطون عنه القتل بها وهذا ظاهر على اصلهم فانهم يقبلون توبة المسلم اذ اسب الله فتوبة الذمي اولى وهذا هو المعروف من مذهب الشافعي وعليه يدل عموم كلامه حيث قال في شروط اهل الذمة وعلى ان احدا منكم ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم او كتاب الله ودينه بما لا ينبغي فقد برئت منه ذمة الله ثم قال وايهم قال او فعل شيئاً مما وصفته نقضاً للعهد واسلم لم يقتل اذا كان قولاً الا انه لم يصرح بالسب لله فقد

(١) اي من المسئلتين المذكورتين في ابتداء هذا الفصل ١٢ المصحح يكون

يكون عني اذا ذكر واما يعتقدونه و كذلك قال ابن القاسم وغيره من
 المالكية انه يقتل الا ان يسلم وقال ابن مسleme وابن ابي حازم والمخزومي انه
 لا يقتل حتى يستتاب فان تاب والا قتل والمنصوص عن مالك انه يقتل ولا
 يستتاب كما تقدم وهذا معنى قول احمد رضي الله عنه في احدى الروايتين
 قال في رواية حنبل من ذكر شيئا يعرض بذكر الرب فعليه القتل
 مسلما كان او كافرا وهذا مذاهب اهل المدينة وظاهر هذه العبارة ان القتل
 لا يسقط عنه بالتوبة كما لا يسقط القتل عن المسلم بالتوبة فانه قال مثل هذه
 العبارة في شتم النبي صلى الله عليه وسلم في رواية حنبل ايضا قال كل من
 شتم النبي صلى الله عليه وسلم مسلما كان او كافرا فعليه القتل و كان حنبل
 يعرض عليه مسائل المدنين ويسأله عنها ثم ان اصحابنا فسر وا قوله في شاتم
 النبي صلى الله عليه وسلم بانه لا يسقط عنه القتل بالتوبة مطلقا وقد تقدم
 توجيه ذلك وهذا مثله وهذا ظاهر اذا قلنا ان المسلم الذي يسب الله لا يسقط
 عنه القتل بالتوبة لان المأخذ عندنا ليس هو الزندقة فانه لو اظهر كفره غير
 السب استبناه وانما المأخذ ان يقتل عقوبة على ذلك وحده عليه مع كونه
 كافرا كما يقتل لسائر الافعال ويظهر الحكم في المسئلة بان يرتب هذا السب
 ثلاث مراتب المرتبة الاولى ان من شان الرب بما يتدين به وليس فيه
 سب لادن الاسلام الا انه سب عند الله تعالى مثل قول النصاري في عيسى
 ونحو ذلك فقد قال الله تعالى فيما يرويه عنه رسوله شتمني ابن آدم وما ينبغي
 له ذلك ثم قال واما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا وانا الا احد الصمد

الذي لم الد ولم اولده فهذا القسم حكمه حكم سائر انواع الكفر سميت شتما
او لم تسم وقد ذكرنا الخلاف في انتقاض العهد باظهار مثل هذا واذا قيل
بانتقاض العهد به فسقوط القتل عنه بالا سلام متوجه وهو في الجملة قول
الجمهور. المرتبة الثانية ان يذكر ما يتدين به وهو سب له بين المسلمين ووطن
عليهم كقول اليهودي للمؤذن كذبت وكرد النصراني على عمر رضي الله
عنه وكالوعاب شيثا من احكام الله او كتابه ونحو ذلك فهذا حكمه حكم
سب الرسول في انتقاض العهد به وهذا القسم هو الذي عناه الفقهاء في
نواقض العهد حيث قالوا اذ ذكر الله او كتابه او رسوله او دينه بسوء
ولذلك اقتصر كثير منهم على قوله او ذكر كتاب الله او دينه او رسوله
بسوء واما سقوط القتل عنه بالا سلام فهو كسب الرسول الا ان في ذلك حقا
لا دمي فمن سلك ذلك المسلك في سب الرسول فرق بينه وبين هذا وهي
طريقة القاضي واكثر اصحابه ومن قتله لما في ذلك من الجناية على الاسلام
وانه محارب لله ورسوله فانه يقتل بكل حال وهو مقتضى اكثر الادلة التي
تقدم ذكرها. المرتبة الثالثة ان يسبه بما لا يتدين به بل هو محرم في دينه
كما هو محرم في دين الله تعالى كاللعن والتقيع ونحو ذلك فهذا النوع لا يظهر
بينه وبين سب المسلم فرق بل ربما كان فيه اشد لانه يعتقد تحريم مثل هذا
الكلام في دينه كما يعتقد المسلمون تحريمه وقد عاهدناه على ان نقيم عليه
الحمد فيما يعتقد تحريمه فاسلامه لم يجد دله اعتقاد التحريم بل هو فيه كاذبي
اذ اذني او قتل او سرق ثم اسلم سواء ثم هو مع ذلك مما يؤذي المسلمين

كسب الرسول بل هو أشد فإذا قلنا لا تقبل توبة المسلم من سب الله فإن
نقول لا تقبل توبة الذمي أولى بخلاف الرسول فإنه يتدين بتقبيح من
يعتقد كذبه ولا يتدين بتقبيح خالقه الذي يقر أنه خالقه وقد يكون من هذا
الوجه أولى بأن لا يسقط عنه القتل من سب الرسول ولهذا لم يذكر عن مالك
نفسه وأحمد استثناء فبين سب الله تعالى كما ذكر عنها الاستثناء لمن سب
الرسول وإن كان كثير من أصحابها يرون الأمر بالعكس وإنما قصد هذا الضرب
من السب ولهذا قرنا بين المسلم والكافر فلا بد أن يكون مباحها وأشباهه شيء
بهذا الضرب من الأفعال زناه بمسامة فإنه محرم في دينه مضر بالمسلمين فإذا
أسلم لم يسقط عنه بل إما أن يقتل أو يجد حد الزنا كذلك سب الله تعالى حتى
لو فرض أن هذا الكلام لا ينقض العهد لوجب أن يقام عليه حده لأن كل امرئ
يعتقده محرما فإنا نقيم عليه فيه حد الله الذي شرعه في دين الإسلام وإن لم يعلم
بما خذ في كتابه مع أن الأغلب على القلب أن أهل الملل كلهم يقتلون على مثل
هذا الكلام كما أن حده في دين الله القتل إلا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما أقام على الزاني منهم حد الزنا قال اللهم اني أول من أحى أمرك إذا ماتوه . ومعلوم
أن ذلك الزاني منهم لم يكن يسقط عنه لو أسلم فاقامة الحد على من سب الرب
تبارك وتعالى سباً هو سب في دين الله ودينهم عظيم عند الله وعندهم أولى أن يحى
فيه أمر الله ويقام عليه حده وهذا القسم قد اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة أقوال
أحدها أن الذمي يستتاب منه كما يستتاب المسلم منه هذا قول طائفة من
المدنيين كما تقدم وكان هو لا لم يروه نقضاً للعهد لأن نقض العهد يقتل

كما يقتل المحارب ولا معنى لاستتابة الكافر الاصل المحارب وانما اواحدة القتل
فجعله كالمسلم وهم يستتيبون المسلم فكذلك يستتاب الذي وعلى قول
هو لا فلا شبه ان استتابته من السب لا تحتاج الى اسلامه بل تقبل توبته مع
بقائه على دينه . القول الثاني . انه لا يستتاب لكن ان اسلم لم يقتل . وهذا
قول ابن القاسم وغيره . وهو قول الشافعي وهو احدى الروايتين عن احمد
وعلى طريقة القاضي لم يذكر فيه خلاف بناء على انه قد نقض عهده فلا يحتاج
قتله الى استتابة لكن اذا اسلم سقط عنه القتل كالحريري . القول الثالث . انه
يقتل بكل حال وهو ظاهر كلام مالك واحمد لان قتله وجب على جرم
محرم في دين الله وفي دينه فلم يسقط عنه موجهه بالاسلام كعقوبته على
الزنا والسرقة والشرب . وهذا القول هو الذي يدل عليه اكثر الادلة
المتقدمة ذكرها .

فصل

السب الذي ذكرنا حكمه من المسلم هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص
والاستخفاف وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم
كاللعن والتقييع ونحوه وهو الذي دل عليه قوله تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . فهذا اعظم ما نقوه به
اللسنة فاما ما كان سببا في الحقيقة والحكم لكن من الناس من يعتقد دينا
ويراه صوابا وحقا ويطن ان ليس فيه انتقاص ولا تعيب فهذا نوع من
الكفر حكم صاحبه اما حكم المرتد المظهر للردة او المنافق المبطن

فصل في ان السب ما يقصد به الانتقاص والاستخفاف

للتناق والكلام في الكلام الذي يكفر به صاحبه او لا يكفر وتفصيل الاعتقادات وما يوجب منها الكفر او البدعة فقط او ما اختلف فيه من ذلك ليس هذا موضعه وانما الغرض ان لا يدخل هذا في قسم السب الذي تكلمنا في استنباط صاحبه نفيًا وإثباتًا والله اعلم

فصل

فان سب موصوفًا بوصف او مسمى باسمه وذلك يقع على الله سبحانه او بعض رسله خصوصًا وعمومًا لكن قد ظهر انه لم يقصد ذلك امالا اعتقاده ان الوصف او الاسم لا يقع عليه اولًا لانه وان كان يعتقد وقوعه عليه لكن ظهر انه لم يرد له لكون الاسم في الغالب لا يقصد به ذلك بل غيره فهذا القول وشبهه حرام في الجملة يستتاب صاحبه منه ان لم يعلم انه حرام ويعز مع العلم تعزيزًا بلهنا لكن لا يكفر بذلك ولا يقتل وان كان يخاف عليه الكفر

• مثال الاول • ان يسب الدهر الذي فرق بينه وبين الاحبة او الزمان الذي احوجه الى الناس او الوقت الذي ابلاه بمعاشرة من يتكد عليه ونحو ذلك مما يكثر الناس قوله نظما ونثرًا فانه انما يقصد ان يسب من يفعل ذلك به ثم انه يعتقد او يقول ان فاعل ذلك هو الدهر الذي هو الزمان فيسبه وفاعل ذلك انما هو الله سبحانه فيقع السب عليه من حيث لم يعتمد المرء والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تسبوا الله فان الله هو الدهر يريد الامر وقوله فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى يقول يا ابن آدم باحبه (١) الدهر وانا الدهر يريد الامر اقلب الليل والنهار فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم

فصل في السب المعلق بالوصف

(١) هكذا في المنقول عنه وهو تصحيف تلحق او نسب ١٢

عن هذا القول وحرمة ولم يذكر كفرا ولا قتلا والقول المحرم يقتضى التعزير
والتكيل • ومثال الثانى • ان يسب مسمى باسم عام يندرج فيه الانبياء
وغيرهم لكن يظهر انه لم يقصد الانبياء من ذلك العام مثل ما نقل التكرمانى
قال سألت احمد قلت رجل اقترى على رجل فقال يا ابن كذا او كذا الى
آدم وحواء فمظم ذلك جدا او قال نسأل الله العافية لقد اتى هذا عظيما
وسئل عن الحد فيه فقال لم يبلغنى في هذا شيء وذهب الى حد واحد وذكر
هذا ابو بكر عبد العزيز ايضا فلم يجعل احمد رضى الله عنه بهذا القول كافرا
مع ان هذا اللفظ يدخل فيه نوح وادريس وشيث وغيرهم من النبيين
لان الرجل لم يدخل آدم وحواء في عمومهما وانما جعلها غاية وحدا لمن قذفه والا
لو كانا من المقدوفين تعين قتله بل اريب ومثل هذا العموم في مثل هذا الحال
لا يكاد يقصد به صاحبه من يدخل فيه من الانبياء فعظم الامام احمد ذلك
لان احسن احواله ان يكون قد قذف خلقا من المؤمنين ولم يوجب الاحدا
واحدا لان الحد هنا ثبت للهي ابتداء على اصله وهو واحد وهذا قول اكثر
المالكية في مثل ذلك وقال سحنون واصبغ وغيرهما في رجل قال له غريمه صلى الله
على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه • قال سحنون ليس
هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه
اذا كان على ما وصف من الغضب لانه انما شتم الناس وقال اصبغ وغيره
لا يقتل انما شتم الناس وكذلك قال ابن ابي زيد فيمن قال لعن الله العرب
ولعن الله بنى اسرائيل ولعن الله بنى آدم وذكرا انه لم يرد الانبياء وانما اراد

الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان * وذهب طائفة منهم
الحارث بن مسكين وغيره الى القتل في مسئلة المصلي ونحوها وكذا قال
ابو موسى بن مياس فيمن قال لعنه الله الى آدم انه يقتل وهذه مسئلة
الكروماني بعينها وهذا قياس احد الوجهين لاصحابنا فيمن قال عصيت الله في
كل ما امرني به فان اكثر اصحابنا قالوا ليس ذلك بيمين لانه انما التزم المعصية
فهو كما لو قال محوت المصحف او شربت الخمر ان فعلت كذا ولم يظهر قصد
ارادة الكفر من هذا العموم لانه لو اراده لذكره باسمه الخاص ولم يكتف
بالاسم الذي يشركه فيه جميع المعاصي * ومنهم من قال هو يمين لان مما امره الله
به الايمان ومعصيته فيه كفر ولو التزم الكفر يمينه بان قال هو يهودي
او نصراني او هو بري من الله او من الاسلام او هو يستحل الخمر والخنزير
او لا يراه الله في مكان كذا ان فعل كذا ونحوه كان يمينافي المشهور عنه
ووجه هذا القول ان اللفظ عام فلا يقبل منه دعوى الخصوص ولعل
من يختار هذا يحمل كلام الامام احمد على ان القائل كان جاهلا بارت
في النسب انبياء * ووجه الاول ان ابا بكر رضى الله عنه كتب الى المهاجر
ابن ابي امية في المرأة التي كانت تعجوا المسلمين يلومه على قطع يد هاويذكره
انه كان الواجب ان يعاقبها بالضرب مع ان الانبياء يدخلون في عموم هذا
اللفظ ولان الالفاظ العامة قد كثرت وغلب ارادة الخصوص بها فاذا
كان اللفظ لفظ سب وقذف وللانبياء ونحوهم من الخصائص والمزايا
ما يوجب ذكرهم باخص اسمائهم اذا اريد ذكرهم والغضب يحمل الانسان

على التجوز في القول والتوسع فيه كان ذلك قرائن عرفية ولفظية وحالية في انه لم يقصد دخولهم في العموم لا سيما اذا كان دخول ذلك الفرد في العموم لا يكاد يشعر به ويؤيد هذا ان يهوديا قال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والذي اصطفى موسى على العالمين فليطمع المسلم حتى اشتكاه الى النبي صلى الله عليه وسلم ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تفضيله على موسى لما فيه من انتقاص المفضول بعينه والفض منه ولو ان اليهودي اظهر القول بان موسى افضل من محمد لوجب التعزير عليه اجماعا بالقتل او بغيره كما تقدم التنبيه عليه .

فصل

والحكم في سب سائر الانبياء كالحكم في سب نبينا فمن سب نبيا مسى باسمه من الانبياء المعروفين المذكورين في القرآن او موصوفا بالنبوة مثل ان يذكر في حديث ان نبيا فعل كذا او قال كذا فيسب ذلك القائل او الفاعل مع العلم بانه نبي وان لم يعلم من هو او يسب نوع الانبياء على الاطلاق فالحكم في هذا كما تقدم لان الايمان بهم واجب عموما وواجب الايمان خصوصا بمن قصه الله علينا في كتابه وسبهم كفر وردة ان كان من مسلم ومحاربة ان كان من ذمي وقد تقدم في الادلة الماضية ما يدل على ذلك بعمومه لفظا او معنى وما علم احدا فرقا بينهما وان كان اكثر كلام الفقهاء انما فيه ذكر من سب نبينا فانما ذلك لمسبس الحاجة اليه وانه وجب التصديق له والطاعة له جملة وتفصيلا ولا ريب ان جرم سابه اعظم من جرم سباب غيره كما ان حرمة اعظم من حرمة

فصل في ان حكم سب سائر الانبياء كحكم سب نبينا عليه السلام

غيره وان شاركه سائر اخوانه من الشيعين والمرسلين في انسابهم كافر حلال الدم
فاما ان سب نبياً غير معتقد لنبوته فانه يستتاب من ذلك اذا كان ممن
علمت نبوته بالكتاب والسنة لان هذا جحد لنبوته ان كان ممن يجهل
انه نبي فانه سب محض فلا يقبل قوله اني لم اعلم انه نبي •

فصل

فاما من سب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال القاضي ابو يعلى من قذف
عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف وقد حكى الاجماع على هذا غير
واحد وصرح غير واحد من الائمة بهذا الحكم فروى عن مالك من سب
ابابكر جلد ومن سب عائشة قتل قبل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن
لان الله تعالى قال يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابد ان كنتم مؤمنين • وقال
ابوبكر بن زياد النيسابوري سمعت القاسم بن محمد يقول لا سميع بن
اسحاق اتى المامون بالرقه برجلين شتم احدهما فاطمة والآخر عائشة فامر
بقتل الذي شتم فاطمة وترك الآخر فقال اسمعيل ما حكمها الا ان يقتل
لان الذي شتم عائشة رد القرآن وعلى هذا مضت سيرة اهل الفقه والعلم
من اهل البيت وغيرهم • قال ابو السائب القاضي كنت يوماً بمحضرة الحسن
ابن زيد الداعي بطبرستان وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر ويوجه في كل سنة بعشرين الف دينار الى مدينة السلام يفرق
على سائر ولد الصحابة وكان بمحضرة رجل فذكر عائشة بذ كرقبيح من
الفاحشة فقال يا غلام اضرب عنقه فقال له العلويون هذا رجل من شيعتنا

فصل في حكم سب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

فقال معاذ الله هذا رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
 الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون
 للطيبات اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فان كانت
 عائشة خبيثة فالنبي صلى الله عليه وسلم خبيث فهو كافر فاضربوا عنقه
 فاضربوا عنقه وانا حاضر رواه اللالكائي وروى عن محمد بن زيد
 اخي الحسن بن زيد انه قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة بسوء
 فقام اليه بعمود فضرب به دماغه فقتله ف قيل له هذا من شيعتنا ومن
 بني الآباء فقال هذا سمي جدي قرنان ومن سمي جدي قرنان استحق
 القتل فقتلته وامام من سب غير عائشة من ازواجه صلى الله عليه وسلم ففيه
 قولان * احدهما انه كساب غيرهن من الصحابة على ماسياتي والثاني
 وهو الاصح انه من قذف واحدة من امهات المؤمنين فهو كقذف عائشة
 رضى الله عنها وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس وذلك لان هذا
 فيه عار وفضاضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذى له اعظم من
 اذاه بنكا حين بعده وقد تقدم التنبيه على ذلك فيما مضى عند الكلام على
 قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية والامر فيه ظاهر .

فصل

فاما من سب احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل بيته
 وغيرهم فقد اطلق الامام احمد انه يضرب ضربا نكالا وتوقف عن قتله
 وكفره . قال ابو طالب سألت احمد عن سب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

فصل في حكم سب اصحابه صلى الله عليه وسلم سب اهل بيته

قال القتل اجبن عنه ولكن اضربه ضربا نكالا وقال عبد الله سألت ابي عمن
 شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ارى ان يضرب قلت له حد فلم يقف على
 الحد الا انه قال يضرب وقال ما اراه على الاسلام . وقال سألت ابي من الرافضة
 فقال الذي يشتمون او يسبون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال في الرسالة
 التي رواها ابو العباس احمد بن يعقوب الا صطخري وغيره وخير الامة
 بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر بعد ابي بكر وعثمان بعد عمر وعلي
 بعد عثمان ووقف قوم وهم خلفاء راشدون مهديون ثم اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بعدهم لاء الاربعة خير الناس لا يجوز لاحد ان يذكر
 شيئا من مساوئهم ولا يطعن على احد منهم بعيب ولا ينقص فمن فعل ذلك
 فقد وجب نأدب به وعقوبته ليس له ان يعفو عنه بل يعاقبه ويستتبه فان
 تاب قبل منه وان ثبت اعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت
 او يراجع . وحكى الامام احمد هذا عن ادركه من اهل العلم وحكاه
 الكرماني عنه وعن اسحاق والحيدى وسعيد بن منصور وغيرهم . وقال الميموني
 سمعت احمد يقول ما لم ولما وية نسأل الله العافية وقال لى يا ابا الحسن اذا
 رأيت احدا يذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على
 الاسلام . فقد نص رضي الله عنه على وجوب تعزيره واستنابته حتى يرجع
 بالجلد وان لم ينتبه حبس حتى يموت او يراجع وقال ما اراه على الاسلام
 وقال واتهمه على الاسلام وقال اجبن عن قتله . وقال اسحاق بن راهويه
 من شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعاقب ويحبس وهذا قول كثير من

اصحابنا منهم ابن ابي موسى قال ومن سب السلف من الروافض فليس
 بكفو ولا زوج ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد حرق
 من الدين ولم يعتقد له نكاح على محلة الا ان يتوب ويظهر توبته وهذا في
 الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الاحول وغيرهما من التابعين قال
 الحارث بن عتبة ان عمر بن عبد العزيز اتى برجل سب عثمان فقال ما حملك
 على ان سبته قال ابغضه قال وان ابغضت رجلا سبته قال فامر به بجلده
 ثلاثين سوطاً وقال ابراهيم بن ميسرة ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب
 انسانا قط الا رجلا شتم معاوية فضر به اسواطاً ورواهما اللالكائي وقد تقدم عنه انه
 كتب في رجل سبه لا يقتل الا من سب النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اجلده فوق
 رأسه اسواطاً ولولا اني رجوت ان ذلك خير له لم افعل وروى الامام احمد
 ثنا ابو معاوية ثنا عاصم الاحول قال اتيت برجل قد سب عثمان قال فضر به
 عشرة اسواط قال ثم عاد لما قال فضر به عشرة اخرى قال فلم يزل يسبه
 حتى ضربته سبعين سوطاً وهو المشهور من مذهب مالك قال مالك
 من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن سب اصحابه اذب وقال
 عبد الملك بن حبيب من غلام من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه اذب
 اد باشد يد او من زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر
 ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال ابن المنذر لا اعلم احداً يوجب قتل من سب من بعد النبي
 صلى الله عليه وسلم وقال القاضي ابو يعلى الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة

ان كان مستحلا لذلك كفروا ان لم يكن مستحلا فسق ولم يكفر سواء كفروا
او طعن في دينهم مع اسلامهم وقد قطع طائفة من الفقهاء من اهل
الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة . قال محمد بن
يوسف الثريائي وسئل عن شتم ابا بكر قال كافر قيل فيصلي عليه قال
لا وسأله كيف يصنع به وهو يقول لا اله الا الله قال لا تمسوه بايدكم ادفعوه
بالخشب حتى تواروه في حفرة . وقال احمد بن يونس لو ان يهود يا ذبح
شاة وذبح رافضي لا كلت ذبيحة اليهودي ولم آكل ذبيحة الرافضي لانه
مرتد عن الاسلام . وكذا قال ابو بكر بن هاني لا تؤكل ذبيحة الروافض
والقدريه كما لا تؤكل ذبيحة المرتد مع انه تؤكل ذبيحة الكنابي لان هو لا
يقامون مقام المرتد واهل الذمة يقرون على دينهم وتؤخذ منهم الجزية
وكذا قال عبد الله بن ادريس من اعيان ائمة الكوفة ليس لرافضي
شفعة الاسلام . وقال فضيل بن مرزوق سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل
من الرافضة والله ان قتلتك لقربة الى الله وما امتنع من ذلك الا بالجواز وفي
رواية قال رحمتك الله قد فت انما تقول هذا تمزح قال لا والله ما هو بالمزاح
ولكنه الجد قال وسمعت يقول لئن امكننا الله منكم لنقطعن ايديكم
وارجلكم . وصرح جماعات من اصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين البراءة من
علي وثمان وبكفر الرافضة المعتقدين لسب جميع الصحابة الذين كفروا
الصحابة وفسقهم وسبهم . وقال ابو بكر عبد العزيز في المقنع فاما الرافضي
فان كان يسب فقد كفر فلا يزوج . ولفظ بعضهم وهو الذي نصره القاضي

ابو يعلى انه ان سبهم سبا يقدح في دينهم وعد التهم كفر بذلك وان سبهم
سبالا يقدح مثل ان سب ابا احد هم او سبه سبا يقصد به غيظه ونحو ذلك
لم يكفره قال احمد في رواية ابي طالب في الرجل يشتم عثمان هذا
زندقة . وقال في رواية المروزي من شتم ابا بكر وعمر وعائشة ما اراه
على الاسلام . قال القاضي ابو يعلى فقد اطلق القول فيه انه يكفر بسبه
لاحد من الصحابة وتوقف في رواية عبد الله وابي طالب عن قتله وكما ل
الحدوايجاب التعزير يقتضى انه لم يحكم بكفره قال فيحتمل ان يحمل قوله ما اراه
على الاسلام اذا استحل سبهم بانه يكفر بلا خلاف ويحمل اسقاط القتل
على من لم يستحل ذلك فعله مع اعتقاده لتحريمه كمن ياتي المعاصي قال ويحتمل
قوله ما اراه على الاسلام على سب يطعن في عدا لثهم نحو قوله ظلوا وفسقوا
بعد النبي صلى الله عليه وسلم واخذوا الامر بتغير حق ويحمل قوله في اسقاط
القتل على سب لا يطعن في دينهم نحو قوله كان فيهم قلة علم وقلة معرفة
بالسياسة والشجاعة وكان فيهم شح ومحبة للدين ونحو ذلك قال ويحتمل
ان يحمل كلامه على ظاهره فتكون في سبهم روايتان . احدها يكفره .
والثانية يفسق . وعلى هذا استقر قول القاضي وغيره حكوا في تكفيرهم
روايتين . قال القاضي ومن قذف عائشة رضي الله عنها بما براها الله منه كفر
بلا خلاف ونحن ترتب الكلام في فصلين . احدهما . في سبهم مطلقا
والثاني في تفصيل احكام الساب . اما الاول . فسب اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرام بالكتاب والسنة . اما الاول . فلان الله سبحانه

يقول ولا يغتب بعضكم بعضاً وادنى احوال الساب لهم ان يكون مفتابا
وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال تعالى والذين يؤمنون بالمؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً وهم صدور المؤمنين
فانهم هم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا حيث ذكرت
ولم يكتسبوا ما يوجب اذاهم لان الله سبحانه رضى عنهم رضى مطلقاً بقوله
تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضى الله عنهم ورضوا عنه * فرضى عن السابقين من غير اشتراط احسان
ولم يرض عن التابعين الا ان يتبعوهم باحسان وقال تعالى لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة * والرضى من الله صفة قد يمة فلا يرضى
الا عن عبد علم انه يوافيه على موجبات الرضى ومن رضى الله عنه لم يسخط
عليه ابداً وقوله تعالى اذ يبايعونك * سواء كانت ظرفاً محضاً او كانت ظرفاً
فيها معنى التعليل فان ذلك لتعلق الرضى بهم فانه يسمى رضى ايضاً كما في تعلق
العلم والمشية والقدرة وغير ذلك من صفات الله سبحانه وقيل بل الظرف
يتعلق بجنس الرضى وانه يرضى عن المؤمن بعد ان يطبعه ويسخط عن الكافر
بعد ان يعصيه ويجب من اتبع الرسول بعد اتباعه له وكذلك امثال هذا
وهذا قول جمهور السلف واهل الحديث وكثير من اهل الكلام وهو الاظهر
وعلى هذا فقد بين في مواضع اخر ان هؤلاء الذين رضى الله عنهم هم من
اهل الثواب في الآخرة يموتون على الايمان الذى به يستحقون ذلك كما في قوله
تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين
 فيها ابد اذالك التور العظيم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال لا يدخل الا واحد بايع تحت الشجرة و ايضا فكل من اخبر الله عنه
 انه رضى عنه فانه من اهل الجنة وان كان رضاه عنه بعد ايمانه وعمله
 الصالح فانه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له فلو علم انه
 يتعقب ذلك بما يخطئ الرب لم يكن من اهل ذلك وهذا كافي في قوله تعالى يا ايها
 الناس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي
 وادخلي جنتي • ولانه سبحانه وتعالى قال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
 والانصار والذين اتبعوه في ساعة الضر من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
 منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم • وقال سبحانه وتعالى واصبر نفسك مع
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه • وقال تعالى محمد
 رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الآية • وقال تعالى
 كنتم خیرامة اخرجت للناس • وكذلك جعلناكم امة وسطا وهم اول
 من وجه بهذا الخطاب فهم مرادون بلاريب وقال سبحانه وتعالى والذين
 جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
 ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم • فجعل سبحانه
 ما افاء الله على رسوله من اهل القرى للمهاجرين والانصار والذين جاءوا
 من بعدهم مستغفرين للمسايقين وداعين الله ان لا يجعل في قلوبهم غلا لهم فعلم
 ان الاستغفار لهم وطهارة القلب من الغل لهم امر يحبه الله ويرضاه ويشي على

فاعلم كما انه قد امر بذلك رسوله في قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله
 واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات . وقال تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم
 ومحبة الشيء كراهته لضده فيكون الله سبحانه يكره السب لهم الذي هو ضد
 الاستغفار والبنفس لهم الذي هو ضد الطهارة وهذا معنى قول عائشة
 رضي الله عنها امر و ابالا استغفار لا صحاب محمد فسيوهم رواه مسلم وعن
 مجاهد عن ابن عباس قال لا تسبوا اصحاب محمد فان الله قد امر بالاستغفار لهم
 وقد علم انهم سيقتلون رواه الامام احمد وهو عن سعد بن ابي وقاص قال الناس
 على ثلاث منازل فمضت منزلتان و بقيت واحدة فاحسن ما انتم كائنون
 عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت قال ثم قرأ للفقراء المهاجرين الى
 قوله رضوا بالهجرة المهاجرين وهذه منزلة قد مضت * والذين تبوءوا
 الدار والايمان من قبلهم الى قوله ولو كان بهم خصاصة قال هؤلاء الانصار
 وهذه منزلة قد مضت * ثم قرأ والذين جاءوا من بعدهم الى قوله رحيم *
 قد مضت هاتان و بقيت هذه المنزلة فاحسن ما انتم كائنون عليه ان تكونوا
 بهذه المنزلة التي بقيت يقول ان تستغفروا لهم ولان من جاز سبه بغيره
 لم يجز الاستغفار له كما لا يجوز الاستغفار للمشر كين لقوله تعالى ما كان للنبي
 والذين آمنوا ان يستغفروا للمشر كين ولو كانوا اولي قربي من بعد ما تبين لهم
 انهم اصحاب الجحيم * وكما لا يجوز ان يستغفر لجنس العاصين منمنين باسم
 المعصية لان ذلك لا مسيل اليه * ولانه شرع لنا ان نسال الله ان لا يجعل في قلوبنا
 غلا للذين آمنوا والسب باللسان اعظم من الغل الذي لا سب معه ولو كان

الغل عليهم والسب لهم جائز لم يشرع لنا ان نسأله ترك ما لا يضر فعله ولانه
وصف مستحق الفى بهذه الصفة كما وصف السابقين بالهجرة والنصرة فعلم ان
ذلك صفة للموثر فيهم ولو كان السب جائزا لم يشترط في استحقاق الفى
ترك امر جائز كما لا يشترط ترك سائر المباحات بل لو لم يكن الاستغفار لهم
واجبا لم يكن شرط في استحقاق الفى لا يشترط فيه ما ليس بواجب بل هذا
دليل على ان الاستغفار لهم داخل في عقد الدين واصله واما السنة ففى
الصحيحين عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذى نفسى بيده لو ان
احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه . وفي رواية
لمسلم واستشهد به البخارى قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن
عوف شىء فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فان احدكم لو انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه . وفي رواية
للبرقاني في صحيحه لا تسبوا اصحابي دعوا الى اصحابي فان احدكم لو انفق كل
يوم مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه . والاصحاب جمع صاحب
والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها
لانه يقال صحبته ساعة وصحبته شهرا وصحبته سنة قال الله تعالى والصاحب
بالجنب قد قيل هو الرفيق في السفر وقيل هو الزوجة ومعلوم ان صحبة
الرفيق وصحبة الزوجة قد تكون ساعة فمافوقها وقد اوصى الله به احسانا
مادام صاحبا . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب

الاحاديث الواردة في ممانعة سب الصحابة رضى الله عنهم

عند الله خيرهم لصاحبه وخيرا لغيره عند الله خيرهم لجاره وقد دخل في ذلك قليل
الصحة وكثيرها وقليل الجوار وكثيره وكذلك قال الامام احمد وغيره كل من
صحاب النبي صلى الله عليه وسلم سنة او شهرا او يوما او رآه مؤمنا به فهو من اصحابه له من
الصحة بقدر ذلك فان قيل فلم نهى خالدا عن ان يسب اصحابه اذا كان
من اصحابه ايضا وقال لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصفه قلنا لان عبد الرحمن بن عوف ونظراؤه هم من السابقين
الاولين الذين صحبوه في وقت كان خالدا او امثاله يعادونه فيه وانفقوا
اموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد الفتح
وقاتلوا وكلا وعد الله الحسني فقد انفرد وامن الصحة بما لم يشر بهم فيه
خالدا ونظراؤه ممن اسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل فنهى ان
يسب او لا تلك الذين صحبوه قبله ومن لم يصحبه قط نسبته الى من صحبه
كنسبة خالدا الى السابقين وابعده وقوله لا تسبوا اصحابي خطاب لكل احد ان
يسب من انفرد عنه بصحبته صلى الله عليه وسلم وهذا كقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث آخر ايها الناس اني اتيتكم فقلت اني رسول الله اليكم
فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت فهل انتم تاركوالي صاحبي فهل انتم
تاركوالي صاحبي او كما قال باي هو وامي صلى الله عليه وسلم قال ذلك
لما عاير بعض الصحابة ابا بكر وذاك الرجل من فضلا واصحابه ولكن امتاز
ابو بكر عنه بصحبته وانفرد بهاعنه وعن محمد بن طلحة المدني عن عبد الرحمن
ابن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة عن ابيه عن جده قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان الله اختارني واختار لي اصحابا جعل لي منهم وزراء و انصارا
 واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
 منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا * وهذا محفوظ بهذا الاسناد * و قد روى
 ابن ماجة بهذا الاسناد حد يثا وقال ابو حاتم في تحديته هذا محله الصدق يكتب
 حديثه ولا يحتاج به على افراد * ومعنى هذا الكلام انه يصلح للاعتبار
 بتحديثه والاستشهاد به فاذا عصف * آخر مثله جازان يحتاج به ولا يحتاج به على
 افراد * * وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الله في اصحابي لا تقصدونهم غرضا من بعدهم * من احبهم فقد احبني ومن
 ابغضهم فقد ابغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن
 آذى الله فيوشك ان ياخذ * * رواه الترمذي وغيره من حديث عبيدة
 ابن ابي ربيعة عن عبد الرحمن بن زياد عنه * وقال الترمذي غريب لا يرفعه
 الا من هذا الوجه وروي هذا المعنى من حديث انس ايضا ولفظه من
 حب اصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله * رواه ابن البناء * وعن
 عطاء بن ابي رباح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله من سب اصحابي رواه
 ابو احمد الزيري ثنا محمد بن خالد عنه و قد روي عنه عن ابن عمر مرفوعا من
 وجه آخر رواها اللالكائي * وقال علي بن عاصم ان ابا بكر خذم حديثي ابو قلابة عن
 ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر
 اصحابي فامسكوا رواه اللالكائي * ولما جاء فيه من الوعيد قال ابراهيم النخعي
 كان يقال شتم ابي بكر وعمر من الكبار وكذلك قال ابو اسحاق السبيعي شتم

من احبهم فيحبي احبهم ومن ابغضهم فيبغض ابغضهم - سنن الترمذي

ابي بكر وعمر من الكبار التي قال الله تعالى ان تجنبوا كبار ما ترون عنه واذا كان
 شتمهم بهذه المشابة فاقل ما فيه التبرير لانه مشروع في كل معصية ليس فيها
 حد ولا كفارة وقد قال صلى الله عليه وسلم انصرا خاك ظلما او مظلوما وهذا
 مما لا نعلم فيه خلافا بين اهل الفقه والعلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم والتابعين لم باحسان وسائر اهل السنة والجماعة فانهم مجمعون على ان
 الواجب البناء عليهم والاستغفار لهم والترحم عليهم والترضى عنهم واعتقاد
 محبتهم وموالاتهم وعقوبة من اتهم فيهم القول ثم من قال لا اقتل بشتم
 غير النبي صلى الله عليه وسلم فانه يستدل بقصة ابي بكر المتقدمة وهو ان
 رجلا اغلظ له وفي رواية شتمه فقال له ابو برة اقتله فانتهره وقال ليس
 هذا لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم وبانه كتب الى المهاجرين ايامه
 ان حد الانبياء ليس يشبه الحد وكما تقدم ولان الله تعالى ميز بين مؤذى الله
 ومؤوله ومؤذى المؤمنين فجعل الاول ملعونا في الدنيا والآخرة
 وقال في الثاني فقد احتمل بهتاننا واثما مينا ومطلق البهتان والا ثم ليس
 بموجب القتل وانما هو موجب للعقوبة في الجملة فتكون عليه عقوبة مطلقة
 ولا يلزم من العقوبة جواز القتل ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل
 دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان اوزنا
 بعد احسان او رجل قتل نفسا فيقتل بها ومطلق السب لغير الانبياء لا يستلزم
 الكفر لان بعض من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان ربما سب
 بعضهم بعضا ولم يكفر احد بذلك ولان اشخاص الصحابة لا يجب الايمان بهم

بأعيانهم فسب الواحد لا يقدح في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر. وإمامن قال يقتل الساب أو قال يكفر فلم دلالات احتجوا
بها. منها قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء
بينهم إلى قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار. فلا بد أن يغيظ بهم الكفار وإذا كان
الكفار يغازون بهم فمن غيظ بهم فقد شارك الكفار فيما أذله الله به وأخزاهم
وكتبهم على كفرهم ولا يشارك الكفار في غيظهم الذي كتبوا به جزاء
لكفرهم إلا كافر لأن المؤمن لا يكتب جزاء للكفر. يوضح ذلك أن قوله
تعالى ليغيظ بهم الكفار تعليق للعلم بوصف مشتق مناسب لأن الكفر مناسب
لأن يغاظ صاحبه فإذا كان هو الموجب لأن يغيظ الله صاحبه بأصحاب محمد فمن
غاظه الله بأصحاب محمد فقد وجد في حقه موجب ذاك وهو الكفر. قال
عبد الله بن إدريس الأودي الإمام ما آمن أن يكونوا قد ضاروا الكفار
يعني الرافضة لأن الله تعالى يقول ليغيظ بهم الكفار وهذا معنى قول الإمام
أحمد ما أراه على الإسلام. ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد
آذى الله. وقال من سبه فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا. وأذى الله ورسوله كفر موجب للقتل كما تقدم
وبهذا يظهر الفرق بين إذا هم قبل استقرار الصحة وإذا هم سائر
المسلمين وبين إذا هم بعد صحبتهم له فإنه على عهد قد كان الرجل ممن
يظهر الإسلام يمكن أن يكون منافقا ويمكن أن يكون مرتدًا فإما إذا مات

مقبيا على صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير مننون بنفاق فاذا اذى
 معصوبه قال عبدالله بن مسعود اغتبروا الناس باخذ انهم ، وقالوا
 عن المرء لا تسئل و سل عن قرينه • فكل قرين بالمقارن يقتدى
 وقال مالك رضى الله عنه انما هؤلاء اقوام ارادوا القدح في النبي صلى الله
 عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك فقد حوا في اصحابه حتى يقال رجل سوء ولو كان
 رجلا صالحا لكان اصحابه صالحين او كما قال وذلك انه ما منهم رجل الا كان
 ينصر الله ورسوله و يذب عن رسول الله بنفسه وماله ويعينه على اظهار دين
 الله و اعلاء كلمة الله و تبليغ رسالات الله وقت الحاجة وهو حينئذ لم يستقر امره
 ولم تنتشر دعوته ولم تطمئن قلوب اكثر الناس بدينه و معلوم ان رجلا
 لو عمل به بعض الناس نحو هذا ثم اذاه احد لغضب له صاحبه و عد ذلك
 اذى له و الى هذا اشار ابن عمر قال نسير بن ذعلوق سمعت ابن عمر
 رضى الله عنه يقول لا تسبوا اصحاب محمد فان مقام احدكم خير من عملكم كله
 رواه اللالكائي و كانه اخذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم
 مثل احد ذهابا بلغ مد احدكم او نصيفه • و هذا تفاوت عظيم جدا و من
 ذلك ما روي عن علي رضى الله عنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة
 انه لعهد النبي الامي الي انه لا يحبك الا مؤمن ولا يفضك الا منافق رواه
 مسلم • و من ذلك ما خرجا في الصحيحين عن انس ان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال آية الايمان حب الانصار و آية النفاق بغض الانصار • و في
 لفظة قال في الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يفضهم الا منافق • و في الصحيحين

ايضاً عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الانصار
لا يحبهم الامؤمن ولا يبغضهم المنافق من احبهم احبه الله ومن ابغضهم
ابغضه الله . ولمسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يبغض الانصار رجل آمن بالله واليوم الآخر . وروى مسلم في
صحيحه ايضاً عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر فمن سبه فقد زاد على
بغضهم فيجب ان يكون منافقاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وانما خص
الانصار والله اعلم لانهم هم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبل
المهاجرين واووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه ومنعوه وبذلوا
في اقامة الدين النفوس والاموال وعادوا الاحمر والاسود من اجله
واووا المهاجرين وواسوهم في الاموال وكان المهاجرون اذ ذاك قليلاً
غرباء فقراء مستضعفين . ومن عرف السيرة واياهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما قاموا به من الامر ثم كان مؤمناً يحب الله ورسوله لم يملك ان
لا يحبهم كما ان المنافق لا يملك ان لا يبغضهم واراد بذلك والله اعلم ان
يعرف الناس قد راى انصار لعلمه بان الناس يكثرون والانصار يقلون وان
الامر سيكون في المهاجرين فمن شارك الانصار في نصراهم ورسولهم بما يمكنه
فهو شريكهم في الحقيقة كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصاراً لله
من نصراهم ورسولهم من اصحابه تفاق . ومن هذا رواه طلحة بن مصرف
قال كان يقال بغض بني هاشم تفاق وبغض ابي بكر وعمر تفاق والشاك

في ان، بكر كالشاك في السنة . ومن ذلك مارواه كثير النواء عن ابراهيم
ابن الحسن بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده قال قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر في
امتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام هكذا رواه
عبد الرحمن بن احمد في مسند ابيه وفي السنة من وجوه صحيحة عن يحيى
ابن عقيل ثنا كثير ورواه ايضا من حديث ابي شهاب عبد ربه بن نافع
الخباط عن كثير النواء عن ابراهيم بن الحسن عن ابيه عن جده برفعه
قال يحيى قوم قبل قيام الساعة يسمون الرافضة براء من الاسلام وكثير النواء
يضعفونه . وروى ابو يحيى الحماني عن ابي جناب الكلبي عن ابي سليمان
الهمداني او النخعي عن عمه عن علي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي
انت وشيعتك في الجنة وان قوما لهم نزيقال لهم الرافضة ان ادركتهم
فاقتلهم فانهم مشركون قال علي ينتحلون حينا اهل البيت وليسوا كذلك
وآية ذلك انهم يشتمون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما . ورواه عبد الله بن
احمد حدثني محمد بن اسمعيل الاحمسي ثنا ابو يحيى ورواه ابو بكر الاثرم
في مسنده ثنا معاوية بن عمرو ونا فضيل بن مرزوق عن ابي جناب عن ابي سليمان
الهمداني عن رجل من قومه قال قال علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ادلك على عمل ان عملته كنت من اهل الجنة وانك من اهل الجنة انه سيكون
بعد نا قوم لهم نزيقال لهم الرافضة فان ادركتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون
قال وقال علي رضي الله عنه سيكون بعد نا قوم ينتحلون مودتنا يكذبون

الحديث الواردة في ذكر الرافضة وعلاقتهم والوصية بقائلهم

علينا مارقة آية ذلك انهم يسبون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ورواه
 ابو القاسم البغوي ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن ابي جناب الكلبي
 عن ابي سليمان الحمداني عن علي رضي الله عنه قال يخرج في آخر الزمان
 قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة يعرفون به ويتخلون شيعتنا وليسوا من
 شيعتنا آية ذلك انهم يشتمون ابا بكر وعمر اينما ادركتموهم فاقتلوه فانهم
 مشركون . وقال سويد ثنا مروان بن معاوية عن حماد بن كيسان عن
 ابيه وكانت اخته سرية لعل رضي الله عنه قال سمعت عليا يقول يكره
 في آخر الزمان قوم لهم نبز يسمون الرافضة يرفضون الاسلام فاقتلوه
 فانهم مشركون . فهذا الموقوف علي رضي الله عنه شاهد في المعنى
 لذلك المرفوع . وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث ام سلمة وفي
 اسناده سوار بن مصعب وهو مهروك . وروي ابن بطة باسناده عن
 انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختارني واختار لي اصحابي
 فجعلهم انصارى وجعلهم اصارى وانه سيجي في آخر الزمان قوم يرفضونهم
 الا فلا تاكلوهم ولا تشاربوهم الا فلا تاكلوهم الا فلا تصلوا معهم ولا تصلوا
 عليهم عليهم حلت اللعنة . وفي هذا الحديث نظر وروي ما هو اغرب
 من هذا واهضعف رواه ابن البناء عن ابي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولا تسبوا اصحابي فان كفارتهم القتل . وايضا فان
 هذا ما ثور عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فروى ابو الاصول
 عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم قال بلغ علي بن ابي طالب ان

عبد الله بن السوداء يغض ابابكر وعمر فهم بقتله فليل له تقتل رجلا
يد عوالي حبكم اهل البيت فقال لا يساكني في دار ابداء وفي رواية عن
شباك قال بلغ عليا ان ابن السوداء يغض ابابكر وعمر قال فدعاه ودعا
بالسيف او قال فهم بقتله فكلّم فيه فقال لا يساكني ببلد انا فيه فنفاه الى
المدائن وهذا محفوظ عن ابي الاحوص وقد رواه النجاد (١) وابن بطّة
واللالكاي وغيرهم ومراسيل ابراهيم جباد ولا يظهر عن علي رضي الله عنه
انه يريد قتل رجل الا وقتله جلال عنده ويشبهه والله اعلم ان يكون انما
تركه خوف الفتنة بقتله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك عن قتل
بعض المنافقين فان الناس تشتت قلوبهم عقب فتنة عثمان رضي الله عنه
وصار في عسكره من اهل الفتنة اقوام لم عشائر لو اراد الا انتصار منهم
لغضبت لم عشائرهم وبسبب هذا وشبهه كانت فتنة الجمل . وعن سلمة بن
كهيل عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابي قال قلت لابي بابت لو كنت
سمعت رجلا يسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكفر اكنت تضرب
عنقه قال نعم رواها الامام احمد وغيره ورواه ابن عيينة عن خلف بن
حوشب عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابي قال قلت لابي لو اتيت برجل يسب
ابابكر ما كنت صانعا قال اضرب عنقه قلت فعمرو قال اضرب عنقه وعبد الرحمن
ابن ابي من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ادركه وصلي خلفه واقره
عمر رضي الله عنه عاملا على مكة وقال هو ممن رفعه الله بالقرآن بعد ان
قيل له انه عالم بالفرائض قاري لكتاب الله واستعمله علي رضي الله عنه على

خراسان. وروى قيس بن الربيع عن وائل عن البهي قال وقع بين عبيد الله
ابن عمرو وبين المقداد كلام فشم عبيد الله المقداد فقال عمر علي بالحداد
اقطع لسانه لا يجترئ احد بعده يشتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية فهم عمر بقطع لسانه فكلمه فيه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فقال ذروني اقطع لسان ابني لا يجترئ احد بعده يسب احدا من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم رواه حنبل وابن بطة واللائكاي وغيرهم ولعل
عمر انما كف عنه لما شفع فيه اصحاب الحق وهم اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ولعل المقداد كان فيهم. وعن عمر بن الخطاب انه اتى باعرا بى
يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه رواه ابو ذر الهروى
ويؤيد ذلك ما روى الحكم بن حجل قال سمعت عليا يقول لا يضلنى
احد على ابي بكر وعمر رضى الله عنهما الا جلده حد المقتري. وعن علقمة بن
قيس قال خطبنا على رضى الله عنه فقال انه بلغنى ان قوم ما يفضلونى على ابي بكر
وعمر ولو كنت تقدمت في هذه العاقبت فيه ولكنى اكره العقوبة قبل التقدم
ومن قال شيئا من ذلك فهو مقتري عليه ما على المقتري خير الناس كان بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر. رواها عبد الله بن احمد وروى ذلك ابن بطة
واللائكاي من حديث سويد بن غفلة عن علي في خطبة طويلة خطبها. وروى
الامام احمد باسناد صحيح عن ابن ابي ليلى قال تداروا في ابي بكر وعمر فقال
رجل من عطار دغبرا فضل من ابي بكر فقال الجارو دبل ابو بكر افضل منه قال
فبلغ ذلك عمر قال فجعل يضرب به ضربا بالدر حتى شغل برجله ثم اقبل الى الجارود

فقال اليك عني ثم قال عمر ابو بكر كان خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا وكذا ثم قال عمر من قال غير هذا اقمنا عليه ما نقيم على المفتري ✽
فاذا كان الخليفان الراشدان عمرو و علي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل عليا على ابي بكر وعمر او من يفضل عمر على ابي بكر مع ان مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب علم ان عقوبة السب عند هافوق هذا بكثير .

✽ فصل ✽

في تفصيل القول فيهم اما من اقترن بسبه دعوى ان عليا اله او انه كان هو النبي و انما غلط جبرئيل في الرسالة فهذا لاشك في كفره بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره ✽ وكذلك من زعم منهم ان القرآن نقص منه آيات و كتبت او زعم ان له ثاويلات باطنة تسقط الاعمال المشروعة ونحو ذلك و هو لاه يسمون القرامطة والباطنية ✽ ومنهم التناسخية و هو لاه لا خلاف في كفرهم ✽ و امامن سبهم سبلا لا يقدح في عد التهم ولا في دينهم مثل و صف بعضهم بالبخل او الجبن او قلة العلم او عدم الزهد و نحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التاديب و التعزير و لان الحكم بكفره بمجرد ذلك و على هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العالم و امامن لعن و قبح مطلقا فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الامر بين لعن الغيظ و لعن الاعتقاد و امامن جاوز ذلك الى ان زعم انهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا و انهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب ايضا في كفره لانه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم و الثناء

فصل في تفصيل الاقوال في سبب الصحابة رضي الله عنهم من الروافض و غيرهم و من افتى بتكفيرهم منهم ✽

عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فان كفره متعين فان مضمون هذه
المقالة ان نقلة الكتاب والسنة كفارا وفساق وان هذه الآية التي هي كتم خير
امة اخر جنت للناس وخيرها هو القرن الاول كان عامتهم كفارا وفساقا
ومضمونها ان هذه الامة شر الامم وان سباني هذه الامة هم شرارها وكفر
هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء
من هذه الاقوال فانه يتبين انه زنديق وعامة الزنادقة انما يستترون
بمذاهبهم وقد ظهرت لله فيهم مثلات وتواتر النقل بان وجوههم تمسخ
خنازير في المحيا والممات وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك ومن صنف فيه
الحافظ الصالح ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن
سب الاصحاب وما جاء فيه من الاثم والعقاب وبالجملة فمن اصناف السابة
من لا ريب في كفره ومنهم من لا يحكم بكفره ومنهم من تردد فيه
وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك وانما ذكرنا هذه المسائل لانها
من تمام الكلام في المسئلة التي قصدناها هذا اما تبسر من الكلام في هذا
الباب ذكرنا ما يسر الله واقتضاه الوقت والله سبحانه يجعله لوجهه خالصا
وينفع به ويستعملنا فيما يرخصه من القول والعمل
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا كثيرا

من قال بارتداد الصحابة او كفرهم او فسقهم فلا ريب في كفره بل من يشك في كفره

✽ خاتمة الطبع ✽

قد انتهى بفضل ذي الفضل المبذول . طبع كتاب ✽ الصارم السلول على شاتم
الرسول ✽ في اواخر شهر جمادى الآخرة من سنة (١٣٢٢) هجرية . في مطبعة مجلس
دائرة المعارف الزاهرة . بمدينة حيدر اباد الدكن العامرة . تحت ظل ملكها
العظيم القدر . والنافذ النهى والامر ✽ مظفر المالك فتح جنك نظام الدولة
نظام الملك آصفجاء مير محبوب علي خان بهادر ✽ لازالت شمس سلطنته
ساطعه . و ثمرات عدله يانعه .

وكان ذلك الطبع والتميق بالغاية الممكنة من التصحيح والتحقيق تحت نظارة
معتمد هذه الجمعية الناضرة اسفار العلوم المولوى الملا محمد عبد القيوم
واهتمام العبد الضعيف الحسن بن احمد النعمانى وقد صححه في اثناء الطبع
العلامة الفهامة السيد ابوبكر بن شهاب الحضرمى والسيد المولوى
ابو الحسن الامر وهى والقاضى المولوى عبد الملك محمد شريف الدين
الحيدر آبادى الفالى شكر الله سعي الجميع . واثابهم اجزل الثواب على ذلك
الصنيع . بركة سيد الانام عليه وعلى آله واصحابه افضل الصلوة والسلام
ما درودق غمام . وفاح مسك ختام .

﴿ فهرس مضامين هذا الكتاب ﴾

مضمون	ج.
خطبة الكتاب	٢
﴿ المسئلة الاولى في ان الساب يقتل سواء كان مسلما او كافرا ﴾	٤
دلائل انتقاض عهد الذمي بسبب الله او كتابه او دينه او رسوله	١٢
ووجوب قتله وقتل المسلم اذا اتى ذلك	
فصل في الآيات الدالات على كفر الشاتم وقتله او على احدهما	٢٨
العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	٣٤
اصل الايمان والنفاق في القلب وانما القول والفعل فرعان لهما	٣٥
الدلالة مطردة في صفات المنافقين	٣٦
بيان اتحاد حرمة الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم	٤١
قصر عمومات القرآن على اسباب نزولها باطل	٥٠
مواضع الطاعة المأمورة للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن	٥٥
فصل في ايراد السنن والاحاديث الدالة على حكم شاتم النبي صلى الله عليه وسلم	٥٩
فصل في قصة الاعمي الذي قتل ام ولد له كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم	٦٨
قصة قتل كعب بن الاشرف اليهودي	٧٠
اذا رتب الوصف على الحكم بالغاء دل على العلية	٧٣
الواقدي اعلم الناس بتفاصيل المغازي	٧٤

مضمون	رقم
الحكم الحادث بضاف الى السبب الحادث	٧٤
حكاية رجل اغلظ لابي بكر الصديق رضى الله عنه	٩١
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته او كدواكل	٩٣
قصة قتل العصاة بنت مروان من بني خزيمة التي هجت النبي صلى الله عليه وسلم	٩٤
قصة قتل ابي علفك اليهودي لهجاء النبي صلى الله عليه وسلم	١٠٣
قصة شج انس بن زعيم الدلي لهجائه النبي صلى الله عليه وسلم	١٠٤
قصة ابن ابي سرح	١٠٨
قد جرب المجربون من اهل الفقه والخبرة تعجيل فتح الحصون والمدائن	١١٥
اذا تعرض اهلها لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم	
الساب الطاعن للنبي صلى الله عليه وسلم اعظم جرماً من المرئ	١١٦
حديث القيسين اللتين كانتا تقنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم	١٢٤
حكاية قتل ابن خطل وكان تعلق باستار الكعبة ملتجئاً به من القتل	١٣٢
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من كان بهجوه ويؤذ به	١٣٤
من شعراء قريش	
قصة قتل ابي رافع اليهودي لاجل اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٤٨
شرح حديث هل ترك لنا عقيل من دار	١٥٣
ان المهاجرين طلبوا استرجاع ديارهم بعد فتح مكة فمنعهم رسول الله	١٥٦
صلى الله عليه وسلم واقراها يد من استولى عليها ومن اشتراها منه	
قصة قتل ابي جهل	١٥٩
قصة هلاك المستهزين	١٦١

مضمون	ج.
السب اشد من المجاربة	١٦٥
حكاية رجل اظهر لقوم امارته عليهم بامر النبي عليه الصلاة والسلام كذبا	١٦٦
جزاء الكاذب على النبي صلى الله عليه وسلم	١٦٧
من تنبأ كذبا فانه كافر حلال الدم	١٦٨
حديث الاعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند تقسيمه	١٧٤
المغانم ما احسنت ولا اجملت	
اختلف الناس في العطايا هل كانت من نفس الغنيمة او من الخمس	١٨٩
فصل في ثبوت الاجماع على قتل سباب النبي صلى الله عليه وسلم	١٩٤
اثبات قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم بالقياس	١٩٩
بذل الاموال وسفك الدماء في تعزيز رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٠١
وتوقيره	
فرض الله علينا تعزيزه صلى الله عليه وسلم وتوقيره	٢٠٣
انصراح احماد المسلمين واجب ايضا	
قيام المدح والثناء عليه صلى الله عليه وسلم قيام الدين كله	٢٠٤
لا يجوز للامة ان يغفوا عن سبه صلى الله عليه وسلم	٢١٩
المسئلة الثانية انه يتعين قتل الساب وان كان ذميا فلا يجوز لمن عليه	٢٤٥
ولا فداؤه ولا استرقاقه	
فصل في ان شاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعين قتله	٢٧٣
هو عليه السلام ليس كسائر الناس في الحقوق بل خصوصياته لا تخصي	٢٩٣
المسئلة الثالثة ان الساب يقتل ولا يستتاب سواء كان مسلما او كافرا	٢٩٦

مضمون	رقم
فصل في بيان استتابة المسلم وقبول توبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم	٣١٠
فصل في ان الاستتابة للمرتد واجبة او مستحبة او غير ذلك	٣١٧
الفرق بين المرتد وبين الكافر الاصل	٣٢١
فصل في متعلقات احكام المرتد	٣٢٢
فصل في ان الذمي اذا سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم تاب	٣٢٦
فصل في ان المسلم اذا سب يقتل من غير استتابة وان اظهر التوبة	٣٣٤
جواز قتل المنافق وان اظهر التوبة	٣٥٠
فصل في وجوب قتل الساب من المسلمين وان تاب والذمي وان اعاد الى الذمة	٣٦٩
الطرق المتعددة في وجوب قتل الذمي الساب	٣٧٠
ايضاً الطريقة الاولى	
الطريقة الثانية	٣٨٨
الطريقة الثالثة	٣٩٣
الطريقة الرابعة	٣٩٤
الطريقة الخامسة	٣٩٥
الطريقة السادسة	٣٩٩
ايضاً الطريقة السابعة	
الطريقة الثامنة	٤٠٠
الطريقة التاسعة	٤٠٢
الطريقة العاشرة	٤٠٤
الطريقة الحادية عشر	٤٠٦

مضمون

٤١٠

قصة دعاء موسى عليه السلام على قارون وجلسائه

٤١٢ الطريقة الثانية عشر

٤١٤ الطريقة الثالثة عشر

٤١٥ الطريقة الرابعة عشر

٤١٦ الطريقة الخامسة عشر

٤١٨ الطريقة السادسة عشر

ايضاً اوجب الله نبيه صلى الله عليه وسلم حقوقاً ائدة على القلب واللسان

والجوارح

٤٢٣ الطريقة السابعة عشر

٤٤٣ سبه عليه السلام سب لجميع المسلمين وطعن في دينهم

٤٤٤ الطريقة الثامنة عشر

٤٤٦ الطريقة التاسعة عشر

٤٤٨ الطريقة الموفية عشرين

ايضاً الطريقة الحادية والعشرون

٤٤٩ الطريقة الثانية والعشرون

٤٥١ الطريقة الثالثة والعشرون

٤٥٢ الطريقة الرابعة والعشرون

ايضاً الطريقة الخامسة والعشرون

٤٥٥ الطريقة السادسة والعشرون

مضمون	رقم
الطريقة السابعة والعشرون	٤٥٦
فصل في مواضع التوبة المقبولة وغيرها	٥٠٨
فصل في ان الساب اذا رفع الى السلطان وثبت ذلك عليه بالبينه لم يسقط عنه الحد وان تاب	٥١٢
❖ المسئلة الرابعة في بيان السب المذكور والفرق بينه وبين مجرد الكفر وان الساب كافر سواء استحله ام لا ❖	٥١٤
حكم الزنديق	٥١٥
التعظيم والمحبة للرسول صلى الله عليه وسلم لازم للايمان	٥٢٠
الاستخفاف من المطيع محال	٥٢١
الايمان تصديق وعمل بالقلب	٥٢٢
بين الايمان والاستخفاف منافاة	٥٢٣
التصديق يوجب المحبة والتعظيم ويمنع ارادة فعل فيه استهانة	٥٢٧
ايضاً فصل في ان كل سب وشم يبيع الدم فهو كفر	
ايضاً التعريض بالسب كفر	
بيان اقسام السب	٥٢٨
يقتل من قال ان رداءه صلى الله عليه وسلم وسخ وارا د به عيبه	٥٢٩
السب ما يعد في العرف سباً	٥٣٤
ايضاً فصل في التفريق بين مجرد كفر الذمي وبين سبه	
بيان الطعن في نسبه او خلقه او امانته او وفائه او صدقه	٥٣٩

مضمون	رقم
صلى الله عليه وسلم	
فصل كل ما كان من الذمى سبا ينقض عهده ويوجب قتله	٥٤٧
فصل في حكم من سب الله تعالى	٥٥٠
الفرق بين سب الله تعالى وسب النبي صلى الله عليه وسلم	٥٥٢
فصل في بيان الساب لله اذا كان ذميا	٥٥٩
فصل في ان السب ما يقصد به الانتقاص والاستخفاف	٥٦٦
فصل في السب المعلق بالوصف	٥٦٧
فصل في ان حكم سب سائر الانبياء عليهم السلام كحكم سب نبينا صلى الله عليه وسلم	٥٧٠
فصل في حكم سب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم	٥٧١
فصل في حكم سب اصحابه صلى الله عليه وسلم وسب اهل بيته واقوال الائمة في ذم الروافض والخوارج	٥٧٢
الآيات الدالات على حرمة سب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم	٥٧٦
الاحاديث الواردة في حرمة سبهم	٥٨٠
الاحاديث الواردة في ذكر الرافضة وعلامتهم والوصية بقتالهم	٥٨٧
فصل في تفصيل الاقوال في سبى الصحابة رضى الله عنهم من الروافض وغيرهم ومن افتي منهم بتكفيره	٥٩١
من قال باوتداد الصحابة او كفرهم او فسقهم فلا ريب في كفره بل في كفر من يشك في كفره	٥٩٢
خاتمة الكتاب	٥٩٣



Library of



Princeton University.

Presented by

THE CARNEGIE FOUNDATION



32101 076411402